جمهورية العراق
وزارة التعليم العلي والبحث العلمي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
قسم الدراسات القرآنيّة والفقه

السلوك الجمعي وأثره في توجيه المجتمع - دراسة تفسيرية

أُطروحة مقدَّمة إلى مَجلس كُليَّة العلوم الإسلاميّة / جامعة كربلاء ،
وهي من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة الشّريعة والعلوم الإسلاميّة
كُتِبَتْ مِنْ قِبَل الطّالب

مهدي مناتي عبود الماجدي

إشراف

أ. د محمد حسين عبود الطائي

١٤٤٥هـ ٢٠٢٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ "

صدقَ اللهُ العليُّ العظيم

﴿ "الأنعام :آية/ ١٦٥ ﴾

م/ ترشيح الاطروحة للطبع

نظرًا لإنجاز فصول ومباحث الأطروحة الموسومة (السلوك الجمعي وأثره في توجيه المجتمع – دراسة تفسيرية) لطالب الدكتوراه (مهدي مناتي عبود عيسى) فإنّي أُرشحها للطبع.

التوقيع:

المشرف: أ. د محمد حسين عبود الطائي

مكان العمل: جامعة كربلاء – كلية العلوم الإسلاميّة

التأريخ: ١١ /٤ /٢٠٢٠

م/ إقرار مشرف

أشهد أنَّ الأطروحة الموسومة (**السّلوك الجمعي وأثره في توجيه المجتمع – دراسة تفسيريّة**) التي قدَّمها طالب الدكتوراه (**مهدي مناتي عبود عيسى**) قد تمَّ إعدادها تحت إشرافي، في جامعة كربلاء – كلية العلوم الإسلاميّة، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة الشريعة والعلوم الإسلاميّة.

التوقيع:

المشرف: أ. د محمّد حسين عبّود الطّائي

مكان العمل: جامعة كربلاء – كلية العلوم الإسلاميّة

التأريخ: ١٩ / ٢ / ٢٠٢٤

بناء على التوصيات المتوافرة أُرشح هذه الأطروحة للمناقشة

التوقيع:

الاسم: أ.م.د. محمد ناظم محمد الخزعلي

التأريخ: ١٦ / ٩ / ٢٠٢٤

شهادة الخبير اللغوي

اطلعت على رسالة/أطروحة الطالب/ـــه ( ) الموسومة

( ) أسلوب الجمل وأثره في توجيه الحجة دراسة تفسيرية

) وقومتها لغوياً واجد أنها صالحة للمناقشة .

التوقيع:

المرتبة العلمية : مدرس دكتور

الاسم : د. سالم طاوين

مكان العمل : كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٢٠/٤/٢٠٢٢

إقرار لجنة مناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أنّنا اطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة بـ (السلوك الجمعي وأثره في توجيه المجتمع – دراسة تفسيرية) وناقشنا الطالب (مهدي مناتي عبود عيسى) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنّها جديرة بالقبول بتقدير (امتياز)لنيل شهادة الدكتوراه في فلسفة الشريعة والعلوم الاسلامية.

أ . د أقبال وافي نجم
جامعة كربلاء /كلية العلوم الإسلامية
رئيسًا

أ. د علي جواد كاظم وتوت
جامعة القادسية/ كلية الآداب
عضوًا

أ. م. د ليث عباس الصائغ
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
عضوًا

أ. م. د حسن محمد الجذيلي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
عضوًا

أ. م. د ضرغام علي محي
جامعة الكوفة / كلية التربية المختلطة
عضوًا

أ. د محمد حسين عبود الطائي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
عضوًا ومشرفًا

صُدِّقت في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلاميّة

التوقيع:
الاسم: أ. د محمد حسين عبود الطائي
العميد
التاريخ: ١٠ / ٦ / ٢٠٢٤ م

الإهـــــــــــــــــداء

الى...

سيدي أبي عبد الله الحسين (ع)،

الذي كلما ضاقت الأمور خلال دراستي،

ذهبت الى ضريحه الطاهر فمنحني الله من نور الحسين (ع)،

فأعود وأنا كلي طاقةٌ ونشاطٌ لأصنع النجاح،

أهدي اليه هذا الجهد المتواضع

والى من سار على درب الحسين (ع)، من أبناء الحشد الشعبي وكل القوات الأمنية لاسيّما الشهداء والجرحى.

الباحث

شكر وعرفان

أقتبس من نور قوله تعالى: { وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ } [لقمان: آية / ١٢].

الشكر لله أولاً وآخراً لله وحده لا شريك له، وسبحانه هو المعطي وهو المتلطِّف وهو الوهاب.

وأتقدم بوافر الشكر والامتنان الى استاذي الفاضل الاستاذ الدكتور محمد حسين عبود الطائي، على المساعدة التي لم اجدها من غيره منذ اختيار العنوان الى يوم تسليم الاطروحة وهو مستمر الى يوم المناقشة وما بعده، فقد أمدني بالعزيمة أولاً والتوجيه والتقويم ثانياً، وأثرى علَيَّ ببيانه وعلمه، فكان له الأثر البالغ في سير هذه الدراسة الى بلوغ هدفها.

والشكر الموّصول لأعضاء لجنة المناقشة الذين منحونا شرف موافقتهم على مناقشة هذه الاطروحة، ولما يقدموا ويبذلوا من جهدٍ مثمر ومغني ونافع في نقد وتنقيح الاطروحة

ويأخذني الاخلاص والفاء ورد الجميل لأن اتوجه بالشكر والعرفان الى عمادة كلية العلوم الاسلامية في جامعة كربلاء المتمثلة بالأستاذ الدكتور (محمد حسين عبود الطائي) والعمادة السابقة لها المتمثلة بالأستاذ الدكتور (ضرغام كريم كاظم الموسوي)، والشكر الى رئيس القسم الدكتور (محمد ناظم) وكافة الهيئة التدريسية، وجميع الذين ذللوا لنا سبيل العلم والتعلم.

والشكر موصولاً للأستاذ الدكتور (جعفر نجم نصر) استاذ علم الاجتماع الديني في كلية الآداب في الجامعة المستنصرية، لما قدمه لي من نصح وارشاد وتوجيه ضمن اختصاصه.

ومن العدل ألا أنسى زملائي في الدراسة جميعاً وفي مقدمتهم الأخ السيد (محمد باقر علي هاشم)، والاخ المتعاون جداً (مازن حمود مطرود).

والشكر كل الشكر الى اسرتي من الزوجة والأبناء لما تحملوني فيه من انقطاعي عنهم وتذليل المصاعب أمامي ما دمت في الدراسة.

لمن ذكرتهم جميعاً، ومن فاتني ذكرهم ممن ساعدني في المكتبات في كليات بغداد والمستنصرية، وغيرهم، لهم مني كل المحبة والتقدير والاحترام، وأسأل من الباري ﷻ أن يجزيهم خير ما يُجزي الله عباده المؤمنين، أنَّه ولي كل نعمة، والحمد لله الذي عنده ومنه اليه تمام كل نعمة.

الباحث

الخلاصة

تتلخص فصول ومباحث الاطروحة في بيان مفهوم السلوك الجمعي، وما المقصود منه؟ وكيف يتشكل؟ وبيان الاسباب التي ادت الى تشكيله، وبيان الخصائص التي يمتاز ويظهر من خلالها السلوك الجمعي التي تتمحور في ردود الفعل المباشرة على حدثٍ ما أو حالة ما أو من خلال مواجهة الرعب والقلق والخوف، أو التقليد الأعمى أو أنَّه الانقياد والتسليم الجماعي ، ويدرس الباحث بيان أظهار أسباب تكوين السلوك ، التي من اظهرها الرآي العام والموضة، وما هي وسائل تكوين كل من الموضة والرآي العام، وتأثيرها في المجتمع من خلال توجيه السلوك الجمعي، والذي غالباً ما يكون تأثيراً سلبياً، وبيان المصاديق لذلك السلوك من خلال الآيات القرآنية وتفسيرها، الذي ورد في امهات التفاسير القرآنية، كذلك يُبين الباحث أنَّه مثل ما أنَّ هناك سلوكٌ جمعيٌّ سلبي فأنَّ هناك سلوكٌ جمعيٌّ ايجابي دلَّ على أساليبه القرآن الكريم، ليعطي العبرة للحد من اسباب تكوين السلوك الجمعي السلبي، وتشجيع وتنمية أسباب السلوك الجمعي الايجابي، كذلك أنَّ هناك سلوكاً جمعياً اسلامياً سببه الانصياع والتسليم والطاعة لله تعالى ايماناً بحكمته تعالى، يتجلى من خلال اداء جميع العبادات الجماعية التي استجاب المسلمون لأوامر لله من خلالها، ومن أظهر صور ذلك السلوك الجمعي هي مناسك حج بيت الله الحرام، وإحياء شعيرة زيارة الأربعين للحسين عليه السلام، وكذلك حالة فتوى الجهاد الكفائي، وفي كل ذلك كان الباحث يبحر في سفينته في بحر تفاسير القرآن الكريم، ليجد الحلول المناسبة التي تُخلِّص المجتمع من تأثر السلوك الجمعي المذموم.

المحتويات

الآية .....أ

الإهــداء.....ب

شكر وعرفان.....ت

المحتويات.....ج –خ

المقدِّمة.....٢–٩

مشكلة البحث.....٣

يعالج البحث.....٣–٤

طبيعة البحث وأهميته.....٤–٥

أسباب اختيار الموضوع.....٥

أهداف البحث وغاياته.....٥–٦

الدراسات السابقة.....٧–٨

منهج البحث.....٨–٩

الفصل الأول

المفردات الأساسية للبحث مع تبيّان تفرعاتها وأنواعها.....١٠– ٧٧

المبحث الأول: مفهوم السلوك الجمعي وأنوعه المؤثر في توجيه المجتمع.....١٠–٤٨

المطلب الاول: مفهوم السلوك الجمعي:.....١٠٣٢١

المطلب الثاني: أنواع السلوك الجمعي المؤثر في توجيه المجتمع: ٣٢–٤٨

االمبحث الثاني: السلوك الجمعي وارتباطه ببعض المفاهيم التي فسرت وبيَّنت ظواهر السلوك الجمعي.....٤٩–٧٢

المطلب الأول : بعض المفاهيم المرتبطة بالسلوك الجمعي: ٦٦٤٨

المطلب الثاني: الفرق بين السلوك الجمعي:.....٦٦–٧٢

خلاصة الفصل الأول : ٧٣–٧٧

الفصل الثاني

التفسير القرآني وأشكال السلوك الجمعي ٧٨-١٨٤
المبحث الأول: مفهوم الجمهور وأصنافه في ضوء القرآن الكريم..... ٨٠-٩٢
المطلب الاول: مفهوم الجمهور:..... ٨٠-٨٥
المطلب الثاني: الاسباب التي تُكوّن جمهور السلوك الجمعي:..... ٨٥- ٨٩
المطلب الثالث: أنواع الجمهور:..... ٨٩ -٩٢
المبحث الثاني: التفسير القرآني وخصائص الجمهور في السلوك الجمعي... ٩٣-١٣٤
المطلب الأول: التطرف المنتج للسلوك الجمعي في التفسير القرآني: . ٩٤-١٠٢
المطلب الثاني: من عوامل تفكير الجمهور المنتجة للسلوك الجمعي١٠٣-١٠٧
المطلب الثالث: من السلوكيات المنتجة للسلوك الجمعي (الطغيان).١٠٨- ١١٥
المطلب الرابع: انعدام المعايير الاجتماعية والسلوك الجمعي ١١٧-١٣٤
المبحث الثالث: المؤثرات لتوجه السلوك الجمعي نحو الطغيان.....١٣٦-١٧٥
المطلب الأول: الالفاظ ذات الصلة بمفهوم الطُّغيان ١٣٥-١٤٨
المطلب الثاني: بطانة الطاغية وصناعة السلوك الجمعي ١٥١-١٦١
المطلب الثالث: عوامل الاستسلام والتبعية المطلقة المنتجة للسلوك الجمعي
.....١٦٣-١٧٥
خلاصة الفصل الثاني.....١٧٨-١٨٤

الفصل الثالث

عوامل ظهور السلوك الجمعي في ضوء التفسير القرآني ١٨٥-٢٦٢
المبحث الأول: الرأي العام وتسببه في ظهور السلوك الجمعي ١٨٧-٢٣٤
المطلب الأول: ماهية الرأي العام:.....١٨٧-١٩٤
المطلب الثاني: الدوافع والمحفزات الى تشكيل الرأي العام: ١٩٤-٢٣٩
المبحث الثاني: الموضة وظهور السلوك الجمعي في ضوء التفسير القرآني٢٣٩-٢٥٤
المطلب الأول: مفهوم الموضة:.....٢٤٠-٢٤٢

المطلب الثاني: الموضة وظهور السلوك الجمعي في ضوء التفسير القرآني: ٢٤٢-٢٤٧
المطلب الثالث: تنوع أشكال السلوك الجمعي المذموم الناتج من الموضة ٢٤٨- ٢٥٩
خلاصة الفصل الثالث:.....٢٥٩-٢٦٢

الفصل الرابع

السلوك الجمعي الاسلامي وتوجيه المجتمع في ضوء التفسير القرآني .٢٦٣- ٣٣٣

المبحث الأول: السلوك الجمعي الموجه للمجتمع من منظور اسلامي ٢٦٤-٢٧٠
المطلب الأول: السلوك الجمعي الديني وشروط تحققه ٢٦٤-٢٧٠
المطلب الثاني: بناء وتثبيت السلوك الجمعي الديني.....٢٧٠-٢٧٥
المبحث الثاني بعض تطبيقات السلوك الجمعي الاسلامي وتوجيه المجتمع٢٧٥-٣٢٦
المطلب الأول: السلوك الجمعي في شعيرة الحج.....٢٧٥-٢٨٥
المطلب الثاني: السلوك الجمعي في زيارة الأربعين.....٢٨٦ - ٣٠٤
المطلب الثالث: السلوك الجمعي واستجابة فتوى الجهاد الكفائي ٣٠٤-٣٢٣
المطلب الرابع : الآثار الأخرويّة للسلوك الجمعي:.....٣٢٤-٣٣١
خلاصة الفصل الرابع ٣٣١-٣٣٣

ملحق الاستبيان.....٣٣٤-٣٨٦
منهجية الاستبيان والنتائج.....٣٣٧-
الخاتمـــة.....٣٨٧ -٣٩٠
أولاً: نتائج الدراسة.....٣٨٨-٣٩٠
ثانياً: التوصيات والحلول..... ٣٩٠
المصادر والمراجع.....٣٩١-٤١٨
Abstract..... A

المقدمـــــــــــــة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدّمة

بسم الله والحمد لله متمم النعم الذي أنزل الكتاب على سيد العرب والعجم الذي جعله للعالمين بشيراً ونذيراً ، وجعل القرآن كتاباً غير ذي عوج، اذ قال وقوله الحق: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾[الكهف: آية / ١]، الذي لم يترك شيئاً الا ذكره ، اذ يقول تعالى:﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الانعام: آية /٣٨]، والصلاة على خير الأنام سيدنا ونبينا وإمامنا محمد وعلى آله الكرام وسلم تسليماً كثيرا، وبعدُ قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: آية / ٨٩]، وما دام القرآن كتاباً فيه ذكرٌ وحكمٌ وبيانٌ وعلمٌ لكل شيء، وبشهادة خالق الخلق ﷻ، فلم اجد أصدق وأَبيّن وأَوثق وأَدق حُجَّةً مِنَ القرآن الكريم أَجعله شاهداً وركناً شديداً يكون لي سنداً في تعزيزبحثنا و صحة نتائجه، من خلال تفسير الآيات القرآنية التي ذَكَرَت وبيَّنت سلوك الاولين فإنها كذلك قد بيَنت وبوضوح أبلج حال وسلوك المعاصرين وبشَّرَت وأَنذرت عما يكون عليه حال وسلوك القادمين، لعل الانسان يتعظ من ذلك البيّان فيسلك سلوك المتقين، وعلى الرغم من كون مصطلح موضوع البحث ليس قرآنياً انما هو من صميم علم الاجتماع وكذلك علم النفس ، وأن الرواد الذين وضعوا تسمية اصطلاحه هم من الغرب، الا القرآت الكريم فيه تبيات كل شيء لقوله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ أنَّه وبعد البحث وتمام مجرياته وجدَ الباحث أنَّ القرآن الكريم زاخراً بالآيات الكريمة الدالة على بيان مصاديقه، فضلاً عن أنَّ تلك المصاديق والشواهد القرآنية ليست خيالية ولا افتراضية بل هي حقيقية وقَعَتْ وتكررتْ وممكنة الحدوث في كلِّ زمان ومكان، فسيَتَحَصَّل للباحث أنَّ القرآن الكريم قد فَصَّلَ جميع اشكال السلوك البشري والاجتماعي ومنها السلوك الجمعي الذي هو محور موضوع بحثنا الذي يحمل عنوان:

(السلوك الجمعي وأثره في توجيه المجتمع _ دراسة تفسيرية).

مشكلة البحث:

إن مشكلة البحث تتجلى في عدة اسباب والتي دعت وكانت سبباً في اختيار البحث والتي تجلت في مجموعة من الاسباب منها:

١- إنزلاقُ كثيرٍ من الأفرادِ والجماعاتِ البشرية الى صيحات الهوى وغرائز النفس الأمارة بالسوء، وتأثُّرِهِمْ بالأخلاقِ الرذيلة الوافدةِ إلينا مِنَ الغرب ، والمخالفة لتعاليم القرآن الكريم ، وخصوصاً عند الشباب ، والذي من نتائجه تردي الواقع الاجتماعي في مختلف جوانبه .

٢- من باب تحمل كل المسلم المسؤولية تجاه دينه ووطنه وتكليفه الشرعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي من خلاله اصلاح المجتمع ، وليس أفضل من القرآن الكريم ، ومن من خلال تفسيره ، كسلاح يقود الى النجاة الى بر الامان،.

٣- لتتكشف كل مسببات ومثيرات السلوك الجمعي السلبي ، فيعمل الناس على تجنبها ، ويتعرفوا على الايجابي منها والعمل على المحافظة عليه ونشره ، وفي كل ذلك يكون مصباحهم الذي يهتدون به هو القرآن الكريم من خلال تفسير آياته المباركة.

يعالج البحث

سيحاول الباحث أن يعالج ومن خلال موضوع البحث الظواهر السلوكية المُتجلّية على هَيأة سلوك جمعي، وبيَّن الأَسباب التي مِنْ خلالها يمكن أنْ يحصل السلوك الجمعي، وبيان ما كان سلبيٌّ منها،لأنَّ المجتمع قد توغل في اعماقها، على الرغم من البيان القرآني الذي يصدح ليلاً ونهاراً بمختلف مصاديقها من خلال القصص القرآني، لكن المجتمع أخذ يتأثر سلوكياً بتلك الاسباب، الأمر الذي جعله يسلك سلوكاً جمعياً مذموماً تنهار من خلاله كل القيَّم الاخلاقية والاجتماعية والدينية، مبتعداً عن ثوابت الاسلام، والعدل والانسانية والفطرة السليمة التي فطر اللهُ الناسَ عليها، فكان لابد من بيان الإيجابي من السلوك الجمعي والتأكيد عليه والحث على مزاولته، وتقويم وتشجيع مسبباته، لذلك تناول الباحث مسببات السلوك الجمعي الايجابي والسَلبي من

خلال دراسة كان ميدانها القرآن الكريم وما جاء من تفسير لآياته المباركة في مختلف التفاسير وخصوصاً الاجتماعية منها، لبيان تأثير ذلك السلوك الجمعي على المجتمع، وسوف يتناول الباحث اثنتين من تلك المسببات هما:

١- الرأي العام (وما يدعو الى تشكله من: التقاليد والعادات، والدعاية والاعلام، والشائعات، والخوف والخضوع للطاغية...وغيرها).

٢- الموضة (وبكل صورها في طريقة الكلام، والملبس، والمظهر الخارجي، والطعام والشراب، والإنفاق..وغيرها).

كذلك سيتناول الباحث السلوك الجمعي الاسلامي، الذي سببه الطاعة والتسليم لأوامر الله تعالى والتي من اظهر تجلياتها، ولاسيما المتقدم زمنياً و المعاصرة منها: (حج بيت الله – وزيارة الاربعين – وفتوى الجهاد الكفائي).

طبيعة البحث وأهميته:

تتجلى أهمية هذه الدراسة أنها ستبحث في تبيان السلوك الخاطئ وتُحذر منه ، وترشد وتدل على السلوك السليم الذي أراده الله تعالى من عباده لعلمه تعالى بخير مصالح الناس في الدنيا والآخرة، وخصوصاً بعد أنْ بيَّن القرآن الكريم أنَّ إبليس لَعَنَهُ الله قد وعد بأنَّه سيعمل وقد عمل على اضلال كلِّ النّاس الا عباد اللهِ منهم المُخلَصين، كما ورد في قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[الحجر: آية / ٣٩-٤٠] ونحن اليوم نلمس ونعيش حرب الشيطان وجنده وتأثير ذلك واقعاً في مجتمعاتنا ولاسيما المجتمع المسلم، من خلال مختلف وسائل الدعاية والإعلام، وبث الشائعات المضللة للجمهور، والتي تصنع الرأي العام، المنتج للسلوك الجمعي السلبي، المؤثر سَلباً في الواقع الاجتماعي، أما الارشاد الى السلوك الجمعي الايجابي فمن خلال كثير من مصاديقه التي تجلت فيما أرشد اليه القرآن الكريم من العبادات والمعاملات التي أمرَ اللهُ تعالى بها، فكانت على شكل سلوكٍ جمعيٍ ايجابيٍ، أَوجد الأثار الايجابية على الواقع الاجتماعي.

أسباب اختيار الموضوع:

أنَّ اسباب اختيار هذا الموضوع كثيرة ومهمة نذكر منها:

١- إنَّه موضوع حيوي وبتماس مباشر مع الواقع المعاصر.

٢- وجود آيات قرآنية كثيرة تتحدث في صميم الموضوع، وفي مختلف جوانبه المتعددة، اذ تناولت تلك الآيات المباركة مختلف مظاهر السلوك الجمعي، وكيفية تقويم السلبي منه والارشاد الى الإيجابي منه، حتى الوصول الى ثمرات اجتماعية طيبة.

٣- إيجاد دراسة تفسيرية، من خلالها يمكن بيان السلبي والايجابي من السلوك الجمعي.

٤- ولكون القرآن الكريم من لدن حكيم عليم فيه هداية، فمن خلاله يمكن تقويم ومعالجة السلوك البشري المعوج، والتخلص والقضاء على الشائبِ منه، ومن الاخلاق المتوارثة من الجاهلية والسائدة حتى اليوم.

٥- انزلاق وتأثر كثير من الأفراد والجماعات بالأخلاق الوافدة الينا من الغرب، والاستجابة لها وتأثر الاجيال الشابة بها وتقليدها، على الرغم من كونها اخلاق دخيلة وموجهة الى مجتمعاتنا، وتَحملُ أهدافاً وغاياتٍ مغرضةً، لذا يتوجب شرعاً وعقلاً على الحاكم والمحكوم التوجيه بالعودة الى القرآن الكريم لأنَّه كلامُ اللهِ ومنهجُهُ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن خلال تراجمة القرآن الكريم وهم الثقل الثاني المتمثل بالعترة الطاهرة (عليهم السلام).

أهداف البحث وغاياته:

تعددت الاهداف والغايات لهذا البحث، ونذكر منها:

١- نَيل مرضاة الله تعالى ، وفي هذا أسمى غاية، وأعظم هدف يرجوه الباحث من كتابته هذا البحث.

٢- ايجاد ما يساعد على ارجاع الأمة الى القرآن الكريم وسيرة النبي ﷺ وأهل بيته (عليهم السلام)وسيرة ونهج الانبياء والأولياء والصالحين، لأنَّ في ذلك النبع

الصافي الذي لا ينضب، والذي يهدف الى خلق أجيال تسير في سلوكها وفق نهج القرآن الكريم، الذي أوصى النبي ﷺ بالتمسك به.

٣- المحاولة من خلال ايجاد ما يُعزيز حب القرآن الكريم وغرس الانتماء اليه من خلال غرس السلوك الذي رسمه القرآن.

٤- المحاولة في مساعدة المجتمع على أن يُميّز بين السلوك الجمعي السلبي فيبتعد عن مسبباته والمثيرات لحصوله، ويمنع من حصولها ، وبَينَ السلوك الجمعي الإيجابي فيدخل فيه وينتمي اليه.

٥- محاولة ايجاد ما يساعد على تعويد الأُسرة المسلمة وبالتالي المجتمع المُسلم، على مراقبة سلوكهم من خلال القرآن الكريم وجعلة المعيار في أن يسلك المجتمع السلوك القويم.

٦- محاولة تعزيز أواصر الترابط والتلاحم من أجل عمل الخير والإصلاح بين أفراد المجتمع، وعلى أساس الاخلاق القويمة التي جاء بها القرآن الكريم.

٧- محاولة اثراء المكتبة الاسلامية بموضوع جديد يجمع علم النفس وعلم الاجتماع بعلوم القرآن من خلال دراسة مصطلح (السلوك الجمعي)، القادم من علم النفس الاجتماعي، ودراسته دراسة تفسيرية قرآنية.

٨- محاولة توضيح وبيان ما موجود من مسافةٍ شاسعةٍ، بين الاخلاق الرذيلة التي يدعو اليها الشيطان وجنده، ليضل بها الناس عَنْ الصراطِ المستقيم، وبين الاخلاق القرآنية العظيمة السامية.

٩- المساعدة على معرفة واطلاع الباحثين على مسببات ومثيرات السلوك الجمعي السلبي والعمل على تجنبها وتخليص المجتمع من شرورها، ومعرفة واطلاع الباحثين في الاختصاص وعامة الجمهور على مثيرات ومسببات السلوك الجمعي الايجابي والعمل على المحافظة عليها وتنميتها ونشرها بين الاوساط الاجتماعية.

الدراسات السابقة:

لأنَّه ليس من الممكن ذكر جميع الدراسات السابقة، فبعد البحث المستفيض في المصادر والمراجع والمكتبات ما كان ورقياً منها والالكترونياً فضلاً عن والرسائل

والأطاريح ، سيتبيَّن للباحث عدم وجود دراسة تفسيرية قرآنية مستوفية درجة الكمال ، تناولت السلوك الجمعي من ناحية ربطه بالدراسة التفسيرية لآيات القرآن الكريم ، ومعرفة أثر ذلك على المجتمع من خلال الدراسة التفسيرية، وانما كانت هناك عدة دراسات منها من تناول دراسة العقل الجمعي وربط دراسته أما بالفقه، أو في القرآن الكريم، ومن خلال مجريات البحث سيتبيَّن أنَّ العقل الجمعي من مقدمات السلوك الجمعي وليس هو السلوك الجمعي والأمر الأخر ان تلك الدراسات لم تُقيَّد بالدراسة التفسيرية.

ومنها من تناول السلوك البشري بصورة عامة في ضوء القرآن الكريم، ولم يختص أو يقيد دراسته بالسلوك الجمعي، والسلوك البشري العام شيء والسلوك الجمعي بهذا التخصيص شيء أخر، وهو فرع من فروع السلوك البشري، يختلف عن سلوك الفرد أو سلوك الجماعة أو السلوك الاجتماعي وغيرها من أنواع السلوك، والدراسات هي:

١-(العقل الجمعي في منظور الفقه الاجتماعي) – دراسة تحليلية: رسالة ماجستير مقدمة من قبل الطالبة(بيداء جميل عبد الله)، جامعة الكوفة / كلية الفقه / قسم الفقه وأصوله ، ١٤٤٣هـ – ٢٠٢٢م.

٢-(العقل الجمعي في ضوء القرآن الكريم): رسالة ماجستير مقدمة من قبل طالب الماجستير (مهدي صالح مهدي الوائلي)، كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الاسلامية الجامعة –قسم علوم القرآن والحديث، ١٤٤٤هـ– ٢٠٢٣م.

٣- تعيين عقلية السلوك الجمعي في فكر أهل البيت (عليهم السلام): اطروحة دكتوراه مقدمة من قبل الطالبة (زينب حازم كشيش) – جامعة البصرة – ٢٠٢٣م.

٤- بحث بعنوان (السلوك الجمعي وعلاقته بالمعرفة الاجتماعية لدى طلبة الجامعة) اعداد: م. د حيدر كريم جاسم، كلية الامام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة.

والجدير بالذكر أنَّ هنالك ابحاثاً ومؤلفات تناولت موضوع السلوك الجمعي بصورة عامة من دون ربطه بالقرآن الكريم، كما هو في كتاب الاستاذ الدكتور حاتم الكعبي الذي يحمل عنوان (السلوك الجمعي) والذي افادنا كثيراً في رسم وتحديد

هوية السلوك الجمعي الأمر الذي تمكن الباحث من خلاله تحديد المصاديق المناسبة من الوقائِع القرآنية والآيات المباركة التي تنطبق على مفهوم السلوك الجمعي.

منهج البحث:

إن دراستنا هي ذات طابع تفسيري ، ولكنها اسخدمت وإستفادة من مناهج بحثية عدة كلها تصب نتائجها في اخراج تلك الدراسة التفسيرية بأحن وأجمل حُلة ومن هذه المناهج هي:

١- المنهج الاستقرائي: من خلال عملية تتبع وملاحقة أمر ما والحكم على جزبياته بشكل كلي للوصول الى نتيجة مرجوة من خلال :

أ-جمع الآيات القرآنية التي تتعلق بموضوعات مباحث الدراسة واستقراء دلالاتها على النتائج المطلوب اثباتها، بالاستعانة بأمهاتِ كُتبِ التفسيرِ قديمها وحديثها.

ب-توزيع تلك الآيات على فصول ومباحث ومطالب الدراسة وحسب توافقها مع مناسبة البحث المطلوب.

٢- المنهج التاريخي: وهذا المنهج يستخدمه الباحثون الذين يتعلقون بتجارب الماضي - بقصد دراسة وتحليل بعض المشكلات التي ترجع بجذورها الى التجربة الانسانية في اطوار مختلفة ، فالبعض يقول يصعب علينا فهم الحاضر دون الرجوع الى الماضي فالحياة الحاضرة امتداد طبيعي للماضي ، فمن خلال ذكر أحداث وقعت على الجماهير والمجتمعات في فترات تأريخيه متفاوتة، كانت قد جَسدت حالاتٍ من السلوك الجمعي، والتي قد تتكرر في كل زمان ومكان، تكون قد رجَعتْ وردَّتْ متجليةً في الواقعِ الاجتماعي، ولكن على جمهور غير الأول وفي زمان تختلف ارهاصاته وتقنياته ومظاهره الخارجية.

٣- المنهج التحليلي: وهو نوع خاص من البحث يدعوا الى استخدام قدرات التفكر التقدي وتعيين البيانات والمعلومات ذات الصلة بالمشروع المطروح (أي تحديد الروابط السببية بين متغيرينِ أو أكثر.

٤- البحث الميداني الذي أجريته .

الفصل الأول

المفردات الأساسية للبحث مع تبيّان تفرعاتها وأنواعها

المبحث الأول: مفهوم السلوك الجمعي وأنوعه المؤثر في توجيه المجتمع

المطلب الأول: مفهوم السلوك الجمعي.

المطلب الثاني: أنواع السلوك الجمعي المؤثر في توجيه المجتمع.

المبحث الثاني: السلوك الجمعي وارتباطه ببعض المفاهيم التي فسرت وبيَّنت ظواهر السلوك الجمعي.

المطلب الأول: بعض المفاهيم المرتبطة بالسلوك الجمعي:

المطلب الثاني: الفرق بين السلوك الجمعي وكل من «سلوك الجماعة(المجموعة)، والسلوك الاجتماعي، وسلوك القطيع »:

خلاصة الفصل الأول

تمهيد:

من جميل القَول، وقبل الشروع بتفصيل مباحث الدراسة أن نمهد للمتلقي الخطوط العريضة التي تسير وفقها الدراسة، وكذلك بيّان مفرداتها الرئيسة لكشف ما في الدراسة من عُتمة فيتضح ما نريد التوصل اليه وتوصيله من خلال ذلك التمهيد.

الفصل الأول

المفردات الأساسية للبحث مع تبيّان تفرعاتها وأنواعها

ووفق ذلك فقد كان هذا الفصل متكون من مبحثين: الأول : مفهوم السلوك الجمعي، أما الثاني : السلوك الجمعي وارتباطه ببعض المفاهيم التي فسرت وبيَّنت ظواهر السلوك الجمعي.

المبحث الأول: مفهوم السلوك الجمعي وأنوعه المؤثر في توجيه المجتمع

في بيّان مفردات الدراسة اخترنا المفردات التي تمثل العمود الفقري التي تُبنى عليها الدراسة، وهي كل من مفردتي السلوك والجمعي، ومفردة المجتمع التي تقدم بيان معناها وتقسيماتها، لذا توجب بيان المفهوم الأول(السلوك الجمعي).

المطلب الاول: مفهوم السلوك الجمعي:

أولاً: مفهوم السلوك:

١-**السلوك في اللغة:** قال ابن منظور: «سلك: السُّلُوك: مَصْدَرُ سَلَكَ طَرِيقًا؛ وسَلَكَ المكانَ يَسْلُكُه سَلْكاً وسُلُوكاً وسَلَكَه غَيْرَه وَفِيهِ وأَسْلكه إِيَّاهُ وَفِيهِ وَعَلَيْهِ؛..... والسَّلْكُ، بِالْفَتْحِ: مَصْدَرُ سَلَكْتُ الشَّيْءَ فِي الشَّيْءِ فانْسَلَك أَي أَدخلته فِيهِ فَدَخَلَ»[(١)]، قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾[الشعراء، آية: ٢٠٠]، وقالوا ايضاً: «أَسْلَكْتُهُ فِيهِ، وَاللَّهُ يُسْلِكُ الكفَّارَ فِي جَهَنَّمَ أَيْ يُدْخِلُهُمْ فِيهَا...، وقوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر، آية:٢١]، يُقَالُ:

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى «المتوفى: ٧١١هـ» لسان العرب: الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ ١٠/ ٤٤٢.

سَلَكْتُ الخَيْطَ فِي المِخْيَطِ أَي أَدخلته فِيهِ...، والمسلك الطريق»[(١)]، وقال الراغب الاصفهاني: « السُّلُوكُ: النّفاذ في الطّريق، يقال: سَلَكْتُ الطّريق، وسَلَكْتُ كذا في طريقه»[(٢)] قال تعالى: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلًا فِجاجاً﴾ [نوح، الآية: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ ثمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً﴾ [النحل، آية: ٦٩]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن، آية: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [طه، آية: ٥٣]، ومما تقدم يرى الباحث إنَّ المعنى اللغوي للسلوك يعطي معنى النفاذ والدخول في الطريق كما يدخل الخيط في المخيط.

٢-**السلوك في الاصطلاح:** « يعرف السلوك الإنساني بأنه كل الأفعال والنشاطات التي تصدر من الفرد سواء كانت ظاهرة أو غير ظاهرة، ويعرفه آخرون بأنه أي نشاط يصدر عن الإنسان سواء كان أفعال يمكن ملاحظتها وقياسها كالنشاطات الفسيولوجية والحركية أو نشاطات تتم على نحو غير ملحوظ كالتفكير والتذكير والوسواس وغيرها»[(٣)]، ويقول عبد الرحمن حبنكه: «إنَّ الأصل في السلوك الإنساني أنه يهدف إلى تحقيق مطالب جسدية أو نفسية أو فكرية، أو روحية، سواء أكان ذلك لصالح الفرد أو لصالح الجماعة، وأي سلوك لتحقيق مطلب من هذه المطالب إما أن يكون سلوكاً خُلقياً، وإما أن يكون سلوكاً لا علاقة له بالأخلاق إيجاباً ولا سلباً»[(٤)]، وكذلك عرفه دكتور: محمد عبد الله الدرويش بأنه: «كل نشاط يصدر عن الإنسان سواء

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى «المتوفى: ٧١١هـ» لسان العرب: الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ ١٠/ ٤٤٣.

(٢) الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف «المتوفى: ٥٠٢هـ»، المفردات في غريب القرآن: المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ، ص/ ٤٢١.

(٣) الفسفوس: عدنان أحمد، المرجع البسيط في أساليب تعديل السلوك، ط/ ١-١٤٣٢هـ – ٢٠١١م، ص/ ١٣.

(٤) عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني، الاخلاق الاسلامية وأسسها،، دار القلم- دمشق، ط/ ٥ – ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م، ص/١٣.

كان أفعالاً يمكن ملاحظتها وقياسها كالنشاطات العضوية أو الحركية، أم نشاطات تتم على نحو غير ملحوظ كالتفكير والتذكير والوسواس» [(١)]، وقد يكون السلوك صريحاً ظاهراً، وقد يكون مضمراً مستتراً، وقد يكون فطرياً، أو موجهاً، وقد يكون مكتسباً لدى الفرد، أو مشتركاً بين جميع الافراد [(٢)].

كذلك عُرف السلوك بأنه: « سيرة الفرد واتجاهاته ومذهبه، حيث أن السلوك من الأعمال الإرادية التي يقوم بها الإنسان كالكذب، والصدق، والكرم، والبخل، ونحوها. والسلوك النشاط الصادر عن الإنسان » [(٣)].

وتُعرف دائرة المعارف البريطانية السلوك بأنه: «المظهر الخارجي لنشاط الكائن الحي، وتقول أنَّ الخاصية الضرورية له هي الحركة التي توجد في أغلب الحيوانات وفي النباتات، هذه الحركة نتيجة تغيرات داخلية وخارجية يُقال لها المنبهات» [(٤)] بمعنى أن السلوك حركة ونشاط يظهر في الخارج وليس مجرد تفكير ومشاعر وأحاسيس وعاطفة كمال هو في العقل الجمعي الذي سوف نمر على ذكره.

٣-**السلوك في الشرعي يعرف بأنه:** « كل فعل أو قول أو تقرير صادر عن شخص أو جماعة من المسلمين وكان موافقا للشرع الحنيف من كتاب الله وسنة رسوله » [(٥)]، ومن الواضح أن هذا التعريف يؤكد على السلوك المطلوب شرعا لا عامة السلوك فقد يكون السلوك غير موافق الى الكتاب والسنة، فهذا ايضا يسمى سلوكاً ولكنه في قبال سلوك شرعي سلوك غير مقبول شرعاً ، كما هو في سلوك الاقوام

---

(١) عن الشبكة العنكبوتية في دورة ألقاها المركز الخيري للتدريب والتطوير، و، وهذه الدراسة هي ملخص الدورة المقدمة في المركز الخيري للتدريب والتطوير يوم الأحد ٧/١ / ١٤٢٣هـ .

(٢) يُنظر: بدوي: أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان – ساحة رياض الصلح، بيروت، ص/ ٣٧.

(٣) الربابعة: فراس محمد سليمان، ضوابط السلوك الإنساني في القرآن الكريم ودلالتها التربوية دراسة تقدم بها المملكة العربية السعودية قسم الدراسات الإسلامية – جامعة الجوف، ص/ ٥.

(٤) صلاح نصر: الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد، الناشر: دار القاهرة للطباعة والنشر – القاهرة، ط/٢ – ١٩٦٧، ص/ ٥.

(٥)صلاح نصر: الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد ، ص/ ٥.

والامم التي ذكرها الكتاب العزيز في آياته المباركة، والذين خالفوا دعوة انبياء الله تعالى.

٤-السلوك في القرآن الكريم:

قد تُركز بعض التعريفات المتقدِّمة للسلوك على ما ظهر من السلوك للعيان من دون النظر الى السلوك الداخلي «الباطن» غير الظاهر للعيان، في حين جاء القرآن الكريم بنظرة للسلوك أكثر شمولاً اذ ركز على الظاهر والباطن من السلوك، اذ يقول تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[الأعراف: آية / ٣٣] بمعنى أنَّ الله تعالى يحاسب الانسان على السلوك الظاهر الملاحظ والسلوك غير ملاحظ ايضاً، أي أنَّ هذا المعنى عام يشمل جميع المعاصي الظاهر منها والباطن، وأنَّ ما ظهر فهو العلانية وما بطن فهو السر، وما تفعله الجوارح فهور الظاهر، وما تعتقد به القلوب فهو الباطن الذي يقود الى السلوكيات الظاهرة، وكما ورد في تفسير الآية المباركة التالي: «إِنَّ الْقُرْآنَ لَهُ ظَهْرٌ وَ بَطْنٌ، فَجَمِيعُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ هُوَ الظَّاهِرُ، وَ الْبَاطِنُ مِنْ ذَلِكَ أَئِمَّةُ الْجَوْرِ، وَ جَمِيعُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْكِتَابِ هُوَ الظَّاهِرُ، وَ الْبَاطِنُ مِنْ ذَلِكَ أَئِمَّةُ الْحَقِّ» [(١)] ، وقال تعالى: ﴿يَعلَمُ خَآئِنَةَ الأَعيُنِ وَمَا تُخفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: آية / ١٩] والتي ورد في تفسيرها:« والمعنى أنه سبحانه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، والحاكم إذا بلغ في العلم إلى هذا الحد كان خوف المذنب منه شديدا جدا، قال صاحب (الكشاف): الخائنة صفة النظرة أو مصدر بمعنى الخائنة، كالعافية المعافاة، والمراد استراق النظر إلى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب، والمراد بقوله وما تُخْفِي الصُّدُورُ مضمرات القلوب، والحاصل أن الأفعال قسمان: أفعال الجوارح وأفعال القلوب، أما أفعال الجوارح، فأخفاها خائنة الأعين والله أعلم بها، فكيف الحال في سائر الأعمال وأما أفعال القلوب، فهي معلومة لله تعالى لقوله وما تُخْفِي الصُّدُورُ فدل هذا على

(١) بحرانى، هاشم بن سليمان، البرهان في تفسير القرآن، ٥جلد، موسسة البعثة، قسم الدراسات الإسلامية – ايران – قم، ط/ ١، ١٤١٥ هـ.ق، **٢/ ٥٣٩** .

كونه تعالى عالما بجميع أفعالهم»[١]، وعلى الرغم من أنَّ لفظة (السلوك) لم ترد صريحةً في القرآن الكريم، ولكن كان التعبير عنها بلفظ (العمل)، وهو المتعارف عليه عند علماء النفس بالسلوك، كما يُنقل ذلك: «وهو متعارف عليه في علم النفس بالسلوك فإذا ورد لفظ العمل الصالح كان المقصود به: السلوك المرغوب فيه، واذا ورد العمل السيء كان المقصود به: السلوك غير المرغوب فيه »[٢]، ووفق كل ما تقدم عُرِفَ السلوك بأنه: «هو ذلك النشاط المستمد من كتاب الله تعالى وسنة نبيه وهو يضمن مصلحة البشر باختلاف أجناسهم وبيئاتهم، وهو يهدف إلى إحقاق الحق ونشر العدل، ويكون مصدر تلقيه خالصاً من عند الله سبحانه وتعالى ونبيه، وهو ثمرة الفهم الواعي والعقل الصحيح الراجح، ولا يأتي إلا نتيجة للتدريب، والمران والمجاهدة على أساس سليم مبني على الإيمان بالله تعالى بصدق وإخلاص»[٣]، ويبدو أنَّ هذا التعريف يخص السلوك النموذجي الحسن الذي أراده الله تعالى من العباد، ولا يشمل كل سلوك.

فيخلص الباحث الى تعريف السلوك وفق ما ورد في القرآن، وحسب ما تقدم في السطور المتقدمة من البحث بأنه: (كل عمل أو نشاط ظاهراً كان أو باطناً يقوم به الفرد أو الجماعة، وقد أحصاه الله تعالى حتى وأن كان على مستوى النيّة ، وقد يكون ذلك العمل متأثراً بمؤثرات داخلية أو خارجية ساعدت على تكوينه).

٥-مجالات السلوك:

فالسلوك الانساني كما يبدو للمتتبع هو حصيلة ما يجري من تفاعل ما بين العوامل البيئية والعوامل الشخصية، كل ذلك متوافقاً مع قدرات وطريقة الادراك عند الفرد صاحب السلوك المعيّن، كما ينقل صاحب كتاب (العلوم السلوكية):« كما أنَّ

---

(١) الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير «مفاتيح الغيب»، ٣٢جلد، دار إحياء التراث العربي – لبنان – بيروت، ط/ ٣، ١٤٢٠ هـ.ق.، ٢٧/ ٥٠٥.

(٢) محمود عبد الرزاق جاسم، الجوانب السلوكية في قصة داود «عليه السلام» في القرآن الكريم دراسة في التفسير الاجتماعي، جامعة ديالى / كلية التربية الاساسية، ١٤٣٨هـ – ٢٠١٦م، ص / ٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص / ٤.

الفرد يتأثر في سلوكه بالوسط والبيئة فكذلك هذه البيئة لابد وأن تعكس وأن تتأثر بخصائص الشخصية الفردية من حيث صلاحيتها وقدرتها على التأقلم بالوسط والبيئة....بل ان الجماعة ذاتها التي يتكون منها الفرد كأحد جزئياتها لابد وأن تعكس بدرجة أو أخرى خصائص الصفة الغالبة لسلوك المواطن العادي في سلوكها الجماعي»[١] لذا يتضح للباحث بأنَّ مسار وطريقة حياة الانسان ان كانت حسنة فذلك يلزم انَّه مدرك للسلوك المرغوب، وان كانت سيئة فذلك يلزم أنَّ سلوكياته غير مرغوبة في الواقع والحياة، وهنا تتضح الدلالات التربوية للآيات القرآنية الكريمة في بناء شخصية المسلم نحو السلوك الصحيح الموافق لسنن الخالق في خلقه وتكوينه تعالى، كما سيتضح في طيات هذه الدراسة.

وللسلوك مجالات رئيسية: [٢]

الأول:المجال البشري: بمعنى أنه يصدر عن الجهاز العصبي للقوة البشرية العاقلة الناشطة والفاعلة في معظم الاحيان.

الثاني: المجال المكاني: لا بد للسلوك البشري حين حدوثه من مكان ما، فقد يحدث في غرفة أو قاعة صغيرة مثلاً.

ويرى بعض علماء علم النفس الاجتماعي أنَّ السلوك الاجتماعي قد يحصل بين الناس غير المتجاورين بدنياً، ولكن بشريطة تحقق حالتين: [٣]

أ–أن تكون بينهم وحدة الرجوع الى هدف واحد أو شيء يشتركون فيه، هو سبب تركيز اهتمامهم.

ب–يتوجب وجود «الوحدة في الرجع »* بين جماعة من الأفراد الذين يسلكون، سلوكاً

---

(١) حامد عبد الله ربيع، مقدمة في العلوم السلوكية (حول عملية البناء الفكري لأصول علم الحركة الاجتماعية، الناشر : دار الفكر العربي – دار نافع للطباعة، ص/ ٥٧.

(٢) يُنظر: أسعد شريف الإمارة، مقدمة في السلوك الجمعي:، الناشر: دار صفاء للنشر والتوزيع – عمان، ط/ ١، ٢٠٢٠ م – ١٤٤١هـ .

(٣) يُنظر: حاتم الكعبي، السلوك الجمعي:، الناشر: مطبعة الديوانية الحديثة – الديوانية، ١ / ١٤٥.

(*) «انَّ وحدة الرجوع تعني التهيؤ للتفاعل بسبب وجود دنيا مشتركة للحديث وبسبب الانشغال المشترك في نفس الامور والمواضيع، وبسبب وجود رموز مشتركة ومعاني مشتركة» المصدر: : حاتم الكعبي، السلوك الجمعي، ١ /

مبنياً على أساس وعيهم بالانتماء والعضوية الى الجماعة، ومن المهم في السلوك الجمعي الذي يجري بين الناس الذين لا يوجد بينهم أيُّ اتصال مباشر توفر شعور الفرد بالانتماء والعضوية في الجماعة الذي يسبب تكييف سلوكه وكل مواقفه وفق هذا الشعور.

الثالث: المجال الزماني: للسوك البشري وقت معيّن يحدث فيه قد يكون طويلاً أو قصيراً، وقد يكون ليلاً أو نهاراً.

الرابع: المجال الاجتماعي: جميع القيم والتقاليد والعادات الاجتماعية تؤثر في السلوك وهي في الغالب التي تتحكم في مقبولية السلوك من عدمها، وعدَّه شاذاً أو سلوكاً سوياً مناسباً أو غير مناسباً أو مرفوضاً في المجتمعِ المعيّن.

فيخلص الباحث الى أن السلوك تحدده مجالات مادية: كالأفراد، والمكان، والزمان، ومجالات معنوية:كالمفاهيم والافكار والقيّم والمعتقدات، والتي في اطارها يحصل السلوك الجمعي.

ثانياً: مفهوم الجَمْعي:

١-**الجَمْعي في اللغة:** ذكر صاحب معجم اللغة العربية المعاصر: «استجمعَ يستجمع، استجماعًا، فهو مُستجمِع، والمفعول مُستجمَع «للمتعدِّي»، استجمعَ القومُ: تجمّعوا، انضمّ بعضُهم إلى بعض، استجمع قواه: جمعها وحشدها لتحقيق مطلب معيّن، قوي واشتدّ "استجمع قواه لمواصلة السير، استجمعَ للوثوبِ: تحفَّز له.، استجمع أفكارَه: ركَّزها على موضوع معيَّن بالتَّجرّد عن كُلّ ما عداه»[(١)]، وقال تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس، آية: ٧١] والمعنى اللغوي للآية: اتفقوا مع من يشارككم في الموقف، ولا يبقى أمركم مستوراً أو مغطى، وابلغوني أو اقضوا عليّ، ولا تمهلوني[(٢)]، فهو تركيز رأي

. ١٤٥

(١) أحمد مختار عبد الحميد عمر «ت ١٤٢٤ هـ» بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة: الناشر: عالم الكتب، ط/ ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ١/ ٣٩٣ .

(٢) يُنظر: محمد عزت دروزة ، التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، الناشر: دار إحياء الكتب العربية -

وموقف المجموعة واتفاقهم في التفكير والتدبير، والجماعي هو اسم منسوب الى ما يسمى بالجماعة، وهو عكس الفردي[١]، وقوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[القمر، آية: ٤٥]، « الْجَمْعُ »وهي صيغة في العربية دلت على ما زاد على اثنين[٢]، اذ يُرى أن المقصود من(الجَمعيّ) في اللغة هو انضمام الشيء بعضه الى بعضٍ وأقله في السلوك الناس، سلوكان أو أكثر.

٢-**الجَمعيّ في الاصطلاح:** ويرى الباحث أنَّ المعنى الاصطلاحي لمفهوم «الجَمعيّ» حسب ما سيرد لم يبتعد عن المعنى اللغوي قالوا: «الجَمع: هو زيادةُ عدد على عدد وما حصل من تلك الزيادة يسمى مجموعاً»[٣]، و« الياء» للنسب، وقد يقع محل النزاع في ما هو أقل الجمع، غير أنه موجود في الاثنين والثلاثة وما زاد عليها من دون خلاف في ذلك كما ورد من تعريف الجماعة من قبل بعض علماء علم النفس الاجتماعي أن الجماعة هي:« شخصان أو أكثر تجمعهم علاقة سيكولوجية مباشرة تضمن التأثر والتأثير بينهم من حيث السلوك والخصائص، وعرَّفها آخر فقال: شخصان أو أكثر تجمعهم معايير تتصل بموضوع معين وتتشابك أدوارهم بشكل وثيق»[٤]، وقيل الجَمْع هو الحَشْد: وهو أَن يتجمع الأفراد بعضهم مع بعض من دون أن يربط بينهم رابط دائم .

وقد ورد ذكر معاني الجمع في آيات عدة :

أ- قوله تعالى: ﴿ **وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ**﴾ **[يوسف : آية/ ١٥]** .

ب-قوله تعالى: ﴿ **فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ**﴾ **[يونس : آية/ ٧١]** .

القاهرة الطبعة: ١٣٨٣ هـ، ٣/ ٤٨٧.

(١) يُنظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: د، ١/ ٣٩٥ .

(٢) يُنظر: المصدر نفسه، ص/ ٣٦٩

(٣) البركتي :محمد عميم الإحسان المجدي، التعريفات الفقهية المؤلف: الناشر: دار الكتب العلمية «إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م» الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص/ ٧٢.

(٤) خواجة عبد العزيز، مدخل الى علم النفس الاجتماعي للعمل :، الناشر: دار الغرب للنشر والتوزيع / وهران- الجزائر ٢٠٠٥م- ١٣٢٠هـ، ص/ ١٠٢.

ت–قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [التغابن : آية/ ٩] .

ويفترق الجَمْع عن الجماعة من خلال ثلاث مستويات :

المستوى الأول: إذ أنَّ الجَمْع يمتاز بعدم توفر قوة التماسك والترابط الاجتماعي، والتي من خلالها تؤدى التفاعلات والعلاقات الاجتماعية.

والمستوى الثاني: تحدده عوامل دخول الافراد تحت تجمعات، كما هو في التوطن الجغرافي.

أما المستوى الثالث : فيتميز فيه الجَمْع كونه اتفاقياً ولكنه مؤقت وغير مستقر، فلا يكتسب فيه الافراد عضوية الجَمْع كما هو في الجماعة [١] .

يُتَضح للباحث من التعريفين اللغوي والاصطلاحي: أنَّ مفهوم« الجَمعيّ »هو الاتفاق في الافكار أو حتى في السلوك بين الافراد المجتمعين، والذين يسمون بهذا الاتفاق بالجَمْع، والمتفق عليه في عددهم اثنين أو ثلاثة، ويرى بعضهم أنَّه قد يقع في الواحد كما تقدم من سورة التكوير، وهناك مفاهيم يحصل فيها السلوك الجمعي مثل الجمهور، والحشد، اذ يمتاز الحشد في عدم وجود قوة التماسك والترابط الاجتماعي بين أفراده وعليه تكون التفاعلات والعلاقات الاجتماعية فيه محدودة، وقد تبيّن انَّ السلوك الجمعي يحصل في كل من الجمهور والحشد.

٥– المفاهيم التي يتحقق فيها مفهوم الجمعي:

أ–مفهوم الجمهور.

ب–الحشد.

اللذان سوف نُعرِفهما بالتفصيل في المباحث القادمة أن شاء الله تعالى.

ثالثاً: السلوك الجَمْعيّ:

لا بد من بيّان مفهوم السلوك الجمعي كونه يُمثل قطب الرحى في موضوع البحث من خلال الوقوف على التعريف المناسب له، ولكن بعد التعرف على الأساس

---

(١) يُنظر: بدوي: أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص/ ١٢.

التاريخي له، وعلى النسق الآتي:

١-نبذة تاريخه:

انَّ أول من أشار الى السلوك البشري وعلاقته بعلم الاجتماع هو المفكر والباحث « ابن خلدون»(*) وسماه بـ«علم العمران البشري»، وعلم الاجتماع كان عبارة عن النظريات التي تدرس التغيير الاجتماعي وتؤكد على بعض المفاهيم في علم الانسان، مثل مفاهيم الانتشار الحضاري، والتراكم الحضاري، والتخلف الحضاري، في حين تقلل من أهمية المؤثرات والعوامل النفسية الاجتماعية ودورها في التغيير الاجتماعي(١).

وقد كانت الكتابات حول ما يُقَرِّب من مفهوم السلوك الجمعي غير محددة ومبعثرة بين علوم شتى وخصوصاً علمي النفس والاجتماع، ومن أول الذين وضعوا نظرية لتفسير مفهوم السلوك الجمعي هو «سبنسر»(*) والذي تتلخص نظريته في انها

(*) (ابن خلدون) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ابو زيد، ولى الدين الحضرمي الإشبيلي عالم عربي تعود اصوله الى حضرموت « ولدَ في تونس، ٢٧ مايو ١٣٣٢ م – وتوفي في القاهرة، ١٩ مارس ١٤٠٦م »، فيلسوف ومؤرخ وباحث في علم الاجتماع من إشبيليه في الأندلس لكن ولد في تونس. سافر الى فارس وجرانادا «غرناطة» والأندلس وتولي هناك وظائف ورجع تونس ومنها ذهب وعاش في مصر وتولي فيها قضاء المالكية وكان من القضاة الاربعة وبعدها عُزل لكن رجع ثانية وتوفي في القاهرة في عهد السلطان الناصر فرج ودفن جنب باب النصر، من أهم مؤلفاته: " العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر"، المصدر: يُنظر: ابن خلدون انجاز فكري متجدد، تقديم: اسماعيل سراج الدين، اعداد وتحرير: محمد الجوهري – معن يوسف، الناشر: مكتبة الاسكندرية – ٢٠٠٨م، ص/ ١٢–٢٠ وكيبيديا الموسوعة الحرة، في٢/ ١/ ٢٠٢٣م.

(١) يُنظر: الامارة، أسعد شريف، مقدمة في السلوك الجمعي:، ص / ٢١.

(*) هربرت سبنسر «بالإنجليزية: Herbert Spencer» هو فيلسوف بريطاني «٢٧ ابريل ١٨٢٠ – ٨ ديسمبر ١٩٠٣».مؤلف كتاب «الرجل ضد الدولة» الذي قدم فيه رؤية فلسفية متطرفة في ليبراليتها، كان سبنسر، وليس داروين، هو الذي اوجد مصطلح «البقاء للأصلح». رغم أن القول ينسب عادة لداروين. وقد ساهم سبنسر في ترسيخ مفهوم الارتقاء، واعطى له ابعادا اجتماعيا، فيما عرف لاحقا بالدارونية الاجتماعية، و هكذا يعد سبنسر واحدا من مؤسسي علم الاجتماع الحديث، يعتبر سبنسر أحد أكبر المفكرين الإنجليز تأثيرا في نهاية القرن التاسع عشر ولد سنة ١٨٢٠ وتوفي سنة ١٩٠٣ وهو الأب الثاني لعلم الاجتماع بعد أوجست كونت الفرنسي، اشتهر بنظريته عن التطور، وقد استند على هذه النظرية في وضع الأسس لنسق ومنظومة اجتماعية «سوسيولوجية» تؤكد

حاولت الاجابة على سؤالين مهمين هما:

الأول: أيُّ الظروف هي التي تحدد ظهور حادثة معينة من حوادث السلوك الجمعي ؟

الثاني: أيَّ الظروف هي التي تؤدي الى ظهور نمط ما من انماط السلوك دون غيره؟

في حين يُعد العالم النفساني الفرنسي الجنسية «غوستاف لوبون »(*) من أول المؤسسين لعلم النفس الاجتماعي، ومن خلال كتابه المشهور في علم نفس الحشد (دراسة للعقل الشعبي) والصادر في العام ١٨٩٥م، ومن ثم كتابه (الجمهور) في عام ١٨٩٦م والذي ركز فيه على دراسة الناحية غير المنتظمة للسلوك الجمعي (١).

التطور تجاه تعقيد اجتماعي متزايد وارتفاع درجة الفردية فالمجتمع في نظره مثل الكائن الحي المعقد، يتصف بحالة من التوازن الدقيق ولا ينبغي ألاّ يسمح إلّا لعملية التطور الطبيعية بالتأثير في نموه، ولقد أدى هذا التأكيد على الفردية والتكيف الطبيعي إلى معارضة الإصلاح من خلال تدخل الدولة، سبنسر طوال حياته كان عدوّا للحرب والإمبريالية وهذا هو سبب معارضته الحرب الأمريكية الإسبانية لعام ١٨٩٨.، المصدر: منشور: هربرت سبنسر، الناشر: وكيبيديا الموسوعة الحرة، في / ١٥ / ٣/ ٢٠٢٣ ، الموقع / https://ar.wikipedia.org/wiki/٩%٨٦%٨D%٣B%٨D%٣B%

(*) غوستاف لوبون: «مؤسس علم نفسية الجماهير، وقد ولد في منطقة النورماندري عام (١٨٤١م) ومات في باريس عن عمر طويل عام (١٩٣١م)، وكان ذا روح موسوعية من حيث البحث عن المعرفة، وقد كتب في العديد من المجالات والفروع العلمية، فمن علم الطب في البداية الى علم الفيزياء النظرية الى علم النتربولوجيا والاثار في الهند، كان مسار لوبون طويلاً ومتشعباً، وقد انتهى به الى ساح علم الاجتماع حيث أعطى خيرة خيرة ما عنده ونال شهرة كبيرة» .المصدر: غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير: ترجمة وتقديم: هاشم صالح، الناشر: دار الساقي، ط/١، ١٩٩١م، ص/ ١٣.

(١) يُنظر: جوردون مارشال موسوعة علم الاجتماع، المجلد الثاني، ترجمة ومراجعة وتقديم محمد الجوهري وأخرون، ط/ ٢٠٠٠، ص/ ٨١٧.، وينظر: سوسيولوجيا الجماهير القيادة – دراسة في السلوك الجمعي: عبد اللطيف عبد الحميد العاني، الناشر: دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، العراق–بغداد، ص/ ١١.

في حين أن أول من صاغ مصطلح السلوك الجمعي هما العالمان «روبرت بارك* وأرنست برجس*» في العام ١٩٢١م، وعُدَّ هذا البحث ذا مكانية عالية في علم الاجتماع، وأكد من بعدهما عدد من العلماء الغرب، على كون السلوك الجمعي يُعد أحد الفروع الرئيسة والاساسية لعلم الاجتماع، كما تنقل الدكتورة ناهدة عبد الكريم

(*) «روبرت بارك« ١٨٦٤ – ١٩٤٤» هو صحفي وباحث اجتماعي امريكي وقطب من اقطاب حركة المساواة العنصرية في امريكا. درس في جامعة هارفرد الامريكية، ثم في جامعة هايدلبيرك الالمانية وحصل على شهادة الدكتوراه، من الجامعة الاخيرة بعد ان كتب٠ اطروحة بعنوان ﴿الجماهير والشعب﴾. غير ان عمله كصحفي نمى عنده فكرة دراسة البيئة الحضرية دراسة علمية، وان اتصاله مع العالم الاجتماعي الألماني جورج زيمل جعله يهتم بدراسة نواحي الحياة الاجتماعية بما فيها من علاقات اجتماعية مختلفة الانماط. وقد عين بروفسورا في علم الاجتماع في جامعة شيكاغو الامريكية. وهناك استطاع بالاشتراك مع طلبته القيام ببحوث اجتماعية ميدانية تناولت الدراسات الوصفية لحياة المدن مع دراسة الانواع الشاذة لسلوك الاجتماعي في المدن .اضافة لدراسته المجتمعات المحلية الصغيرة التي تعيش في البيئات الحضرية .وشارك البروفسور بارك مع كل من العالم برجس ومكنزي في تأليف كتاب «المدينة» الذي نشر عام ١٩٢٥.

وبعد اربع سنوات من نشر هذا الكتاب قام بارك بتأليف كتابه الشهير «المدخل الى علم الاجتماع» اما فضله في تطوير علم الاجتماع فينحصر في استعماله الاسلوب الكتابي المبسط في تفسير النظريات والقوانين الاجتماعية الحضري»، المصدر: منشور : شعبة علم الاجتماع – صفحة الكلية والجامعة – السبت – ٢٠ /٤/ ٢٠١٩ ، الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D

(*) إرنست واتسون بورغس «بالإنجليزية: Ernest Watson Burgess» هو عالم جريمة أمريكي وكندي، ولد في ١٦ مايو ١٨٨٦ في Tilbury في أونتاريو في كندا، وتوفي في ٢٧ ديسمبر ١٩٦٦ في شيكاغو في الولايات المتحدة.، حصل بورغس على درجة البكالوريوس «١٩٠٨» من كلية كينغفيشر «أوكلاهوما» وشهادة الدكتوراه من جامعة شيكاغو «١٩١٣». وقام بالتدريس في كل من جامعات توليدو «فرع أوهايو» وجامعة كانساس وجامعة أوهايو قبل أن يبدأ مهنة طويلة في جامعة شيكاغو منذ عام ١٩١٦ حتى تقاعده عام ١٩٥٢، وقد أصبح أستاذًا فخريًا في عام ١٩٥١، كان لبرغس تأثيراً بعيد المدى فى تطور مدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع. المصدر: منشور موسوعة عارف، ١٠:٥٤، ٣ ديسمبر ٢٠٢٢ ، الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki

أنه قد« حدد كل من (آرنس برجس وروبرت بارك) مصطلح وحقل السلوك الجمعي عام ١٩٢١م، بأنَّه أحد المجالات السوسيولوجية في البحث وتبعهم في ذلك (بلومر)[*١] مؤكداً أهميته في علم الاجتماع، ويرى (تيرنر[*٢]) إنَّ السلوك الجمعي أحد الفروع الأساسية لعلم الاجتماع »[٣].

ويجد الباحث إنَّ السلوك الجمعي يشغل مجالاً وميداناً واسعاً في ميادين علم النفس الاجتماعي ولأهميته فهو يدخل في ميادين علم الاجتماع، والسلوك الجمعي يُعد أحد الوسائل الفاعلة ذات الدور المهم في التغيير الاجتماعي، والذي لا يخلو من العنف والتذمر ضد أو مع التعصب الطائفي أو الديني أو العرقي أو التقاليد البالية كذلك، وهو سلوك متفاعل، يشوبه الاستياء والتذمر، وهو لا يرادف سلوك الجماعة الاجتماعية الصغيرة كون الاخيرة غالبا ما تحكمها نظم وتقاليد المجتمع السائدة .

ثالثاً : تعريف السلوك الجمعي: وقد عَرَّف علماء النفس، وعلماء الاجتماع السلوك

(*)«**كان هربرت بلومر** (١٩٨٧-١٩٠٠) عالم اجتماع وعالم نفس أمريكي قام ، في مجال علوم الاتصال ، بصياغة النظرية الأساسية لتيار السلوك الاجتماعي – وتسمى أيضًا التفاعل الرمزي – بناءً على أفكار معلمه جورج هـ.ميد وبتأثير عالم الأرواح تشارلز إلوود ، الذي تعلم منه أيضًا.

كان هربرت بلومر هو من صاغ مصطلح "التفاعل الرمزي" في عام ١٩٣٧. وركز اهتمامه الأكاديمي أيضًا على أساليب البحث الاجتماعي وكان لعمله تأثير هائل على تطور علم الاجتماع في القرن العشرين.

المصدر: منشور بعنوان : هربرت بلومر: السيرة الذاتية والنظرية والأعمال – مفردات الثقافة – ٢٠٢٤.

الرابط : https://ar.sperohope.com/herbert-blumer-biograf

(*)«جون تشارلز تيرنر (بالإنجليزية(John Charles Turner : (سبتمبر ١٩٤٧) عالم نفس اجتماعي بريطاني، وضع جنبا إلى جنب مع زملائه نظرية التصنيف الذاتي .والتي تنص على أن الذات ليست جانبا أساسيا من الإدراك، بل أن الذات هي نتيجة العمليات المعرفية والتفاعل بين الشخص والسياق الاجتماعي. تم تطوير نظرية التصنيف الذاتي كنظرية مصاحبة لنظرية الهوية الاجتماعية، والنظريات التي تم جمعها معا تعرف باسم نهج الهوية الاجتماعية »، المصدر : منشور جون تشارلز تيرنر) بالإنجليزية John : Charles Turner) (سبتمبر ١٩٤٧) في / ٢٤ يوليو ٢٠١١م الناشر : ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة .

الرابط : https://ar.wikipedia.org/wiki

(٣)ناهدة عبد الكريم حافظ ، سملزر ونظرية السلوك الجمعي، مجلة العلوم الاجتماعية، العددان ٣٤- ٣٥، ٢٠٠٤، بغداد، ص/ ٣٧..

الجمعي بعدة تعريفات منها:

أ-تعريفات «السلوك الجمعي» من قبل علماء النفس:

قالوا: «هو عبارة عن أشكال متعددة من الاستجابات وردود الفعل الخارجة من التصرفات المتشابهة، يقوم بأدائها العديد من الأفراد، وذلك استجابة لعامل أو مثير محدد، ويعتبر السلوك الجمعي فرع من فروع علم النفس الاجتماعي من الأمور التي لا تعتبر تقليدية، وهو غير مألوف من قَبلْ، أي أنَّه من الأمور التي لا تخضع لمعايير وأسس واضحة» (١).

عُرفَ بأنه: ﴿التشكيل التلقائي لجمع من الناس على هيئة حشد أو جماعة يخضعون لقيم طارئة، وهو نسبياً غير منتظم وغير مخطط لتشكيله أو تطوره ولا يمكن التنبؤ بنتائجه» (٢).

ب- تعريف «السلوك الجمعي» من قبل علماء الاجتماع:

أبرز تلك التعريفات هو تعريف الدكتور **«حاتم الكعبي»** الذي عرَّفه «هو ذلك الحقل من علم النفس الاجتماعي الذي يعني بدراسة الظواهر التي هي ما بين السلوك الجماعي المنظم على أساس القواعد والتقاليد من طرف، وما بين السلوك الفردي من طرف أخر» (٣).

وعرفوه الدكتور: «ذلك السلوك الذي تتحطم فيه المعايير الاجتماعية نتيجة ضغط طبيعي واجتماعي حاد مما يؤدي الى اضطراب التوازن السلوكي»(٤)

---

(١) رندا العكاشة: منشور بعنوان: السلوك الجمعي في علم النفس الاجتماعي، ١٠ فبراير ٢٠٢١ ، الرابط : https://e٣%d٨arabi.com/

(٢) الداغستاني سناء عيسى، علم النفس الاجتماعي، الناشر: الرافدين للطباعة والنشر، ٢٠١٧م، ص/ ٢٦.

(٣) حاتم الكعبي: السلوك الجمعي، ص/ ١٤٠ – ١٤١ .

(٤) السامرائي، د. متعب مناف / محاضرات في السلوك الجمعي، للعام الدراسي ١٩٨٩– ١٩٩٠، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد، (غير منشور).

وحسب ما جاء في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية فالسلوك الجمعي: هو استجابات بعض الاشخاص لأنماط من السلوك المتشابهة استجابة منهم لمؤثرٍ مشترك، والسلوك الجماعي هو سلوك غير تقليدي، لكونه لا يخضع الى معايير واضحة ومقررة، كما هو في السلوك الاجتماعي الذي تحدده الى حد ما المعايير الاجتماعية، في حين أنَّ السلوك الجمعي تكون فيه التوقعات الثقافية غير محددة وكامنة، واحياناً تكون متعارضة، فيكون الموقف فيه غير محدد الى حد كبير، والذي يجب الانتباه اليه هو أنَّ «السلوك الجَمْعيّ» يختلف عن السلوك الاجتماعي، اذ أنَّ السلوك الجَمْعيّ لا يتوفر فيه التفاعل والتنظيم بين الافراد، الذي اذا توفر جعل منهم جماعة اجتماعية، وتظهر اشكال السلوك الجَمْعيّ في مصاديق ونماذج مختلفة في سلوكيات الجماهير، كانتشار التقاليد، والموضة، وتكوين الرأي العام وظهور بعض الحركات الاجتماعية [١]، وقد يتصف بالتلقائية من قبل جمع من الناس بسبب خضوعهم الى بعض القيم الطارئة، والتي لا يمكن التنبؤ بنتائجها.

وعُرفَ: « هو مجمل سلوك الفرد مع الجماعة الذي يكفل فهماً تفسيرياً، أو تنبئياً للنشاطات الظاهرة في فترة تاريخية محددة وفي أي موقف يختلف تبعاً لاختلاف الانفعالات الناتجة عنه مما تغيب المعايير، وتختفي القيم أثناء الهيجان الجمعي» [٢].

وقد يمثله بعض الباحثين ويعبر عنه بأنه: « رد الفعل الدائري: ويعني ضرباً من التنبيه المتبادل بين مشتركَيّنِ أو مشتركينَ هذا التفاعل الاجتماعي بحيث أن رجع أحدهما أو أحدهم هو اعادة للمنبه الذي صدر من فرد آخر» [٣]

ويستخلص الباحث من التعريفات المتقدمة لعلماء النفس وعلماء الاجتماع الى

---

(١) يُنظر: بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص/٦٩.

(٢) الإمارة: أسعد شريف، مقدمة في السلوك الجمعي، ص/ ٣٢.

(٣): حاتم الكعبي، السلوك الجمعي، ١/ ١٥٣.

النقاط التالية :

١-أنَّ السلوك الجمعي يتعلق بما تمتاز وتختص به الجماعات لا الأفراد، وهو حالة من التفاعل الاجتماعي والترابط والاشتراك، فلا يكون السلوك الجمعي من دون ذلك الاشتراك والترابط في المشاعر والافكار والميول، الذي قد يحدث نتيجة، سلطة معينه تكون قاهرة لسلوكيات الافراد الشخصية، ونتيجة لذلك يحدث (رد فعل) واحد(موحد) من قبل الافراد، فيتوحد سلوكهم لما يوافق توجهات تلك الجماعة المعينة، قد تكون تلك السلطة القاهرة سلطان أو ملك أو حكومة، أو قوة خارجية ظاهرة، أو غير ظاهرة ومن بكل هذا يحصل السلوك الجمعي السلبي .

٢-وقديكون الموجه عبارة عن قائد أو مصلح ينجذبون اليهن وحينها يحصل السلوك الجمعي الايجابيز

٣- قد يحدث السلوك بشكل آني ومفاجئ أو طارئ نتيجة كارثة معينة أو حادث طبيعي، والذي بدوره يُنتج ردود فعل موحدة لتلك الجماعة، فمثلاً الرعب الفردي لا يدخل في السلوك الجمعي في حين يدخل في ذلك الرعب الجماعي، هذا أولاً، وثانياً: وجود القواعد الجمعية «المعايير، والقيم المشتركة» التي اتصف بها الاشخاص المتفاعلين، وبهذا يكون «السلوك الجمعي» هو وصف لصيغ اجتماعية تُطبّع سلوك الافراد في حال انتمائهم الى الجماعة الواحدة، مما يجعل سلوك الفرد يتغير كي يلائم سلوك تلك الجماعة والذي يلازم بقاء استمرار تمتعه بذلك الانتماء الجماعي، فسلوك الجماعة صار تكويناً أخر يختلف عن ما كان عليه سلوك أفراد الجماعة، وهم منفردين عن تلك الجماعة.

ومما تقدم تتضح المفاهيم المشتركة للسلوك الجمعي التي تبرز من خلال التعريفات المتقدمة :

٤-أنَّ السلوك الجمعي: هو ظاهرة اجتماعية تولدت من عملية التفاعل الاجتماعي

الحاصلة بين الافراد، مما ينتج رؤية جماعية جديدة ،الأمر الذي يوجه سلوكهم بما يتفق مع أرادة الجماعة.

٥- ومن الجدير بالذكر أنَّ السلوك الجمعي، لا يتساوى في الشدة والبقاء والزوال، فأنَّ ذلك يعتمد على نشوء السلوك الجمعي، والظروف المختلفة التي ظهر فيها، اذ من المتعارف أنه ينشأ تحت ظروف الاضطراب والقلق، ويختلف الاضطراب وعدم الاستقرار الاجتماعي، من حيث شموله ومداه اختلافاً كبيراً، فقد يكون محصوراً في جماعةٍ صغيرةٍ، كما في اضراب جماعة معينة تعمل في مجال معين من الحياة، وقد يتسع ذلك الاضطراب والقلق وعدم الاستقرار، فيكون شاملاً الى اعداد كبيرة من الناس، على وجه الارض، كما هو عدم الاستقرار الذي تعيشه دول العالم الثالث اليوم ومستمرةٌ عليه مع استمرار المؤثر، وقد يكون الاضطراب متوسط الحدة، كما في الاضطراب الخلقي الشائع اليوم بين فئات ومجموعات معينة دون غيرها، وكما هو حال الفئة المحافظة التي تتمسك بالقواعد الاخلاقية والتقليدية في بعض الاحيان، وكذلك تراها متمسكة بالخشية والخوف من غضب الله تعالى في احيان أُخرى، وقد تزداد حدة القلق والاضطراب، كما هي في حالة الاضطراب الثوري، السابق للثورة عند من قاموا بالثورة الفرنسية، أو الثورة الروسية في ١٩١٧م [١].

٦-وبإيجاز مفيد جداً يوضح من خلاله الحقيقة التي يحصل فيها السلوك الجمعي، صاحب كتاب مقدمة في العلوم السلوكية ما نصه: « فعبادة السلف في مجتمع ما (ويقصد تقليد الاباء والعادات والتقاليد) أو انتشار الشذوذ الجنسي (كما سنبيّن من شأن قوم لوط ومن سار على نهجهم في الوقت الحاضر)أو حب المال والادخار في مجتمعٍ ثالث (كما سيتضح من شأن قوم شعيب عليه السلام، وفعل من اغتر بقارون وفعله)

(١) يُنظر: حاتم الكعبي، السلوك الجمعي، ص/ ١٥٥- ١٦٠ .

هذه جميعها صفات سلوكية فردية ولكن انتشارها بمجتمع معين بحيث تصير أحد علاماته ترفعها الى مستوى الصفة الجماعية، كذلك فإنَّ السلوك الجماعي قد يكون صوراً من التوتر الفجائي العنيف كالقتل أو هتك العرض، فيوصف بأنه سلوك جماهيري، والصراع الطبقي أو الحركات الثورية أو عملية رفض الشباب والاجيال الجديدة هي تعبير وتطبيق للسلوك الجماعي» (١).

ومن الواضح أنّ ما يكون سلوكياتنا وتصرفاتنا هوالتأثير بمختلف المؤثرات البيئية المحيطة سواء كانت سلوكية –معرفية –اجتماعية – بنائية.

٧–ومن الملاحظ أنَّ أكثر الدراسات تصف السلوك الجمعي، بأنَّ ابرز ما يميزه الميل الى العاطفة، في حين نجد من يصفه بالميل وبدرجة عالية الى العقلانية والرزانة وهذا ما سوف يتأكد عند دراستنا السلوك الجمعي وفق فلسفة الاسلام اذ يصفه حاتم الكعبي: «ان السلوك الجمعي الذي يُعتبر عاطفياً في كثير من الاحيان قد يتصف بدرجة عالية من المعقولية والرزانة كما هي الحالة في التفاعل الاجتماعي المباشر الذي يحدث بين المدرس وطلابه في الصف مثلاً» (٢) ففي الغالب المدرس الناجح هو من يسهم ويحرص على تشكيل سلوك جمعي يتفاعل فيه الطلاب مع المدرس والمادة وهو يشتمل على العاطفة والنشاط العقلي في آن واحد.

رابعاً : خصائص السلوك الجمعي :

كما يصفه أحد الكتّاب: «ومن خصائص السلوك الجمعي:

١–أنه سلوك متفاعل مع الاستياء والتذمر ولا يرادف سلوك الجماعة الاجتماعية الصغيرة.

---

(١) حامد عبد الله ربيع، مقدمة في العلوم السلوكية، حول عملية البناء الفكرية لاصول علم الحركة الاجتماعية، الناشر: دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ص/ ١٤١.

(٢) حاتم الكعبي، السلوك الجمعي، ص / ١٤٧.

وهو سلوك وجداني وغير عقلاني.

٢-ولا تتحكم فيه المعايير الثقافية السائدة في المجتمع،.....غير منظم نسقيا، أي ليس لديه مواقع تدريجية أو أدوار موقعيه وظيفية، والسلوك الجمعي بذلك هو أحد الأسباب المعنوية للتغير الاجتماعي وتفاعل الأفراد بشكل جمعي مع إيقاعات الحياة الاجتماعية وقنوات الانسياق الاجتماعية» [١].

وقد تبيَّن للباحث أنَّ الدكتور حاتم الكعبي[*](استاذ علم الاجتماع في جامعة بغداد) في ستينات القرن الماضي يُعدُّ العالم والباحث العراقي الاول الذي كتب في السلوك الجمعي وقد ابدع في هذا المجال حتى قال فيه (هربرت بلومر)استاذ عالم الاجتماع في جامعة كاليفورنيا:«لقد ابهجني أن أرى أنَّ الدكتور الكعبي قد كرّس مجلداً خاصاً لتحليل كل ضرب من هذه الضروب المهمة جداً من الحركات

---

(١) محمد البورقادي منشور بعنوان:السلوك الجمعي وشروط إحداث الثورة، الحوار المتمدن – العدد٥٢١٥- ٧/٦/ ٢٠١٦م، ص/ ٢

(*) «الأستاذ الدكتور حاتم عبد الصاحب الكعبي ولد في مدينة العمارة (محافظة ميسان) سنة ١٩١٧، وتوفي ببغداد سنة ١٩٧٩ وبين ١٩١٧ و١٩٧٩، عاش الدكتور الكعبي حياة حافلة بالأحداث والمنجزات والإسهامات العلمية فبعد ان أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والاعدادية ، دخل دار المعلمين العالية ببغداد ونال الليسانس في العلوم الاجتماعية، وقد حظي ببعثة علمية في الولايات المتحدة الأميركية، ونال الدكتوراه من جامعة شيكاغو سنة ١٩٥٤ وكان عنوان أطروحته : " الحركة القومية العربية في العراق" ..... أنَّ كتابات الدكتور الكعبي تصنف إلى اتجاهين الأول هو التفاعل التوليفي، والثاني التفاعل الرمزي. وهو يرى أن مؤلفاته مثل" علم اجتماع الثورة" ١٩٥٩ ودراسته عن "الطبقية الاجتماعية وكارل ماركس " ١٩٦٤ وكتابه "نمو الفكر الاجتماعي " ١٩٦٤ وكتابه "مبادئ علم الاجتماع " ١٩٦٥ ودراسته " الحركات التي تدور حول منقذ منتظر " ١٩٦٦ وكتابيه : " حركات المودة " ١٩٧١ و" السلوك الجمعي " ١٩٧٢ تعد من الاتجاه الأول، أما الاتجاه الثاني فيتمثل في دراسته : " دراسة حال زعامة " وفي هذه الدراسة يبرز فكره الاجتماعي المتأثر بإنجازات علم النفس .ويقينا أن الدكتور الكعبي كان فضلا عن انه ابن بيئته العراقية،متأثرا بمدرسة شيكاغو الاجتماعية المتمثلة بعدد من الأساتذة أمثال بارك وكليفورد وبرجس وهربرت ميد وشلز وبارسونز وبلومر» المصدر : العلاف، د. ابراهيم خليل : استاذ التاريخ الحديث في جامعة الموصل، مقال بعنوان : (الدكتور حاتم الكعبي والمدرسة العراقية في علم الاجتماع)، الناشر : دنيا الوطن في عام ٢٠١١.

الاجتماعية »[١]

خامساً : النظريات في السلوك الجمعي :

ومن الملاحظ أنَّ العلماء النفس والاجتماع كانت لهم نظريات عدة التي فسرت حالة السلوك الجمعي، وهناك مجموعتان: [٢]

المجموعة الأولى: النظريات المُبَكرّة:

١-«نظرية مجهولية الهوية Anoymity» والتي تُنسب الى غوستاف لوبون وترى هذه النظرية: «أنَّ المشاركين في أعمال الشغب الطائشة هم عادة غرباء عن بعضهم، لا يعرف أحدهم الآخر أ فالهوية الشخصية لأحدهم غير معرفة، مما يولد حماساً أكثر لهذه الأعمال على أساس غياب المسؤولية الاجتماعية، فتنحل كل الضوابط الاجتماعية في هذه الجموع، ويشعر الشخص هنا بالقوة لاختفائه بالجماعة إذ يبرر مسؤولية ما يفعله بعمل الجماعة بشكل عام»[٣]، وخلال هذه النظرية يبرهن لوبون أنَّ الفرد قد يكون مثقفاً متحضراً في سلوكه الفردي لكنه حينما يكون وسط الجموع يصبح بربري السلوك، اذ يصف لوبون إنَّ حال جمهور السلوك الجمعي يتميز بأمور منها:

مميزات جمهور السلوك الجمعي في هذه النظرية:

أ- (الاجماع) الذي يسببه قانون الوحدة العقلية الذي وفقه تظهر العقائد والتعصب وعدم قبول الرأي الأخر، وكذلك الميزة الاخرىز

ب- (الاثارة والهيجان): التي تسبب التطرف الفكري وفي الحكم على الأمور ز

ت-وانتشار الاساطير والشائعات، بالعدوى ز

ث-وقال ايضاً أنَّه يتميز (بالسذاجة) بمعنى البساطة في التفكير وتأدية الاعمال،

---

(١) حاتم الكعبي: السلوك الجمعي، الناشر: ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطبعة الديوانية الحديثة - ١٩٧٣، ١/ ١٤.

(٢) يُنظر : رباح مجيد محمد الهيتي، اطروحة: «الآثار الاجتماعية لانهيار سلطة الدولة في العراق -دراسة ميدانية» كلية الآداب جامعة بغداد، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص/ ٨٠.

(٣) قاسم حسين صالح ، بحث بعنوان : (ظاهرة النهب والسلب والفرهود في مدينة بغداد، ٢٠٠٣م)، ص/ ٣ .

والبدائية في السلوك، والميل للفوضى واللاقانون ولا قيود بسبب ثورة النفس ضد القمع المستمر[١].

٢-« نظرية الحثالة riffraff theory »: وتقول: «إنَّ أعمال الشغب يقوم ويشارك بها فئة أصحاب الجرائم والإدمان والمراهقين والمشردين والمنحرفين عن القانون»[٢].

٣-« نظرية القيمة المضافة Value Added» وهي للعالم نيل سملزر ن والقيمة المضافة : هي الفرق بين قيمة المنتجات وقيمة الموارد الداخلة في انتاجها ، والتي وفقها يُحدد سملزر شروط وعوامل وظروف نتيجة تراكمها واختلاطها يحصل السلوك الجمعي، اذ توصف بأنَّ: «أهم ما يميز النظرية تعقب المراحل، إذ كل مرحلة تعقب التي قبلها إلا إذا جاءت بعد المرحلة السابقة، إذا تعتمد على الأداء، يعني تبدأ بالارتفاع والتراكم من البداية حتى النهاية، أي نظرية المرحلة أو القيمة المضافة»(٣)

المجموعة الثانية: النظريات الحديثة ومنها:

نظرية (الهوية الاجتماعية) Social Identiy Theory:

وعَبرَ هذه النظرية يتصنف الفرد والآخرين من الناس في عدة مجموعات بمعنى آخر قد تجد نفس الشخص ينتمي الى مجموعات عدة يعتز بكل واحدة منها ويفتخر بها ويعدها جزءاً من هويته، كما في انتماء الإنسان لمجموعات مختلفة من ناحية (الجنس، أو العقيدة الدينية أو العرق أو القبيلة أو العائلة أو مجموعة مشجعي الفريق الرياضي المعيّن.....)، ومن رواد هذه النظرية عالم الاجتماع البولندي،

---

(١) يُنظر: الداغستاني، د. سناء عيسى، علم نفس الاجتماع، نظريات ودراسات، الناشر : الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان – بيروت –٢٠١٧م، ص/ ٢٨.

(٢) قاسم حسين صالح ، بحث بعنوان :(ظاهرة النهب والسلب والفرهود في مدينة بغداد، ٢٠٠٣م)، ص/ ٣.

(٣) متعب مناف السامرائي ، محاضرات في السلوك الجمعي، العام الدراسي ١٩٨٩-١٩٩٠م، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد (محاضرات) .

(هنري تاجفيل)* (١٩١٩م- ١٩٨٢م)، الذي يصف هذا السلوك: «وقد يؤدي هذا التصنيف لما يسمى بالمحاباة أو التحيز لأفراد الجماعة, من خلال شعور (نحن – هم)، يرى (تاجفيل) أن مفهوم الشخص لذاته ينبثق من انتمائه للمجموعات, إذ ليس للإنسان هوية واحدة بل هويات متعددة بتعدد المجموعات التي ينتمي لها, وبالتالي فهو سيتصرف بشكل مختلف في كل مجموعة بناء على ما تتطلبه »[١]، فمثلاً أحمد ينتمي الى عدة مجموعات، كونه ينتمي الى مجموعة الرجال، ومجموعة الشباب، ومجموعة العرب ومجموعة المسلمين ومجموعة لاعبي كرة القدم في نادي....، اذ يكون له في كل مجموعة سلوكاً يوافق سلوك تلك المجموعة التي ينتمي اليها ووفق محدداتها وثوابتها واهدافها ودوافعها ومتبنياتها، والذي يتبيَّن للباحث أنَّ شدة سلوك الفرد الموافق الى سلوك المجموعة يُحدده مدى تفاعل ذلك الشخص مع المجموعة التي ينتمي لها وايمانه وتعلقه بها، فقد تجده مسلماً ينتمي الى مجموعة المسلمين لكنه لا يصلي، ولديه مجموعة من العشيقات، ووفق هذا يكون سلوكه قد خرج من اطار سلوك مجموعة المسلمين وهكذا.

ويرى الباحث أنَّ السلوك الجمعي يحصل ضمن جميع تلك الصور التي تصفها تلك النظريات، ولكنَّ الباحث يجد إنَّ أغلب الدراسات التي بحثت في السلوك الجمعي

(*)«هنري تاجفل) بالإنجليزية(Henri Tajfel) هيرز موردش سابقا (ت: ٢٢يونيو ١٩١٩) ولد في ووكلاويك، بولندا – ٣ مايو ١٩٨٢ في أكسفورد، المملكة المتحدة (عالم نفس اجتماعي بولندي، اشتهر بعمله الرائد على الجوانب المعرفية من التحامل ونظرية الهوية الاجتماعية، وكذلك يعتبار واحدا من مؤسسي الرابطة الأوروبية لعلم النفس الاجتماعي التجريبي»، المصدر : منشور : هنري تاجفيل، الناشر : ويكيبيديا الموسوعة الحرة، في/ ١٥مارس ٢٠٢٣.

الرابط : https://ar.wikipedia.org/wiki

(١) جواد : منمشور بعنوان : (هنري تاجفيل ونظرية الهوية الاجتماعية) في : ٢٨م ٤م ٢٠١٨.

الرابط : https://www.waqi٣/٢٠١٨.com/٠٤-social-identity/.

وصفته بأنَّه ينطلق من العاطفة، في حين يخالف ذلك الدكتور حاتم الكعبي بقوله أنه قد « يتصف بدرجة من المعقولية والرزانة كما هي الحال في التفاعل الاجتماعي المباشر الذي يحدث بين المدرس وطلابه في الصف مثلاً»[١]، كما هو الحال في عملية البناء كما تصفه النظرية البنائية: في التكامل البنائي شيئاً فشيء، وفق هذا التصور يرى الباحث أنه يمكن ان يحصل السلوك الجمعي الايجابي الممدوح، ومثاله السلوك الجمعي الذي يحدث نتيجة الارشاد والتوجيه الديني لتطبيق تعاليم الاسلام من خلال ما جاء في القرآن وسنة النبي وأهل بيته (عليهم السلام).

المطلب الثاني: أنواع السلوك الجمعي المؤثر في توجيه المجتمع:

قسم علماء الاجتماع المعاصرين السلوك الجمعي على تقسيمات عديدة منها تقسيمه الى: «الجمهور، والجماهير، والغوغاء، والاشاعات، والذعر الجماعي، والرأي العام، والموضة »[٢]، ويمكن تقسيم **انماط السلوك الجمعي** الى :

يبدأ السلوك الجمعي غالباً بالحشد أو مجموعة مؤقتة مكن الناس ، ترتبط معاً بخبرات مشتركة ، وتُصنف الى أربعة أنماط:

«١- السلوك الجمعي السببي ٢- والسلوك الجمعي التقليدي ٣- والسلوك الجمعي العاطفي ٤- والسلوك الجمعي العدواني»[٣]. ولكن يجد الباحث تقسيماً آخر هو أكثر شمولاً في تغطيته لمفهوم السلوك الجمعي فمن الممكن تمييز السلوك الجمعي في علم النفس الاجتماعي من خلال التعرّف على أنواع المجموعات المنظمة الخاضعة الى السلطة كالمجموعات التلقائية والمجموعات الرسمية وغير الرسمية والتي تتمثل من

---

(١) حاتم الكعبي ، السلوك الجمعي، ١/ ١٤٧.

(٢) يُنظر: منشور: مصطلحات اجتماعية: السلوك الجمعي، اشكالية التعامل مع السلوك الجمعي: زهير الاعرجي، الناشر: شبكة النبأ المعلوماتية- الثلاثاء ١٠ تموز/٢٠٠٧ -٢٥/جماد الاخرى/ ١٤٢٨ .
الرابط : https://annabaa.org/nbanews/٦٤/٣٠٣htm.

(٣): رندا العكاشة، منشور بعنوان: أنواع السلوك الجمعي في علم النفس الاجتماعي في ١٠ / ٢ ٢٠٢١م .
الرابط : https://www.bing.com/search .

خلال علم النفس الاجتماعي في أنواع السلوك الجمعي الآتية: [١]

أولاً: السلوك الجمعي القيادي: وهنا وخصوصاً هذا النوع من السلوك الجمعي يعمل في القيادة المتسلطة أي « الدكتاتورية – الاستبدادية» التي تمتاز بكون القائد هو من يتحكم بسياسات الجماعة وأهدافها، وهو الذي يقوم بالفرض عليهم بما يجب أن يقومون به أو يمتنعون عنه، كذلك هو الذي يحدد نوع العلاقات بين أعضاء المجموعة، وهو مصدر العقاب والثواب، من خلال الترهيب والتخويف، وهو الذي يكون مراقباً لهم حتى في اتصالهم مع بعضهم بعضا لا يكون الا من خلاله، ويتصف القائد الطاغية بحب التسلط والسيطرة، كما وأنَّه يوهم مرؤوسيه بتوفير أمور نفسية كالأمن والطمأنينة، مستغلاً بعض جوانب اللاشعور عندهم كالاتكال والاعتماد على الآخر فيتقمص ويرتدي ثوب الأب، في حين إنَّ الغالب من هؤلاء المُتَبِعين قد يكنون العداء والكراهية لذلك القائد المتسلط.

ويرى الباحث أنَّ خير مثال لهذا السلوك الجمعي يظهر من خلال مَن ادعوا الربوبية من الجبابرة والطغاة على مر العصور أمثال النمرود وفرعون ومن جاء بعدهم الى يومنا هذا، والشعوب والاقوام التي تقبع تحت سطونهم، اذ يصف القرآن الكريم ذلك، بقوله تعالى: ﴿**فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ** ﴾ [النازعات: آية/ ٢٣-٢٤] وفي قوله تعالى لموسى :عليه السلام﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى «٤٣» فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَويَخْشَى «٤٤» قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوأَنْ يَطْغَى ﴾[طه:الآية / ٤٣- ٤٥] [٢]،.قال الطوسي: «أو يعتوا علينا ويتجبر» [٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: آية/٤] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي**ﷺ

---

(١) يُنظر: المصدر السابق نفسه.

(٢) يُنظر: خوجة عبد العزيز، مدخل الى علم النفس الاجتماعي للعمل، دار الغرب للنشر والتوزيع ٢٠٠٥م – ١٣٢٠هـ، ويُنظر: الاسبينداري عبد الرَّحمن عمر، الطغيان السياسي وسُبُل تغييره من المنظور القرآني، ص/ ٢٦ -٣١.

(٣) الطوسي (ت: ٤٦٠)، التبيان، تحقيق: تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط/١، سنة الطبع: رمضان المبارك ١٤٠٩هـ،، ج٧ / ١٧٦.

أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: آية/٥١] ، وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [القصص: آية /٣٩]، والمعنى أنَّه عندما خاف فرعون اقتناع القوم بدعوة موسى عليه السلام، جمعهم فنادى فيهم مفتخراً، بقوله: أليس لي هذا الملك العظيم، الذي لا ينازعني فيه أحد، وانني أمتلك السلطة المطلقة على مصر ومن فيها [(١)]، حتى وصل الحال بفرعون درجة من الطغيان والتسلط أنه ادعى الربوبية من دون الله كما في قوله تعالى:﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي﴾[القصص: آية/ ٣٨] [(٢)]، وما جاء في قصة أصحاب الاخدود التي ينقل ابن كثير وغيره أنهم ليس ملك واحد وانَّما هم عدد من الملوك تكرر منهم عمل الاخدود الذي يلقون فيه كل من يخلع ربقة العبودية ويخرج عن حضيرة الطاعة كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[البروج: آية / ٤-١٠] [(٣)].

ويرى الباحث أنَّ كل ما تقدم من تسلط وطُّغيان يقود الطغاة من خلاله الجمهور الى سلوكٍ جمعي قد لا يرغبون فيه ولكن يقودهم الى أدائه الخوف والرعب والقلق، هذا عند القيادة الظالمة الطاغية المتجبرة ، ولكن هل كل السلوك القيادي مذموم وسيء ؟ فيكون الجواب بالنفي، لأن القائد وان كانت بيده كل الأمور التي تسير وتتحكم بالسلوك الجمعي للناس، فإن كان صالحاً حريصاً على مصالحهم، ويعمل بحكمة واخلاص وبما يأمر به الله تعالى ويخافه، فإنَّه من المؤكد سوف يجعل سلوكهم صحيحاً مما يقودهم الى سبيل النجاة، كما هو في سليمان عليه السلام حين قال

---

(١) يُنظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط/ ٢، ١٤١٨ هـ، ٢٥/ ١٦٦.

(٢) يُنظر: السيوطي، الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، الناشر: دارالفكر – بيروت، ٦/ ٤١٥.

(٣) يُنظر: ابن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري الدمشقي «ت: ٧٧٤ هـ»، المحقق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/ ٢-١٤٢٠ هـ-١٩٩٩م، ٨/ ٢٦٦، ٢٧١.

تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ * وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾[النمل: الآيات / ١٦- ١٧]، وقيادة (ذي القرنين) الذي أقام أحكام الله من خلال قيادته العادلة للناس كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا" ﴾[الكهف: الآيتان / ٨٧: ٨٨]، أي القيادة التي تقود السلوك الجمعي نحو تحقيق الاهداف النبيلة والتي بُعث بها الأنبياء ومن جاء بعدهم من الاولياء والصالحين.

ثانياً: السلوك الجمعي لإنجاز المهام: فالإنسان عادةً ما ينتظم سلوكه مع اهداف ورؤى المجموعة التي ينتمي اليها لأنَّه كائن اجتماعي لا يمكنه العيش منعزلاً عن الآخرين فقد تتحدد سلوكياته عند انجازه مهمة معينة ضمن حدود ما تفرضه ميول واتجاهات ومعتقدات المجموعة التي ينتمي اليها ومن خلال تأثير عدة عوامل منها: ١- العوامل الحضارية ٢- العوامل الاجتماعية ٣- ثقافة المجتمع والثقافات المؤثرة ٤- القيادة والاتصال، وغيرها(١).

ويخلص الباحث الى أنَّ هذه المجاميع من الناس تؤدي سلوكاً موحداً من دون الالتفات الى العقل أو الدين الذي يحمل تعاليم الخالق ﷻ، لأن مهامهم تُنجز وفق محددات وأُطر حضارية اجتماعية ثقافية متوارثة مسبقاً، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** ﴾[المائدة: آية/ ١٠٤]، بمعنى أنَّ جميع حركاتهم نحو تقبل التجدد والابداع في الحياة قد توقفت داخل نفوسهم الامر الذي ينعكس على سلوكهم، فتجدهم منهمكين في تقليد المجتمع في قِيَمِهِ وأعرافه

---

(١) يُنظر: اطروحة بعنوان دور السلوك التنظيمي في أداء منظمات الأعمال، بيئة المنظمة الداخلية كمتغير معدل، دراسة على عينة من البنوك التجارية في ولاية الخرطوم، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الفلسفة في إدارة الأعمال، إعداد الدارس: إشراف البروفيسور:، عبد الحق علي إبراهيم بلال حمد إبراهيم أبوسن، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م، ص/ ٤١.

وتقاليده الأمر الذي يقف دون تطور الانسان ويمنعه من تقبل كل جديد وأن كان فيه مصلحته والحل لجميع مشكلاته في الدنيا وتجنب العقاب في الآخرة، فكثيرٌ من الناس يكتشفون حلولاً وطرقاً جديدة لحياتهم أو حياة الناس يتركونها بسبب الخوف من المجتمع، كما ورد ذلك في تفسير من هدى القرآن ما نصه «انظر انهم يقولون حسبنا (اي نكتفي بما نجده عند الاباء) ان حركة الحياة قد توقفت في أنفسهم وأصبحوا يكتفون بالماضي دون أي إبداع أو تطوير، ﴿أَ ولَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً ولا يَهْتَدُونَ ﴾ اي حتى لو أن آباءهم كانوا قد ضلوا الطريق بسبب غياب مصدري التقدم عن حياتهم وهما العلم: وهو ما يكتشفه الإنسان بنفسه، والهدى: وهو ما ينزل عليه من ربه، مع ذلك يقلدونهم وقد توفرت لهم فرصتا العلم والهدى، وتقليد المجتمع هو الاخر يقف امام تطور الإنسان وتقدمه وكم من الناس كانوا يكتشفون طرقا جديدة لحياتهم تركوها خشية المجتمع أو حتى حياء من الناس». [١]

ووفق ذات السياق القرآني ما جاء في وقوله تعالى: ﴿ وإذا قيلَ لهُم اتّبعوُا ما أنزلَ اللهُ قالوُا بل نتَّبعُ ما ألفَينَا عليه آباءَنَا أَوَ لَو كان آباؤُهُم لا يَعقِلوُنَ شيئاً ولا يهتدونَ﴾[البقرة: آية / ١٧٠] [٢]، وقوله تعالى: ﴿بَل قالُوا إنّا وجَدنَا آباءَنَا علي أمّة وإنّا علي آثارِهِم مُهتَدُونَ * وكذلك ما أَرسَلنَا من قَبلِك في قَريَة من نَذير إلاّ قالَ مُترَفوهَا إنّا وجَدنَا آباءَنَا علي أمّة وإنا علي آثارِهِم مُقتَدونَ﴾[الزخرف: آية / ٢٣] [٣].

ثالثاً: السلوك الجمعي الوظيفي:

تعريف السلوك الوظيفي: «هو تفاعل سلوك الفرد مع نظام عمل داخل المنظمة أو المُنشأَة، أو هو سلوك الأفراد والجماعات داخل المنظمة أو المنشأة التي لها أدوار وظيفية محددة ولها مهامها وعليها مسؤولياتها» (٤)،

---

(١)محمد تقى، المدرسي، من هدى القرآن، ٢ / ٤٨١ .

(٢) يُنظر: محمد سيد، الطنطاوي التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط/١ ١٩٩٧، ٣٤٦/١.

(٣) يُنظر: محمد جمال الدين القاسمي، بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت: ١٣٣٢هـ): محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، ط/١ – ١٤١٨ هـ، ٨/ ٣٨٥.

(٤) السلوك الوظيفي ومهارات الاتصال، سلوكيات الفرد، اعداد اون شر: أكاديمية التعليم، موقع كوكب المنا،

كما يوظف الله تعالى سلوك الناس كافة الى عبادته، من خلال كل العبادات التي فرضها عليهم فيوظف ويهيئ نفوسهم من خلال أوامره ونواهيه، وذكر الجنة والنار والجزاء والحساب بألوانه وأشكاله في الدنيا والآخرة حتى يوظف سلوكهم الجمعي الى عبادته تعالى، وما دامت معايير الحق والباطل والامانة والصدق تدخل ضمن جميع مفاصل الحياة، فأن ذلك ينطبق في السلوك الوظيفي والمؤسساتي وفي أقسام الشركات فلابد من توجيه السلوك السليم نحو الحق ونبذ كل خطأ أو باطل أو خيانة للأمانة، وخاصة في أمور الحسابات والمحاسبات وغيرها كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: الآية/ ٤٢]، وان كان سبب نزول الآية أختص بسلوك بني إسرائيل، ولكن وحسب قاعدة « العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»[١] فأن ذلك القول ينطبق على صاحب كل مهمة أو رسالة أو عمل مكلف به في أي مؤسسة أو دائرة، فقد يكون حب المصالح الدنيوية وحب الأنا واشتراك المصالح والاطماع يأخذ بالناس الى كتم الحقيقة واتباع نقيضها كما يحدث في كثير ممن يقودون البلدان والمؤسسات القيادية في الدول والمتحكمون بأرزاق الشعوب، فيكون سلوكهم الجمعي تسيير مؤسسات الدولة وغيرها وفق مصالح ضيقة متأثرين بأطماع الدنيا وزخرفها، مشكلين مافيات وعصابات، تسيّر المنشآت والمؤسسات الحيوية وفق مصالحهم، وكما جاء في تفسير الآية الكريمة: «ان صاحب الرسالة يجب الا يخدع الناس فيظهر لهم الجوانب التي تبرر سلوكياته، ويخفي عنهم الجوانب التي تدين تصرفاته، وهذا ما سوف يقع فيه من لا يسارع الى إتباع الحق»[٢]، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[الانفال: آية / ٢٧]، وقد ورد في تفسيرها: «خيانة الله والرسول بما يسانخ مقامهما عند المكلفين هو التسامح في أداء وظائفهما الملقاة على عاتقهم، وامّا

ط/١، تأريخ النشر: ٢٢/ ١١ / ٢٠٢١م، ص/ ٣.

(١)محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، (ت: ١٣٦٧هـ، مناهل العرفان في علوم القرآن، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط/ ٣، ١/ ٤٥٣.

(٢)محمد تقى مدرسي، من هدى القرآن، ١/ ١٤٢

خيانة الامانة عند ما تنسب للبشر بعضهم مع بعض فتتصور في أكل الودعي مال من استودعه وافشاء سرّه الذي ائتمنه عليه والتعدّي على ناموسه في الخفاء ونظير ذلك ﴿وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ جملة حالية مفادها انكم تدركون خيانتكم عند ما تخونون فلا عذر لكم فيما تعملون، واعْلَمُوا ان جميع ارتباطات الدنيا من مال وأولاد محكّ ومختبر فاعرفوا موقفكم في هذه الاختبارات »[١].

والذي يتدبر الخطاب القرآني للناس جماعات وأفراد، يكتشف من خلاله أنَّه يسير– وفق تشخيصه الى حاجة العباد – الى مثل هذا النظام العبادي العملي السلوكي، وهذه العبادة ليست عشوائية بل هي مقصودة وممنهجة من قبل الباري عز وجل بما يوافق فطرتهم وعلم الله تعالى بهم وحالهم وقدراتهم على أدائها، مما يوضح توظيف الله تعالى الى مخلوقاته وتوجيه سلوكهم الجمعي الى عبادته تعالى من خلال تنظيم سلوكهم[٢]، ويمكن القول أنَّ هذا السلوك الجمعي يتجلى من خلال تكوين وإنشاء مجموعة وظيفية، ويكون المؤسس لهذه المجموعة هي السلطة أو المنظمة أو أيه جهة، والغرض منها هو تحقيق أهداف معينة ومحددة بحدود اطار زمني، وانَّ هذا السلوك الجمعي الوظيفي لا ينتهي بل يبقى موجوداً حتى بعد أن تتحقق تلك الاهداف والغايات المرجوة في حينها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿«قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾[الكهف: آية /٩٥] حيث يوظف(ذو القرنين) سلوك القوم الذين طلبوا منه النصرة والعون على يأجوج ومأجوج بما يمكنهم أن يقدموه له من عمل جماعي تأكيداً على تنظيم وتوظيف سلوكهم الجمعي بما ينتفعون به، بالرغم من تمكين الله تعالى له، فقال أعينوني بقوة ونشاط جماعي ولم يطلب المال أو العلم أو التقنية [٣].

---

(١)محمد الكرمي ، التفسير لكتاب الله المنير، – ايران – قم، ط/ ١، ١٤٠٢ هـ.ق.، ٤ /٢٢ .

(٢) يُنظر: صباح عيدان حمود، بحث بعنوان: اسلوبية التوظيف النفسي لأوامر العبادية في القرآن الكريم، الناشر: كلية التربية – جامعة ميسان، مجلة أبحاث ميسان، المجلد السادس عشر، العدد الثاني والثلاثون، كانون الأول، السنة: ٢٠٢٠ م، ص/ ١٠٣.

(٣) يُنظر: خالد فارس، مقال القيادة الإدارية في القرآن الكريم، في ٢٠ / ٢ / ٢٠١٥م .

فيرى الباحث أنَّه وكما هو في جميع العبادات الجماعية واداء الطقوس والشعائر الدينية التي يجتمع فيها المؤمنون بالله تسليما لما وظفهم الله تعالى لأدائه من عبادات، أراد الله بحمكته ان يرتقي بهم الى رفيع الدرجات، ويُجنبهم الوقوع في الدركات.

رابعاً: السلوك الجمعي الإهتمامي:

وفي ضوء هذا النوع من السلوك الجمعي ونتيجة اهتمام مجموع الافراد، أو الجماعة بما يجمعهم من مشتركات فكرية أو مصالح متشابهة ومشتركة فأنَّ سلوكهم الجمعي يتجه دوماً ومن دون وعي أو تفكير باتجاه تحقيق تلك المصالح والغايات المشتركة حتى وان كانت ليست على الحق والصواب، وبأيّة وسيلة كانت، لان مصالحهم وغاياتهم المشتركة تبرر استخدام كل الوسائل والطرق كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الانبياء: آية / ٦٨] من خلال هذا السياق يتضح إصرار الاقوام السالفة على التمسك والاهتمام بآلهتهم الذي يبرر لهم معاداة ومواجهة الأنبياء، تعبيراً عن اهتمامهم بتلك الآلهة كونها رمزاً للمنظومة الاجتماعية، فهذه الآلهة باهتمامهم ليست مجرد أحجار وتماثيل، انما هي تمثل منظومة التقاليد والقيم التي توارثتها الجماعة جيلاً بعد جيل عن آبائها وغدت الى درجة من التقديس فوق كل مساءلة أو تفكير، وهي عندهم بمثابة الهوية التي تعطي للجماعة الملامح المميزة، فأصبح السلوك الجمعي في الدفاع عنها هو سلوك الدفاع عن الذات، كما يصف ذلك أحد الكُتّاب: « هذه الآلهة ليست مجرد أحجار وتماثيل، بل هي منظومة التقاليد التي توارثتها الجماعة عن آبائها وغدت مقدسةً دون مساءلة وتفكير، وقد تحولت هذه الآلهة إلى هوية تعطي الملامح المميزة للجماعة فغدا الدفاع عنها دفاعاً عن الذات»[١].

ويمكن القول: إنَّ تنوع أشكال والوان العداء للأنبياء والمُصلحينَ من قبل الامم

---

(١) أحمد أبو رتيمة، مدونة: جدلية الفرد والجماعة في القرآن، في ٢٠١٧/٨/٩ .
الرابط : https://www.ajnet.me/blogs/

والاقوام والمنظمات التي تختلف وتتعارض اهتماماتهم ومصالحهم المشتركة مع ما يدعو اليه الانبياء والرسل والمصلحين، فيأخذون بجميع اسباب ووسائل الحرب ضدهم ومنها الحرب الاعلامية وسلوك الدعاية والتشويه كما حصل مع الانبياء السابقين مع اممهم، وما حصل مع نبينا الكريم ﷺ الى يومنا من خلال تنفير الناس وتغييرهم عن الدين القويم،الأمر الذي يؤدي الى صناعة سلوك جمعي معادي الى جميع القِيَم الدينية.

ويستخلص الباحث انَّ من هذه الاساليب في صناعة السلوك الجمعي عند الجمهور نظير ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الفرقان:الآيتان / ٤-٥]، كما ورد في تفسيرها: « إفك افتراه :أي ما القرآن إلا كذباً افتراه محمد وليس هو بكلام الله تعالى هكذا قالوا، ظلمًا وزوراً: أي فرد الله عليهم قولهم بقوله فقد جاءوا ظلمًا حيث جعلوا الكلام المعجز الهادي إلى الإسعاد والكمال البشري إفكا مختلقاً وزوراً بنسبة ما هو بريء منه إليه،اكتتبها: أي طلب كتابتها له فكتبت له»[(١)].

خامساً: السلوك الجمعي المباشر:

الذي يحصل في التجمعات الجماهيرية المزدحمة بالناس كالسفرات أو الاحتفالات أو النشاطات الرياضية أو الدينية وغيرها، وكالسلوك الجمعي يوم رأس السنة، الذي يخرج فيها بعض الناس ليخالف بعض تعاليم الدين، من خلال أفعال وتصرفات وسلوكيات غير موزونة وبعيدة عن كل القيَّم الاخلاقية والدينية، مع كون المناسبة ليست من الاسلام بشيء والتي من خلالها يخرج بعض الرجال والنساء في سلوكهم الجمعي عن بعض تعاليم الاسلام، وما أحل وما حرّم، أو ما يحصل في تشييع الجنائز وغيرها، أو حدوث الكوارث، أو حصول الهيستريا الجماعية، وهو يُعد لوناً

(١) الجزائري، ابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، أيسر التفاسير الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،طم٥، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م،٣ / ٥٩٨.

سلوكياً فطرياً وهو يتصف بالتلقائية غير المقيدة التي تحدث بشكل عفوي[١]، ويذكرنا به قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ﴾ [الجمعة: آية / ١١] سلوك مباشر بسبب حب الدنيا والحرص عليها، الأمر الذي وصل بهم الحال أن يتركوا تجمعهم حول رسول الله ﷺ والتسابق نحو التجارة، خوف فواتها عليهم، وهو حال كثير من الجماعات ومن يعملون في جنيّ الاموال في الوقت الحاضرالذين شغلتهم أعمالهم التجارية والصفقات ومتابعة بورصات العملة عن ذكر الله، فقد ورد في تفسيرها: « نُقل في سبب نزول هذه الآيات وخصوصا الآية ﴿وإذا رَأَوْا تِجارَةً ﴾روايات مختلفة جميعها تخبر عن معنى واحد، هو أنّه في أحد السنوات أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر، فقدم «دحيّة بن خليفة» بتجارة زيت من الشام والنبي يخطب يوم الجمعة فلمّا رأوه قاموا إليه بالبقيع خشية أن يُسبقوا إليه فلم يبق مع النبي إلّا رهط فنزلت الآية، فقال: والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتّى لا يبقى أحد منكم لسال بكم الوادي نارا»[٢]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾[البقرة: آية / ٢٤٩] وهذا سلوك جمعي مباشر اثناء توجه بني اسرائيل لقتال العدو وبالرغم من تحذير طالوت لهم بأنَّ النهر ابتلاء لهم وعليهم أَنْ لا يشربوا من النهر، لكنهم لم يصبروا وكان سلوكهم الجمعي المعصية وعدم الطاعة، الا قليلاً منهم، كما ورد في تفسيرها: «إذا فلا بد من استعداد وقوة كاملة كامنة في ضمير هذا الجيش، بإرادة تضبط الشهوات والنزوات، وتنضبط بقيادتها الصالحة الربانية لكي تجتاز الابتلاء قاهرة غالبة على من تغلبها، لذلك يبلوهم ذلك القائد الرصين الأمين بالعطاش ليعلم من يتصبّر معه ممن ينقلب على عقبيه، ولقد اقتسموا في ذلك الابتلاء إلى ثلاثة أقسام: فمن شرب منه فليس مني كيفما كان شربه فانَّه مخرج، ومَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ، ولَمْ

(١) يُنظر: غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير:، ترجمة وتقديم: هاشم صالح، الناشر: دار الساقي، ط/ ١ ١٩٩١م، ص/ ٢٩ –٣٣.

(٢) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢١٨ / ٣٢٨ .

يَطْعَمْهُ، لا تعني- فقط- من لم يشرب منه، فقد لا يشرب ولكنه يطعم، وهو عوان بين (فليس مني- و- فانه مني) برزخا بين الأمرين، لا هو مخرج ولا هو في صميم الجيش.....، فهم- إذا- أربعة أقسام: من شرب منه- من طعم منه- من لم يطعم واغترف- من لم يطعم ولم يغترف..... وفي تفسير الفخر الرازي ٦: ١٨٢- ان النبي ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاز معه إلّا مؤمن »[١].

ويرى الباحث انَّ ما حصل في الآيات المباركة المتقدمة انما هو سلوك جمعي دفعهم اليه حب الدنيا، وضعف الايمان بالله تعالى، وقد يقع السلوك الجمعي المفاجيء ممدوحاً حين وقوع حالة طارئة أو عزو الاعداء الى بلاد الاسلام الآمنة فيهب المؤمنون للتصدي لذلك الخطر أو العدوان الفاجيء، كما حصل في حالة التصدي للعدو الداعشي من خلال فتوى الجهاد الكفائي، التي سوف يأتي تفصيلها.

سادساً: السلوك الجمعي المرجعي:

توجد سلطة تؤثر على سلوك الفرد الا وهي سلطة الجماعة فتتحكم في سلوك الافراد المنتمين لها، وما تحمله من موروث عقائدي أو أعراف أو تقاليد أو تراث الاباء والاجداد، الذي يجعل من كل ذلك سلطة مرجعية تتحكم بالسلوك الجمعي للجماعات البشرية [٢]، كما هو في مرجعية المشركين من أمم الانبياء ومن مشركي قريش الى تراث الاجداد والاباء كما جاء في الذكر الحكيم: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[الاعراف: آية / ٧٠]، كما ورد في تفسيرها « استبعدوا اختصاص الله بالعبادة و الإعراض عما أشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد و حبا لما ألفوه»[٣].

---

(١) صادقى طهرانى، محمد، الفرقان فى تفسير القرآن بالقرآن والسنه، - ايران - قم، ط/ ٢، ١٤٠٦ هـ.ق.

(٢) يُنظر: رانية المجني - نريمان عمار، سلوك المستهلك :، الناشر: الجامعة الافتراضية السورية -٢٠٢٠م، ص/ ١٣٨-١٣٩.

(٣) عبدالله بن عمر البيضاوى ، أنوار التنزيل و أسرار التأويل (تفسير البيضاوى)، ٥جلد، دار إحياء التراث العربي - لبنان - بيروت، چاپ: ١، ١٤١٨ هـ.ق، ٣/ ١٩.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[هود: آية /٦٢] التي ورد في تفسيرها: «استفهام إنكاري بداعي المذمة و الملامة، و الاستفهام في مقام التعليل لما قبله محصله أن سبب يأسهم منك اليوم أنك تنهاهم من إقامة سنة من سنن مليتهم و تمحو أظهر مظاهر قوميتهم فإن اتخاذ الأوثان من سنن هذا المجتمع المقدسة، و استمرار إقامة السنن المقدسة من المجتمع دليل على أنهم ذوو أصل عريق ثابت، و وحدة قومية لها استقامة في الرأي و الإرادة»[١]، و قوله تعالى ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾[الزخرف: آية / ٢٢] التي ورد في تفسيرها: « و فيه تسلية له ﷺ، و دلالة على أن التقليد في نحو ذلك ضلال قديم، و أن مقلديهم أيضا لم يكن لهم سند منظور فيه، و تخصيص المترفين، إشعار بأن النعم وحب البطالة، صرفهم عن النظر إلى التقليد»[٢].

ويرى الباحث انَّ السلوك الجمعي المرجعي، وهو ذاته السلوك الجمعي الذي يعود الى تقليد الاباء والاجداد والموروث من العادات والتقاليد والاعراف، والعقائد الفاسدة، اذ يُعد كل ذلك مرجعاً تبني تلك الجماعات سلوكها وفقه.

سابعاً: ومن أقسام السلوك الجمعي «**السلوك الجمعي الديني**» إن تتوفر الشروط الموضوعية التي تفسر كون السلوك الديني هو سلوك جمعي وقد تنطبق هذه الشروط في بعض نقاطها على بعض مصاديق السلوك الجمعي غير الديني ، كما هو سلوك الجمعي عند بعض الاحزاب السياسية ، أو السلوك الجمعي عند مجموعة أبناء العشيرة الواحدة .، وغيرها من المجاميع ذات السلوك الجمعي ، ومن هذه الشروط ما يأتي:[٣]

١- **الإلزام الديني:** المتمثل بالأوامر والنواهي، والشروط التي يفرضها الشارع المقدس

---

(١) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن،السيد محمد حسين، ١٠ / ٣١٢.

(٢) القاسمي، محاسن التأويل، ٨/ ٣٨٥.

(٣) يُنظر: زهير الاعرجي، منشور بعنوان: مصطلحات اجتماعية: السلوك الجمعي، اشكالية التعامل مع السلوك الجمعي، الناشر: شبكة النبأ المعلوماتية- الثلاثاء ١٠ تموز/٢٠٠٧ -٢٥/جماد الاخرى/ ١٤٢٨ .
الرابط : https://annabaa.org/nbanews/٦٤٣٠٣.htm.

لتأدية العبادات والطاعات التي حدث من خلالها السلوك الجمعي، فإن لم تكن هناك الزامات دينية لتأدية تلك العبادات مثل التجمع لأداء صلاة الجمعة أو الجماعة أو تأدية مناسك الحج ما يحصل في ذلك التجمع والانتظار الجماعي في هذه الاماكن المعينة، وحتى الأمر الإلهي جاء بصيغة الجمع، كما هو في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[الحج: آية / ٢٧]، وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[الجمعة: آية / ٩]، وهنا يظهر التوجيه الالهي للسلوك الجمعي الديني للعباد بأن يكون سلوكهم بمجرد سماع نداء صلاة الجمعة هو القدوم للصلاة وترك جميع السلوكيات ذات المنافع الدنيوية من بيع وشراء أو غيرها كما ورد في تفسيرها: «أي إذا أذّنَ لها في ذلك اليوم وقعد إمام الجماعة على المنبر للخطبة فَاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللَّهِ يعني امشوا مسرعين إلى الصلاة وامضوا إليها دون تلكّؤ وسيروا بنيّة صادقة وسكينة وخشوع وذَرُوا الْبَيْعَ، اتركوا البيع والشراء على السواء وقد بولغ فقيل: كلّ بيع تفوت فيه الصلاة يوم الجمعة فهو بيع حرام بمقتضى ظاهر الآية الكريمة ذلِكُمْ أي ما أمرناكم به من المبادرة الى صلاة الجمعة وترك البيع خَيْرٌ لَكُمْ أكثر فائدة إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ما ينفعكم وما لا ينفعكم وتعرفون المصالح والمفاسد» [(١)]، وكذلك هو الأمر في بقية العبادات كالأمر بالصوم والجهاد ونحوها، فأنَّ قسماً يحمل تلك الصيغة الشرطية الإلزامية يتوجب أن تجمع سلوك المؤمنين للقيام بها مجتمعين ومن دون نقاش أو سؤال أو اعتراض ويسلموا تسليما، فيتوجب على العبيد التسليم المطلق من دون قيدٍ أو شرط، بل يتوجب عليهم أن يجعلوا ارادتهم وكل سلوكياتهم تبعاً لإرادة الله تعالى، لأن الله تعالى هو المقصد والهدف والنبي هو الهادي والموصل لذلك المقصد، وعليه فمن ترك القصد، ولم يلتفت لقول الهادي فقد وقع في الضلال لا محال، والأمر الذي يجب الالتفات اليه، أنَّ كل ذلك الإلزام والشرط من الله تعالى والتسليم لله ورسوله من العباد لا يحتاجه الله

(١) محمد السبزواري، الجديد فى تفسير القرآن المجيد، ٧جلد، دار التعارف للمطبوعات – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤٠٦ هـ.ق، ٧ / ١٥٩ ..

لأنَّه الغني عن عباده، ولا يحتاجه الرسول الكريم ولكنه يقع في مصلحة الانسان الذي غالباً ما يكون جاهلاً لتلك المصلحة (١)، وفي السياق ذاته قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر: آية / ٧] التي ورد في تفسيرها: « وامتثلوا أمره، و هذه الآية عامة في كلّ ما يأمر به حضرة الرّسول و ينهى عنه، لأنه لا يقول إلّا حقا و لا ينطق إلّا صدقا و لا يتكلم عن هوى»(٢)

٢- **الدوافع الذاتية:** والتي تنشأ من الهيجان العاطفي والتهاب الوجدانِ من قبل المؤمنين، حول مأساة النبي ﷺ وما عانه وما وقع على أهل بيته من بعده (عليهم السلام) وبالخصوص واقعة الطف المؤلمة لكل ضمير حي، الذي يأخذ بالمؤمنين وتحت وطئ العاطفة والحب الذي يصل الى الجنون فيقومون بإحياء تلك المناسبات الأليمة بالبكاء واللطم على الصدور وبذل كل غالي ونفيس من مال أو جهد أو راحة مما يفقد فيه الفكر ويذوب فيه الشعور، في سبيل احياء ذكراهم التي يؤمنون ان احيائها هو احياء لشعائر الله تعالى وتخليداً لدينه الحنيف ونصرة للحق واستجابة لقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[الحج: آية/ ٣٢]، فهذه التجمعات البشرية التي يغر سلوكها الايمان بالله، والحب، والعاطفة الجياشة ما سلوكها في ذلك الا سلوكاً جمعياً دينياً.

٣- **القول المشترك بوحدة الهوية ووحدة الانتماء العقائدي والمذهبي:** وهذا الشرط مهم جداً، على الرغم من تقيده بالطبيعة الموضوعية لشروط التجمع، فقد يحصل السلوك الجمعي بسبب أكثرية يجمعها الانتماء الموحد كما هو الحال عند التجمع الى سماع محاضرة إسلامية عامة حيث يصحب ذلك التجمع شعور مشترك بين افرادها بوحدة الدين أو المذهب، وقد يحصل السلوك الجمعي بأقلية متناثرة داخل تلك الاكثرية اذا كان الدافع وراء تجمعها هو الشعور بالانتماء المذهبي ليس الا والشعور

---

(١) يُنظر: نَاصِر مَكارم الشِيرازي ،الأَمْثَلُ في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل:، ٢٥٨/١٣ ويُنظر: الحريملي النجدي: توفيق الرحمن في دروس القرآن: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك «ت: ١٣٧٦هـ»، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، الناشر: دار العاصمة، المملكة العربية السعودية – الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم – بريدة، ط/١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م، ٣/ ٥٠١.

(٢)عبدالقادر آل‌غازى، ، بيان المعانى، مطبعة الترقي – سوريه – دمشق، ط/ ١، ١٣٨٢ هـ.ق، ٦ / ٩٤ .

بالانتماء للدين أو المذهب عند المؤمنين المخلصين لله هو شعور بالانتماء لله تعالى الذي يتجسد في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[الرعد: آية / ٢٨]، وكما كان من سلوك اصحاب الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وبالرغم من علمهم بصيرهم اذ وقعوا جميعاً تحت فتك السيوف والرماح والنبال فكانوا خير مصداق لقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: آية /٢٣]، وبالرغم من معرفتهم أن معركتهم خاسرة بالمقاييس العسكرية الدنيوية، لكنهم سلموا لله أمرهم يدفعهم ايمانه بالله وولائهم للدين الحنيف وحرصهم وخوفهم عليه من أن يطمسه أعداء الله.

٤- **وجود الهدفية في التجمع:** مما يميز السلوك الجمعي الديني وجود الهدف منه بخلاف التجمع الذي يحصل من الافراد في ساحة ما، أو في الحافلة، فهناك الهدف منتفي، في حين يحصل السلوك الجمعي الديني عندما يدعو الداعي الى التجمع لأداء صلاة العيد، وعندما يبكي المؤمنون جميعاً على مصيبة الامام الحسين عليه السلام في تجمع داخل احدى الحسينيات، كما جاء في الهدف من السجود والخضوع والتذلل لله تعالى هو العبادة له وحده لا شريك له كما في قوله تعالى: «فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾[النجم: آية / ٦٢]، والتي جاء في تفسيرها: « و المعنى:إذا كان كذلك فعليكم أن تسجدوا لله و تعبدوه ليكشف عنكم ما ليس له من دونه كاشفة»[١]

٥-**وجود القيادة العملية:** يتوجب في السلوك الجمعي الديني توفر القيادة الموجهة كما كانت قيادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم و الأئمة من بعده (عليهم السلام)، وقد يكون القائد لهذا السلوك والمحرك له امام الجماعة أو المرشد الديني أو المبلّغ أو الخطيب وخصوصاً في احياء ذكرى المناسبات الدينية وبالذات مناسبات آهل البيت (عليهم السلام)، كما وأن ذلك كله يعتمد على امكانية وقدرة القيادة في تحريك السلوك الجماهيري، بحيث يكون ذلك السلوك منسجماً مع أهداف الدين ورسالته الخالدة في الحياة الاجتماعية.

ويرى الباحث أن شروط السلوك الجمعي الديني هنا تختلف عن شروط نظرية

---

(١) الطباطبائي، تفسير الميزان، ١٩ / ٥١ .

«نيل سميلسر»[*1] في السلوك الجمعي، فقد آمنت نظرية نيل سميلسر بمقومات السلوك الجمعي التي يغطيها لون من العنف والشغب ولون من الكراهية، في حين نجد شروط السلوك الجمعي الاسلامي تمتاز بالخير والسلام، كون الدين الاسلامي هو دين السلام والمحبة والخير، ,وفي حال استجاب المسلمون وقدموا كل المقدمات الصحيحة التي الزمهم الله تعالى بها في شعيرة الحج فإن السلوكيات والنتائج كلها خير ومحبة وسلام وانسجام، ولانَّ من رسم الرسالة رسمها بالالتزام بالتعاون والتكاتف والتأخي، ووفق ذلك فانَّ الدين قد وفر الأجواء، المناسبة لسلامة السلوك الجمعي الاسلامي الانساني المتكامل[٢].

ويخلص الباحث مما تقدم الى قول: إنَّ السلوك الجمعي في كونهِ سلوك لأَفراد الجماعة المتشابهة، الناتج من استجابة أولئك الأفراد لمؤثرات معينة ومختلفة، وانَّ من خصائص هذا السلوك يمتاز بافتقاره الى التنظيم والتفكير في أغلب صوره، وعلى الرغم من عدم خروجه من دائرة كونه سلوكاً اجتماعياً، ذلك لأنَّ حصوله لا يكون الا ضمن ممارسات الافراد لسلوكيات جماعية مستمرة مع استمرار الحياة الاجتماعية للناس، ومن خصوصيات السلوك الجمعي أنَّه قد يتأثر بسلطة معينة، أو تأثير أعراف أو تقاليد متسلطة على أفراد المجموعة، أو قد يحدث تلقائياً آنياً نتيجة لتأثير ظرف طارئ غير متوقع.

(*) (نيل سميلسر) «هو عالم اجتماع أمريكي، كما عمل كأستاذ في علم الاجتماع في جامعة كاليفورنيا ويعتبر سميلسر باحث اجتماعي بحث في مواضيع حول السلوك الجمعي، وعلم الاجتماع الاقتصادي وعلم اجتماع التعليم والنظرية الاجتماعية والتغير الاجتماعي وأساليب المقارنة.
ويعتبر سميلسر من مؤسسي علم الاجتماع الاقتصادي، حيث أن سميلسر درس مع تالكوت بارسونز واعتبر أن النظرية الوظيفية هي تمثل النظرية العامة في التغير الاجتماعي» المصدر، الشبكة العنكبوتية، انتصار العتوم، مقال في ٣٠/ ٣ / ٢٠٢٠م .

الرابط : https://e arabi.com

(٢) يُنظر: زهير الاعرجي، منشور بعنوان: مصطلحات اجتماعية: السلوك الجمعي، اشكالية التعامل مع السلوك الجمعي. https://annabaa.org/nbanews/٦٤/٣٠٣htm.

االمبحث الثاني: السلوك الجمعي وارتباطه ببعض المفاهيم التي فسرت وبيَّنت ظواهر السلوك الجمعي

يستلزم البحث استعراض بعض المفاهيم الاساسية في تفسير معظم مظاهر السلوك الجمعي وعلى النحو التالي [١]:

المطلب الأول : بعض المفاهيم المرتبطة بالسلوك الجمعي:

أولاً: العقل الجمعي والسلوك الجمعي:

١-**العقل الجمعي:** يعرفه معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية على أنَّه: « الاتجاه الموّجه والمنظّم الذي يسود سلوك الجماعة نحو أي موضوع مستقلاً عن كل فرد من أفراد الجماعة »[٢].

ويذكرصاحب كتاب مقدمة في السلوك الجمعي «بأنَّ مفهوم العقل الجمعي نَتَجَ عن اعتقاد بأنَّ تفاعل الناس في جماعات اجتماعية يؤدي الى ظهور صفة جمعية سُميت بأسماء متعددة منها (عقلاً) أو (روحاً) أو (شعوراً) وهذا العقل المفترض عُدَّ بوصفه القوة المهيمنة على كل الفعاليات الجمعية »[٣].

تذوب الافكار الذاتية للشخص المنخرط في الجمهور، فتظهر عليه صفات يتحاشى قبولها على شخصه قبل أنَّ يفقد ذاته الواعي لاندماجه في الجماعة، كما يصف ذلك غوستاف لوبون، «هنا يشبه لوبون الجمهور النفسي، المحكوم بقوى اللاشعور الطاغية، بالإنسان المنوم مغناطيسياً...فإنه يصبح عبداً لكل فعالياته اللاواعية، ويصبح منوِّمه قادر على توجيهه الوجهة التي يشاء»[٤].

---

(١) يُنظر: حاتم الكعبي: السلوك الجمعي، ١/ ١٠٣- ١٣٦.

(٢) بدوي: أحمد زكي معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص/ ١٨٥ – ١٨٦.

(٣)الإمارة: أسعد شريف، مقدمة في السلوك الجمعي، ص/٤٤-٤٥.

(٤) جورج طرابيشي: علم نفس الجماهير وتحليل الأنا، ترجمة وتقديم:، الناشر: دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان، ط/ ١ – ٢٠٠٦م، ص/ ١٣ .

في حين يرى أخرون أنَّ العقل الجمعي هو روح تسود مجتمع أو جماعة ما وتصفهم أنهم أقرب الى الشعور والوعي من غيرهم، ولذلك فكثيرا ما يُستخدم أو يُشار الى العقل الجمعي بمعنى الشعور الجمعي، ويسمي ايضاً العقل الشعبي، وهي كما يظهر معاني مترادفة، والعقل الجمعي غالباً ما يوجد مستقلاً عن اعضاء الجماعة وهم منفردين، وهو الذي يوجه سلوك الجماعة والافراد، فيرى الباحث من خلال ذلك أنَّ العقل الجمعي سابق للسلوك الجمعي.

ولقد اختلف الباحثون في منشأ وطبيعة وخصائص هذا العقل، فبعضهم قال: ما هو الا مجموع عقول افراد الجماعة، في حين ترى فئة أخرى من الباحثين: على أنَّه معدل أو حصيلة تلك العقول، وترى فئة ثالثة: أنه بين أن يمثل أذكى عقل أو أغبى عقل من بين أفراد المجموع، ويرى جمع آخر: كونه عقلاً مستقلاً منفرداً أي ليس مجموع عقولهم، ولا صفة لتلك العقول، انما عقلٌ مستقلٌ خارجٌ عن تلك العقول، ولكنه وبالرغم من ذلك فهو يهيمن عليها في مثل تلك الظروف[1].

مّما تقدم يرى الباحث أنَّ العقل الجمعي مشاعر وأفكار داخلية اجتمع عليها جمع من الناس بتأثير محفزات وظروف وقوى معينة قد يكون ذلك المحفز على حق أو على باطل لكنه استغل ظروفاً معينة فتمكن من التجلي والسيطرة والتمكين متغلباً على ما تحته من العقول، وماحياً لدورها في انتاج السلوك، فقد يكون عقلاً جمعياً إيجابي كما في تعالى بقوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: آية / ١٠٤]، فالعقل الجمعي اذا كان ايجابياً تمثل بالقيَّم الانسانية النبيلة والعليا، مثل العفة والصدق والحرية والعدل ,غيرها، وقد يكون عقلاً جمعياً سلبياً، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا

(١) يُنظر:: أسعد شريف الإمارة ، مقدمة في السلوك الجمعي، ص/ ٤٦ –٤٧.

أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[المائدة: آية / ١٠٤]، اذ تجدهم من خلال التقليد الاعمى يتشكل عندهم عقلُ جمعيٌّ يُعارض كل جديد، يدعوهم الى التغيير والاصلاح، وان كان فيه خير لهم، وذلك حمايةً منهم للأفكار المتوارثة، فقد جاء في تفسيرها: «أيتبعون آباءهم وإن كان آباؤهم جهالاً، فنهاهم الله عن التقليد، وأمرهم بالتمسك بالحق وبالحجة» (١)

٢-**العقل الجمعي وعلاقته بالسلوك الجمعي:** قد يقع (العقل الجمعي) المقدمة للسلوك الجمعي في بعض الاحيان، كما هو في الاستجابة للرأي العام أو الموضة، أو البدعة ولذلك أمرنا القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: آية / ١٨]فيكون العقل الجمعي هو الموجّه والمنظّم لسلوك الجماعة، وفي بعض الاحيان يكون القيام بالفعل في الاندماج مع الجماعة يغيب فيه العقل ويصمت صوت الضمير كما هو في الهيجان الجمعي للأفراد المنخرطين في جمهور يقوم بأفعال، ويرضى على أشياء لم يكن ليقوم بها الفرد في حياته الاعتيادية، قد يكون الفرد ذائب التفكير مع عقل الجماعة الجمعي ومن ثم جاء بالسلوك الموافق لما تعتقد وتؤمن به الجماعة كما هو في حالات الارهاب الذي يقوم بزهق ارواح الناس، مشرعنين سلوكهم وفق معتقدهم.

وفي بعض الاحيان يظهر السلوك الجمعي آنياً وبصوة مفاجئة نتيجة ردود فعل على حادث معين في الشارع أو في مكان يضم مجاميع من الناس كحدوث الحريق أو حادث معين أو وقوع العذاب المفاجئ كما جاء في القرآن الكريم فترى تغير سلوكهم الى التضرع والتوبة بعدما رأوا العذاب كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ

(١) السمرقندي : بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السمرقندي أبو الليث، الناشر: دار الكتب العلمية; سنة النشر: ١٤١٣ - ١٩٩٣، ١/ ٤٢٣.

عاصِفٌ وَجاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ «٢٢» فَلَمَّا أَنْجاهُمْ إِذا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ «٢٣» ﴾[يونس: ٢٢-٢٣]، واحيانا يكون السلوك الجمعي استجابة لظرف معينة كما في الثورات، أو يحصل استجابة لعبادات وطقوس دينية معينة امتثالاً لأمر الشارع المقدس كما هو في الشعائر الدينية كالحج والزيارات الى المراقد المقدسة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: آية / ٢٧].

ثانياً: الإيحاء « الاستهواء – التلقين» والسلوك الجمعي:

١-**الإيحاء في اللغة:** «إلقاء المعنى في النفس بخفاء وسرعة» (١).

٢-**الإيحاء في الاصطلاح:** وقد جاء تعريفه في معجم علم النفس «هو قيادة المرء لقول وجهة نظر معينة دون أن يسبق له فحصها فحصاً دقيقاً، والفكرة الموحى بها اليه تكون في الغالب كافية كأساس للعمل فان المرء يقبل الفكرة ويعمل بمقتضاها دون تفكير بالمشروع، فالإيحاء (هو المنبه) يبدأ حركة سلوك الانسان على اساس تحضير سابق، وهو ايضاً محاولة التأثير في تفكير الشخص واتجاهاته الوجدانية وسلوكه الحركي بدون استخدام اساليب الاقناع المنطقية أو اساليب الامر والنهي، وكل انسان، ان كثيراً أو قليلاً، قابل للإيحاء» (٢).

وفي الإيحاء الجماعي يقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ

---

(١) الجرجاني: علي بن محمد بن الزين الشريف «ت ٨١٦هـ» التعريفات: علي، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط/١ ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، ١/ ٤٠ .

(٢) منير وهبة الخازن: معجم مصطلحات علم النفس، قدم له: كمال يوسف الحاج، الناشر: دار الجامعيين للنشر، ص/ ١٤١.

وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الانعام: آية/ ١١٢]، بمعنى أن الشياطين يلتقون ليُعلِّم بعضهم بعضاً «يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ» كيفية اغواء الناس وتغيير سلوكهم الى المعصية والابتعاد عن الله تعالى[١]، ويرى الباحث إنَّ الإيحاء قد استُخدِم في مجال السلوك الجمعي بدرجة كبيرة وخاصة في تفسير ظواهر الرأي العام، والموضة، والدعاية، وخصوصاً من قبل غوستاف لوبون.

٣- الإيحاء والسلوك الجمعي

وينقسم الناس من ناحية تأثرهم بالإيحاء على مجموعتين[٢]:

المجموعة الأولى: من أثر فيهم الإيحاء أثراً ايجابياً، كما هو الإيحاء الى أم موسى، وكما في الإيحاء الى الحواريين مِنْ قِبلِ الله تعالى مما غير في سلوكهم الى الايمان وجعل منهم النخبة من المتبعين لعيسى عليه السلام في العمل الصالح وإطاعة الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: الآية / ١١١] اذ يُبيّن الله تعالى أنه قذف حب عيسى عليه السلام في قلوبهم فجعلهم أنصاره فصار سلوكهم الايمان والطاعة، يقول صاحب الميزان: «أن إجابتهم إنما كانت بوحي من الله تعالى إليهم وأنهم كانوا أنبياء فيكون الايمان الذي أجابوه به هو الايمان بعد الايمان»[٣]، بمعنى انَّهم ازدادوا ايماناً فوق ايمانهم الأول بفعل الايحاء، وكذلك ورد في تفسيرها: «الظاهر أن الوحي على ألِسنة الرُسل والرسول هنا هو عيسى عليه السلام وهذا الإيحاء هو إلى الحواريين هو من نعم الله

---

(١) يُنظر: هاشم الحسيني البحراني: البرهان في تفسير القرآن، الناشر: مؤسسة البعثة، ٢/ ٤٦٩ .

(٢) ينظر: أسعد شريف الامارة : مقدمة في السلوك الجمعي، ص/ ٤٩.

(٣)محمد حسين، الطباطبائي: الميزان في تفسير القران منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، ٣/ ٢٠٤.

تعالى على عيسى بأن جعل له أتباعا يصدّقونه ويعملون بما جاء به.»[1]، بمعنى أن هذا الإيحاء جاء عن طريق الإلهام، ويرى الباحث أنَّه بسبب ذلك الاحياء الملقى من الله تعالى في قلوب الحواريين وتسليمهم له، تولد السلوك الجمعي عندهم باتجاه سلوك جمعي ايجابي تجلى بالإيمان بعيسىعليه السلام ونصرته.

قد يقول قائل اذا اين فضلهم الذي يميزهم عن غيرهم اذا كان بسبب الايحاء من الله ؟ فالجواب ان ذلك كان بسبب لطف الله بهم لما كان لديهم من استعدادات ومقدمات ايمانية بالله تعالى وكما وصف صاحب الميزان في التفسير المتقدم (فيكون الايمان الذي أجابوه به هو الايمان بعد الايمان).

المجموعة الثانية: من أثر فيهم الإيحاء أثراً سلبياً، فلم يكن الإيحاء أو الوحي في غالب الخطاب القرآني انما هو فقط ذلك الخطاب القرآني الذي خص الله به أنبياءه، ورسله والصالحين من عبادة وبعضاً من خلقه، بل إنَّ هناك إيحاء سيئا من قبل الشياطين من الجن والانس بعضهم الى بعضٍ زخرف القول غروراً كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[الانعام: آية/ ١١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[الانعام: آية / ١٢١]، والمقصود بالشياطين في الآية المباركة هم أبالسة الانس وان تعددت صورهم الذين يموّهون الحقيقة، ويزخرفون القول، ويثيرون الشبهات، التي غالباً ما يخدعون بها السذج والبسطاء من الناس[2]، فيحدث رأياً عاماً عند هذا الجمهور المعيَّن ينتج عنه سلوكاً

---

(١) ابو حيان، محمد بن يوسف، تفسير النهر الماد من البحر المحيط، ٢جلد، دار الجنان – لبنان – بيروت، چاپ: ١، ١٤٠٧ هـ.ق، ٦٤٢/١.

(٢)محمد جواد مَغنية: التفسير الكاشف :، الناشر: دار الأنوار للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط/ ٤، ٣/ ٢٥٥-٢٥٦.

جمعياً، وقد تعددت والوسائل والأدوات عند الشيطانِ وجنودِه في الوقت الحاضر عن طريق الاشاعة، والاعلام في صناعة الرأي العام وعن طريق وسائط متعددة مثل وسائل الاعلام ومواقع التواصل الاجتماعي وغيرها.

ومن الممكن القول: أنَّ هناك عدة من العوامل تجعل من عملية الإيحاء نافذة المفعول ويتحقق من خلالها السلوك الجمعي، منها:

أ- الاشتراك الذي سببه «المقاربة» فتتحقق الوحدة الجزئية من خلال وحدة السلوك، ونعني بنظرية التقارب والتجمع بأنَّ سلوك الناس لا ينتج من حشدهم، انما ينتقل الى الناس بواسطة افراد معينين، وعليه نجد الحشود كلها متقاربة في مزاج وتفكير أفرادها، بتعبير آخر لابد من التمييز بين «نظرية العدوى» التي فحواها أن الحشد نفسه هو يقود الناس لتسلك طريقة معينة في السلوك، وبين «نظرية التقارب» التي فحواها انَّ الناس الذين لديهم الرغبة والميل للتصرف بطريقة معينة والذين يتشابهون في التفكير، أو يحملون هدف مشترك هم من يسعون مجتمعين لتشكيل سلوكهم الجمعي، وليس الحشد هو من يولد سلوكهم في الكراهية الطائفية، أو الدينية مثلاً أو العنف، بل إنَّ السلوك الجمعي يتكون وينشأ نتيجة التقارب الحاصل بين أُناس هم اساساً يحملون ذلك الميل الى السلوك المعيَّن[1]، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: آية / ٢٢] إذ ورد في تفسيرها: «أي على طريقة، تقصد وهي ملتهم ﴿وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ﴾ أي على سننهم (مُهْتَدُونَ)، أي ذاهبون مستنين»[2]، وخير ما يبين ويوضح ذلك «مذبحة جونز تاون» في١٨ نوفمبر

(١) يُنظر: علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية «كتاب الاسس العامة والدوافع وسيكلولوجية الجماعات، ص/ ١٨٥، ٤٠٤ .

(٢) السيواسى، احمد بن محمود، عيون التفاسير، ٤جلد، دار صادر – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤٢٧ هـ.ق ٤/ ٨٦.

– تشرين عام ١٩٧٨، التي انتهت بانتحار أكثر من٩٠٠ شخص وبشكل جماعي من ضمنهم مجموعة من الاطفال والنساء، في مكان وزمان واحد، إنَّ هؤلاء المنتحرون يعودون الى طائفة دينية عجيبة وغريبة الاطوار، كما يذكر صاحب كتاب نار تحت الرماد:«هي طائفة بروتستانتية متطرفة تأسست في كاليفورنيا عام ١٩٦٣م، وبلغ عدد أعضائها ثلاثين ألفاً...الأب جونز نفسه، الذي قاد عملية الانتحار الجماعي، وكأنها صلاة أو طقس ديني »[١].

ب–الاغترار الذي يأتي من الاطراء والامتداح، وان كان غير صحيح ولا يوافق المعقول، ولكن غالبية الناس يتقبلونه لأنه في الغالب ما يخرج عن سيطرة العقل، ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: الآية / ١٨٨] فقد ورد في تفسيرها «الخطاب للرسول ﷺ، ومن (ضم الباء) جعل الخطاب له وللمؤمنين، والمفعول الأول الَّذِينَ يَفْرَحُونَ والثاني بِمَفازَةٍ، وقوله فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ تأكيد والمعنى: لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق وإظهار الحق والإخبار بالصدق، بمفازة بمنجاة من العذاب أي فائزين بالنجاة منه»[٢]، وكذلك مما ينخدع به الناس ويغترون به السعة في النعمة مِنَ الله عليهم على الرغم من معاصيهم وذنوبهم كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: آية / ٤٤] جاء في تفسيرها «قال: مكر بالقوم ورب الكعبة، أعطوا حاجتهم ثم أخذوا، رواه ابن أبي حاتم، وقال قتادة: بغت القوم أمر الله، وما أخذ الله قوما قط،

(١) مصطفى محمود، نار تحت الرماد، الناشر : دار المعارف ، ط/ ٦ – القاهرة / ص/ ٣.

(٢) البيضاوى، عبدالله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط/ ، ١٤١٨ هـ.ق.، ٢ /٥٣ .

إلا عند سكرتهم وغرّتهم ونعمتهم، فلا تغتروا بالله، فإنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون، رواه ابن أبي حاتم أيضا» [1]

فيبتني السلوك حينها على اعتبارات عاطفية وليست منطقية، كما هو حال الدول التي انعم الله عليها بالوان النعم فطغت على غيرها من الشعوب، وكالتمييز العنصري وغيره.

ت – طبيعة الوسط الذي يتلقى الإيحاء، فالوسط القائم على الاستماع لوسائل الاعلام والاشاعة، يؤثر أكثر مما هو عليه الوسط القائم على الرؤية أو القراءة أو المشاهدة، وخصوصاً اذا كان ذلك الوسط هو وسط مغرض ويتربص لإيقاع الفتنة التي تؤثر في السلوك الجمعي للمجتمع، ويتضح ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء: آية /٨٣]، جاء في تفسير البغوي «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَبْعَثُ السَّرَايَا فَإِذَا غَلَبُوا أَوْ غُلِبُوا بَادَرَ الْمُنَافِقُونَ يَسْتَخْبِرُونَ عَنْ حالهم، فيفشونه، وَيُحَدِّثُونَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يُحَدِّثَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُضْعِفُونَ بِهِ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِذا جاءَهُمْ يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ» [2]

ث– عوامل اخرى لها الاثر الفعال في تفسير الايحاء ومنها: عوامل الجهل والجنس والعمر والهياج العاطفي ومدى التهيؤ للاعتقاد، وكذلك يعتمد تقبلهم الإيحاء على انسجام ذلك مع مواقفهم الحالية، ومثل ذلك بيَّنه القرآن الكريم من خلال وصف حال

---

(١) ابن كثير، اسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم «ابن كثير»، ٩جلد، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤١٩ هـ.ق، ٣/ ٢٢٩.

(٢) البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي «المتوفى: ٥١٠هـ»، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: محيي السنة، أ، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت ط/١، ١٤٢٠ هـ، ١/ ٦٦٧.

قوم لوط كيف يستجيبون الى وحي الشهوة والرغبة الجنسية بالرجال دون النساء مما يؤثر في سلوكهم الجمعي الى قطع الطريق والاعتداء على الغرباء الذين يمرون في طريق مُدنهم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[الأعراف: آية/ ٨١] كما يصفه صاحب الظلال «فهذه هي الجاهلية الحديثة في أوربا وفي أمريكا ينتشر فيها هذا الانحراف الجنسي الشاذ انتشاراً ذريعاً» (١).

فمما تقدم من دلائل يرى الباحث ان السلوك الجمعي يحدث نتيجة الايحاء الذي يُحدد هويته مصدر ذلك الايحاء فإن كان مصدره خير كان السلوك الجمعي ايجابي كما هو سلوك الحواريين مع عيسى، وإن كان مصدر الايحاء الشر كان السلوك الجمعي سلبياً كما هو في ايحاء الشياطين لبعضهم بعض أو لأوليائهم من الإنس، أو ايحاء النفس الامارة بالسوء لمجاميع من البشر فيكون سلوكهم متشابهاً نتيجة تقارب نفوسهم وتفكيرهم ووحدة المؤثر والدافع عندهم.

ثالثاً: التقليد:

١ –**التقليد في اللغة:** جاء في كتاب العين «تَقَلَّدتُ السيف والأمر ونحوه، الزمته نفسي، وقلّدنيه فلان، أي وجعله في عنقي »(٢)،أما في لسان العرب: « قَلَده قِلاداً وتَقَلّدَها منه التقليد في الدين، وتقليد لولاة الإعمال: أيجعل في عنقها شعار يعلم به أنَّها هدي، وقلَّده الأمر ألزمه إياه»(٣) .

٢–**التقليد في الاصطلاح:** جاء تعريفه في علم الاجتماع، فقد عرَّفه الدكتور مصلح

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن :، الناشر: دار الشروق، ط/ ٣٢– ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، ص/ ١٣١٥.

(٢) الفراهيدي: بو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم ا البصري «ت ١٧٠هـ»، كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال،٥/ ١١٧.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، ٣٦٧/٣ .

الصالح في كتابه «الشامل» بأنَّه: ﴿ نمط سلوكي يقبله المجتمع عموماً دون دوافع اخرى عدا التمسك بنسق الاسلاف، ويفتقر التقليد الى قوة الجزاء التي تتوافر في العادات الشعبية ﴾[١]، ووفقاً لما تقدم فالتقليد مطابقة السلوك المتمثل بعمل وقول الغير من خلال الاقتداء به والاتباع له وجعل العهدة عليه، والتأثر به مما يغير ذلك في سلوك الافراد الذي يندفع الى تغيير سلوك الجماعة من دون تحكم العقل في ذلك، وقد يكون التقليد عقلياً و ممدوحاً في بعض اشكاله كما في تقليد الجاهل للعالم[٢].

وقد عدَّ علماء الاجتماع التقليد من الاساسيات في السلوك الجمعي لأهميته في الحياة الاجتماعية، فالتغيير الاجتماعي مستمر وحادث في كل عصر، وذلك كون الناس عادةً ما يقلدون كل جديد، وما هو بارز، وهذا يدلل على انَّ المجتمع ينقرض ويتهالك من دون التَجدّد والتقليد للجديد، وفي ضوء ذلك تبنّى علماء الاجتماع مبدأ التقليد في تفسير السلوك الجمعي[٣].

أنَّ التقليد في الاختراعات والابتكارات ونقل التكنلوجيا النافعة للبشرية شيء ممدوح ومما يوجبه العقل والمصلحة العامة للمجتمع، ولكن التقليد من دون ادراك ولا وعي ولا تأكد وتمحيص، وخاصة للغرب في أمور بعيدة عن الدين الاسلامي، والتبعية الكاملة وتَولي الغرب في استباحة الفجور والربا والزنا والكذب والبهتان، وجميع وسائل الانحلال والتعري والاختلاط المحرم للجنسين من دون وجهةٍ شرعيةٍ، والانحلال الاسري، والجري وراء الشكليات، كل تلك الامور نهانا الله تعالى عنها في محكم كتابه

---

(١) صالح مصلح أحمد، الشامل، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، الناشر: دار عالم الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، ط/ ١ – ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م، ص/ ٥٧٨.

(٢) يُنظر: بيداء جميل عبد الله، رسالة ماجستير بعنوان: العقل الجمعي في منظور الفقه الاجتماعي دراسة تحليلية، ص/٢٤-٢٦.

(٣) يُنظر: عبد الكريم العامري، مقال بعنوان: أثر التقليد والإيحاء في السلوك الاجتماعي، الناشر: شبكة النبأ المعلوماتية، الاثنين / تشرين الثاني / ٢٠٠٩م

وقد وصفها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[الاسراء: الآية / ٣٦] [(١)] .

وفق ذلك يُعد التقليد :نشاطاً يسنخدمه الناس كلما كلّت قدرتهم وقل وعيهم عن استنباط الأفكار أو النشاطات والسلوكيات ، كما هو في المجتمعات التقليدية (ذبها براس عالم واطلع منها سالم) كما يقول المثل ، أو حتى نشاطات الاطفال.

٣- التقليد والسلوك الجمعي:

ما تقدم من وصف للتقليد، وما يكون منه بسبب تشجيع أهل الباطل والكفر للمسلمين والناس على اتباع وممارسة تلك العادات المستحدثة بالدعوة الى تقليدهم، الأمر الذي يُغيّر في سلوكهم المؤثر في المجتمع كما وصف ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [ابراهيم: الآية /٢١] التي ورد في تفسيرها: «ما يعطيه السياق- فالضعفاء هم المقلِّدون المطيعون لأوليائهم من الكفار، والمستكبرون هم أولياؤهم المتبوعون أولوا الطول والقوة المستنكفون عن الإيمان بالله وآياته، والمعنى فقال الضعفاء المُقلِدون للذين استكبروا منهم إنّا كنا في الدنيا لكم تابعين مطيعين من غير أن نسألكم حجة على ما تأمروننا به فهل أنتم مفيدون لنا اليوم تدفعون عنا شيئا من عذاب الله الذي قُضي علينا» [(٢)].

ويخلص الباحث الى أنَّ كل ذلك التقليد غير المرتبط بالعقلانية والتفكير السليم

---

(١) ابن باديس: عبد الحميد محمد الصنهاجي «ت ١٣٥٩هـ» تفسير ابن باديس ﴿في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير﴾، المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط/ ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ص/ ١٠٣.

(٢) الطباطبايى، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - لبنان - بيروت، ط/ ٢، ١٣٩٠ هـ.ق، ٤٤/١٢ .

والاتباع الأعمى ما هو الا سلوك جمعي سلبي مؤثر في الواقع الاجتماعي.

رابعاً:الموضة والسلوك الجمعي: ومن الموضوعات المهمة والأساسية المرتبطة ارتباط وثيق واساس في تشكيل وحصول السلوك الجمعي الذي غالباً ما يكون سلوكاً سلبياً هي (الموضة) والتي من خلالها يحصل السلوك الجمعي المؤثر في حركة وتقلبات المجتمع.

خامساً: الاشاعة والسلوك الجمعي: كذلك هي الاشاعة كما في الموضة ترتبط ارتباط وثيق بالسلوك الجمعي وهي من مكونات ومُشكلات السلوك الجمعي الذي يكون في الغالب سلبياً.

ويجدر الاشارة الى **أن** هذان المفهومان المهمان في تفسير مظاهر السلوك الجمعي سوف يأتي البحث فيهما مفصلاً في الفصل الثالث من الاطروحة إن شاء الله تعالى، لكن توجب ذكر عنوانيهما في هذا المحل من البحث لكونهما من المفاهيم المرتبطة بالسلوك الجمعي.

سادساً: علاقة السلوك الجمعي بالعاطفية واللاعقلانية

١-**مفهوم العقلانية:** المقصود به أنَّه سلوك يستند على التفكير والتعقل الواعيين اللذان يتفقان مع جميع قواعد المنطق والمعرفة والتجريب، ولا تقع الا لغايات[١].

٢-**مفهوم اللاعقلانية:** وبالعكس من مفهوم العقلانية، فاللاعقلانية سلوك عاطفي، وانفعالي، لا يحَّكم العقل بل تقوده الغريزة، أو الانفعال، وهو كثيراً ما يتناقض مع الاستدلال المنطقي والفكر[٢].

٣-**الاهتمام بالعاطفة واللاعقلانية:**

---

(١) يُنظر: مقال:بعنوان : عقلانية (فلسفة) "Rationalism" .مؤرشف من الأصل في ١٨/ ٥ / ٢٠١٥ .

(٢)يُنظر: مقال:بعنوان : عقلانية (فلسفة) "Rationalism" .مؤرشف من الأصل في ١٨/ ٥ / ٢٠١٥ .

أهتم العالمان «فلفوريدو باريتو(*) وماكسيمليليان فيبر(*)» بدراسة مفهومي «اللاعقلانية، والعاطفة»، فقد حلل باريتو السلوك العقلاني بأنه ذلك السلوك الذي يُربط فيه بين الغاية والوسيلة ويكون ذلك الارتباط ارتباطاً واضحاً، وعلى أساس الظواهر الموضوعية ومطابقاً لما هو عليه الارتباط بينهما عند الفرد، وقد بيَّن بأنَّ ذلك يحدث في السلوكين العلمي والاقتصادي، واعتبر الفنون السياسية والحربية من الافعال المنطقية، في حين يقع غالبية السلوك البشري ضمن محيط السلوك غير المنطقي ومنها الجمعي، لأنَّ الأول يُعَدّ السلوك المنطقي الذي يكون اساسه الاستدلال العقلي، فبعد التفكير الطويل للإنسان بالغاية التي يريد التوصل اليها يكون ذلك استدلالاً يدفعه ويوجهه لسلوكه بعد ما يختار الوسائل والغايات، على خلاف الافعال غير المنطقية، التي تقودها التوجهات العاطفية التي تختلف عن الاستدلال المنطقي(١).

أما ماكس فيبر فقد وضع مخططاً للفعل الاجتماعي، حين ترجم على أنَّ الفعل يجب أنَّ يكون ذا معنى حتى يُعد عقلانياً، وحتى نستوعب أفعال الآخرين يجب أن لا

(*) اسمه الكامل هو ولفريد فريتز باريتو، وهو من علماء الاقتصاد المشهورين، ولد في مدينة باريس الفرنسية يوم ١٥ يوليو ١٨٤٨م وتوفي في مدينة جنيف السويسرية في ١٩ أغسطس ١٩٢٣م، وهو عالِمٌ اقتصادي واجتماعي شهير وصاحب مبدأ باريتو المعروف بقاعدة ٨٠–٢٠ في علم الإدارة، وهو أيضا صاحب النظريتين الاقتصاديتين أمثلية باريتو وأفضلية باريتو وله مدرج إحصائي عرف باسم مخطط باريتو وكذلك توزيع باريتو الاحتمالي وهو صاحب المقولة الشهيرة التاريخ هو مقبرة من الطبقات الأرستقراطية . المصدر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، في ٢٢/ ٩/ ٢٠٢٢م

(*) ماكسيمليليان كارل إميل فيبر «٢١ نيسان/أبريل ١٨٦٤ – ١٤ حزيران/يونيو ١٩٢٠» كانَ عالِمَ اجتماعٍ ومؤرخٍ وفقيهٍ واقتصادي سياسي ألماني ويُعتبر من بينِ أهمّ المُنَظِّرِين لتطوّر المجتمع الغربي الحديث. أثَّرَت أفكاره بعمقٍ على النظرية الاجتماعية والبحثِ الاجتماعي. على الرغم من الاعتراف به كواحدٍ من آباءِ علم الاجتماع إلى جانبِ أوغست كونت وكارل ماركس وإميل دوركهايم، لَمْ يَعتبِر فيبر نفسه عالم اجتماعٍ بل وجدَ نفسهُ أكثر في علمِ التأريخ، المصدر ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، في ٢٠ / ٣ / ٢٠٢٣م ، الرابط : https://ar.wikipedia.org/wiki/

(١) يُنظر: أسعد شريف الامارة ، مقدمة في السلوك الجمعي :، ص/ ٦٥.

نكتفي بملاحظة ما يفعلون فقط، وانما يتوجب معرفة المعنى الذي ربطوه بهذا الفعل المعين، أما العقلانية عنده فتعني أن تسير الحياة الاجتماعية وفق التنظيم الدقيق، يستند الى العقل السليم ، وغالباً ما تكون فيها الوسائل والغايات عقلانية، بخلاف الافعال غير العقلانية.

ويقسم فيبر الفعل الاجتماعي على ثلاثة أنواع في ضوء الدافع أو السبب [(١)] :

أ-يُعد السلوك الاجتماعي الانفعالي المستند الى الغريزة سلوكاً عاطفياً في المعنى والغاية، وخالياً من الحكمة والبصيرة لأنَّ مصدره الغريزة أو العاطفة، كما هو سلوك القطيع، المشابه الى سلوك قطعان البهائم المفتقر الى جميع أنواع الوعي والتعقل والتفكير، والذي يتأثر بالانقياد خلف الآخر والطاعة العمياء، وإن كانت القيادة الضالة المُضلة، لا تهدي الى سُبل النجاة.

ب- السلوك الاجتماعي التقليدي مصدره العادات والتقاليد والقيم والاخلاق الاجتماعية فهي التي تحدد سلوك الإنسان، وتنظم علاقته مع الآخرين، ووفقها ترتسم أهدافه وطموحاته.

ت-السلوك الاجتماعي العقلاني يتصف بالتعقل والمنطقية والحكمة والادراك الثابت، فالإنسان العقلاني في نظر فيبر هو القادر على تحليل السلوك تحليلاً منطقياً، فيكوّن وفق ذلك رؤى اجتماعية موضوعية تبتعد عن الذاتية النابعة من الدوافع العاطفية.

ويرى الباحث أنَّه هنا يَعرضُ سؤال عن: ماهي علاقة السلوك الجمعي بهذين المفهومين «العاطفة واللاعقلانية» ؟

يكون الجواب: انَّ معظم المعالجات والتفسيرات التي طُرحت تبياناً للسلوك الجمعي كانت تربطه بالظواهر الجمعية المذمومة والمستهجنة من أفعال الجماهير، كالتخريب،

(١) يُنظر: أسعد شريف الامارة ، مقدمة في السلوك الجمعي ، ص/ ٦٦.

والثورات العنيفة، ووفق ذلك عُدَّ السلوك الجمعي سلوكاً لاعقلانياً، انفعالياً، عاطفياً [١].

في حين نجد إنَّ حاتم الكعبي يخالف ذلك الرأي، ويقول: بأنَّ من الخطأ أنَّ نتصور أنّ جميع أنواع السلوك الجمعي هي سلوك لا عقلاني عاطفي، ويفترض لذلك صورتين ويناقشهما [٢]:

الأولى: عادة ما يتصل مفهومي اللاعقلانية والعاطفية بالسلوك الفردي، وهذا يعني عند المهتمين بالسلوك الجمعي أحد أمرين:

١- أما أن يسلك كل فرد من أفراد الجماعة سلوكاً لا عقلانياً.

٢- أو أن الجماعة بذاتها تشبه الفرد، من حيث كونها لا عقلانية أو عاطفية.

أما الأمر الأول في فرض التشابه والانسجام في اللاعقلانية أو العاطفة بين أفراد الجماعة، فهذا أمر لم تؤيده المعرفة العلمية لحد الآن.

أما الأمر الثاني، فيفنده جمعٌ من علماء النفس الاجتماعي بكون الجماعة هي ليست كالفرد، كونها لا تمتلك جهازاً عصبياً.

الثانية: الافتراض الثاني ليس من السهل التمييز بين معنى هذين المفهومين، ويصعب ذلك خصوصاً أنَّ العاطفة والعقل لم يعودا في العصر الحديث متناقضين، كون العاطفة ترافق الانسان حتى عند تنفيذ مشروع أو خطة منظمة ومدروسة دراسة عقلية، مع الاعتراف بوجود حالات معينة وقع فيها التناقض بين العقل والعاطفة، مع أن التمييز بينها يكون صعباً، اضافة الى كل ذلك فإنَّ السلوك السوّي لا يكون الا اذا اندمج مع العاطفة السليمة التي تخلوا من العدوانية والاندفاع غير المتزن اذ إنَّ هناك مائز كبير بين الاندفاع والعاطفة التي تحتوي على الحنو والخير والتي كثيراً ما اكد

---

(١) يُنظر: المصدر السابق، ص/ ٦٥- ٦٦.

(٢) يُنظر: حاتم الكعبي، السلوك الجمعي، ١/ ١٢٦- ١٢٨.

عليها الاسلام الحنيف في تعاليمه السامية كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: الآية/ ١٥٩]، ولذلك وحسب ما يعتقد به علماء النفس أنَّ للعواطف أثرها الكبير في تنظيم دوافع الافراد والجماعات الفطرية وتوجيهها الوجهات الموحّدة، ومن خلال هذه التوجيهات يحدث ما يسمى بتكامل الشخصية[(١)].

و مما تقدم يخلص الباحث أنَّ علماء الغرب يرون أنَّ السلوك الجمعي كثيراً ما يقع مذموماً وغير منظماً لاستناده الى حالات لاعقلانية أو الى العاطفة فقط، وهذا ما يحدث في ردود الفعل اثناء الحوادث المفاجئة أو الكوارث الطبيعية وحوادث الحرائق وغيرها، أو حالات الهيجان الجماهيري، وحالات العنف والحروب وغيرها، ومن خلال اسناد السلوك الجمعي وافعاله الى العاطفة التي غالباُ ما تتناقض مع العقل.

ولكن هذا الأمر لا يحدث دائماً فمن جهة أخرى نجد أنَّ العاطفة في كثير من الاحيان لا تنفك عن السلوك العقلاني، فالإنسان من الممكن أن يجمع بين العقل والعاطفة في تنفيذ كثير من السلوكيات الفردية والجمعية، كما سوف يتضح لنا ذلك في استجابة الناس في تأدية الشعائر التي تأمرهم بها بعض الأديان والمذاهب ومعتقداتها، إذ إن هذه المعتقدات وخصوصاً الاسلامية غالباً ما تكون صادرة من الخالق الحكيم الذي تتصف أوامره بما وصف به ذاته تعالى من العلم والحكمة والمعرفة فهو أحكم الحاكمين، ومثال ذلك مناسك الحج وطقوسها كما في قوله تعالى:

---

(١) يُنظر: عبد العزيز القوصي، علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية، كتاب الاسس العامة والدوافع وسيكولوجية الجماعات :، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ط/ ٤-١٩٥٤م، ص/٢٨٠، ٤٠٣-٤٠٤، وينظر: منشور: العاطفة في تراث الإمام الشهيد الصّدر «رض»، الناشر: مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، ٣١/ ١٢/ ٢٠٢١م.

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[الحج:آية / ٢٧] [(١)]، واحياء شعائر شعائرالله من خلال اقامة طقوس زيارة الأئمة الاطهار في الزيارة الاربعينية الإمام الحسين عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: آية / ٣٢] ويقول صاحب تفسير الامثل مبيّناً أن الشعائر تشمل اضافة الى طقوس الحج كل عمل يقرب ويذكّر بالله تعالى[(٢)]، كذلك نجد السلوك الجمعي يكون عند بعض منظمات الاصلاح الاجتماعية، أو بعض من الاحزاب الدينية المعتدلة، ما في (مؤسسة عين) لرعاية الايتام والأرامل والفقراء ، وثير من مؤسسات المجتمع المدني ، كما وعد الله تعالى عيسى عليه السلام بالنصر لأتباعه المصلِحين المستضعفين على المتسلطين الطّغاة الكافرين في قوله تعالى: ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ...» [آل عمران: آية / ٥٥][(٣)]، وان كان السلوك الجمعي هو عبارة عن ردود فعل على مثيرات ومحفزات خارجية الا انَّه هنا نراه سلوكاً يستند الى العقلانية في الوسيلة والغاية، ووفق ذلك إن شاء الله سيكون البحث والسير في خطوات بحثنا.

المطلب الثاني: الفرق بين السلوك الجمعي وكل من «سلوك الجماعة(المجموعة)، والسلوك الاجتماعي، وسلوك القطيع »:

ويكون ذلك من خلال الآتي:

أولاً: الفرق بين السلوك الجمعي وسلوك المجموعة:

---

(١) الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق «المتوفى: ٣١١هـ»، معاني القرآن وإعرابه :، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت ط/١ ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ٢/ ٤٢٢.

(٢) يُنظر: الشيرازي ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل:، ١٠ / ٢٤٤.

(٣) يُنظر: ابن كثير، «ت: ٧٧٤»، تفسير ابن كثير المجموعة: مصادر التفسير عند السنة تحقيق: تقديم: يوسف عبد الرحمن المرعشلي الطبعة: سنة الطبع: ١٤١٢ – ١٩٩٢ م: الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان، ١/ ٣٧٤.

يختلف السلوك الجمعي عن سلوك المجموعة، أو الجماعة، وحسب ما تقدم من وصف للسلوك الجمعي من قِبلِ علماء الغرب أنهم وصفوه بأنه غالباً ما يقتصر على النشاط غير المنضبط واللاعقلاني، غير المخطط له، والمتقلب، بمعنى أنَّ السلوك الجمعي وحسب ذلك أنَّه فيه جانب أو أنه من مصاديقه ما يفتقر للتنظيم ويتصف بالعشوائية في نشأته واتجاهه، في حين نجد أنَّ سلوك المجموعة يتصف بالتفاعل الروتيني أو المخطط له، وهو متكرر، ويتبع نمطاً منظماً، في مجموعة ثابتة نسبياً من خلال الاهداف والقيم والتوقعات، ويُعد سلوك الجماعة سلوكاً اجتماعياُ، وخير مثال على سلوك المجموعة هو التفاعل في سلوك الأسرة، وبالرغم من كون ذلك السلوك جماعياً ولكنه لا يتصف بالعفوية، كما هو الحال في أغلب صور السلوك الجمعي.

إنَّ بعض حالات السلوك الجمعي تتمثل في الحوادث، والكوارث التي تقع على المجاميع البشرية كتحطم القطار، أو احتراق دور السينما أو المسرح اذ يتغير السلوك فيها من حالته الطبيعية الى ما يخالف المتعارف والمألوف اجتماعياً وعرفاً، اذ تعم الفوضى، والهيجان أو الصراخ، واحيانا، يعم االهَلَع ولكن لفترة مؤقته من الزمن وينتهي، وهو يكون عادةً في المواقف التي تستنهض وتثير عواطف الناس، بخلاف سلوك المجموعة الذي يخلو من كل ذلك، ومن البيئات المناسبة لحصول السلوك الجمعي هي المناسبات الرياضية والاحتجاجات الشعبية والمظاهرات، ووقوع الكوارث، وكل ذلك يقع في ظاهر الأمر من دون تخطيط مسبق.

ولو أن الباحث وكما هو رأي حاتم الكعبي لا يتفق مع كون هذه المظاهر من السلوك الجمعي قد تقع من دون تخطيط، ففي حقيقة الأمر قد يبدو في الاحتجاجات والمظاهرات أنها عفوية ومن دون تخطيط مسبق، في حين أن الحقيقة تقول أنَّها قد وقعت بفعل فاعل ووفق دراسة معدة مسبقا لصناعة الرأي العام وتغيير

الواقع الاجتماعي أو السياسي المعين، واستُخدِمتْ لإيجادها وسائل اعلامية ودعائية وماكنة استخباراتية ممنهجة ومنظمة، ولكن الجمهور الذي سُلطتْ عليه تلك الوسائل كان سلوكه عفوياً من دون شعور بأنَّه مخطط له.(١)

علماً ، ان ما تقدم من وصف هو لجانب ونوع من السلوك الجمعي وليس كل السلوك الجمعي يكون على الوصف المتقدم ، لأن البحث قد تطرق في ما تقدم من صفحاته وتعريفات السلوك الجمعي أنه قد يميل في بعض حالاته الى العقلانية والتخطيط في نشأته وتكوينه .

ثانياً: الفرق بين السلوك الجمعي والسلوك الاجتماعي:

السلوك الاجتماعي هو« قدرة الفرد على أنَّ يكيف سلوكه وفقاً للظروف الاجتماعية نتيجة حاجته للحياة الاجتماعية التي لا يمكن أن يعيش بدونها وحيداً»(٢)

، وهو كل سلوك يقوم به الفرد متأثراً أو مؤثراً في سلوك الجماعة، والمحيط وما يحكم بيئته من قوانين متعارف عليها سواء كانت هذه القوانين والاعراف مذمومةً أو ممدوحةً كما هو الحال في كثير من الممارسات الاجتماعية التي تمارسها الناس في التواصل في مختلف المناسبات الاجتماعية ، في حين أن السلوك الجمعي في أغلب حالاته لا يستند الى التنظيم والقوانين التي تنظمه ، كذلك ان السلوك الاجتماعي عادتاً تكون مدة بقائه أطول ، في حين السلوك الجمعي يختفي بإختفاء المؤثر.

ويتضح للباحث إنَّه قد يكون السلوك جمعي في بعض حالاته سلوكاً

---

(١) يُنظر: حاتم الكعبي: السلوك الجمعي، ص/ ٧٢-٧٣، ٧٦، ويُنظر: وسام صالح عبد الحسين جاسم ن دراسة بعنوان: الرأي العام وأثره في السياسة العامة للدولة: دراسة تحليلية.، جامعة بابل/ كلية الآداب/ قسم علم الاجتماع، الناشر:مجلة العلوم الإنسانية /كلية التربية للعلوم الإنسانية / المجلد ٧٢/العدد الرابع كانون اول ٧٠، ص/٥-٧.

(٢) فرج عبد القادر طه، وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، ط/ ١، ص/ ٢٢٨-٢٢٩

اجتماعياً، وفي ذات الوقت لا يمن عد كل سلوك اجتماعي هو سلوك جمعي، ذلك لأنَّ السلوك الجمعي ما هو الا تعبير عن الحالات والصيغ الاجتماعية التي يتطبع وفقها سلوك الافراد حين انتمائهم الى جماعة واحدة لأسباب ومؤثرات معينة فيتغير سلوك الفرد كي يلائم سلوك تلك الجماعة، اذاً فالسلوك الجمعي هو ظاهرة اجتماعية ناتجة من تفاعل اجتماعي بين الافراد، من خلال التقارب بين وجهات النظر فيما بينهم، مما يوجه سلوكهم وفق ما تريده الجماعة، والسلوك الجمعي ليس الا ضرباً من ضروب السلوك الاجتماعي، اذ نلاحظ أنَّ السلوك الجمعي قد يحصل في بعض صور السلوك الاجتماعي كما هو في حفلات الرقص الجماعي في حفلات الزفاف أو مناسبات الاعياد، أو في اقامة ذكرى معينة أو في تشيع الجنائز أو في المآتم، اذ قد يكون الناسُ في كل واحدة من هذه الحالات أو المناسبات يُسيطرُ عليهم جو نفسي واحد وتنتظم أفكارهم وميولهم نحو حالة أو شعور واحد يطغي على عواطفهم ويقودها، ويسيرون وفق أعراف سائدة بينهم، وهم في هذا السلوك الاجتماعي المألوف اجتماعياً يتهيأون الى حصول السلوك الجمعي (١).

ليس كل سلوك اجتماعي هو سلوك جمعي، ذلك لكون السلوك الاجتماعي قد يصدر من الفرد أو من الجماعة بخلاف السلوك الجمعي، الذي أكتسب تسميته بسبب صدوره من الجماعة المجتمعة، وبسب ما تقدم من صفات السلوك الجمعي التي وردَ ذكرها والتي لا يتوجب توفرها في كل نوع من أنواع السلوك الاجتماعي.

ومن الواجب بيّان إنَّ السلوك الاجتماعي يختلف عن سلوك المجموعة كون الاول قد يصدر من الفرد أو من المجموعة، في حين لا يصدر الثاني الا من مجموعة من الافراد.

---

(١) يُنظر: حاتم الكعبي، السلوك الجمعي :، ص/ ١٤٤، ويُنظر: الامارة: أسعد شريف، مقدمة في السلوك الجمعي، ص/ ٣٣.

ثالثاً: الفرق بين السلوك الجمعي وسلوك القطيع:

تعريف سلوك القطيع، سبق ان عرَّفنا السلوك، أما تعريف القطيع.

١-القطيع في اللغة: جاء في معجم مقاييس اللغة « وَيَقُولُونَ: جَارِيَةٌ قَطِيعُ الْقِيَامِ. كَأَنَّهَا مِنْ سِمَنِهَا تَنْقَطِعُ عَنْهُ. وَفُلَانٌ مُنْقَطِعُ الْقَرِينِ فِي سَخَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ..... وَمُنْقَطَعُ الرَّمْلِ وَمَقْطَعُهُ: حَيْثُ يَنْقَطِعُ. وَالْقَطِيعُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الْغَنَمِ. وَالْمُقَطَّعَاتُ: الثِّيَابُ الْقِصَارُ » (١).

٢-القطيع في الاصطلاح: عرَّف علماء الاجتماع القطيع في الاصطلاح، قالوا هم مجموعة يتحركون وفق رغبات تجمعهم ويشتركون بها، وهذه المجموعة تتبع زعيماً، ومن صفاتها أنَّها تتصف بضعف التنظيم، كما يصف ذلك قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية فيقول هو: « مصطلح يُطلق على مجموعة من الأفراد تحركهم رغبات مشتركة تتبع زعيماً وتتميز بضعف التنظيم وأنماط الرقابة » (٢)، كما جاء في اتباع قوم فرعون له من دون تفكير والتسليم والطاعة العمياء له كما في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف: آية/٥٤]، ,وقد جاء في تفسيرها: «اسْتَخَفَّ قَوْمَهُ أي استفزهم بأسلوبه القريب من سطح عقولهم فحملهم على أن يخفّوا له ولما أراد منهم فَأَطاعُوهُ بالانصياع لخطّته في مواجهة موسى» (٣)

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَد أَرسَلنا موسى بِآياتِنا وَسُلطانٍ مُبينٍ*إِلى فِرعَونَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعوا أَمرَ فِرعَونَ وَما أَمرُ فِرعَونَ بِرَشيدٍ﴾[هود، آية: ٩٦-٩٧]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[غافر: آية / ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾

---

(١) ابن فارس: أحمد بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين «ت ٣٩٥هـ»، معجم مقاييس اللغة:، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر -١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٥/ ١٠٢.

(٢) الصالح مصلح، الشامل، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية :، ص/ ٢٥٢.

(٣) محمد حسين، فضل الله ، من وحي القرآن، دار الملاك- لبنان - بيروت، ط/ ١، ١٤١٩ هـ.ق، ٢٠/ ٢٥١ .

[الفرقان: آية / ٤٤]، وقد جاء من تفسيرها: «الأنعام تعمل بغرائزها بصورة شبه إجبارية، بينما أوتي الإنسان العقل ليقوم بدور الغرائز وأفضل منها، فاذا ترك عقله هلك، لأنَّه لا يملك كالأنعام دافعا غريزيا، أما هو قد أفقد نفسه نعمة العقل البديل عنه» (١)

ويتضح للباحث إنَّ كل هذه الآيات توضح سلوك القطيع الذي انقاد اليه قوم فرعون، وأمثالهم من الأقوام الاخرى في الماضي والحاضر، وقد يتأثر القطيع البشري بسلوك المجموعة أو بسلوك فئة من المجموعة، فقد أجريت بحوث على مجموعة من الأشخاص ليتسنى فهم تصرفهم في الجماعة الواحدة وهم يقومون بأداء سلوك متشابه وفي وقت واحد أي ما يُعرف بـ«أخلاق القطيع» أو «سلوك القطيع»، فتبيَّن أنه وضمن الجماعة الواحدة، قد يميل الأشخاص الأدنى مركزا أو الأدنى تأثيراً في الجماعة إلى السير والتصرف بسلوكِ الذينَ هم أعلى مركزا أو أرفع في الموقع السياسي أو الوظيفي أو الاجتماعي (٢)، ومن خلال ذلك يتضح المائِز بين السلوك الجمعي وسلوك القطيع والعلاقة، بينهما أنَّ كل سلوك القطيع هو سلوك جمعي، ولكن ليس كل السلوك الجمعي هو سلوك القطيع، لكون القطيع يتبع القائد والقدوة في أغلب مصاديقه وهذا لا يحصل في جميع مصاديق السلوك الجمعي، وقد يحدث السلوك الجمعي من دون مقدمات ومن دون التأثر بالآخر، كما يحصل عند وقوع الامور المفاجئة كما في الحوادث والكوارث الطبيعية، ويجتمع سلوك القطيع مع السلوك الجمعي في ردود الفعل الآنية، التي تحدث نتيجة مثير معين كالخوف مثلاً، وكذلك

---

(١) محمد تقى المدرسي، من هدى القرآن، ١٨جلد، دار محبي الحسين – ايران – تهران، ط/ ١، ١٤١٩ هـ.ق،٨/ ٤٤٣.

(٢) يُنظر: منشور: سلوك القطيع، الناشر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا في ١٧/ ٣/ ٢٠٠٣.
الرابط : https://ar.wikipedia.org/wik .

عدم التفكير وتوقف العقل الفردي والانصياع الى سلوك القطيع.

فاتباع قوم فرعون له مذموماً لأنه يهديهم الى الضلال ومعصية الله تعالى والى اتباع كل رذيلة، في حين التسليم لله من خلال اتباع انبيائه ورسله والتسليم له تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[آل عمران: آية / ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[النساء: آية / ٦٤] فإنَّ هذا التسليم والطاعة هي واجبة، لأنَّها بأمر الله تعالى وأمره تعالى ظاهر في الوجوب، وواجب التنجيز، وكما يُبيّن صاحب مجمع البيّان « وإنما اقتضى ذكر طاعة الرسول هنا أن هؤلاء المنافقين الذين يتحاكمون إلى الطاغوت، زعموا أنهم يؤمنون به، وأعرضوا عن طاعته، فبين الله أنه لم يرسل رسولا إلا ليطاع، وقوله: «بإذن الله»: أي بأمر الله الذي دل به على وجوب طاعتهم »[(١)].

وهذا السلوك مستمر كان ولا يزال مع الانسان يتكرر بتكرار ظروفه واشخاصه المستعدين لمزاولته، وان اختلفت أو تعاظمت أو تطورت الوسائل المسببة لوقوعه بتغير الزمان والمكان، وعلى الرغم من وجود الابعاد «البعد البشري، الزماني، والمكاني، والاجتماعي» التي يجب توفرها في السلوك الجمعي، الا أنه يمكن حصول السلوك الجمعي عند أُناس لا يجتمعون بَدَنيَّاً في مكان واحد في حال توفر وحدة الرجع بينهم، والتي تعني أن هناك مشاعر بنفس الافكار والاهداف، وكذلك الشعور بعضوية الانتماء والرجع لتلك المجموعة المعينة والانتماء لها الذي جعل سلوك الفرد متفقاً كلياً مع سلوك المجموعة البعيدة مكانياً عنه.

---

(١) الطبرسي (ت: ٥٤٨) تفسير مجمع البيان، تحقيق و تعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤١٥ – ١٩٩٥ م المطبعة: الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان، ٣/ ١١٩.

خلاصة الفصل الأول

ومما يخلص له البحث، ومن خلال مجريات البحث في الفصل الأول ، الذي يسمى تتوصل الباحث الى مجموعة من النقاط تجمع أهم مجريات البحث، التي تُعدُّ العمود الفقري التي تبتني عليه جميع دراستنا التفسيرية، واختيار التطبيقات القرآنية المناسبة الى موضوعات الفصول والمباحث والمطالب والفقرات في البحث حتى الوصول الى أخر النتائج وهذه النقاط هي:

١-السلوك الجمعي: هو حالة من حالات سلوك الجماعات البشرية، والذي يُصنف تحت تصنيفات علم النفس الاجتماعي، اذ يخترق هذا السلوك المعايير الاجتماعية السائدة، مستجيباً الى مؤثر معيَّن أو مجموعة من المؤثرات التراكمية، أو الموجهة التي تُغير من قناعات وأفكار وهواجس ومشاعر الجماعة البشرية المعينة، الامر الذي يولد نوعُاً من ردود الفعل على واقع اضطربت فيه الموازين الاجتماعية.

٢-السلوك الجمعي اصطلاح مصدره علماء الاجتماع والنفس من الغرب، وتشكلت حولة العديد من النظريات، قد يكون موجود في الفكر الاسلامي كمفهوم، لكن اصطلاحاً فهو غربي المنشأ.

٣-يفقد الشخص الداخل تحت تأثير السلوك الجمعي هويته الخاصة، وتذوب شخصيته ونشاطه في خليط ميول وتوجهات وأهداف الجماعة، الأمر الذي يحدث من خلاله التطرف الفكري أو العقائدي أو القومي أو حتى العشائري، وهذا جانب سلبي من السلوك الجمعي، ومن جهة أخرى قد يكون فقدان الهوية الشخصية غير الواعية في توجهاتها المسبقة، وذوبانها في خليط توجهات الجماعة التي يقودها التشريع الديني الإلهي أو العقيدة أو الفكر الصادق الصحيح، كما هو في اتباع المسلمين الى الأمر الإلهي من خلال توجيهات النبي ﷺ والأئمة من أهل بيته (عليهم السلام) في

العبادات والمعاملات، فينتج عن ذلك السلوك الجمعي الإيجابي.

٤-يظهر السلوك الجمعي على شكل حالات من الغوغاء أو الشغب غير المنضبط، والذي يتسبب في تهديم البنى التحتية للبلد، كحالة من ردِّ الفعل الناتج من الظلم والطغيان والاضطهاد، كما حصل في العراق بعد سقوط نظام الطاغية صدام.

٥-وحسب النظريات التي جاء بها علماء الاجتماع، ووفق الوقائع في تطبيقات السلوك الجمعي، يحصل السلوك الجمعي نتيجة لتراكم الاحداث، والتسلط والظلم، ووفق ذلك تنسجم وتتحد وتتمحور ميول وأفكار الجماهير شيئاً فشيئاً، الى حين حصول الانفجار والثورة على الواقع المأساوي، كما يحدث في الثورة على الطغاة والأنظمة الظالمة في العالم ، وهو مثال للسلو الجمعي الإيجابي لا السلبي .

٦-ليس كل السلوك الجمعي سلبي ومذموم، بل إنَّ من السلوك الجمعي ما هو ايجابي، وذلك يعتمد على الموجهات التي تصنع السلوك الجمعي، ومنها القيادة الصالحة الحكيمة، والمخلصة والحريصة على مصلحة الجماهير، والتي تُقَوّم سلوكهم الخاطئ السلبي الى سلوك جمعي ايجابي بما يتغير من خلاله واقعهم الاجتماعي الى الصحيح والأفضل والأنفع، اذ يرشدهم المبلغ الديني الى ما يصحح معتقدهم وفكرهم، وقناعاتهم، ومثال ذلك ما احدثه الاسلام الكريم من انتشال المجتمع الجاهلي الى مجتمع متحضر يؤمن بالله وما أمر به من خير الدنيا والأخرة، ويقود المجتمع البشري، والموجه في ذلك هو الرسول الكريم ﷺ وآل بيته (عليهم السلام) فسَلَّمَ المؤمنون لتعاليم الله تسليماً مطلقاً، فعملوا بأوامره وانتهوا بزواجره، فكان سلوكهم الجمعي الإيجابي من خلال اداء العبادات الجماعية والشعائر الدينية الجماعية، وما أوجده الحسين عليه السلام من ثورة في النفوس أعادة للأمة الاسلامية روحها التي أوشك الكفر والطاغوت على قطع انفاسها، وإرجاع الناس للعهد الجاهلي، لولا ردة الفعل التي أوجدها الحسين عليه السلام فجعلت من السلوك الجمعي للمسلمين سبباً للعودة الى الله

تعالى.

٧- يؤدي الطغيان والاضطهاد في بعض الاحيان الى الثورة ورد الفعل المعاكس لذلك الضغط المسلط، واحياناً أخرى يؤدي الى رضوخ الناس واستسلامهم لذلك الطغيان والضغط والظلم، وفي كلتا الحالتين يسلك الجماهير سلوكاً جمعياً متأثراً بالمؤثر المسلط، فأما سلوك جمعي ثائر، واما سلوك جمعي راضخ.

٨-قد يكون المؤثر نابعاً من العادات والتقاليد والاعراف المتوارثة وقد يكون مسلط من الخارج كالدعاية والاعلام، والشائعات التي تصنع السلوك الجمعي عند الجماهير.

٩-يستحسن كثير من الجمهور السلوك الجمعي لأن الشخص يعيش فيه حالة الاعتماد على الغير في التفكير أو التسليم لعقول الآخرين في اتخاذ القرارات وايخاذها، وعلى الافراد أن يتبعوا تلك التوجيهات الصادرة من رئيس قبيلة أو دولة أو حاكم أو قائد ديني أو غيره.

١٠-العقل الجمعي ليس هو السلوك الجمعي ولكن يقع مقدمة الى حصول السلوك الجمعي بعد أن تجتمع العقول والافكار والمشاعر وهذا هو العقل الجمعي، فيتولد منه الفعل الجماعي، الذي يسمى بالسلوك الجمعي.

١١-مما يسبب السلوك الجمعي هي عملية الايحاء ، فقد يكون الايحاء رحمانياً فيؤدي بالجماعة الموحى اليها الى اتباع سلوك جمعي ايجابي وقد يكون الايحاء شيطانياً، فيؤدي بالجماعة الموحى اليها الى اتباع سلوك جمعي سلبي كما في ايحاء الشياطين الى اوليائهم من الإنس أو إيحاء بعض المشركين والكافرين الى بعضهم بعض.

١٢-السلوك الجمعي يختلف عن سلوك المجموعة اذ يتصف الأول بالعشوائية والعفوية، وعدم الاتفاق والتخطيط المسبق عكس سلوك المجموعة الذي هو منتظم ومخطط ويتبع سياقات معمول بها مسبقاً، كما هو سلوك الأسرة اليومي.

١٣–قد يكون السلوك الجمعي على شكل (سلوك القطيع) الذي يتبع المُوّجِه والقائد من دون وعي وإدراك، وغالباً ما يكون هذا النوع من السلوك سلبياً ، او(سلوك الجماهير) كما هي الجماهير الغاضبة في المظاهرات والثورات وأحداث الشغب والغوغاء، ومثاله الثورة الروسية ١٩١٧م ، والثورة الفرنسية عام ١٧٩٨م ، الثورة الايرانية عام ١٩٧٩م، وكذلك الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م وهذا يتحدد سلبه وايجابه حسب المؤثر المُوّجِه له، فإن كان المؤثر سلبي ينتج عنه سلوكاً جمعياً سلبياً، وإن كان المؤثر إيجابي يكون السلوك الجمعي الناتج عنه ايجابياً.

١٤–قد يحصل السلوك الجمعي نتيجة تسلط قيادة متسلطة جبارة تحكم بالتخويف والرعب والارهاب فيسمى (السلوك الجمعي القيادي)، كما هو في قيادة فرعون للأمة في زمانه، وقيادة النظام الدكتاتوري المخلوع في العراقي، الأمر الذي يجعل من الجمهور خاضع ذليل بسبب سلوك القطيع، وقد يحصل السلوك الجمعي بسبب التعصب والانحياز الى الإرث الاجتماعي المتوارث من الاباء والاجداد، أو الانحياز للقومية أو ثقافة المحيط السائدة وغيرها فيسمى (السلوك الجمعي لإنجاز المهام)، وقد يحصل السلوك الجمعي في داخل المؤسسات أو المنشأة ونشاطاتها المنظمة، اذ يحصل شعور داخلي يُوظف سلوك أفراد الجماعات لإنجاز المهام وكأنهم قد تكلفوا رسمياً، بإنجازها فيسمى ذلك السلوك (بالسلوك الوظيفي)، أو قد يحصل السلوك الجمعي نتيجة لاجتماع ميول واهتمامات ومصالح الافراد الأمر الذي يوحد اهتمامات ومصالح الأفراد المكونين للجماعة، الأمر الذي ينتج عنه سلوكاً جمعياً، كما هو في اتحاد مصالح المشركين، واتحاد افكارهم بأنَّ الاسلام عدو لهم وهو يُهدد مصالحهم الدنيوية، فصار من ذلك عندهم سلوكاً جمعياً معادياً للإسلام والنبي ﷺ، ويسمى هذا السلوك (بالسلوك الجمعي الإهتمامي)، وقد يحصل السلوك الجمعي بسبب الرجوع الى الأعراف والتقاليد وما يرجع الى الاباء والاجداد، فيحصل ما يسمى

(بالسلوك الجمعي المرجعي)، وأخيراً السلوك الجمعي الذي يحصل نتيجة فعل الانبياء والمصلحين أو رجال الدين، فإن كان الموجه والداعي هو داعي الله كان السلوك الجمعي ايجابياً، وإن كان الداعي والموجه خارج عما أمر الله به ونهى عنه، كان السلوك الجمعي سلبياً، ومثال الأول السلوك الجمعي الاسلامي في العبادات مثل الصلاة والحج، وأداء مختلف الشعائر الجماعية، مما ينتج عن ذلك ما يسمى (بالسلوك الجمعي الديني)، أما مثال الثاني فيكمن في قيادات الفكر التكفيري، والقيادات الطاغية القاهرة للجمهور.

١٥-لكل مما تقدم من هذه السلوكيات الجمعية دوافعه ومثيراته الخاصة في تكوينه.

١٦-إنَّ السلوك الجمعي قد يؤثر بالمجتمع سلباً اذا كان المؤثر سلبي كالظلم والطغيان أو مما يوجّه العقل الجمعي، مثل الاعلام والموضة والشائعات، فيحصل من ذلك رأياً عاماً موحداً، يقود الى حصول سلوك جمعي سلبي،كما بيَّنَ ذلك القرآن الكريم في الحديث عن فرعون وموسى وتضليل الرأي العام بأنَّ موسى ما هو الا ساحر، وتضليل العتاة من كفار قريش الرأي العام بأن محمدﷺ ساحر أو كاهن، وغيرها من الاساليب والوسائل، و قد يؤثر إيجاباً اذا كان المؤثر ايجابي، كما هو في توجيه الأنبياء والأولياء والمصلحين، ومثال ذلك دعوة الاسلام التي جاء بها النبي الكريم ﷺ وإتباع الناس لما جاء به من ربهم من خير وإصلاح، معبراً عنه بالنص القرآني المنزَّل من الله والسنة الصادر على لسان النبي ﷺ والأئمة من آهل بيته (عليهم السلام)، ويدخل في شدة تأثير ذلك السلوك في المجتمع نوع المجتمع، ودرجة تحضّره وثقافته، وميوله، واستعداداته للتغيير.

الفصل الثاني

التفسير القرآني وأشكال السلوك الجمعي

المبحث الأول: مفهوم الجمهور وأصنافه في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول: مفهوم الجمهور.

المطلب الثاني: الأسباب التي تُكوّن جمهور السلوك الجمعي.

المطلب الثالث: أنواع الجمهور.

المبحث الثاني: : التفسير القرآني وخصائص الجمهور في السلوك الجمعي

المطلب الأول: التطرف المُنتج للسلوك الجمعي في التفسير القرآني.

المطلب الثاني: من عوامل تفكير الجمهور المنتجة للسلوك الجمعي (السذاجة) في القرآن الكريم

المطلب الثالث: من السلوكيات المنتجة للسلوك الجمعي (الطغيان) في التفسير القرآني.

المطلب الرابع: انعدام المعايير الاجتماعية والسلوك الجمعي في ضوء التفسير القرآني. المبحث المبحث الثالث: المؤثرات لتوجه السلوك الجمعي نحو الطغيان في ضوء التفسير القرآني.

المطلب الأول: الالفاظ ذات الصلة بمفهوم الطغيان.

المطلب الثاني: بطانة الطاغية وصناعة السلوك الجمعي في ضوء التفسير القرآني.

المطلب الثالث: عوامل الاستسلام والتبعية المطلقة المنتجة للسلوك الجمعي في ضوء التفسير القرآني.

خلاصة الفصل الثاني

الفصل الثاني

التفسير القرآني وأشكال السلوك الجمعي

قسَمَ بعض من الباحثين التشكيلات الجمعية العاملة على إظهار السلوك الجمعي على ثلاثة أقسام، بالرغم من تداخلها بعضها مع بعض: «١- السلوك الجماهيري ٢- الحشود ٣- الحركات الاجتماعية »[١] ، ومثل ذلك يذكر أحد الباحثين بقوله: « ويمكن التمييز بين ثلاثة نماذج للسلوك الجمعي هي:١- السلوك الجماهيري او الكتلي (الرأي العام، المودة، البدعة، الفزع) ٢- الحشود ٣- الحركات الاجتماعية والعبادات »[٢]

وفي النماذج الثلاثة يتركز بحثنا على (الجمهور) لأنَّه اللاعب الأول الذي اذا ما ظهر عليه السوك الجمعي سوف يتغير الواقع الاجتماعي كله، لذا كان من الضروري دراسة مفهوم الجمهور، بمعنى ملاحظة طريقة سلوك الأفراد وتفاعلهم مع بعضهم بعضاً أثناء تجمهرهم واجتماعهم بتأثير حالة طارئة حيث يُلاحظ عليهم ظهور صفات سلوكية غريبة ومغايرة كلياً عما كان عليه سلوكهم وهم أشخاص مستقلون عن بعضهم بعض أثناء حياتهم الاعتيادية ومن دون أن يطرأ عليهم أيَّ تأثير من قبل مؤثر عارض، داخلي أو خارجي، وأول من كتب في هذا الموضوع وحسب ما تقدم هو العالم الفرنسي غوستاف لوبون، وقد تجلى ذلك في كتابه «سيكولوجية الجماهير» عام ١٨٩٥م، على الرغم من كونه ركز على الجانب غير المنتظم من السلوك الجمعي، ومن بعده توالت الدراسات لتبيّن الجوانب الأخرى من السلوك الجمعي للجمهور، « وأهم أنواع السلوك الجماهيري هو الرأي العام، الموضة، البدعة، الهوس، والفزع والرعب »[٣] ، ولكي تتضح صورة الفصل فإنه ينبغي تقسيمه الى المباحث الآتية:

---

(١) سناء عيسى الداغستاني، علم النفس الاجتماعي نظريات ودراسات، ص/ ٢٦.

(٢) مجاهد ابو الهيل بدر الجابري، المشاية في مراسيم زيارة الأربعينية، دراسة ميدانية، رسالة مقدمة الى مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد لنيل درجة الماجستير في علم الاجتماع، للعام ٢٠١٢م، ص/ ٢١.

(٣) المصدر السابق ، ص/ ٢١ .

المبحث الأول:

مفهوم الجمهور وأصنافه في ضوء القرآن الكريم

وينقسم الى ثلاثة مطالب:

المطلب الاول: مفهوم الجمهور:

لقد عرفه العلماء بتعريفات متعددة ووفق استعمالات دلالية مختلفة ومتباينة،، ولمعرفة مفهوم الجمهور لا بد من تعريفه لغةً واصطلاحاً وكما يأتي:

أولاً: الجمهور في اللغة: قال ابن فارس: «وَمِنْ ذَلِكَ [قَوْلُهُمْ] لِلرَّمَلَةِ الْمُشْرِفَةِ عَلَى مَا حَوْلَهَا (جُمْهُورٌ)..... وَقَدْ قُلْنَا: إِنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى الِاجْتِمَاعِ، وَوَصَفْنَا الْجَمَرَاتِ مِنَ الْعَرَبِ بِمَا مَضَى ذِكْرُهُ..... وَقَدْ قُلْنَا: إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُوِّ. فَالْجُمْهُورُ شَيْءٌ مُتَجَمِّعٌ عَالٍ» [(١)] وجاء في لسان العرب:« جُمْهُورٌ، وجَمْهَرْتُ القومَ إِذا جَمَعْتَهُمْ، وجَمْهَرْتُ الشَّيْءَ إِذا جَمَعْتَهُ » [(٢)]

ثانياً: الجمهور في الاصطلاح: استُعمل مفهوم الجمهور من قبل الباحثين والكُتّابِ في مصاديق ودلالات مختلفة ومتباينة، إذ استعمله بعضاً منهم للدلالة على حشد الناس المتجاورين بدنياً وغير المتفاعلين فيما بينهم، واستعمله آخرون للدلالة على الجماعات الخاصة المعينة التي تتميز بالرعب والفزع من دون سبب معقول، فيما أُستُعِمل من جهة أخرى للدلالة على الشغب والصخب والهيجان الذي يهدد الأمن العام، كما هو في الجماهير الثورية [(٣)].

ويوضح غوستاف لوبون معنى الجمهور من وجهة النظر النفسية بقوله: « في بعض الظروف المعيَّنة، وفي هذه الظروف فقط، يمكن لتكتل ما من البشر أن

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١/ ٥٠٦ .

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٤/ ١٤٩.

(٣) يُنظر: : حاتم الكعبي، السلوك الجمعي، ص/ ١٨٩.

يمتلك خصائص جديدة مختلفة جداً عن خصائص كلِ فرد يشكله، فعندئذٍ تنطمس الشخصية الواعية للفرد، وتصبح عواطف وأفكار الوحدات المصغرة المشكلة للجمهور موجهة في نفس الاتجاه، وعندئذٍ تتشكل روح جماعية، عابرة وموقته بدون شك، ولكنها تتمتع بخصائص محددة ومتبلورة تماماً، وعندئذٍ تصبح هذه الجماعة ما سأدعوه بالجمهور المنظم، نظراً لعدم امتلاكي مصطلحاً آخر» (١).

ولخصه باحث عراقي في القول بأنَّه: « تكتل اشخاص يؤدي تكتلهم هذا الى ظهور خصائص جديدة تختلف عن خصائص كل شخص فيه على انفراد اذ تتلاقى وتتجه أفكارهم ومشاعرهم في اتجاه واحد » (٢)

ويرى الباحث أنَّه يتوجب بيّان أمر مهم تعريف الجمهور : هو تكتل متجاور بدنياً تذوب فيه خصائص الفردضمن خصائص الجماعة.

ويتوجب بيان أنَّ مفهوم الجمهور لا يختص بالجمهور المخرب أو الغوغائي أو المذموم فقط، بل أنَّه يشمل جمهور العقلاء والمؤمنين الذين يؤمنون بتعاليم الله تعالى فيطبقونها تسليماً مطلقاً وطاعةً مصدرها الثقة والايمان بمن شرَّعها لهم، كونه حكيماً عليماً، والحكيم هو من يضع الشيء في مكانه الصحيح ولا يصدر منه الا الصحيح والصواب، كما يتبيَّن ذلك من الآيات المباركة: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾[آل عمران: آية / ٢٠]،وقوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾[المائدة: آية / ٤٤]. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ العالَمِينَ﴾ [غافر: آية / ٦٦]. ﴿وَأُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ﴾[الانعام: آية / ٧١]، والمعنى أنّه يجب أنَّ نستجيب لدعوة الله تعالى، وأن نقيم ما أمر به من العبادات وجميع الطاعات مذعنين لكل أوامره تعالى، ونتحلى بالورع عن كل المحارم والمعاصي، وقوله تعالى: ﴿وَأُمِرْنا لِنُسْلِمَ﴾، يعني أسلموا لله ربِّ العالمين، وبهذا اشارة الى أنَّ الآية مُخبرة بما يتضمن والإلزام بالطاعة التي لا خيار للناس غيرها، كما ورد في تفسير ذلك: « أي أمرنا بأنْ نُسلم لرب العالمين، و

(١) غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، ص/ ٥٣.

(٢) أسعد شريف الإمارة ، مقدمة في السلوك الجمعي، ص / ٩٩.

نستجيب لدعوته، و أن نُقيم الصلاة، و أن نتقيه، و نتجنب محارمه، و نلتزم حدوده [1] .»

ووفق ما تقدم يخلص الباحث أنَّ أيّة حادثة مهيجة ومثيرة، مثل جريمة قتل، أو خطف طفل، أو الحريق، أو حدوث أمر خارق للعادة أو للعقل قد يتسبب بإثارة الناس ويجعلهم في الحيرة والهيجان، وكذلك في حالات الأوبئة والفيضانات المدمرة، اذ يحدث السلوك الجمعي للجماهير التي تشكلت نتيجة لأحد تلك المثيرات، وقد توجد أسباب وعوامل وحوافز أخرى غير التي تقدمت هي التي تتسبب بتشكيل الجمهور وأهمها المصلحة فيعبّرون عنها بكونها القوة المحركة لجمع ضروب السلوك البشري وبما فيها سلوك الجماهير، ومن هذه المصالح مثلاً الثروة، والصحة، والمعرفة، والجمال، والتآلف الاجتماعي، والحق، وهناك من يرى أن السبب في تكون الجمهور هو الغموض الذي يخيم على الوضع الذي يعيشه الناس وعدم وضوح الصورة أو تعريف مشترك عام لها يعرفه الناس، وكل ذلك لا يُكوّن السلوك الجمعي ما لم يتوفر شعور ملح مشترك بضرورة التحرك والعمل، ووجود احساس قوي لدى الناس على أنهم يجب أن يعملوا أو يقوموا بشيء ما تجاه تلك المثيرات والمحفزات.

كل ما تقدم من محفزات وأسباب تشكيل الجمهور سوف يتناول البحث تفسيرها من خلال خصائص الجمهور التي سنذكرها.

ثالثاً: الفرق بيّن مفهوم الجمهور وبين مفاهيم «الجماهير– الحشد – المجتمع – الكتلة ».

انَّ مفهوم الجمهور يفترق عن كل من مفاهيم «الجماهير– الحشد – المجتمع – الكتلة» كما يأتي:

١– **يختلف مفهوم الجمهور عن مفهوم الجماهير:** كون الجماهير هم مجموعة أفراد تهمهم ذات المشكلة التي شغلت وأثارت الجمهور، الا أنَّ أفراد الجماهير قد لا

(١) الخطيب: عبد الكريم يونس (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، التفسير القرآني للقرآن، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، ٤/ ٢١٦.

يجمعهم مكان واحد، ولا يعرف بعضهم بعض، في حين تجد أفراد الجمهور يجمعهم مكان واحد كالقاعة أو المسجد، أو الحسينية وغيرها، وغالباً ما يكونوا مُعَرَّفين لبعضهم بعضاً [١]، ويرى الباحث إن الاثنين قد يحصل عندهم السلوك الجمعي.

٢ – **اختلاف الجمهور عن الحشد:** قبل أن نبيّن ذلك لا بد من بيّان المعنى من مفهوم الحشد.

الحشد: من خلال الحشد ايضاً نحصل على سلوك جمعي، تذكر(موسوعة علم الاجتماع) بأنه: « كانت الحشود موضع اهتمام بعض علماء النفس والاجتماع الاوائل مثل غوستاف لوبون وجبرائيل تارد[*] الذي ذهب الى أنَّ أصل الحشود ترجع الى كل من غرائز القطيع والمحاكاة الجماهرية، أما اليوم فتُمثل دراسات علم الاجتماع عن الحشود جزءاً من دراسة السلوك الجمعي، تضّم الحشود عادة أعداد كبيرة من الأفراد، المتقاربين مكاناً بشدة ويربط بينهم اهتمام مشترك، وقد يكون الحشد ذا هدف محدد –وواضح –يُركز عليه أفراده، كمشاهدة سباق ما، وقد يكون الحشد تعبيرياً حينما تستهدف الجماعة من ورائه إشباع حاجاتها العاطفية أو التعبيرية»[٢].

ويعرف(**الحشد)** بأنَّه:« تجمع الأفراد مع بعضهم البعض بدون أي تمييز ودون أن يربط بينهم أي رابط دائم....كذلك عَرف بأنه: مجموعة من الافراد اجتمعوا على أمر من غير ترتيب سابق ويكونون مركباً جديداً يختلف في خصائصه عن الخصائص الفردية لكل فرد، ويمثل الحشد نموذجاً سلوكياً يستجيب الأفراد فيه بطرق

---

(١) يُنظر: زهير الاعرجي ، منشور: اشكالية التعامل مع السلوك الجمعي:، الناشر شبكة النبأ .

(*) يعتبر تارد «١٨٤٣– ١٩٠٤»، «هو ابن رجل قانون في الضواحي، تلميذاً عند اليسوعيين، قام في البداية بدراسة الرياضيات وتخلى عنها لينكب على دراسة الحقوق ويتابع مهنة والده، وفي عام ١٨٧٦ تم تعيينه قاضي تحقيق، لكن إنجازه الذي حظي بتقدير كبير في تلك الفترة، جعله يستحق في البداية أن يعين في مديرية الإحصاء القضائي في وزارة العدل ١٨٩٤، ثم أن ينتخب في الكولج دو فرانس عام ١٩٠٠ ليحتل كرسي الفلسفة الحديثة. عُرف تارد خصوصاً بأنه طَرح نظرية مجملة عن الإنسان في المجتمع هي نظرية التقليد»، المصدر: هديل العتوم، مقال بعنوان: نظرية التقليد عند غابرييل تارد في علم الاجتماع، في ١٣ يناير ٢٠٢١.

(٢) جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع:، ترجمة محمد الجوهري وأخرون، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري، ط/١ –٢٠٠٠م، المجلد الثاني / ٦٥٢ – ٦٥٣

غير متوقعة للمؤثرات الجماعية » [١]، وعُرف كذلك: «هي مجموعة من الأفراد يجمع بينهم ميل أو عاطفة، وهناك أنواع متعددة للحشود أهمها حشد الشارع والغوغاء والشغب والتمرد، وهناك حشود غير فاعلة مثل حشد المتفرج على كرة القدم ، وهناك الحشد العرضي مثل حشد الفزع، أما الحشد الفاعل فهو العدواني الذي يمارس عنفاً، ويتشكل نتيجة لتوقف المارة وتجمعهم بتأثير حدث يثير مشاعرهم واهتمامهم بشكل مباشر، أما حشد الغوغاء فهو سلوك يتميز بالغضب والعنف وممارسة التعذيب والأعمال التخريبية الخارجة عن القانون، أما الشغب فهو نوع من أنواع الغوغاء يتميز بالعنف الجمعي » [٢].

ومن خلال التعريفات المتقدمة يخلص الباحث الى أنَّ الحشد: هو جمع من الافراد المحدودين زمانياً ومكانياً، لكونه ينشأ نتيجة لحادث معين، وهو يتميز بعدم التنظيم، ولا وجود لمصالح مشتركة بين أفراده.

ويحصل الحشد حينما يتجمع الناس بأعداد معينة بسبب حدث معين، كالازدحام في الشوارع، أو حصول حالات الشغب، أو التمرد، أو الغوغاء، أو حالات الهروب الجماعي، أما الاختلاف بين الجمهور الحشد، فبالرغم من تجاور الناس في الحشد بدنياً الا أن آرائهم مختلفة بعضهم عن بعض، لذا توجب على من يريدوا تفريق الجمهور أن يحولوا اتجاههم وتركيزهم الى اتجاهات مختلفة، فيتحول الجمهور الى حشد [٣].

يتضح للباحث أنَّ الحشد والجمهور وأن كانا هما العنصران المهمان اللذان يحصل فيهما السلوك الجمعي الا انَّ هناك فرق واضح بينهما يتضح من خلال: أنَّ الحشد أكثر ارتباطاً من الجمهور بسبب الارتباط الزمكاني المباشر بين أفراده بخلاف

(١) البدوي: أحمد زكي، معجم المصطلحات الاجتماعية، ص/ ١٢، ٩١.

(٢)سناء عيسى، الداغستاني، علم النفس الاجتماعي نظريات ودراسات، ص/ ٢٦ – ٢٧.

(٣) يُنظر: عبد اللطيف عبد الحميد العاني، سوسيولوجيا الجماهير والقيادة – دراسة في السلوك الجمعي، الناشر: دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، العراق – بغداد، ط/١ ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م، ص/ ٢٤.

الجمهور الذين قد تجمعهم وسائل التواصل وغيرها، والحشد لا يتناقشون فيما هم مجتمعون عليه ويكونون مُسَلِّمين له تسليماً مطلقاً بخلاف الجمهور الذين يتناقشون ويتصادمون حتى يجتمعون على سلوك جمعي واحد فيما بينهم، يحصل عند أفراد الحشد تأثراً بالعاطفة والمشاعر مما يحدث ما يسمى بالعدوى، بخلاف الجمهور الذي يتجه للعقلانية والدليل أكثر من الحشد، وكذلك يتضح أنَّ الجمهور أطول عمراً منه اذ يتفرق الحشد بمجرد تحقق أهدافه.

٣-اختلاف الجمهور عن المجتمع :

أنَّ الجمهور ما هو الا جماعات تلقائية آنية موجودة تحيا في الحاضر، ومن غير الممكن ان نسمي هذه الجماعة مجتمعاً، كون المجتمع له ماضي والجمهور لا ماضي له، وللمجتمع حضارة وميراث اجتماعي وقيم ومعايير وتقاليد، ونوع من النظم التي يسيرون وفقها، ويمتاز المجتمع كذلك بوجود الزعامات المعترف بها من قبل المجتمع، في حين نجد الجمهور في قبال ذلك يخلو من كل ذلك، كذلك يمتاز المجتمع بالشعور بالضمير« نحن» كما هو مثلاً في انتماء المجتمع العربي الى قوميته واعتزازه بها، في حين يخلو الجمهور من كونه مجموعة حضارية أو جماعة خلقية، ومن خلال هذه المواصفات للجمهور تجعل من أعماله محرمة وممنوعة في الظروف الاعتيادية، لأن سلوك الجمهور يكون فيه خروج عن المألوف في كل نواحيه الاخلاقية والعرفية لما فيه من ارهاب وعنف وفي بعض الاحيان حالات من الشذوذ الجنسي كما هو في حالات اجتياح الجيوش للمدن واستباحتها [١].

المطلب الثاني: الاسباب التي تُكوّن جمهور السلوك الجمعي:

من المهم أن نُحدد الاسباب التي كونت جماهير السلوك الجمعي، بمعنى اخر

(١) يُنظر: عبد اللطيف عبد الحميد العاني، سوسيولوجيا الجماهير والقيادة – دراسة في السلوك الجمعي، ص/ ٢٣.

الاسباب التي جعلت الجمهور يسلك السلوك الجمعي، وفيها أربعة اتجاهات تتبنى العوامل المسببة لحصول السلوك الجمعي: (١)

الأول: «العقل الجمعي» يرى جمع من العلماء أنَّ العقل الجمعي يلعب دوراً مهماً في هذا المجال، اذ يقول حاتم الكعبي: «لقد لعب مفهوم العقل الجماعي أو الجمعي دوراً مهماً في مجال البحث عن سببية السلوك الجمعي أو الاجتماعي باعتباره القوة المسيرة للفعاليات الجماعية المختلفة، ولقد اتخذ هذا العقل اشكالاً مختلفة.....ولقد شهد مطلع القرن العشرين ازدهاراً لهذا المفهوم على يد لوبون » (٢)، وكما هو العقل الجمعي المتسبب بالسلوك الجمعي عند قوم لوط، وصالح، وهود، وغيرهم من الامم السالفة، وكما هو عند الاقوام الذين اتبعوا الاباء والاجداد، ويتجلى ذلك من خلال قوله تعالى: «وإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا ﴾ [البقرة: آية / ١٧٠]، ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا ﴾ [المائدة: آية / ١٠٤] فهؤلاء يقودهم عقل جمعي واحد بأن لا يفكروا بأي فكر جديد مقابل ما لديهم من موروث من ابائهم واجدادهم وإن كان خاطئاً، الأمر الذي يقودهم الى سلوك جمعي واحد وهو الكفر والعصيان ومعاداة الانبياء والمصلحين، كما ورد في التفسير: «لتطرح هذا التصوّر الخاطئ، وهذا المنهج المنحرف، لأنّهم يرفضون الدعوة الجديدة المنطلقة من وحي الله ونهج الرّسول ﷺ، ويمتنعون عن مناقشتها بعيدا عن مسألة الوضوح في الخط، في ما يرفضه الإنسان وفي ما يؤيده، بل لأنّهم لا يريدون أيّ فكر جديد في غير طريق فكر الآباء والأجداد» (٣).

الثاني: «المواقف المخزونة والموجودة سابقاً» هي السبب الذي يجعل من الجمهور ان يسلك السلوك الجمعي المعيَّن، ويذهب الى هذا القول كل من: « برجس، وكنالي،

(١) يُنظر: حاتم الكعبي، السلوك الجمعي، ص/ ١٩٠ –١٩٢.

(٢) حاتم الكعبي، السلوك الجمعي، ص/ ١٩٠ .

(٣) فضل الله، محمد حسين، من وحى القرآن، ٨ / ٣٦٨ .

وبلومر، وجوزيف دوكلاس»[1]، ويرون ان ذلك يعود الى سببين هما:

١-**الشعور بالظلم والحرمان وفقدان العدالة**، ويُعبر عنه بالعنف والاعتداء والتخريب، يسمى هذا الجمهور بالجمهور الغوغائي، ومثاله «الثورة الفرنسية التي غيرت مجرى تأريخ فرنسا، حيث توجهت الجموع الغاضبة المنفعلة نحو سجن الباستيل..... ثم أفرجت بعدئذ عن السجناء.....وفي التاريخ المعاصر ما حدث بعد انهيار النظام الدكتاتوري المتسلط في نيسان من عان ٢٠٠٣ إذ هجم الناس على المؤسسات الحكومية.... وسميت الحالة بحالة الفرهود أو الحواسم »[2]، فيكون رد فعلهم أو تصرفهم من وحي ذلك الخطر المكنون في نفوسهم والذي يشعرون به.

٢-**الشعور بالفزع والرعب والخوف والقلق:** اذ يتصف سلوك هذا الجمهور بالخوف والفورية والاضطراب، ومثل هذا الجمهور يسمى الجمهور المذعور، كما في حالات الزلزال أو الحريق الكبير أو الفيضانات أو الاحتلال العسكري، أو غرق سفينة، فيكون الذعر بسبب انهيار حالة التوقع وحدوث ما لم يُتوقع، ويظهر ذلك الجمهور بأدق صورة في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً* وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَأُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾]الاحزاب: آية /٢٦- ٢٧] وقد جاء في تفسيرها أنَّ الملائكة أدخلت الفزع والرعب في قلوب يهود بني قريضه فبات أمر النصر عليهم محسوماً بإذن الله تعالى نتيجة الخوف والهلع والفزع الذي هم به الامر الذي أخذ بهم ان يسلكوا سلوكا جمعياً بتسليم انفسهم للموت وأبنائهم ونسائهم للأسر كما ورد في تفسير القمي: « فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ واللِّوَاءُ مَعْقُودٌ أَرَادَ أَنْ يَغْتَسِلَ مِنَ الْغُبَارِ فَنَادَاهُ جَبْرَئِيلُ عَذِيرَكَ مِنْ مُحَارِبٍ! واللَّهِ مَا وَضَعَتِ الْمَلَائِكَةُ لِأُمَّتِهَا فَكَيْفَ تَضَعُ لِأُمَّتِكَ! إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ لَا تُصَلِّيَ الْعَصْرَ إِلَّا بِبَنِي قُرَيْظَةَ فَإِنِّي مُتَقَدِّمُكَ ومُزَلْزِلٌ بِهِمْ حِصْنَهُمْ إِنَّا كُنَّا فِي آثَارِ الْقَوْمِ نَزْجُرُهُمْ زَجْراً حَتَّى

---

(١) حاتم الكعبي، السلوك الجمعي، ص/ ١٩٠ .

(٢) أسعد شريف الإمارة: مقدمة في السلوك الجمعي، ص/ ١٠٢.

بَلَغُوا حَمْرَاءَ الْأَسَدِ »[1]، وكما هي حال الشعب العراقي وحالة الفزع والخوف التي كان يعيشها من جراء تسلط النظام الأرعن في ايام صدام، اذ كان الشعب وخلال مغامرات النظام الرعناء يعيش حالة الذعر والخوف من نشوب حرب أو حصار مدمر أو انقطاعٌ في الماء أو شحة المواد الغذائية أو اختفاء غاز الطبخ أو بنزين السيارات...الخ فترى رد فعلهم نتيجة لهذا القلق والرعب أن يهرعوا الى تخزين المواد الغذائية والماء والوقود، أو تراهم يهربون من العاصمة الى خارج مراكز المدن، خوفاً من قصف الطائرات.

الثالث: تحقيق المصالح المشتركة: اذ يرى بعض العلماء أن سلوك الجمهور تُحركه المصلحة التي يرغب الجميع في الحصول عليها، وهذه المصالح كما في: الجمال، والثروة، والصحة، والمعرفة، وغيرها من المصالح، ويذهب الى هذا الراي «ماكيفر، وكريج، وسمول»[2]، فقد ورد في اشتراك الناس في حب المال قوله تعالى: ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ [البقرة: آية / ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر: آية /٢٠]، وكذلك انبهار واعجاب النسوة بجمال يوسف عليه السلام، مما أخذ بهن الأمر بأن يقطعنَّ أيديهن بالسكاكين من دون أن يشعرن أذ أهوسهنَّ جمال يوسف، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وقُلْنَ حاشَ لِلَّهِ ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف: آية / ٣١]، وقد ورد في تفسيرها: «كان معناه في ذلك أنهن حضن لما أكبرن من حسن يوسف وجماله في أنفسهن ووجدن ما يجد النساء من مثل ذلك،.....قال: قالت ليوسف: اخرج عليهن فخرج عليهن، فلما رأينه أكبرنه، وغلبت عقولهن عجبا حين رأينه، فجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التي معهن ما يعقلن شيئا مما يصنعن»[3].

(١) القمى، على بن ابراهيم، تفسير القمي الناشر: دار الكتاب – ايران – قم، ط/ ٣، ١٣٦٣ هـ.ش، ٢/ ١٨٩.

(٢)حاتم الكعبي، السلوك الجمعي، ص/ ١٩٢.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان فى تفسير القرآن «تفسير الطبري»، ٣٠جلد، دار المعرفة – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤١٢ هـ.ق، ١٢/: ١٢٢.

الرابع: الغموض والضبابية وعدم وضوح الامور: اذ يرى هذا الفريق من العلماء أن الذي يدفع الجمهور لأن يسلك سلوكاً جمعياً معيناً هو غموض الاهداف أو النظم أو المعايير، بمعنى انعدام التوقعات التقليدية كما هو في كتاب السلوك الجمعي: «ان هذا الفريق يرى ان الجمهور انما بسبب عدم وجود توقعات تقليدية مشتركة، موجودة مسبقاً وسلفاً بين الناس من شأنها أن تَبين: كيف يجب أن يسلكوا فيها أو تجاهها »[١]، فاذا ما استمر الأمر على ما هو عليه وتناقلت الحالة بين الناس واتفقت عليها مشاعرهم، أخذ ينمو عندهم انه يجب أن يقوموا بشيء أو رد فعل تجاه أو بخصوص هذه الوضعية الراهنة، فيحدث السلوك الجمعي.

ويرى الباحث أنَّ كل تلك الاسباب قد تحدث من داخل الجمهور أو يكون الجمهور موجَهاً نحوها منقاداً من قِبلِ قوةٍ خارجية أخرى مسلطة عليه من اجل احداثها عند الجمهور والتحكم بسلوكه الجمعي.

المطلب الثالث: أنواع الجمهور:

قبل أن يظهر الجمهور لا بد من وجود حالة تتسبب بالهيجان لعدد من الافراد الذين سوف يشكلون الجمهور حتى يصبحوا مهيئين نفسياً لأن يسلكوا سلوكاً جمعياً «جماهيرياً» كما يذكر صاحب كتاب (سوسيولوجيا الجماهير والقيادة): «ومن هنا نجد أن عدداً من الأفراد الذين تهيجهم نفس هذه الحالة يصبحون مهيئين تهيئة نفسانية لأن يسلكوا سلوكاً جماهيرياً....هذا الهياج يحفز الأفراد لأن يتحركوا وأن يكلم بعضهم أحدهم الآخر متسائلين متفاعلين خائفين....مما يؤدي الى إشاعة الهياج حيث يصبح الهياج هياجاً جمعياً بعد أن كان هياجاً فردياً »[٢].

وفي ضوء ما تقدم تظهر لنا أنواع من الجمهور، ما يُميز بين بعضها عن الآخر هو الاهداف التي تجمعها، والحوافز التي كانت سبب تحفيزها، فلكل نوع منها أهدافة

(١) حاتم الكعبي، السلوك الجمعي، ص/ ١٩٢.

(٢)عبد اللطيف عبد الحميد العاني، سوسيولوجيا الجماهير والقيادة– دراسة في السلوك الجمعي، ص/ ٢٧–٢٨ .

والحوافز التي تأثر بها فتشكل على ضوئها، ومن هذه الانواع من الجماهير:[١]

أولاً: الجمهور العابر: وقد يسمى الجمهور المفتوح، وهو عبارة عن الجمهور الذي نشاهده يومياً فهو كثير الحدوث يومياً كما هو الجمهور المحتشد أمام نافذة من نوافذ العرض ليشاهد ما قد عُرض فيها، وهذا يكشف عن كونه جمهوراً عابراً لا دوام لبقائه آني الحدوث، وغير منظم الا ما ندر، كذلك لا وجود لوحدة ترابط بين أفراده، وأن أعضائه عابرون سريعون في التبدل، وهو يكبر ويصغر آنياً بنقص أفراده بعد اشباع غريزة حب الاطلاع على الشيء المعروض ويكبر بزيادة أفراده بسبب حب الاطلاع عند الانسان، فهم يجيئون ويذهبون عادةً وخلال فترة آنية قصيرة بسبب الموضوع الذي شدهم وجلب انتباه الناس وولعهم، ومن الملاحظ على هذا النوع من الجمهور هو التفاعل بين أفراده بسيط وضعيف وسطحي ومن دون قصد، ومثل هذا الجمهور ليس له تأثير في تنظيم المجتمع لكونه تائهاً ولا يدوم الا لبعض الدقائق أو الساعات ان طال ومن ثم يتلاشى[٢].

ثانياً: الجمهور العرضي «التقليدي»: وهو جمهور شبيه بالجمهور العابر كونه تلقائياً ولا يخضع الى أي أُطر حضارية كتلك التي تحصل في المجتمع، ومن أمثلته الجمهور المشاهد الى مباريات كرة القدم، أو المصارعة، أو جمهور مشاهدة مصارعة الثيران فيكون سلوكهم مشابهاً لسلوك الجمهور العابر الا أنه يختلف عنه في وجوه، مثل كونه مُنظَماً وفق بعض الطرق الاجتماعية المعترف بها مع كون نشاطهم تلقائياً، وقد لا يقرَّه العرف، ومن أمثلة هذا النوع من الجمهور هو الجمهور المستمع الى برنامج تلفزيوني أو اذاعي، أو الجمهور الذي يشكل جزءً من حركة دينية أو أدبية أو فنية الذي يجمع ويوحد أعضائه تعشقهم لفكرة أو مودة جديدة، ويتصف مثل هذا الجمهور بكونه جمهوراً متذبذباً مع كونه يشكل وحدات اجتماعية ولكنها وحدات لا يمكن تمييزها لأنها عديمة الشكل لا يمكن ربطها بوضعيات اجتماعية ثابته ومن

(١) ينظر: المصدر السابق، ص/ ٣١ – ٣٢.

(٢) يُنظر: حاتم الكعبي، السلوك الجمعي، ص/ ٣٩٢– ٣٩٣.

الصعب اعطائها الملامح المحددة [١].

ثالثاً: الجمهور العامل: وقد يكون الجمهور عاملاً وقد يكون غير عامل، كما هو الجمهور المستمع الى حفل غنائي، أو ديني أو محاضرة، مشاهدة لعبة رياضية، أو لأداء شعائر دينية، أو لمشاهدة حريق فهو في أول هذه الأمور يكون جمهوراً غير عامل، ولكن قد يتحول فجأة الى جمهور عامل يؤدي سلوكاً له أثره في الحياة الاجتماعية كما هو سلوك الجمهور الثائر، أو الجمهور المشترك في الاعتداء على جهةٍ ما للتخريب أو القضاء على تلك الجهة، ويمتاز هذا النوع من الجمهور عن غيره بوجود غاية يتوجه اليها نشاط الجمهور ويتجه الى تحقيقها، من والواضح أنَّ الهدف عند هذا الجمهور لم يكن محدداً أو موجوداً في أول الامر، ولكن يتمخض عن هذا الجمهور سلوك جمعي من بعد وأثناء المراحل اللاحقة [٢].

رابعاً: الجمهور المعبّر: وكثيراً ما يشاهد هذا النوع من الجمهور في بدايات الطوائف الدينية، فينشأ مثل هذا الجمهور في أول الامر من خلال حركات رتيبة، فيصل الى أهم ما يميزه وهو الهياج الذي يتصف به جميع أعضائه، فتكون تلك الحركات الرتيبة التي هي عبارة عن وسيلة التنفيس عن هذا الهياجان وبعد الاندماج والغور والانغماس في أجواء هذه الحركات الرتيبة الموزونة من قبل المجموعة يجد الأفراد أنفسهم وقد غمرتهم حالة من الشعور بالارتياح النفسي نتيجة لهذه الحركات، كذلك أنَّ هذا النوع من الجمهور يمتاز بخلوه من الهدف [٣].

خامساً: جمهور الشباب: سلوك الشباب اليافع ما بين سن الثالثة عشر الى سن الرابعة والعشرين يميل دوماً الى الاستقلال وفرض وجوده وتكوين عالمه الذي يتناسب مع ما لديه من طاقات اندفاعية كبيرة فيقوم الشباب في مثل هذه الاعمار بمحاولة

---

(١) يُنظر: عبد اللطيف عبد الحميد العاني، سوسيولوجيا الجماهير والقيادة – دراسة في السلوك الجمعي، ص/٣١- ٣٢ .

(٢) يُنظر: الكعبي، حاتم، السلوك الجمعي:، ص/ ٢٠١ -٢٠٢، ويُنظر: عبد اللطيف عبد الحميد العاني، سوسيولوجيا الجماهير والقيادة – دراسة في السلوك الجمعي، ص/ ٣٢.

(٣) يُنظر حاتم الكعبي، السلوك الجمعي، ص/ ٦٢، ١٨٢، ٤٣٣.

الظهور والتميز من خلال المعارضة واثارة الاسئلة المخالفة للمألوف، واحياناً تتطور الامور الى سلوكيات تجعله يحس بمساواته للكبار من خلال ممارسة بعض سلوكيات الكبار مثل التدخين أو شرب الكحول، أو من التميز من خلال الملابس المميزة والجديدة والمغايرة للمألوف اجتماعياً، ويعتمد قرب سلوك الشباب من الصح أو الخطأ على دور الاباء أو وجودهم من عدمه أو مراقبة ومتابعة الاباء للأبناء من عدمها كما يصف أحد الكتّاب: « يتصادم بعضُ الآباء والأمهات مع المراهقينَ حول كل شيء تقريبًا، وفي هذه المواقف، تكون القضيةُ الأساسية هي السيطرة فعليًا، يرغب المراهقون بالشعور بأنهم يستطيعون اتخاذ قرارات حول حياتهم أو المساهمة فيها، ويخشى الآباء من السماح لأطفالهم باتخاذ قرارات سيئة في هذه الحالات»[(١)]، والذي جعل من المهمة أصعب دخول الانترنيت ووسائل التواصل الاجتماعي وتواجدها في البيوت الأمر الذي لم يقتصر الدور في التأثير على سلوك الشباب على الشارع فقد بل صار تأثير وسائل التواصل أكبر من تأثير الاباء والشارع، لأنَّه الاقرب والاسرع تأثيراً.

وقد يكون تأثير هذا الجمهور سلبياً، وقد يكون إيجابياً، وحسب المؤثرات ومصادرها وبعدها أو قربها عن التوجه الصحيح أو المغرض. ذلك لأنَّ الشباب هم الارض الخصبة لنمو وانتشار المؤثرات الجديدة التي من شأنها أن تخلق سلوكاً جمعياً جديد عند الجمهور يكون مؤثراً في المجتمع.

ووفق ما تقدم يتضح أن الانواع الثلاثة الاخيرة من الجمهور « العامل – والمعبر – والشباب» هي التي تنتج سلوكاً جمعياً له التأثير المباشر في المجتمع، وأخطر وأهم الثلاثة هو جمهور الشباب ، كون هذا الجمهور هو أكثر حركة ونشاط وتأمل وتطلع نحو التغيير، وأكثر من يكون عرضة لاستقبال الاعلام ووسائل التواصل والموضة والمتطلع لكل ما هو جديد ن، الأمر الأخر أنَّه الأقل التصاقاً بالعادات والتقاليد

(١) منشور: المشاكلُ السُلُوكية عندَ المراهقين، حسب Sharon Levy , MD, MPH, Harvard Medical School،التنقيح/المراجعة الكاملة محرم ١٤٤٢

والأعراف المتوارثة.

المبحث الثاني

التفسير القرآني وخصائص الجمهور في السلوك الجمعي

يصف غوستاف لوبون أهم مظاهر الجمهور وأنَّها تتمحور في الايحائية البالغة، وكذلك سلوك الجمهور العاطفي الانفعالي الذي يُبان عليه التطرف، وكذلك يفقد الافراد الارادة الشخصية وتطغي اللاعقلانية، وكل هذا ينتج سلوكاً جمعياً رديئاً منحطاً من النوع المذموم.

ووفق هذا التصور وان كان هو جانب من خصائص الجمهور في الطرف المذموم الا أنه الجانب الاهم والأبرز، اذ يصف لوبون حال الفرد عندما يكون عضواً منضماً للجمهور والذي من خلاله تبرز خصائص الجمهور، التي تكون على مجموعتين، مجموعة خصائص يكون الدافع الى حصولها دافع داخلياً، ومجموعة ثانية يكون الدافع الى حصولها خارجياً عن أرادة الجمهور وكما يأتي[١]:

والمقصود بالدافع الداخلي يعني خصائص يتصف بها الجمهور ذاتياً وليست مفروضة عليه من الخارج ومنها التطرف، والغلو في المشاعر والسذاجة عند الجمهور، والتعصب والتشدد وعدم قبول الآخر، كذلك الانحراف وانعدام الحس الاخلاقي، وأخيراً سرعة التقلب والغضب، كل هذه الخصائص النفسية اللاعقلانية التي مصدرها مشاعر وانجرافات وترسبات الشوائب النفسية لمجمع أفراد الجمهور متفاعلة مع بعضها بعضاً أنتجت في الواقع الاجتماعي سلوكاً جمعياً يؤثر سلباً في المجتمع اذا لم تعالج وتتخذ للحد منها التدابير العلمية والشرعية والاجتماعية الصحيحة وفيما يأتي تفصيل تلك الخصائص في ضوء التفسير القرآني[٢]:

---

(١) يُنظر: السلوك الجمعي: حاتم الكعبي، ص/ ١٩٣-١٩٤.

(٢): يُنظر: المصدر السابق، ص/ ١٩٣-١٩٤.

المطلب الأول: التطرف المنتج للسلوك الجمعي في التفسير القرآني:

ويتم بيّانه عبر الآتي:

أولاً:معنى التطرف:

١- **التطرف في اللغة:** مأخوذ من أصل الفعل أصل الفعل الثلاثي «طرف» يذكر صاحب مقاييس اللغة «الطَّاءُ وَالرَّاءُ وَالْفَاءُ أَصْلَانِ: فَالْأَوَّلُ يَدُلُّ عَلَى حَدِ الشَّيْءِ وَحَرْفِهِ، وَالثَّانِي يَدُلُّ عَلَى حَرَكَةٍ فِي بَعْضِ ؤالْأَعْضَاءِ»[(١)]، وقيل «وطَرَف الشَّيْء: مُنْتَهى آخِر»[(٢)]، وقيل أطراف الأرض: نواحيها، والطَّرَفُ: تعني الطّائفة من الشَّيء، ويُقال:« أصبت طَرَفاً، من الشّيء»[(٣)]، وقيل «وَرَجُلٌ طِرْفٌ ومُتَطَرِّفٌ ومُسْتَطْرِفٌ: لَا يَثْبُتُ عَلَى أَمْرٍ» [(٤)]، وقيل: طرف الشيء يبعد قربه من الوسط، فهو أما في الابداء منه ، أو في نهايته، وقد جاء ذكر الطرف في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا﴾ [هود:آية/ ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيٍّۗ﴾ [الشورى: أية / ٤٥]، ومن خلال المعاني اللغوية المتقدمة الذكر يتضح أنَّ التطرف يطلق في الغالب على المحسوسات، يعني التطرف في الذهاب والقرب والبعد والقيام والجلوس، ومن بعد ذلك كَبُرَ هذا المعنى وتوسع فصار يطلق على المعنويات، كالتطرف في القيّم والافكار والآراء والمفاهيم، وهو وفق تلك المعاني اللغوية الميل الى الجانب والجهة البعيدة من الوسط والتي تقع في الطرف حيث يقبع هناك من يرفض أن يكون وسطاً، وعليه فهو مفهوم يطلق في

(١) ابن فارس معجم مقاييس اللغة: ، ٣/ ٤٤٧.

(٢) الأزدي: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد «المتوفى: ٣٢١هـ»، جمهرة اللغة، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط/ ١، ١٩٨٧م، ٢/ ٧٥٤.

(٣)الفراهيدي، كتاب العين، ٧/ ٤١٤.

(٤)ابن منظور، لسان العرب:، ٩/ ٢١٥، ٢١٧.

حال الابتعاد عن التوسط والعدل في الامور [١].

١- **التطرف في الاصطلاح:** عرّفه المعاصرون من المفكرين بأنه: الخروج عن القيم والمعايير والقواعد الفكرية والاساليب السلوكية التي هي شائعة في المجتمع، والذي قد يتحول من كونه فكراً الى سلوك ظاهري على شكل عمل سياسي أو ديني أو غيره، وهذا السلوك المتطرف قد يُترجم على شكل عنف لغاية تحقيق ما يؤمنون به ويميلون اليه [٢]، في حين تناول كُتّاب آخرون التعريف من ناحية الافراط والمغالاة، إذ وصفوه بالتطرف في ممارسة العبادات الشرعية، أو القفز على الآخرين من خلال مصادرة اجتهاداتهم، في المسائل الاجتهادية، أو المغالاة في تجاوز حدود الشريعة من خلال التعامل مع الآخر المخالف، كما يذكر صاحب كتاب (التطرف الديني الرأي الأخر)« فهي التعصب للرأي تعصباً لا يعترف معه للآخرين بوجود » [٣].

عُرف التطرف: هو اتخاذ الموقف المتشدد في مقاطعة الآخر والابتعاد عن الاستجابة للمواقف الاجتماعية الموجودة في بيئته والتي تهمه، مع كونه يعيش في تلك البيئة كما في النص التالي لمفهوم التطرف «" اتخاذ الفرد موقفا متشدداً يتسم بالقطيعة في استجاباته للمواقف الاجتماعية التي تهمه، والموجودة في بيئته التي يعيش فيها » [٤].

---

(١) يُنظر: نادي محمود حسن، التطرف الفكري أسبابه ومظاهره، وسبل مواجهته دراسة من منظور الكتاب والسنة، ص/ ٦.

(٢) محمد ياسر الخواجة، التطرف الديني ومظاهره الفكرية والسلوكية، الناشر: مؤسسة دراسات وأبحاث – الرباط – المملكة المغربية، ص/ ٣.

(٣)محمد ياسر الخواجة، التطرف الديني الرأي الآخر: صلاح الصاوي، تأريخ الانشاء –٢٠٠٨م، ص/ ١٠.

(٤) نورالدين عزار، مقال: التطرف بين الدّيني والفكري، الناشر: مجلة ذوات، قسم: الدين وقضايا المجتمع الراهنة، العدد/ ٢٥، في٤/ ٢٠٢٠.

ويرى الباحث أنَّ التطرف ووفق ما تقدم من التعريفات اللغوية والاصطلاحية، هو الابتعاد عن الوسطية والميل الى الغلو في التعامل مع الآخر، حتى يصل الحال به الى الخروج عن المعايير والقيم السلوكية الشائعة في المجتمع، فيحدث عند جمع المتطرفين حالة نفسية قد تسمى بالتعصب للجماعة التي ينتمون اليها، وهو بهذه الحركة الدائمة يؤثر على القاعدة الاجتماعية والقانونية وكذلك الاخلاقية، وبهذا الوصف للتطرف من اتصافه بظهور الحالة النفسية القلقة وغير المستقرة والخارجة عن القيم الاجتماعية الشائعة وكذلك الطاعة والخضوع والتعصب للمجموعة التي ينتمي اليها، لا يكون الا سلوكاً جمعياً من النوع المذموم الذي يؤثر تأثيراً كبيراً في المجتمع.

ثانياً: السلوك الجمعي الناتج من التطرف والاندفاع في ضوء القرآن الكريم:

بعد البحث ودراسة مفهوم التطرف لم نجد هذه اللفظة قد ذكرت نصاً ظاهراً في القرآن الكريم، ولكن معناها تكرر كثيراً بألفاظ متعددة تنطبق والتعريفات المتقدمة لمعنى التطرف، فذكرت بألفاظ ومعاني مثل الغلو كما مر، والانحراف كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ [الحج: آية/١١]، وجاء في تفسيرها «جَمَاعَةٌ أَسْلَمُوا وَاسَتَبْطَأُوا نَصْرَ الْمُسْلِمِينَ فَأَيِسُوا مِنْهُ وَغَاظَهُمْ تَعَجُّلُهُمْ لِلدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ وَأَنْ لَمْ يَتَرَيَّثُوا فِي ذَلِكَ وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُنَافِقُونَ»[1] يُوصف الرجل بأنَّه يعبد الله على حرف لأنه ليس على يقين بوعد الله ووعيده ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ [الحج: آية/١١] ونتيجة لهذا القلق وعدم الاستقرار يكون سلوك المتطرف أو جمع المتطرفين غير مستقر، بحيث إن اصابه رخاء ونعمة وخصب وعافية ووفرة من المال صار سلوكه الاطمئنان على عبادة الله نتيجة لما اصابه من

(١) ابن عاشور، محمد طاهر، تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، الناشر : مؤسسة التاريخ العربي – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤٢٠ هـ.ق، ١٧ / ٢١٨.

ذلك الخير، في حين اذا اصابته فتنة من قلة المال وغيرها انقلب ورجع الى الكفر والابتعاد عن الله تعالى كما هو حال سلوك مجموعة الاعراب الذين نزلت فيهم الآية الكريمة[١]، وكذلك بلفظ الميل كما في قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيلًا عَظِيما﴾ [النساء:آية/ ٢٧] والظاهر من عموم اللفظ بمعنى الميل عن الحق، وهو الخروج عن سواء السبيل واتباع سلوك الجور وكان ميلهم ميلاً عظيما، كما يذكر صاحب تفسير (البحر المحيط) « وظاهره العموم والميل، وإن كان مطلقا فالمراد هنا الميل عن الحق، وهو الجور والخروج عن قصد السبيل »[٢].

وفي هذه الجزئية من البحث يذم القرآن الكريم التسرع في اتخاذ القرارات المتطرفة فيقول تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ﴾ [النساء: آية /١٧١] وقد ذكر صاحب تفسير الامثل:« أنَّ هذه الآية في بدايتها تُحذر أهل الكتاب من التطرف والمغالاة في دينهم، فتدعوهم لأن لا يقولوا على الله الا الحق كما ورد ادناه:« فهذه الآية تحذر في البداية أهل الكتاب من المغالاة والتطرف في دينهم، وتدعوهم أن لا يقولوا على الله غير الحق»[٣]، ويرى الباحث أن هذه ليست الا مغالاة في الدين عند النصارى أخذت بهم الى رفع عيسى عليه السلام الى فوق منزلته التي وضعها الله تعالى بها، حتى وصل بهم الحال الى نقله من حيّز النبوة الى الالوهية، الأمر الذي صار سلوكهم الجمعي نتيجة هذا التطرف أن يعبدوا عيسى عليه السلام، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد انما غالوا فيه حتى اتخذوا أتباع عيسى من الاحبار والرهبان أرباباً من دون الله

(١) يُنظر: الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي «المتوفى: ٤٦٨هـ»، الوسيط في تفسير القرآن المجيد تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، ٣/ ٢٦١.

(٢)الأندلسي، أبي حيان «ت: ٧٤٥ »تفسير البحر المحيط، الناشر: دار الكتب العلمية ردمك، ط/١ سنة الطبع: ١٤٢٢ - ٢٠٠١م المطبعة: لبنان/ بيروت، ٣/ ١٣٦.

(٣) الشِيرازي: نَاصِر مَكارم، الأَمْثَلُ في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، ٣/ ٥٤٥..

كما هو قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ﴾ [التوبة: آية /٣١]، وقيل اتخذوا أحبارهم ورهبانهم سادة من دون الله، يطيعونهم في معصية الله تعالى، مما يتضح منه انحرافهم وميلهم عن التوحيد الى نوع من شرك في العقيدة وشرك في العبادة، فكان سلوكهم الجمعي تحليل ما أحل أحبارهم وساداتهم وتحريم ما حرّموا، وبخلاف ما أحل الله لهم أو حرم أليهم[1]، وفي قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:آية/ ٥٣] بمعنى أخذوا يبدلون ويحرفون كما ورد في تفسيرها: « أي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم، فرح بباطله، مطمئن النفس، معتقد أنه على الحق فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ أي في جهالتهم، ومشيهم مع هواهم، ونبذهم كتاب الله حَتَّى حِينٍ أي إلى وقت يستفيقون فيه من سباتهم»[2]، ليظهر التطرف واضحاً على جمهور الحزب الذي تكون طاعته عمياء للمجموعة وللحزب مما ينتج عنه سلوكاً جمعياً يتسبب بتفرقة الأمة وتمزيقها فيكون المجتمع ضعيفاً متفرقاً «زُبُرًا» أي قطعاً وفرقاً متنوعة كما هو عليه المجتمع الاسلامي اليوم، في حين نجد الباري عز وجل في مقام آخر من القرآن الكريم يُحذّر من التفرقة وينهى عنها ويأمر بالوحدة والاعتصام بحبل الله المتين كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ

(١) يُنظر: الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٤/ ٢٠٩- ٢١١، ويُنظر: الشِيرازي: نَاصِر مَكارم، الأَمْثَلُ في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، ٦/٦.

(٢)القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق «ت: ١٣٣٢هـ»، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، ط/ ١ – ١٤١٨ هـ، ٧/ ٢٩٢، وينظر: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي «المتوفى:١٣٧٦هـ»، توفيق الرحمن في دروس القرآن:، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، الناشر: دار العاصمة، المملكة العربية السعودية – الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم – بريدة، ط/١ ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م، ٢٠٢/٣ .

تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾ [آل عمران: آية/،١٠٣- ١٠٥]، اذ ينهانا الله تعالى من أن نفترق عن الحق من خلال الخلاف نتيجة الغلو والتطرف في المعتقد والميل والتعاطف كل لحزبه ومذهبه، كما فعل أهل الكتاب فيحدث سلوكاً جمعياً غير واعٍ هو العداء والمحاربة لبعضنا بعضاً، ويأمرنا بالتمسك بحبل الله المتين الذين يصفه التفسير الروائي بالتمسك بنهج وسبيل محمد وآل محمد ﷺ كما ورد في تفسيرها: « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا :كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه وأحوال الآخرة، من بعد ما جاء هم البينات :في موضع الحال من فاعل الفعل السابق، وهي الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه، وفي الآية دلالة على كفر من اختلف وتفرق عن الحق بعد مجيء البينة»[(١)].

ولا نقصد مما تقدم مخالفة قانون الجماعات كونها عندما تكبر فمن البديهي انها تنقسم ، فهذا لا يخالف أن تبقى تطبق العدالة وما شرعه الله تعالى للحفاظ على التعايش السلمي بين الناس، انما نقصد اختلافها وتمزقها الأمر الذي يجعلها متعادية ومتصارعة في الفر والمعتقد والسلوك.

وقد ورد في تفسير القاسمي (محاسن التأويل) عن وصف وقوع التفرقة والخلاف «عن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺعن الخير؟ وكنت أسأله عن الشر؟ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله! صفهم لنا، قال:هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين

(١)الميرزا محمد المشهدي «ت: ١١٢٥ »تفسير كنز الدقائق المؤلف: المجموعة: مصادر التفسير عند الشيعة تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط/ ١ - ١٤١٠، ٢/ ١٨٥-١٨٦.

وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[(١)] وهذا الحديث النبوي المبارك ما هو الا نص صريح وتفسير واضح للآيات المباركة السابقة الذكر في ما يجب على المسلمين بأنّ يكونوا عليه من نبذِ التطرف والتفرقة الى طوائف وفرق، أما قوله ﷺ : «نعم. وفيه دخن» بمعنى قوم يظهرون أنهم مصلحون وفي حقيقة أمرهم أن سلوكهم هو مُفسد لا صلاح فيه «أي فسادٌ ظاهره صلاح»[(٢)].

ويرى الباحث إنَّ هذا هو حال كثير من الحركات والاحزاب والنظريات الاجتماعية التي تُطبَق في الواقع المعاصر والتي هي بعيده عن تعاليم الله تعالى وروح الاسلام في الخير والصلاح والمحبة وضمان العيش الكريم للجميع من دون تناحر ولا قتال ولا ارهاب، فالله تعالى يأمر بالاجتماع والمؤازرة والمناصرة في الدعوة لله تعالى وللخير من دون زيادة ولا نقصان، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: آية / ٥٢] ،فإت هي طبقت قوانين الله في الخير والتعايش السلمي الريم من أجل الاصلاح فهذا أمر مستحسن ، ولكن ما خرج عن ذلك فهو أما تعصب للجماعة أو التحزب الذي نهى الله عنه لأنه يسبب الفرقة والتمايز بين أفراد مجتمع الأمة الاسلامية، في حين انتساب الناس الى القبيلة أو العشيرة أو البلد من دون أيُّ تمايز عن الآخرين أو تفرقة، فلا بأس فيه، وفي خلافه فما هو الا التطرف والغلو الذي ينتجان التفرقة والتمايز اللذان يحرمها الله تعالى، ولذا توجب الابتعاد عن التطرف والغلو وأن نجعل من الحزب أو الجماعة مصدر من مصادر الوصول للخير

(١) أحمد بن حنبل «١٦٤ – ٢٤١ هـ»، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ٣٨/ ٣١٨، محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي «المتوفى: ١٣٣٢هـ»، المحقق: محمد باسل عيون السود، لناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، ط/١ – ١٤١٨ هـ، ٢/ ١٠٦.

(٢) خالد عبد الرحمن، العك عوامل التطرف والغلو والارهاب وعلاجها في ضوء القرآن والسنة، الناشر: دار المكتبي، ط/ ١ –١٤١٨هـ– ١٩٩٧م، ص/ ٥٥.

والحق، لما لها من أثر خطير ذو حدين على المجتمع[١].

ويرى الباحث إنَّ التطرف لا يقف عند مكان ولا زمان، ومن الأمثلة المعاصر ما عليه حال الجماعات المتطرفة أو الاحزاب المغالية الذين ينظرون الى غيرهم من المسلمين وفي عصرنا الحاضر انها مجتمعات جاهلة، وبالتالي يتحتم على الجميع اعتزال تلك المجتمعات، وهذا السلوك الجمعي المتطرف يزيد في الفجوة بين المسلمين وبين المسير الى المساجد وتعاهدهم إياها، الى حد جعلوا كثيراً من المصلين تنفر هِممهم عن حضور صلاة الجماعة بسبب غلو وتطرف هؤلاء المتطرفين المغالين، في حين أن الله تعالى أمر بخلاف ذلك بقوله تعالى:﴿ ي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ (٣٦) رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: آية/٦٣-٦٤] وحسب قول المفسرين جميعاً أنَّ (فِي بُيُوتٍ) تعني المساجد، التي تُعد من أحبِ البقاع لله تعالى، وهي كذلك من أظهر وأبرز الشعائر الاسلامية من أول عهد الرسالة الاسلامية حتى عصرنا الحاضر، والى يوم قيام الساعة، وهذا هو المائز بين دار الاسلام التي هي لكل المسلمين يرتادونها في كل الأوقات لمعرفة الحلال والحرام، ويتلقون فيها المواعظِ والارشاد وجميع الآداب والاخلاق الحميدة وبين دار الكفر والضَلال التي ينهى الله تعالى عن الحضور والمكوث فيها، ومن دون أن يذكروا للناس فضل الصلاة في المساجد والجماعة فيها وفضل خطوات المسير اليها، وحملوا النصوص القرآنية وأقوال المفسرين على غير محلها، ومصاديق ذلك السلوك في واقعنا الحاضر متحققة من خلال بعض الجماعات المتطرفة التي تنفر المصلين من دخول مساجده التي تعود الى ما يعتقدون به ويميلون اليه ، الذين يعتقدون أنهم على الصح والصواب وما دونهم على خطأ ، ويميزون أنفسهم بما يجعلهم يميزون اتباعهم من خلال شعارات أو علامات معينة يؤدونها.

(١) يُنظر: خالد عبد الرحمن، العك عوامل التطرف والغلو والارهاب وعلاجها في ضوء القرآن والسنة، الناشر: دار المكتبي، ط/ ١ -١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ص/ ٥٧- ٥٨.

كما أنَّ من ينقطعون عن المساجد يستدلون على فعلهم هذا من خلال تفسيرهم لقوله تعالى في قصة النبي موسى عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٧﴾ [يونس: آية/ ٨٧] معللين وجوب الانقطاع عن المساجد في حين أن ذلك ينطبق في حال مماثلة للحال التي كان عليها بنو إسرائيل من الخوف من فرعون وكذا يمكن أن يكون الاسلام مطارداً والمسلمون فيه خائفون على أنفسهم وعلى دينهم وقد تجبر الطاغوت، وعمتِ الفتنة وفسد الناس فيتحتم على المسلمين ملازمة بيوتهم والاعتزال عن المجتمع الجاهل كما ورد في تفسيرها: « وهذه التجربة التي يعرضها الله على العصبة المؤمنة ليكون لهم فيها أسوة، ليست خاصة ببني إسرائيل، فهي تجربة إيمانية خالصة، وقد يجد المؤمنون أنفسهم ذات يوماً مطاردين في المجتمع الجاهلي، وقد عمت الفتنة وتجبر الطاغوت، وفسد الناس، وأنتنت البيئة – وكذلك كان الحال على عهد فرعون في هذه الفترة »[1].

ويخلص البحث إنَّ التفاسير بيَّنت خصيصة التطرف بأدق تفصيلاتها من خلال تفسير الآيات القرآنية المباركة عبر مختلف أنواع التفسير وتبين من خلال التفسير القرآني الوسائل والطرق التي يسلكها المتطرفون لهدم عقائد الناس تحقيقاً لما يؤوعانون من مرض التطرف والغلو، حتى يصل الحال بهم الى اظهار ما يخالف مقصدهم ليخدعوا الناس وصولاً الى أهدافهم المغرضة والسيئة، كما تبيَّن مثلاً في تنفير الناس عن ارتياد المساجد والصلاة جماعة فيها، ونحو ذلك من صور المغالاة والتطرف.

المطلب الثاني: من عوامل تفكير الجمهور المنتجة للسلوك الجمعي (السذاجة)في القرآن الكريم في القرآن الكريم : من الخصائص الداخلية المؤثرة في صناعة السلوك الجمعي عند الجمهور السذاجة والبساطة في التفكير.

أولاً: مفهوم السذاجة:

(١) سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي «ت: ١٣٨٥هـ»، في ظلال القرآن، ٣/ ١٨١٦.

١-**السذاجة في اللغة:** «سُذَّج: بسيط غير محنّك قليل النباهة والدّهاء، ينخدع بسهولة، قليل التبصُّر بالأمور "شخص ساذج" أسلوب ساذج: يدلّ على غباوة صاحبه- حجّة ساذَجة: غير بالغة»[١].

٢-=**السذاجة في الاصطلاح:** قد توصف السذاجة بنزعة الثقة العالية بالآخرين، أو عدم الاحساس بمنبهات عدم الجدارة، أو القبول بالرغم من وجود الاشارات الدالة على عدم الجدارة بالثقة، وفي اطار ذلك يُعرفها بعض الباحثين فيقول: « هي نزعة بعض الناس الذين لديهم ثقة أكثر من اللازم وغير حساسين لمنبهات عدم جدارة الآخرين بالثقة، أي يفتقرون للقدرة أو الدافع للكشف عن اشارات عدم الثقة، ويكونون بذلك منفتحين وعرضة للخداع»[٢].

ويرى الباحث في هذا التعريف الكفاية للتعرف بمصطلح السذاجة، على الرغم من ان المصطلح قد يوحي احياناً على الطيبة والبقاء على الاصل، الذي لم يتلوث بعوارض الحداثة والتغيير، ومن التعريف اللغوي نفهم ايضا أن السذاجة احياناً تدل على غباوة صاحبها فتجده على الرغم من ضعف الحجة التي يتمسك بها ولكنَّه يبني سلوكه على وفقها وبكل ثقة وتشدد في الموقف.

ثانياً: تطبيقات سذاجة السلوك الجمعي عند الجمهور في القرآن الكريم: ويمكن بيّانه من خلال الآتي:

١-ويظهر ذلك من خلال السذاجة التي واجه بها المشركون الدعوةَ الاسلامية في بدايتها قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ**﴾**[القلم: آية / ٥١]** ، اذ جاء في تفسيرها: « نلمح من خلال أسلوب السورة وتعبيرها وموضوعاتها ملامح البيئة التي كانت الدعوة الإسلامية تواجهها، وهي ملامح فيها سذاجة وبدائية في التصور والتفكير والمشاعر

(١) أحمد مختار عبد الحميد عمر «ت ١٤٢٤ هـ» بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢/ ٥١.

(٢) علي تركي نافل القريشي، استاذ في كلية الآداب جامعة بغداد: السذاجة وعلاقتها بالذكاء الاجتماعي لدى طلبة الجامعة، الناشر: مجلة الأستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد «٥٩» العدد«٤» كانون الأول لسنة ٢٠٢٠ م - ١٤٤٢هـ.

والاهتمامات والمشكلات على السواء، نلمح هذه السذاجة في طريقة محاربتهم للدعوة بقولهم للنبي ﷺ ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾!..... وهو اتهام لا حبكة فيه ولا براعة، وأسلوب من لا يجد إلا الشتيمة الغلظة يقولها بلا تمهيد ولا برهان، كما يفعل السذج البدائيون»[1]، وهكذا تكون سذاجة التفكير أحدى المؤثرات الداخلية لدى الجمهور والتي تكون مسؤولة عن حصول السلوك الجمعي المتمثل بالعداء والوقوف ضد الدعوة الاسلامية، ويرى الباحث ان السذاجة التي تقبلت قول: ﴿**إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ**﴾ قد تكون ليس عند من اطلق هذا القول، بل عند الجمهور الساذج الذي يفكر بثقة مطلقة بمن يقوده من الرؤساء والقادة المظلين للجمهور.

٢-وتتضح سذاجة التفكير والرأي من خلال قصة أصحاب الجنة كما في قوله تعالى:﴿ وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ، أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾[القلم: آية / ٢٤] اذ إنَّ سذاجتهم في التفكير قادتهم الى أن تتفق أرائهم على سلوك جمعي واحد وهو نهر وطرد كل محتاج أو مسكين يطلب منهم المساعدة متناسين أن الأمر كله لله تعالى واليه تعود عاقبة الأمور فكانت نتيجتهم الندم والخسران، كما يتضح ذلك في التفسير للآية الكريمة: « نلمحها (السذاجة) في القصة أصحاب الجنة- التي ضربها الله لهم، وهي قصة قوم سذج في تفكيرهم وتصورهم وبطرهم، وفي حركاتهم كذلك وأقوالهم..... هي ملامح تظهر بوضوح من خلال التعبير القرآني، وتفيد في دراسة السيرة ووقائعها وخطوات الدعوة فيها؛ ومدى ما ارتفع القرآن بعد ذلك بهذه البيئة وبتلك الجماعة في أواخر عهد الرسول ﷺ ومدى ما نقلها من هذه السذاجة في التفكير والتصور والشعور والاهتمام»[2].

٣-في آيات عدة كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾[البقرة: آية / ١١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [

(١) سيد قطب،، فى ظلال القرآن، ٦ /٣٦٥٣ .

(٢) المصدر السابق، ٦ / ٣٦٥٤ .

التوبة: آية / ٣٠] وقوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ الْغَنِيُّ﴾[يونس: آية ٦٨]، وغيرها من الآيات الكريمة التي ذكرت هذا المُعتقد المنحرف، الذي ينبع من التفكير الساذج المحدود الأُفق، اذ ينظرون الى الله تعالى كما ينظرون الى الانسان المحتاج الى الاستمرار والبقاء من خلال استمرار نسله، لا يستوعبون أنَّ الله تعالى له ما في السموات والارض وكل ما في الوجود، وهو المالك لجميع الموجودات، وهو خالقها ومبدعها، وهو القائل: ﴿فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر: آية / ٦٨] كما ورد في تفسير الأمثل: «نسبة الولد إلى الله سبحانه، هي دون شك وليدة سذاجة فكرية، قائمة على أساس مقارنة كل شيء بالوجود البشري المحدود»[١].

٤-قوله تعالى: ﴿ قالُوا ما أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا وَما أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴾ [يس: آية / ١٥]، وهذا الاعتراض قد تكرر على لسان الاقوام المختلفة تجاه رُسلهم كأنَّما تشابهت قلوبهم وهو دليل سذاجة عقولهم كما يُبيّن صاحب الظلال: « وهذا الاعتراض المتكرر على بشرية الرسل تبدو فيه سذاجة التصور والإدراك، كما يبدو فيه الجهل بوظيفة الرسول، فقد كانوا يتوقعون دائما أن يكون هناك سر غامض في شخصية الرسول وحياته تكمن وراءه الأوهام والأساطير... كيف يكون شخصية مكشوفة بسيطة لا أسرار فيها ولا ألغاز حولها؟! شخصية بشرية عادية من الشخصيات التي تمتلئ بها الأسواق والبيوت؟! وهذه هي سذاجة التصور والتفكير»[٢].

ويرى الباحث إنَّ التفكير الساذج من قبل الجمهور بقضية معينة ينتج رأياً عاماً خاطئ فيولد عقلاً جمعياً وبدوره يُنتج سلوكاً جمعياً خاطئاً، الأمر الذي يجعل من سلوكهم سلوكاً جمعياً يتجلى في رفض دعوة الانبياء والرسل، مما يؤثر في الواقع الاجتماعي فيكون مجتمعاً وثنياً بعيداً عن العدالة وكل تعاليم الله تعالى إذ تسود

(١) مكارم ناصر الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١/ ٣٥١.

(٢) سيد قطب،، فى ظلال القرآن، ٥/ ٢٩٦١.

الاحكام الوضعية الجائرة مما يُرسخ الظلم والجور والجوع والفقر والتخلف وزيادة الانحرافات الاخلاقية والجنسية وغيرها من الامراض الاجتماعية .

وحتى الركون الى السِّلمِ في عالم يسود فيه الظلم والاستعباد طلباً للسلامة هو من مصاديق السذاجة، كما يصف صاحب تفسير من هدي القرآن: «إن من السذاجة الركون إلى السِّلم في عالم تحكمه شريعة الغاب، يأكل القوي الضعيف، وينفق الأعداء قسما كبيرا من مواردهم في الاستعداد للحرب، بالرغم من أن النفوس تكره الحرب بطبعها، وتميل إلى الخفض والدعة، وقد ينخدع الإنسان بمظاهر الود والموادعة الحاكمة على الأجواء، فلا يَعُدّ نفسه للقتال، فيؤخذ على غرة»[1] ولو كانت السلامة في التسليم والرضوخ لسلمت الشعوب التي تخاذلت عن نصرة قادتها ومصلحيها ولم يقوموا لنصرتهم فأصابهم بعد ذلك الذل والقتل وخراب الديار.

ويتبيَّن للباحث إنَّ ذكر هذه الصور من أحوال الماضين ليس عبثاً، بل أن هذه الصور تتكرر وتحدث على مر العصور، وخصوصاً في العالم المعاصر بعد أن ابتعد الانسان عن الدين وصار يتأثر بالأفكار الدخيلة والمادية منها، فتسلك المجاميع الكبيرة من الناس سلوكا مادياً مجرداً من كل وعي وايمان بالله تعالى مما يجعل من المجتمع مجتمعاً تقوده المادة والرغبات والاهداف الضيقة والانانية، الخالية من الايمان بالله تعالى، وخالية من التفكير والتوجه السليمُ في معرفته باللهِ تعالى وتعاليمه، الذي مصدره التفكير والواعي السليم، وهذا خلاف ما خُلق عليه الانسان، اذ قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين: الآية / ٤]، ولكن مُتبعي الشهوات والمتأثرين بها يكون سلوكهم التسافل والانحطاط فيهبط الى السذاجة مخدوعين بمثيرات الفتن كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: الآية / ٥].

فيتأكد عند الباحث إنَّ من اسباب السلوك الجمعي الذي يؤثر في المجتمع هو ما كان سببه ضعف التفكير وسذاجة الجماعات من البشر المكونة لمجتمع ما، إذ

(١) المدرسي، من هدي القرآن، ٩/ ٢١١.

يتجلى في ضعف الايمان والابتعاد عن معرفة الخالق في حين أن أول الدين معرفته كما يُنقل عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ وكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ وكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ وكَمَالُ الْإِخْلَاص...» [1].

مما تقدم يظهر للباحث بأنَّ من السلوك الجمعي الذي هو مصدره الجهل وسذاجة التفكير ومثل هذ السلوك لا يحده زمان ولا مكان، اذ يتكرر عند الصغار والكبار والنساء والرجال في عصرنا وما سبق وما هو آت، وما دام الجهل والابتعاد عن الحق والصواب، الأمر الذي يظهر تأثيره جلياً على طبيعة المجتمع، فينتج مجتمعاً ضعيف متفكك، معرض في كل لحظة لانتشار الظلم والاستغلال والطبقية والانحراف الاخلاقي والعقائدي والاجتماعي.

المطلب الثالث: من السلوكيات المنتجة للسلوك الجمعي (الطغيان)في التفسير القرآني.

قد يكون الطغيان خصيصة داخلية من ذات الجمهور يتصف بها ولم تُفرض عليه من الخارج، وقد يكون خارجياً كما هو في طغيان الجبابرة والملوك الطُغاة على الجمهور، ولكن البحث في هذا المطلب سوف يتناول الطُّغيان الداخلي الذي يتصف به الجمهور.

أولاً: مفهوم الطغيان:

١- **الطغيان في اللغة:** قال الخليل (ت ١٧٥هـ): «الطُّغيان:... وقد طَغوت وطَغيت. والاسم الطَّغوَى، وكل شيء يجاوز القدر فقد طَغَى، مثل ما طغى الماء على قوم

(١) العلامة الحلي، الحسن بن يوسف «ت: ٧٢٦ هـ»، نهج الحقّ وكشف الصدق، الناشر: دار الكتاب اللبناني، ط / ١ -١٩٨٢م، بيروت - لبنان، ص / ٦٥.

نوح، وكما طغت الصيحة على ثمود»[١]، ويقول ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) «الطاء والغين والحرف المعتل أصلٌ صحيح منقاس، وهو: مجاوزة الحد في العصيان، يقال هو طاغٍ»[٢]، وقالوا « وطَغى السيل: إذا جاء بماء كثير...وطَغى البحر: هاجت أمواجه، وطَغى الدم: تبيَّغَ»[٣] وكذلك قالوا «...والفعل منه: طَغَيت وطَغَوت..»[٤]، «و"طغي بالكسر مثله...»[٥]، وقد عرفه الفيروز آبادي «ت ٨١٧هـ»: « الطُّغيان بقوله: "طَغَى يَطْغَى طَغياً ويَطغو طُغياناً: جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر، وأسرف في المعاصي والظُّلم »[٦]

فيتبين من التعريف اللغوي أنَّ معنى الطُّغيان في اللغة: هو مجاوزة الحد، أو ما حُدد من القدر المعلوم، وحسب الاستعمال القرآني نقول: العصيان ومجاوزة الحد أو الظلم، والغلو في الكفر.

٢- **الطغيان في الاصطلاح:** فقد عرَّفه المفسرون: «مجاوزة الحد»[٧]، وهناك من

---

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، العراق: دار الرشيد، د. ط، ١٩٨١م، ج٤، ص٤٣٥.

(٢) ويذكر ابن فارس في كتابه: «مجمل اللغة» الكلام نفسه إلا أنه يبدأه بقوله: "طغى يطغى طغياناً، وكل مجاوز للحد في العصيان طاغ". يُنظر، ابن فارس، أبو الحسين أحمد، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان «بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م»، ج٢، ص٥٨٣.

(٣) الزمخشري «ت ٥٣٨هـ»، أبو القاسم جار الله، أساس البلاغة، تحقيق: محمَّد باسل عيون السود «بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م»، ج١، ص٦٠٦.

(٤) ابن فارس،، معجم مقاييس اللغة، ٣ / ٤١٢.

(٥) الرَّازي، محمَّد بن أبي بكر «ت ٧٢١هـ»، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر «بيروت: مكتبة لبنان، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م»، ١/١٦٥.

(٦) الفيروز آبادي،، القاموس المحيط،، ١٦٨٥.

(٧)الطبري، محمَّد بن جرير «ت ٣١٠هـ»، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت: دار الفكر، د. ط، ١٤٠٥هـ، ج١، ص١٣٥، ويُنظر : الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم «ت ٣١١هـ»، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق:

عرفه أنّه: «التَّكبُّر والتمرد» [١]، وقالوا: هو «الاستعلاء و الفساد» [٢]، أو هو «العناد» [٣] أو هو «ما لا يجوز» [٤] أو هو« الكفر » [٥] أو هو« العتو » [٦] أو هو «العصيان» [٧].

ومما تقدم يتضح للباحث أنَّ تعريف الطُّغيان: هو أن يتجاوز الانسان قدره، في كونه عبداً داخراً لله تعالى أو يتجاوز حده الذي حده الله تعالى له من حدود ليس له ان يتجاوزها فهو لا يبالي بما أتى فلا يحد افعاله حد ولا قانون، ويمكن القول أنَّه الطاغية هومن يتجرأ ويستهتر بالقوانين والاصول والثوابت الإلهية .

و«الحكومة المدارة من قبل فرد أو جماعة بالقوة أو بالقسوة والظُّلم، مع مجافاة أسس العدالة» [٨]،

عبد الجليل عبده شلبي «بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م»، ٩٦/٥. النحاس، أبو جعفر «ت ٣٣٨هـ»، معاني القرآن، ج١، ص٢٧٠، ويُنظر : الطوسي، أبو جعفر «ت٤٦٠هـ»، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، د. م: دار إحياء التراث العربي، د. ط. ت، ٢٨٥/١٠، ويُنظر الواحدي، علي بن أحمد «ت ٤٦٨هـ»، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي «دمشق–بيروت: دار القلم–الدار الشامية، ط١، ١٤١٥هـ»، ١١٧٠/٢، ويُنظر : البغوي، الحسين بن مسعود «ت٥١٦هـ»، معالم التنزيل، تحقيق: خالد العك–مروان سوار «بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م»، ٦٥٢/١. الزمخشري، محمود جار الله «ت ٥٣٨هـ»، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، تحقيق: عبدالرزاق المهدي «بيروت: دار إحياء التراث العربي –مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م»، ٤٠٧/٢.

(١) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٢٥٧/١٠..

(٢)أبو حيان، النهر الماد، ج٤، ص٧٧. الطوسي، مرجع سابق، ٢٥٧/١٠.

(٣)المصدر السابق، ٧٧/٤.

(٤)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١١، ص٢٣٠. الواحدي، الوجيز، ١١٧٠/٢.

(٥)الرَّازي، فخر الدِّين، تفسير الفخر الرَّازي المشهر بالتَّفسير الكبير ومفاتيح الغيب «بيروت: دار الفكر، ط٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م»، ج٢، ص٧٩. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٥٤/١٧.

(٦) المصدر السابق، ١٨/٣١.

(٧)الجرجاني، التَّعريفات، ١٨٣/١. السيوطي، الدر المنثور، ٤٨٠/٤. ابن عادل، اللباب، ١٣٨/١٨.

(٨) المصدر السايق نفسه .

أو ، بعد ما تقدم من تعريفات لغوية وتفسيرية وسياسية للطُّغيان يرى الباحث أن ذلك قد غطى معنى مفهوم الطغيان.

ثانياً: تطبيقات قرآنية حول الطُّغيان في سلوك الجمهور:

١-قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾[الفجر: الآيات / ٦- ١٢].

ويرى الباحث إنَّ هذه الآيات المباركات تُبيّن إنَّ لكل سلوك جمعي حالة تتسبب بأثارته وأنَّ جمهور هذه الامم (عاد – وثمود – وقوم فرعون) قد جهلوا ولم يفهموا سبب« النعيم» الذي هم فيه الامر الذي أدى بهم جميعاً الى أن يسلكوا سلوك الطُّغيان والفساد بالأرض، والشعور بالكبرياء والتعالي على الآخرين وظلم الضعفاء، إذ أنَّهم لم يعلموا إنَّها (النعم التي هم فيها) اختبار وابتلاء يمتحنهم الله تعالى من خلالها أيكفرون أم يشكرون، وهذه سجية عند الانسان الكافر بأنعم ربه، إذ يظن أنَّ افاضة النعم عليه هي اكرام له دون غيره يفعل بها ما يشاء، حتى يصل به الأمر الى أن يطغى ويكثر الفساد كما هو في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي﴾[الفجر: آية /١٥] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: آية / ٦-٧]، والانسان هنا المقصود به النوع، الا ما رحم ربي، فقوم عاد وثمود وقوم فرعون، جهلوا ما اتاهم الله من نعمة القدرة في البنية الجسدية وكثرة المال والرجال والولد واغداق الخيرات عليهم، كلها مؤثرات حفزت لديهم الشعور بالطُّغيان والتكبر والتجبّر والعصيان، الأمر الذي جعلهم ومن دون أن يشعروا يجتمعون على سلوك جمعي واحد الا وهو الطُّغيان والتعالي على غيرهم، إذ يذكر صاحب الميزان في تفسيره للآية الكريمة: « يستفاد من الآيات السابقة أنه تعالى أنعم على الإنسان بعظائم نعم مثل التعليم بالقلم وسائر ما علم والتعليم، من

طريق الوحي فعلى الإنسان أن يشكره على ذلك، لكنه يكفر بنعمته تعالى ويطغى، و قوله: ﴿ إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى﴾،أن يتعدى طوره»[1].

في حين نجده تعالى يُنبّه الناس على تحمل النعم، وأن لا يطغوا عند نزولها عليهم من خلال قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾[طه: الآية / ٨١]، وقد جاء في تفسيرها: «أي لا تحملنكم السعة والعافية أن تعصوا، لان الطغيان التجاوز إلى ما لا يجوز»[2].

اذ يتبيَّن للباحث إنَّ وجود المحفز والمؤثر المشترك الا وهو اغداق النعم المختلفة عليهم، وعدم وجود الوعي والفهم الصحيح لسبب هذه النعم والجهل بها، ووجود اجتماعهم على الأمر، وردة الفعل غير الصحيحة الا وهي الطُّغيان والتكبر في الارض، كل هذه الخصال تجعل من سلوكهم سلوكا جمعياً، له تأثيره الواضح على المجتمع من خلال انتشار الظلم واحتكار النعم وعدم الاكتراث للآخر وانْ كانَ غِناهم وعَظمتهم على حساب موت الآخر وفنائه، وهو أمر عادةً ما يتكرر في واقعنا عند من يملكون السلطة والنفوذ والمال وكيف يجتمعون على استغلال الناس ونهب الخيرات، وامتصاص دماء الضعفاء، فترى الفوارق الاجتماعية والصحية والاقتصادية والتعليمية، مما يظهر الطبقية بين فئات المجتمع.

٢-**قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾

(١) الطباطبائي، الميزان، ٢٠/ ٣٢٥

(٢) القرطبي، محمد بن احمد، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠جلد، ناصر خسرو – ايران – تهران، ط/ ١، ١٣٦٤ هـ.ش، ١١/ ٢٣٠.

[الاسراء: آية / ٦٠]

موضوع البحث هو الطُّغيان المؤدي الى السلوك الجمعي، يطرح الباحث سؤالاً: ما الذي يربط الآية الكريمة في موضوع البحث ؟ الجواب: فقد ذكرت التفاسير أن كفار قريش عندما علموا برؤيا النبي ﷺ التي فسرها المفسرون بتفسيرات مختلفة وعديدة فبعض فسرها بالإسراء والمعراج، وأخر فسرها أنه ﷺ رأى قتلى واقعة بدر ومصارع قريش قبل وقوع المعركة، حتى أنَّه ﷺ كان يشير بأصبعه هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان، وبعض فسرها برؤية شجرة الزقوم التي وعد الله تعالى أن تكون طعام الاثيم من كفار قريش وغيرهم، وفي تفاسير أخرى أنَّ الشجرة الملعونة هم بنو أُمية، كل هذه التفسيرات كانت بمثابة محفزاً ومثيراً لهم (كفار قريش)، الأمر الذي يجعل من كفار قريش أن يصابوا بالهيستريا ويكثرون من استهزائهم بالنبي ﷺ فيزيدون في طُّغيانهم وتكبرهم وتمردهم حتى يروى عن ابي جهل عندما سمع بهذه الآية المباركة قال: « فقال أبو جهل لجاريته: زقمينا فأتته بزبد وتمر فقال: تزقموا»[(١)]، مُظهراً استهزائه وتكبره، وهكذا أمثاله من كفار قريش، وقد بيَّن تعالى لنبيه الكريم ان هذا التخويف للكافرين لا يزيدهم الا طُّغياناً، لأنَّ الله تعالى قد أرسل الى من قبلهم من الأمم آيات كثيرة فلم يزدادوا الا كفراً وطغياً وعنادا، وأنه تعالى بشره أنه محيط بهم وبكل شرورهم فلا يخافهم مهما ازدادوا طغياناً وتكبراً [(٢)]، ويذكر صاحب الميزان في تفسيره: « والمعنى ونخوف الناس فما يزيدهم التخويف إلا طُّغيانا، ولا أي طُّغيان كان بل طُّغيانا كبيرا، أي أنهم لا يخافون من تخويفنا حتى ينتهوا عما هم

(١) ابن عاشور، محمد طاهر، تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، ٣٠جلد، مؤسسة التاريخ العربي – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤٢٠ هـ.ق، ٢٣/٤٠.

(٢) يُنظر: محمد حسين فضل الله ، من وحي القرآن، ٤/ ١٦٣– ١٦٤، ويُنظر : الطباطبائي، الميزان ١٣/ ١٣٦– ١٤٠.

عليه، بل يجيبوننا بالطُّغيان الكبير فهم يبالغون في طُّغيانهم ويفرطون في عنادهم مع الحق»[١] وان الذي منع من أنَّ يُنزل الله تعالى الآيات المبهرات كما أنزل على من سبق من الأمم، لعلمه تعالى أنها لا تنفع ولا تزيد الا طُّغياناً وكفراً وتكبراً من قبل المشركين بالله ورسوله كما قال تعالى، فقد أنزل الله تعالى كثير من الآيات على الأمم السابقة فكفروا وجحدوا بها كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وآتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها وما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً﴾[الاسراء: الآية / ٥٩]، فكانت مثل هذه الايات فتنة لهم وزيادة لهم بأن يسلكوا سلوك الطُّغيان والتهكم والتكبر من دون علم وبصيرة في الامور، سيراً مع تكبر وطُّغيان جماعتهم كما يذكر صاحب تفسير التحرير والتنوير من خلال تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْناها فِتْنَةً لِلظَّالِمِين﴾[الصافات: آية / ٦٣] «أي جعلنا ذكرها مثيرا لفتنتهم بالتكذيب والتهكم دون تفهم»[٢].

كما ويتضح للباحث أنَّ هؤلاء الطغاة لم يتواصوا فيما بينهم على ما يسلكوا من سلوك جمعي بل جمعهم طغيانهم من دون فهم ولا روية كما هو في قوله تعالى:﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾(الذاريات: الآية / ٥٣) إذ جاء في تفسيرها: «أي لم يوص بعضهم بعضا بل جمعهم الطغيان، و– هو مجاوزة الحد في الكفر»[٣].

ويرى الباحث إنَّ تشابه هؤلاء الكفار في الدوافع والميول والتفكير والقلق على المصالح الدنيوية الضيقة، جعل من سلوكهم سلوكاً جمعياً واحداً يتجلى بالتكذيب بآيات الله، وإن كانت واضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار.

(١) طباطبايى، الميزان في تفسير القرآن، ص/ ١٤٠.

(٢) ابن عاشور، محمد طاهر، تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، ٢٣/ ٤٠.

(٣) القرطبي، محمد بن احمد، الجامع لأحكام القرآن، – ايران – طهران، ط/ ١، ١٣٦٤ هـ.ش، ١٧/ ٥٥.

ثالثاً: تطبيقات قرآنية في سلوك عدم قبول الآخر.

ومن النتائج السلبية من للسلوك الجمعي لجماعات التي تسلك سلوك الطغيان أنهم لا يرون الا جماعتهم ولا يقبلون الاخرين ، ومن هذه التطبيقات في ذلك :

١-جاء في قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[المؤمنون: آية / ٥٣] يذكر صاحب نظم الدرر: « أي مسرورون فضلا عن أنَّهم راضون غير معرج الضال منهم على ما جاءت به الرسل من الهدى، ولا على الاعتبار بما اتفق لأممهم بسبب تكذيبهم من الردى» [(١)]، اذ تصل الحال بالجماعات والاحزاب أن لا ينظروا بأُمهات العقول التي أودعها الله لهم، بل يحركهم عقل الجماعة فيحصل العقل الجمعي المنتج للسلوك الجمعي، فيتعصبون لجمعهم ولا يقبلون غيره، مما يجعل سلوكهم الجمعي موافقاً لما تتبناه جماعتهم أو حزبهم، وبالضد من أيّ قول أو فعل مخالف لما تتبناه جماعتهم أو حزبهم حتى وأن يصل الحال بهم التخلص بأيَّة طريقة ممن يُخالفهم بالرأي أو الفكر، وهذا تَجَسَدَ وتَجلى واضحاً في سلوك الجماعات التكفيرية، أو حتى الاحزاب ذات المنهج الباطل.

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[الانفال: آية/٢٢] فقد ورد في تفسيرها أن الكافرين من شدة ما أصابهم من كفر وعداء لله ورسوله كانوا يصمون أذانهم وعقولهم عن تقبل دعوة النبي ﷺ فلا يسمعون كلامه كما ورد في التفسير: «قال: وكانوا يقولون: إنا صم بكم عما يدعونا إليه محمد، لا نسمعه، ولا نجيبه به بتصديق، فقتلوا جميعا بأُحدٍ، وكانوا أصحاب اللواء»[(٢)].

وفي التفسير الصوفي « فمن صمّ عن إدراك ما خوطب به سرّه، وعمى عن

---

(١) البقاعي، ابراهيم بن عمر، نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – لبنان – بيروت، ط / ٣، ١٤٢٧ هـ.ق، ٥/ ٢٠٨،

(٢) الطبري، جامع البيان فى تفسير القرآن «تفسير الطبري»، ٩/ ١٤٠.

شهود ما كوشف به قلبه، وخرس- عن إجابة ما أرشد إليه من حجة- فهمه وعقله فدون رتبة البهائم قدره، وفوق كل من حكم الله ذلّه وصغره، قوله جل ذكره»[١].

اذ يرى الباحث إنَّ وجود المؤثر الا وهو الكفر والتكبر والطُّغيان واجتماعهم عليه، أحدث عندهم عقلاً جمعياً واحداً قادهم الى سلوكٍ جمعي واحد وهو عدم سماع صوت الحق الذي ادى بهم الى الهلاك، وهذا مصير كل المجتمعات البشرية التي لا تنصاع الى الحق والصواب.

وفي ذات السياق قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[الاعراف: آية / ١٧٩] .

يتضح للباحث أنَّ هؤلاء نتيجة للدوافع التي تدفعهم الى بُعدِهم عن اللهِ وانحيازهم الى جانب الكفر والظلال فقد تعطلت عقولهم وجميع حواسهم فصار سلوكهم الجمعي كالأنعام فقط الاكل والشرب والغرائز الحيوانية، ممتنعين عن سماع قول الحق وقبوله،، كما ورد في التفسير: « أولئك الموصوفون بما ذكر من تعطيل عقولهم وحواسهم هم كالأنعام (البقر والإبل والغنم) لا هَمَّ لهم إلا الأكل والشرب والتمتع بلذات الحياة الدنيا، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا منها لأن الأنعام تحرص على ما ينفعها، وتنفر مما يضرها، ولا تسرف في أكلها وشربها، وهؤلاء يقدمون على النار معاندة، وهم مسرفون في جميع اللذات، ولا يهتدون إلى ثواب، ولا قدرة للحيوانات على تحصيل الفضائل، وأما الإنسان فأعطي القدرة على تحصيلها»[٢]، ويرى الباحث إنَّ هذا الأمر الذي تجلى في تعطيل العقل واتباع الجماعة في السلوك هو سلوك جمعي سلبي مذموم بسبب النتائجه السلبية.

---

(١)عبدالكريم بن هوازن القشيري، لطائف الاشارات: تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر – قاهره، ط/ ٣، ٢٠٠٠ م، ج١ / ٦١٤.

(٢) وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط/ ٢، ١٤١٨ هـ، ٩/ ١٦٨.

المطلب الرابع: انعدام المعايير الاجتماعية والسلوك الجمعي في ضوء التفسير القرآني: من الخصائص الداخلية للجمهور والمؤثرة في صناعة السلوك الجمعي، هو انعدام المعايير الاجتماعية والاخلاقية.

أولاً: مفهوم المعايير:

١-**المعايير في اللغة:** «عاير:عاير المكاييل معايرة: قدَّرها ونظر ما بينما.....عايَرَ: عايَرَ المكيال والميزان معايرة وعِياراً: قايسه وامتحنها بغيره لمعرفة صحته »[(١)]، وجاء في معجم اللغة العربية المعاصر « وهو مصدر صناعيّ من مِعْيار: إخضاع الأشياء لمقاييس محدَّدة تُقَيَّم من خلالها "معياريّة اقتصاديّة/ سياسيّة/ أخلاقيَّة- ناقش معياريّة التَّغير القِيَميّ في المجتمع... العلوم المعياريَّة: العلوم التي تهدف إلى صوغ القواعد والنَّماذج الضَّروريّة لتحديد القيم كالمنطق والأخلاق وعلم الجمال»[(٢)].

٢-**المعايير في الاصطلاح:** فليس بعيد عن معناها الوارد في اللغة، فالمعيار في علم الاجتماع «هو القاعدة التي تُستخلص من السوابق والممارسات أو الدراسة التحليلية، وتوضع كأساس للمطابقة أو المقارنة في التنفيذ أو القياس عليه أو الحكم بمقتضاه على القدرة أو الكمية أو المدى أو القيمة أو النوع »[(٣)].

ومن خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي يرى للباحث إنَّ المعايير هي ضوابط وحدود وقواعد من خلالها يُقاس ويُعرف مدى تقيّد الانسان أو الجماعات في البقاء ضمن الأُطر الاجتماعية والاخلاقية، وعدم تجاوزها الى ما يُخالفها أو يكون

---

(١) وليد فريد ذيب شحادة،، المعجم الجامع العين، رسالة ماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ص/٦٣٥، ٦٦٦.

(٢) أحمد مختار عبد الحميد عمر «المتوفى: ١٤٢٤هـ»، ٢/ ١٥٨٢.

(٣) البدوي: أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص/ ٤٠٧.

شاذاً عنها، الأمر الذي يغير من سلوكه الى الاتجاه المغاير للسلوك العقلاني السوي أو المتعارف والمتفق عليه اجتماعياً وأخلاقياً.

ثانياً: انعدام المعايير الاجتماعية والاخلاقية في ضوء آيات القرآن الكريم:

ذكر القرآن الكريم من خلال القصص القرآني كثير من الاخلاق التي انعدمت فيها المعايير الاجتماعية والاخلاقية من خلال سلوك الجماعات والاقوام السالفة والتي جعلت من سلوكهم الجمعي ظاهرة مذمومة تطبع بها الجمهور في تلك العصور، ونورد من تلك السلوكيات ما يأتي:

١-**سلوك النقص في المكيال والميزان:** ومثالة في القرآن الكريم قوم شعيب عليه السلام.

اذ يرى الباحث إنَّ هؤلاء وصل بهم فساد الاخلاق من خلال مؤثر الطمع والجشع الذي اجتمعت عليه نفوسهم، وتغلغل هوس حب المال والطمع فيها، حتى أصبحت حالة اصابت نفوسهم فوقعوا عليها من دون تفكير بعواقب ذلك، ونتائجه الوخيمة عليهم في الدنيا والاخرة ، أو أنَّه تفكير خاطئ اجتمعت عقولهم عليه فصار عندهم العقل الجمعي الذي انتج السلوك الجمعي، وبالرغم من نصح وتوجيه شُعيب عليه السلام ولكن قست قلوبهم واعمى الطمع عقولهم فجعلهم لا يفكرون، بل أصبحوا قطيعاً واحداً في سلوكهم فكان سلوكهم الجمعي البخس في الميزان، وان يخسروا الناس اشيائهم والخداع والمكر والتحايل في مختلف الطرق والوسائل بغية الحصول على المال الباطل، حتى وصل بهم الحال أن يقطعوا الطريق ويسلبوا وينهبوا المارة والقوافل التي تمر بهم، حتى نالهم الخسران والغضب الإلهي، وكما سيتضح من خلال النصوص المباركة.

لقد وصف سيدنا شعيب عليه السلام سلوك قومه بأوضح صورة من خلال قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤ وَيَٰقَوۡمِ

أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥﴾ [هود:آية / ٨٤-٨٥] ، وفي سورة الاعراف يقول تعالى عن لسان شعيب: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: الآية /٨٥-٨٦] فمن خلال ما جاء من الآيات في السورتين المباركتين تتضح صورة سلوك قوم شعيب عليه السلام أنَّهم كانوا ينقصون في الكيل والوزن، بمعنى أنَّهم، اذا كالوا أو وزنوا للغير جعلوا الكيل والميزان ناقصاً، وفي الوجه الآخر، أنَّهم اذا وزنوا أو كالوا لأنفسهم استوفوا لأنفسهم أكثر من حقهم، فينقصوا في مال الغير، وكلا الوجهين قبيح عقلاً وخُلقاً ومذموم شرعاً، الأمر الذي جعل من نبي الله شعيب عليه السلام ينهاهم عنه ويصف ذلك بالإفساد في الأرض.

وقد يثير الباحث سؤالاً هو: قد يقال لقد ورد التكرار في الآيات الكريمة كما في قوله تعالى: ﴿وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ﴾ وجاء في نفس السياق في، قوله تعالى: ﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ﴾ وهذا ايضا المعنى نفسه الذي تقدم في المقطعين من الآية الكريمة؟ فجوابه: أن اصرار وتأصيل أكل مال الناس بالباطل عندهم جعلهم يفقدون التمييز بين ما هو صحيح وما هو قبيح، وما هو حلال وما هو حرام، الى حد أنَّهم أصبحوا لا يفرقون بين أن يمدوا ايديهم فيأكلوا من أموالهم العائدة اليهم أو من أموال الناس الاخرين بالباطل كل هذا السلوك السيء أُحتيج لما يمنع تلك المبالغة والاصرار والتمادي في مثل هذا السلوك الجمعي القبيح فالتأكيد والتكرار يفيدان شدة العناية والاهتمام بتأكيد ذلك، مع كون أن (النهي) عن النقص بالمكيال والميزان من الله تعالى، لأنه غير جائز ذلك النقص،

وهو موضوع يختلف عن (الأمر) بالإيفاء بالمكيال والميزان الذي هو أمر لازم وواجب لا يمكن التجاوز عليه وهو موضوع يختلف عن الاول، واذا اختلفت الموضوعات اختلفت الاحكام، ويؤيد ذلك ما ورد في تفسير الآية المباركة: « احتيج في المنع منه إلى المبالغة في التأكيد والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكيد فلهذا كرر ذلك ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل ولأن قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهى عن التنقيص وقوله أوفوا المكيال والميزان أمر بإيفاء العدل وهذا غير الأول ومغاير له »[(١)].

وقد نهى شعيب عليه السلام قومه من مجموعة من المفاسد الاجتماعية والاخلاقية التي كانوا يمارسونها والتي كان لها الأثر السيئ على من يرتكبها وعلى المجتمع كله إذ تطال الكبير والصغير، الغني والفقير، حتى يكاد لا يسلم منها أحد وهي كما يأتي[(٢)]:

أولها: التطفيف: كما في قوله تعالى: ﴿وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ﴾ والذي يعني الغش في بالوزن والكيل، وقد بين ذلك تعالى آية أخرى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: الآية / ١-٣] .

ويتضح للباحث **أنَّ** التطفيف عند قوم شعيب في المكيال والميزان يُعدُّ هو السلوك الجمعي الأقبح والأشد من بين المفاسد الاجتماعية والاخلاقية التي انتشرت

(١) الخازن، على بن محمد، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، ٤جلد، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤١٥ هـ.ق، ٢/ ٤٩٨.

(٢) يُنظر: الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن . ١٢ / ١٠٦، والزمخشري: الكشاف،٣ / ١٢٦، وأبو حيان: البحر المحيط، ٥ / ٢٥٢، والخازن: لباب التأويل . ٣ / ٢٠٢ .٢، والسعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . ٦ / ٨٥، وزيدان، عبد الكريم: المستفاد من قصص القرآن . للدعوة والدعاة . دمشق وبيروت: مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى سنة ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦م، ص/١١٥.

فيهم كما ورد ذلك في تفسير الآية المباركة :«والكيل على ثلاثة أضرب: وافٍ وطفيفٍ وزائدٌ، فأمرهم بالواجب وهو الوفاء، ونهاهم عن الحرام وهو التطفيف، ولم يذكر الزائد، وذلك ليبين للناس أنَّ من فعل الزائد فقد أحسن ومن تركه فلا إثم عليه، ويُعدُ التطفيف في الكيل من أشد المفاسد التي انتشرت في قوم سيدنا شُعيب عليه السلام »[1].

ويرى الباحث إنَّ ما ينتشر في عصرنا اليوم عند كل قوم يجهلون موازين العدل ولا يأتمرون بأوامر الله ولا ينزجرون بنواهيه وزواجره من خلال هذه القصص التي أنزلها الله تعالى لنا لنعتبر وخصوصاً اذا تتبعنا مصير الأقوام الذين مارسوا تلك السلوكيات المذمومة وما وقع بهم من عذاب في الدنيا وهلاك مجتمعاتهم، وما ينتظرهم من عقاب الأخرة، كما جاء في السورة نفسها من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ٩٥﴾ [هود: ٩٤-٩٥]، كل ذلك يوجب على الانسان ان يقف وقفة تفكير وتأمل ومراجعة لكل سلوكاته، ومجريات حياته اليومية.

ثانيها: بخس الناس أشياءهم: كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ ومعنى البخس الانتقاص في عموم كل حق ثابت أن لا يهضم، وفي الملك بأن لا يُغصب من مالكه عيناً أو منفعة كان، ويقع التنقيص أما بالتعييب أو بالتزهيد أو بالمخادعة في قيمته، ويقع كذلك بالاحتيال في الزيادة والنقصان في المكيل، فهو يعم كل نواحي الحياة كما ورد في تفسير الآية المباركة « أي لا تنقصوهم حقوقهم بطريق من الطرق، كالكيل والوزن وغيرهما، فهو تعميم بعد تخصيص، لأنه أعم من أن يكون

(١)عبد الرحمن داود جميل عبد الله، منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق، إشراف د. حسين عبد الحميد النقيب، الرسالة قدمت استكمالاً للحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ص/ ٤٧.

في المقدار وغيره، والبخس: الهضم والنقص.....، أخذ الخراج، وما هو اليوم في الأسواق من رسوم وظلم، وكان قوم شعيب يأخذون، من كل شيء يباع، شيئا. كما تفعل السماسرة، أو كانوا يمكسون الناس، أو كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون »[1] .

ويرى الباحث إنَّ ما تقدم هو سلوكٌ جمعيٌّ واردٌ وليس بالغريب عن المجتمع المعاصر يسببه الطمع الذي أفسد سلوك تلك الجماعات فجعلهم مهوسون في السيطرة والحصول على الثروات والخيرات والمنافع بمختلف ألوانها واشكالها وصورها مبررين كل الوسائل من أجل الوصول الى تلك الغايات، الأمر الذي جعل من مؤسسات ودول تتفنن في الاحتيال والخديعة وبخس حقوق الناس مادياً ومعنوياً، حتى صارت الدول القوية تسرق خيرات الدول الضعيفة بحجة الوصاية أو المساعدة في استخراجها أو تخليصهم من الاعداء الحقيقيين أو حتى الافتراضيين الذين يوهمون شعوب أو حكام تلك الدول بذلك، وبالنتيجة يسيطرون على خيرات ومقدرات تلك الشعوب، وربما يعطونهم القليل مما لا يسد حتى رمق جوعهم، فترى شعوب تلك الدول القوية تنعم بمختلف النعم والخيرات الغذائية والصحية والاجتماعية والتربوية على حساب ما يقابله من حقوق شعوب الدول المستضعفة قصراً، أو خداعاً.

ثالثها: الافساد ونشر الفساد في الأرض: كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [البقرة: آية / ٦] ، ومعنى العثو جاء من عاث أو عثا أي بما يقابل معنى الافساد وقطع الطريق أو السرقة أو إهلاك الزرع أو الشرك بالله تعالى، أو من خلال الدعوة للشرك بالله تعالى وصد الناس عن الايمان به تعالى كما ورد في تفسير الآية المباركة:

« معناه ولا تسعوا في افساد مصالح الغير فإنَّ ذلك في الحقيقة سعي منكم في إفساد

(١) القاسمي، تفسير محاسن التأويل، ٦/ ١٢٣ .

مصالح أنفسكم، والثاني: إن يكون المراد من قوله تعالى.... مصالح دنياكم وآخرتكم، والثالث: ولا تعثوا في الأرضِ مفسدين مصالح الأديان »[١] ، كما ويعني لفظ عاث: اللامبالاة في الضرب في الارض الأمر الذي نتيجته الافساد والفساد في الدين والدنيا وهلاك للحرث والنسل، وفي كل ذلك مخالفة للسنن الالهية التي في تطبيقها صلاح لأمور العباد والبلاد، فالأرض ذاتاً وبالأصل صالحة بطبيعته تكوينها لأن يحيا عليها الناس بخير وسلام ولكن هؤلاء أفسدوها بسلوكهم المتمثل بالطمع والخروج عن الدين وارتكاب المعاصي بمختلف أشكالها[٢] .

وبعد البحث يتضح للباحث إنَّ الإفساد لا يتوقف عند حد ما، انَّما يشمل الكون وجميع المخلوقات الحية وغير الحية، والعمران، والاشجار وكل نبات، وحتى الحضارة، كما ويتعدى الى اخلاق الناس فضلاً عن سلوكهم ومفاهيمهم وأفكارهم وطرق تفكيرهم التي منها يتشكل سلوكهم، ودليله ما ورد في تفسير (معارج التفكر ودقائق التدبير): « والافسادُ يشمل إفساد الاحياء والاشياء الصالحة، وإفساد العمران الحضاري، وإفساد المدن، وإفساد النبات والاشجار والجنات، وإفساد أخلاق الناس، وإفسادَ أفكارهم ومفهوماتهم، ويدخل في عموم الإفساد إفساد الجو، وإفساد البر والبحر بالأوبئة والأرجاس والانجاس والقاذورات »[٣] .

كما ويرى الباحث أنَّ الإفساد ايضاً يقع من خلال صناعة الأوبئة التي من خلالها يصدرون الترياق والعلاج للشعوب والمجتمعات التي تصاب بها والدافع لهم

---

(١) الرازي : فخر الدين / تفسير الرازي، ١٨ / ٤٢.

(٢) يُنظر: أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي «٦٥٤هـ . ٧٥٤ هـ»: تفسير البحر المحيط . «٨مج» . بيروت: دار الفكر، ط/ ٢ – ١٣٩٨هـ . ١٩٧٨م . ٥ / ٢٥٢ . .٢٥٣، والسعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . ٣ / ٤٤٨ . وزاده: حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي، ٤ / ٦٨١، والخطيب، عبد الكريم: التفسير القرآني للقرآن، «١٦مج ». القاهرة: دار الفكر العربي، بدون طبعة سنة ١٩٦٩م،١٢ / ١١٨٥ . والشعراوي: خواطر حول القرآن، ٢ / ٢٨٥ .

(٣) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: «ت ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م» . معارج التفكر، ودقائق التدبر، بيروت دار القلم . ط/١ – ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م، ٤ / ٤٠٨ .

في ذلك كله هو هوسهم بالمال والحصول على المنافع المادية والمعنوية التي لا يشبعون منها، مرضاً في أنفسهم، ويُعد الإفساد من أخطر أنواع السلوك الجمعي للإنسان، والذي له النتائج والأثار السيئة والخبيثة التي لطالما جاءت الديانات السماوية بالنهي عنه.

٢-**الشذوذ الجنسي:** ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ٨٠ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠ - ٨١] ، ونتيجة للاستسلام للغريزة والشهوة الذي اجتمعت عليها جوامح نفوس قوم لوط، فقد صار سلوكهم الجمعي هو الشذوذ الجنسي.

وقد عُرف الشذوذ الجنسي في اللغة والاصطلاح كما هو آت:

فالشذوذ الجنسي لفظ مركب من كلمتين «الشذوذ، الجنس» لذا توجب تعريف كل منهما على حِدة:

أ-الشذوذ في اللغة والاصطلاح:

الشّذوذ في اللغة: جاء في مقاييس اللغة «الشين والذال يدل على الانفراد والمفارقة، شذَّ الشيء يشذُ شذوذاً» [(١)] ، وشذَّ بمعنى تفرد عن الجماعة وخالفهم، وهو الشّذوذ المعني به المخالفة للعادة الطبيعية [(٢)].

أما الشّذوذ في الاصطلاح: « ما كان مخالفاً للقياس من غير نظر الى قلة وجوده وكثرته» [(٣)].

ب-الجِنس في اللغة والاصطلاح:

الجنس في اللغة: «الضرب من الشيء وهو أعم من النوع» [(٤)] ، وقالوا: «الحيوان جنس، والانسان نوع، والنوع البشري مميزاً بالذكورة أو الانوثة، والجنس اتصال

(١) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ٣/ ١٨٠.

(٢) يُنظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، فصل الشين، ص/ ٣٣٤.

(٣) الجرجاني، التعريفات، ص/ ١٢٤.

(٤) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، فصل الجيم، ص/ ٥٣٧.

شهواني بين الذكور والاناث »[١]

الجِنس في الاصطلاح: «هو اسم دال على كثيرين مختلفين بأنواع»[٢].

ت- مصطلح الشّذوذ الجنسي: تنوعت تعريفات العلماء له فيُعرّف بأنَّه: « اندفاع شخص ما إلى أعضاء من نفس جنسه، والذي عادة يكون في سنوات البلوغ، بسبب جاذبية تفضيلية، وليس بالضرورة أن يقوم بعلاقة علنية معهم»[٣] ومما عُرِّف به أنَّه: «انحراف عن الطريق المحدد شرعاً، بمعنى أن يعاشر الرجل غير امرأته، أو أن يعاشر المرأة في غير الموضع، أو في الوقت المحرّم»[٤]، وكذلك يُعرف الشذوذ الجِنسي بأنَّه: «هو ضرب من الممارسة الجنسية يخرج فيه أصحابها عن الاتصال الجنسي الطبيعي المألوف »[٥]، ويرى الباحث إن الخروج عن المألوف في هذا المجال، ما هو الا انعدام وتجاوز والغاء لكل المعايير الاخلاقية، والاجتماعية والشرعية.

ومما تقدم في التعريفين اللغوي والاصطلاحي، لمفهوم «الشذوذ الجِنسي» يتضح للباحث أنَّه يعني المخالفة لكل صور المألوف والمعتاد، والميل الى ممارسات جنسية خارجة ومبتعدة عن كل ما هو طبيعي، ومخالفة للفطرة السليمة والتي خلق الله تعالى عليها المخلوقات وأرادهم أن يكونوا عليها.

وقد يتوهم البعض من خلال ما جاء في تعريف الشذوذ إنَّه (الانفراد) فلا يعني أنَّ سلوك قوم لوط سلوكاً فردياً، بل إنَّهم بجماعتهم ومجتمعهم انفردوا وخالفوا

---

(١) مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، مادة «جنس»، ص/ ١٤٠.

(٢) الجرجاني، التعريفات، / ص/ ٧٨.

(٣) ت، - . html . ٠٨_post-bloq/٠٤/٢٠١٠ / com . mmlaktak . www . htt . كاتب مقال: كامل طنطاوي، تحت عنوان: الشذوذ الجنسي: تعريف ووقاية وعلاج . ويُنظر مرسي: عبد الواحد إمام . الشّذوذ الجنسي وجرائم القتل . القاهرة: عالم المفكر ودار المعارف والمكتبات الكبرى . بدون طبعة ولا سنة نشر.

(٤) المريسي، عبد الواحد، الشذوذ الجنسي وجرائم القتل، دار المعارف، القاهرة، ط/١، ١٩٩٥ م، ص/ ١٧ .

(٥) البعلبكي: رمزي منير، موسوعة المورد، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، ط/ ١، ١٩٩٢م، ص/ ٨١٥.

المألوف والطبيعي والفطري، حتى أصبح في مجتمعهم الطبيعي والصحيح هو المنفرد والغريب عنهم، ليخاطبوا لوط ومن آمن به بقوله تعالى: وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: آية / ٨٢].

ث- المرادفات المعنوية لمفهوم الشذوذ الجِنسي: فمما ورد استخدامه من الالفاظ للتعبير عن معنى الشذوذ الجنسي الفاظ عدة منها: اللواط، والمساحقة، وجماع الاموات، والاغتصاب، وإتيان البهائم، والاستمناء، والزواج المثلي، والتحرش الجنسي بالأطفال، وممارسة الجنس مع الحيوانات، والزنى في مختلف اشكاله وصوره القبيحة وما يتبعه من امراض نفسيه [(١)]، وغيرها من الألفاظ التي استخدمت للتعبير عن كل ما هو شاذ جنسياً، وقد جُمِعت كل أشكالها تحت مصطلح «الشذوذ الجِنسي» وقد يرادف الشذوذ الجنسي مصطلح «الانحراف الجنسي» والذي عُرف بأنَّه: «التمتع الجنسي بطرق ترفضها القيم الأخلاقية والدينية، وتدينها الأعراف والتقاليد الدولية والقوانين الاجتماعية أو فقْد الشخص السيطرة على توازنه بسبب اضطراب نفسي ما [(٢)]»، وقد ساوى علم النفس بين الانحراف و الشذوذ، و يُعدُّ الشخص الشّاذ أو المنحرف هو:« الذي يمارس انحرافات أو صور نشاط تناسلي ليس في اتفاق مع الثقافة أو الأعراف العامّة لمجتمعه أو دولته» [(٣)]

وقد وجد الباحث أنَّه وحتى سنة ١٩٥٣م كان يصنف الشذوذ الجنسي أو ما يسمونه بالمثلية الجنسية: على أنَّه مرض عقلي ونوع من أنواع الاضطراب الجنسي وفق المصطلح الاجنبي «psuchopathic personality» اذا فهو اضطراب وحالة غير طبيعية اجتمعت على ممارسته مجموعة من الناس ومن دون روية أو تعقل،

---

(١) يُنظر: بيداء جميل عبد الله، رسالة ماجستير، بعنوان العقل الجمعي في منظور الفقه الاجتماعي –دراسة تحليلية، ص/ ١٧٤ – ١٧٨ .

(٢) forum / com . ٣iny٣ink . www // :htt html . t٩١٠٠٩ / ، كاتب المقال: عيسى ٩٠، تحت عنوان تعريف الانحراف الجنسي .

(٣) دسوقي، كمال، ذخيرة علوم النفس، وكالة الأهرام للتوزيع، ط/١، ١٩٩٠م، ص/ ١٠٦٥.

بل هو انقياد الى تأثير الغريزة والشهوة الحيوانية مما يجعله تحت مصاديق السلوك الجمعي القبيح عقلا والمذموم والمحرَّم شرعاً ، ولكن بعد التأريخ المتقدم أدى تحرك بعض الناشطين من جنود ابليس، ﴿وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ﴾ [الشعراء: آية / ٩٥] المناصرين لحالة الشذوذ الجنسي الى حذف مصطلح (الجنسية المثلية) من دليل الامراض النفسية والعقلية، وتبديله بمصطلح «الاضطراب في التوجه الجنسي »[(١)]، الأمر الذي يؤكد الصناعة الخارجية للسلوك الجمعي السلبي والمذموم عند الجمهور من قبل أعداء الله تعالى.

ج-من تطبيقات الشذوذ الجنسي في القرآن الكريم قوم لوط (عليهم السلام) من خلال عدة آيات كريمة منها قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: آية / ٨٠] ، لقد تميز السلوك الجمعي لقوم لوط بأشكال ثلاثة:

الشكل الأول: الاسراف والعدوان الجهل: فقد ورد وصفهم «مُّسۡرِفُونَ» في قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ [الأعراف: آية/ ٨٠ - ٨١] ، فقد بيّن تعالى سلوكهم بكونهم مسرفين وهنا يُقصد به تجاوز الحلال الى الحرام كما ورد في تفسير الآية الكريمة « أي تغشونهم غشيان النساء؛ و لما أبقى للتشوف مجالا، عين بقوله: شَهْوَةً أي مشتهين، أو لأجل الشهوة، لا حامل لكم على ذلك إلا الشهوة كالبهائم التي لا داعي لها من جهة العقل، و صرح بقوله: مِنْ دُونِ النِّساءِ فلما لم يدع لبسا، و كان هذا ربما أوهم إقامة عذر لهم في عدم وجدان النساء أو عدم كفايتهن لهم، أضرب عنه بقوله: بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ... (مُسْرِفُونَ) أي لم يحملكم

(١) هدى رشيد الخرسة ، الشذوذ الجنسي عند المرأة، دار بيروت – لبنان، ط/ ١، ٢٠٠٩ م، ص/ ٢٠٧-٢٠٨.

على ذلك ضرورة لشهوة تدعونها، بل اعتياد المجاوزة للحدود»[١]، ثم جاء وصفهم بلفظ «العادون»، في قوله تعالى: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: آية / ١٦٥-١٦٦]، وقد وصف تعالى سلوكهم الجمعي هنا بلفظ (العادون) وهم المتجاوزون للحدود، والخارجون عن الصراط المستقيم، كما ورد في تفسير الآية المباركة: « بين العالمين، و بهذا تكونون أول من يذيع هذه الفاحشة في المجتمع الإنسانى! و قوله تعالى: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾.. عادون: جمع عاد، و فعله: عدا يعدو عدوانا، و العدوان: مجاوزة الحد، و الخروج عن الطريق القويم»[٢]، كما يحمل لفظ (العادون)، فهم بما فعلوا بسلوكهم الذي ذكره القرآن الكريم قد تجاوزوا الحد في ارتكاب جميع المعاصي والفواحش من بينها، وقالوا أنَّهم تجاوزوا حد الشهوة، فسبقوا سائر الناس فضلاً عن الحيوانات، كما يذكر صاحب تفسير(اشاد العقل السليم) بوصفهم: «متعدون متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن حد الشهوة إذ زادوا على سائر الناس بل الحيوانات »[٣]، والذي لا يستحيّ ويجاهر بالفاحشة، وبكل وقاحة، سوف تحمله جرأته على أن يقوم بجميع المعاصي والآثام، ثم يصفهم الله تعالى بالجهل في قوله تعالى:﴿ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [النمل:آية / ٥٥] ، وقد وصف تعالى سلوكهم بسلوك الجاهلين كونهم لا يعون عظيم ما يفعلون من معصية الله تعالى

(١) ابراهيم بن عمر بقاعى، نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – لبنان – بيروت، ط/ ٣، ١٤٢٧ هـ.ق، ٣/ ٦٣.

(٢)عبدالكريم خطيب، التفسير القرآنى للقرآن، دار الفكر العربي – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤٢٤ هـ.ق، ١٠/ ١٥١.

(٣)القاضي محمد بن محمد بن مصطفى العماري أبو السعود: «٨٩٨هـ . ٩٨٢هـ»، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم «٦مج»، بيروت: دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ . ١٩٩٩م، ٥/ ٥٦.

ورسوله عليه السلام كما يُذكر في جامع البيان: « يقول: ما ذلك منكم إلا أنكم قوم سفهاء جهلة بعظيم حق الله عليكم، فخالفتم لذلك أمره، وعصيتم رسوله»(١).

ويرى الباحث أنَّ سورتي «الأعراف و الشعراء » وصفت سلوك قوم لوط بصفات «مسرفون، عادون» جاءت على صيغة الاسم الدال على الثبات والدوام في حين سورة «النمل» وصفت سلوكهم بسلوك من هم يجهلون، من خلال صيغة الفعل المضارع، و المعروف أنه يفيد التجدد والتكرار، والذي نفهم منه تجدد وتكرار إسرافهم، واعتدائهم، وارتكابهم جميع أشكال الفاحشة وما عصوا وارتكبوا من الجرائم، وانَّ هذه الصفات الثلاث ما هي الا بمثابة مقدمات لشيء أكبر الا وهو الانحراف والشذوذ الجنسي الذي يبعدُ الرجوع منه، فمن أسرف على نفسه بارتكاب المعاصي، وتجاوز الحدود بالخروج عن الطريق السالك القويم، وجهلِ الحق، فأنه واقعٌ في الانحراف لا محال الا من رحم ربي، ومن خلال ذلك تعمل مراكز الابحاث والمنظمات والمؤسسات التي تجمل صورة الشذوذ الجنسي وتهيء للشباب والنساء والرجال في مختلف الاعمار أسباب الشذوذ والانحراف من خلال المسلسلات والافلام المثيرة للجنس، ومن خلال تجميل صورة الشاذين جنسياً بوصفهم مخلوقات بريئة وجميلة تحتاج الى العناية والحنان فيقع الناس في شباك جُند الشيطان مما يسود في المجتمع الفساد وتضيع القيّم والعادات النبيلة وتشوه صورة الانسان ذات التقويم الحسن التي خلقها الباري ﷻ فقال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ [التين:آية/ ٤-٦] وهذا السلوك الجمعي القبيح يُهدم المجتمع لأنه يفقد الرجال جمال الرجولة ويفقد المرأة جمال أنوثتها، وكرامتها، وقدسية الأم، فلا تبقى قِيَم ولا مُثل عُليا، الأمر الذي يجعل من المجتمع حضيرة نتنة قبيحة لا يسكنها حتى الحيوان لأنه أطهر من ساكنيها.

الشكل الثاني: ارتكاب فاحشة اتيان الرجال شهوة من دون النساء: فقد جاء في قوله

(١) الطبرى، محمد بن جرير، جامع البيان فى تفسير القرآن «تفسير الطبرى»، ١٩ / ١١٠ .

تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ٨٠ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف:الآية/ ٨٠ -٨١] فقد كلمهم لوط عليه السلام بصيغة الاستفهام، والاستنكار ولم يقل لهم انَّ الله تعالى حرَّم عليكم فعل ذلك، وأنَّه ينهاكم عنه كونه قذراً ومنكراً، بل أراد احراجهم بصيغة السؤال الانكاري، كون الفاحشة شيء منكر عند كافة المخلوقات فضلاً عن الانسان، والفاحشة تعني بالمفهوم العام عند الناس أن يأتي الرجل فيقع على امرأة لا تحل له، فأن الأمر يكون أقبح والفاحشة أعظم عندما يقع الرجل على الرجل كما ورد في تفسير الآية الكريمة:« أي أنَّ هذه المسألة لم تحدث من قبل لأنَّها عملية مستقذره ؛ لأن الرجل إنما يأتي الرجل في محل القذارة، لكنَّهم فعلوها، وهذا الفعل يدل على أنَّها مسألة قد تشتهيها النفس غير السويَّة، ولكنها عملية قذرة تاباها الفطرة السليمة »[(١)]، وقد أخبرهم بلفظ الفاحشة ليذكرَّهم بعظيم ذنبهم وقبح وسماجة سلوكهم كما جاء في تفسير الزمخشري « ثم وبخهم عليها فقال: أنتم أوّل من عملها، أو على أنَّه جواب لسؤال مقدَّر، كأنَّهم قالوا: لم لا نأتيها؟ فقال: ما سبقكم بها أحد، فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ بيان لقوله: أتأتون الفاحشة، والهمزة مثلها في أَتَأْتُونَ للإنكار والتعظيم »[(٢)]، إذ أن الله تعالى أوجد لذة الشهوة في المخلوقات من أجل تحقيق سنة طبيعية فطر المخلوقات عليها، فمن بدل تلك السنة والفطرة التي فطر الخالق المخلوقات عليها فقد شذ وفسد وأنحرف ودخل في وحل الجريمة التي تخرجه من الفطرة الإلهية[(٣)].

وقد تبيَّن للباحث بعد البحث دلائل واقعية من السنن الكونية تجلت على شكل وقائع وأحداث تستقبح وتستنكر وقوع الفاحشة، سواء من البشر وقعت أم من

(١)محمد متولي الشعراوي، (ت: ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي المسمى خواطر حول القرآن الكريم «١١مج»، القاهرة: أخبار اليوم، بدون طبعة – ١٩٩٧م، ٧ / ٤٢٢٥

(٢) الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (هـ٤٦٧ . ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل، بيروت: دار االكتاب العربي، بدون طبعة ولا سنة نشر، ٢/ ١٢٥.

(٣) يُنظر: سيد قطب: في ظلال القرآن . ٣ / ١٣١٥ .

الحيوان، فعند البشر ذاع قبحها على لسان الانبياء ودعواهم لنبذها، أما عند الحيوان، اذ يُروى:«عنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ :قَالَ يَعْقُوبُ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ لَا تَزْنِ فَإِنَّ الطَّائِرَ لَوْ زَنَى لَتَنَاثَرَ رِيشُهُ»[1] ، بينما نجد جمعاً كبيراً من البشر في عصرنا الحاضر يعودون الى عصور لم تشهدها الجاهلية من خلال نشر وانتشار الانحراف الجنسي انتشاراً واسعاً له أثاره المخيفة على المجتمع البشري بصورة عامة.

الشكل الثالث: المجاهرة بالفاحشة: ويتضح ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: آية/ ٨٠] ، و [العنكبوت: آية / ٢٨] وقوله ﷻ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[النمل:آية / ٥٤] إذ تتضح صورة مجاهرتهم بارتكاب المعصية، من حيث لم يسبق لأحد أن تجاهر بها واتى بمثل هذه الفاحشة أمام الناظرين، ولا نقصد بالسبق هنا بالسبق الزماني انما هو السبق بالكيف والكم، بمعنى سبق في كيفية السلوك وممارسة الوقاحة والمجاهرة بالفاحشة والرذائل من الاخلاق، فالإنسان من الممكن أن يشذ عن الفطرة، ولكن قوم لوط سبقوا الاخرين من البشر في المجاهرة في اظهارها السبق والتفوق على غيرهم من البشر هكذا كان الاستعمال القرآني في إظهار صورتهم ، كما ورد في تفسيرها: « استفهام إنكاريّ تنديديّ بفاحشتهم الّتي يستعلنون بها، و يبصر بعضهم بعضا لدى ممارستها، استمتاعا بما يشاهدون،أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ؟ استفهام إنكاري تنديديّ آخر وجّهه لوط عليه السّلام لقومه، و في كلا الاستفهامين معنى توبيخهم، و أنّ المستفهم عنه من الأمور المستغربة، الّتي لا يتصوّر العقلاء الأسوياء أن تكون ظاهرة من ظواهر سلوك مجتمع بشريّ»[2]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ تؤكد قبح سلوكهم من خلال فعلهم الفاحشة بطريقة غاية في القبح والفحش اذ عَبَرَ عن كيفية فعلها والمجاهرة في ذلك بعضكم أمام

(١) الكليني (ت: ٣٢٩ ق) / فروع الكافي،المحقق / المصحح: غفاري على اكبر و آخوندي، محمد،الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ط/ ٤ -١٤٠٧ ق، ٥/ ٥٤٢.

(٢)عبدالرحمن حسن حبنكه الميدانى، معارج التفكر و دقائق التدبر، ٩/ ١١٨.

بعضكم، كما ورد في تفسيرها: « يعني الخصلة القبيحة الشنيعة الظاهرة القبح وهي إتيان الذكران في أدبارهم ﴿وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي تعلمون أنها فاحشة و قيل معناه و أنتم يرى بعضكم ذلك من بعض »[1]، كما وانَّ عبارة ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُون﴾ كان مجيئها مؤكداً ومستنكراً شنيع صنعهم وموبخاً لهم، وكذلك عبارة ﴿أَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ التي تبعتها، التي تثني وتكرر الاستنكار واصفةً لعظيم الفعل ومستقبحةً له وموبخه لهم.

ح – **العوامل المساعدة على الشذوذ الجنسي:** توجد اسباب مختلفة ساعدت على انتشار الشذوذ الجنسي في الوقت الحالي منها:

العامل الاول: بسب الدعم الدولي للمثلية وتقديم التسهيلات ومنحهم حق اللجوء السياسي والسماح لهم بممارسة نشاطاتهم، اضافة الى الدور الذي تلعبه الامم المتحدة ومنظماتها في تشريع القوانين الدولية التي تسمح بالزواج للمثليين فقد ورد في أحد البحوث حول الجنسية المثلية ما نصه: « بدأ تركيز الامم المتحدة على الشذوذ الجنسي في عام ١٩٥١م، مع فرض معاهدة للأُمم المتحدة.... بدأ موضوع الشذوذ الجنسي يأخذ طابعاً أكثر تخصصية مع تلك المؤتمرات والاتفاقيات الدولية التي تعني بالأمور الجنسية، وعلى رأسها حقوق المثلين الجنسيين في العالم، وكان من نتائج تحركات منظمة الأمم المتحدة أن وقَّع في ديسمبر ٢٠٠٨ ستة وستون بلداً في الجمعية العامة للأُمم المتحدة بياناً يتعلق برفع العقوبة عن المثلية»[2].

العامل الثاني: عوامل داخلية: وتساهم الاسرة فيها، من خلال سلوكيات خاطئة إذ تبدأ هذه العوامل منذ الصغر من خلال اطالة الشعر للصغار من الذكور ولبس ملابس الفتيات، وتسمية البنات بأسماء الذكور، والتحرش الجنسي منذ الصغر وكثير من الاسباب الاخرى كما يُذكر: «أول هذه العوامل تبدأ من الاسرة التي ينشأ فيها الطفل، والتي تُسهم بشكل كبير في تكوين شخصيته وتوجيه سلوكه، وما نشاهده في

(١) الطبرسى، فضل بن حسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٧/ ٣٥٦.

(٢)الميرزا هند عقيل، الجنسية المثلية «العوامل والاثار »، مجلة الدراسات في الخدمات الاجتماعية والعلوم الانسانية، ٢٠١٣م، العدد / ٤٣، ٢٤٥٨.

بعض الأسر من تنشئة خاطئة تبدأ منذ الصغر، تلعب دوراً كبيراً في عدم تقبُّل الطفل لهويته الذكورية أو الانثوية في المستقبل»[١].

العامل الثالث: وسائل الاعلام: ونرى اليوم من يريد لمثل هذه السلوكات أن تشيع في المجتمع المسلم وتعمل من اجل ذلك هيئات ومؤسسات عالمية باتت معروفة، والقصد من ذلك تدمير المجتمع من خلال انسلاخه عن الدين والقيم الاخلاقية ولغايات منها اضعاف المجتمعات للتمكن والهيمنة عليها اقتصادياً وسياسياً وثقافياً، مستغلين كافة الوسائل والادوات ومنها وسائل التواصل والاعلام من أجل نشر الانحراف والشذوذ الجنسي،، وبث السموم والافكار المغرضة والهدامة للقيم والاخلاق في نفوس الشباب، من خلال نشر الافلام الاباحية أو التي تحمل الايحاءات الجنسية الماحية للحياء، ومروجة للثقافة الجنسية عند الشباب النساء والرجال من جميع الاعمار[٢]، حتى اذا ما ابتعد المجتمع عن ألدين والاخلاق والقيم المثلى أصبح مجتمعاً خاوياً مهزوزاً مدمراً منحلاً قد خسر الدنيا، وينتظره العقاب في الاخرة عاذنا الله وإياكم من ذلك.

العامل الرابع: عوامل اجتماعية:ترك الامور سائبة من دون قيود ومحددات للقيم والاعراف، ومن دون وجود روادع اجتماعية صارمة، يؤدي الى الانحلال الاخلاقي والانجراف مع المغريات الداعية الى الشذوذ الجِنسي، حتى تصير سلوكياتهم هذه عادات اجتماعية يتطبع المجتمع وفقها[٣].

ويرى الباحث للحد من كل تلك العوامل والقضاء عليها يجب ان تتكاتف كل الجهود من قبل الأفراد أنفسهم وأولياء الأمور والوجهاء والقادة الاجتماعيين، وفوق كل أولئك السلطات الحاكمة، من خلال تربية المجتمع ونشر ثقافة الاسلام، وسن القوانين التي تتساير مع تعاليم القرآن الكريم، وتوجيه كل امكانات الدولة ووسائل اعلامها في

(١)المصدر السابق، ص/ ٢٤٥٩.

(٢) يُنظر: السعيد حسن، حضارة الأزمة ماذا بعد الانهيار ؟، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط/١، ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ، ص/ ١٩٥.

(٣) يُنظر: حَسّان محمود عبد الله، ظواهر اجتماعية من منظور إسلامي، دار المحجّة البيضاء للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت – لبنان، ط/ ١، ٢٠١٠ م – ١٤٣١هـ، ص/ ٣٠٢

سبيل الحد من كل الانحرافات والشذوذ الاخلاقي والاجتماعي ؟.

خ-آثار سلوك الشذوذ الجنسي في المجتمع: للشذوذ الجِنسي آثار سلبية مدمرة للمجتمع منها:

الأثر الاول: تحطم القيم والمعايير الدينية والاخلاقية، واختلاط الامر على الناس حتى يصل بهم الحال الى أنهم يرون الصحيح خطأ والخطأ صحيحاً، والحلال حراماً والحرام حلالاً، فيستهتر المجتمع بثوابت الدين الاسلامي وأحكامه الربانية، لأن الاسلام يدعو الى محاربة الفاحشة والقضاء عليها ﴿ (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. [الأعراف: آية / ٢٨].

الاثر الثاني: ازدياد نسبة الجريمة في المجتمع: بسبب انتشار الفاحشة والانحراف الأخلاقي، ووجود من يخالفهم في المجتمع مما يزيد من القتل، وتعاطي المخدرات، وجرائم الخطف والاعتداء على الاخرين وجرائم الاغتصاب، وخصوصاً على النساء والاطفال كما يصف ذلك أحد الكُتّاب بقوله: « انتشرت مؤخرا أنواع من الجرائم وحوادث القتل لم تكن موجودة من قبل، وامتلأت صفحات الصحف ومواقع التواصل بوقائع صادمة وتفاصيل تخدش الحياء، تسيء لقيمنا التي تربينا عليها منذ قرون، ويبدو أننا أمام ظاهرة من الانهيار الأخلاقي تضرب أسس مجتمعاتنا المستقرة»[(١)] .

الاثر الثالث: انتشار الامراض عند الشواذ: ومن أولها مرض الايدز (نقص المناعة) وكثير من الامراض التناسلية الفاضحة والخطيرة، وكثرة حالات الاصابة بالأمراض النفسية والاكتئاب نتيجة لرواسب ومخلفات الشذوذ الجنسي، حتى تصل بهم الحال الى الانتحار، وهذا كله بسبب الابتعاد عن الله تعالى، حيثُ تجد تلك الأمور قليلة في البلدان الاسلامية نسبة للدول غير المسلمة، اذ يذكر احد الكتّاب: « ترى المؤمن يتحلى بالصبر عند المشاكل، ويخاف يوم المعاد، وكله رجاء وأمل بالله تعالى للفرج

(١) عامر عبد المنعم، مقال بعنوان (ظاهرة شيوع الجرائم والانهيار الأخلاقي) في ١٣/ ٩ / ٢٠٢٢م.

وتحويل الأحوال»[١]، مهتدياً بقوله تعالى: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾[البقرة: آية / ٤٥].

الاثر الرابع: الابتعاد عن الزواج الشرعي: الزواج يؤدي الى بناء المجتمع السليم وبقاء النسل، وخلافه ينتج عنه تقويض الاسرة، التي هي النواة لبناء مجتمع سليم وخالٍ من المشاكل اجتماعية، ووفق ذلك فتكثر الخيانات الزوجية والطلاق وغيرها من المشكلات اذ يؤكد القرآن الكريم على الزواج من خلال قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: آية/ ١] اذ « تتكوَّن الأسرةُ في الإسلام من الزوج والزوجة والأبناء، بخلاف الدعوات التخريبية الهدَّامة التي تجعل الأسرة القانونية من الجنس المتماثل: رجلًا ورجلًا، وامرأة وامرأة؛ فهي أسرة تتكون من المساحقات ومن اللوطيين»[٢].

الاثر الخامس: تسافل الانسان الى أدني المراتب وفقدان الكرامة: تلك الكرامة التي اعطها الله تعالى للإنسان وميزه بها كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾[الاسراء: آية / ٧٠]، فبضياعها يضيع الايمان من القلوب، وتقسو النفوس مبتعدة عن رقتها وطهارتها وقربها من ربها، الم يعقلوا ، كما في قوله تعالى:﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[التين: آية / ٥] التي ورد في تفسيرها «أي إنَّه استشرى فيه الفساد، و أمعن فى سبيل الضلالة، و نسى فطرته و عاد إلى حيوانيته، و تردّى فى هاوية الشرور و الآثام»[٣].

الاثر السادس: الانهيار الاجتماعي في جمع مفاصله الحضارية والعلمية والاقتصادية والامنية: وخير مثال ما وصل اليه حال قوم لوط من مصير مخزٍ ومدمر، فضلاً عن الغضب الإلهي كما جاء في قوله تعالى في قوم لوط: ﴿فَلَمَّا جَاء

(١)عبد الله حَسّان محمود، ظواهر اجتماعية من منظور إسلامي، ص/ ٢٨٣.

(٢) السيد عبد الحليم محمد حسن، مقالة بعنوان : (الأسرة في القرآن والسنة) في ٣/ ٥ / ٢٠١٧م

(٣) مراغى، احمد مصطفى، تفسير المراغى، ٣٠جلد، دار الفكر – لبنان – بيروت، ط/ ١، ٣٠ / ١٩٥ .

أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾[هود: آية / ٨٢] التي ورد في تفسيرها: «أى أمرنا بالعذاب، جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها أى خسفت بهم الأرض فانهد العالى و صار سافلا، و كان العذاب المتلاحق بعد خسف الأرض بهم و ابتلاعها لديارهم ما صوره سبحانه و تعالى بقوله: وَ أَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ أى طين متحجر، و لذا عبر عن هذا المطر الحجارى بأنه حجارة من طين،و مَنْضُودٍ أى متتابع لم ينقطع»(١)

ويرى الباحث أنَّه قد يقول قائل أن الشاذين جنسياً هم أفراد متفرقون غير مجتمعين فلا ينطبق على سلوكهم أنَّه سلوك جمعي ؟ والجواب عن ذلك: أنَّهم ليسوا متفرقين ففي زمان نبي الله لوط عليه السلام هم قوم ومجتمع كامل، كان سلوكهم الجمعي هو الشذوذ الجنسي بسبب استسلامهم لقوة الغريزة والشهوات الجنسية الغير منضبطة، أما اليوم فهم جمهور كبير يتواصلون ويجتمعون لهم قوانينهم الدولية التي تحفظ لهم حرية ممارسة سلوكهم المنحرف، ولهم عَلَمَهم الذي يرمز لهم والمعترف به في الأمم المتحدة.

المبحث الثالث:

المؤثرات لتوجه السلوك الجمعي نحو الطغيان في ضوء التفسير القرآني

تقدم تعريف مفهوم الطَّغيان في الخصائص الداخلية للجمهور، وهنا نبيّن الخصائص التي هي ليس من ذات الجمهور وإنما مفروضة عليه من الخارج وخصوصاً من القوى المتسلطة كأن تكون ملكاً أو حاكماً مستبداً أو قوى خارجية أو دول أخرى لها القدرة في التحكم وفرض سيطرتها على جماهير المجتمعات الاخرى أو حركات فكرية شاذة تفرض عقائدها الضالة على المجتمع، كل ذلك كان له فعله المؤثر في

(١) ابوزهره، محمد، زهرة التفاسير، ١٠جلد، دار الفكر – لبنان – بيروت، ط/١، ٧ / ٣٧٣

الجماهير المغلوبة على أمرها أذا ما تسلك سلوكاً جمعياً يغير في الواقع الاجتماعي، وقبل بيّان ذلك لابد من الاشارة الى الالفاظ ذات الصلة بمفهوم الطغيان والتي وردة ذكرها في القرآن الكريم.

المطلب الأول: الالفاظ ذات الصلة بمفهوم الطُّغيان:

يتناول هذا المطلب وباختصار مجموعة من الفاظ قد استعملها القرآن الكريم في بعض الآيات المباركة ادت معنى مرادفاً لمفردة الطُّغيان، والذي يجمع بين كل ما سنذكره من مفردات، والذي سنصل اليه في نهاية المبحث معنى واحد وهو: «تجاوز الحد أو القدر المعلوم في الأشياء» [1] وهذه الألفاظ هي: الإسراف، والعلو، والاستكبار، والتجبر، و العتو، والظُّلم ، والاختلاف بينها يقع في كونها مجاوزة الحد في ما اختصت به اللفظة ، فقد تكون مجاوزة الحد في صرف الاموال ، أو مجاوزة الحد في التكبر ،أو التجبر أو الظلم الخ.

أولاً: الإسراف:

١- **الاسراف في اللغة:** ويعرفه الأصفهاني «ت ٥٠٢هـ» بقوله: «السَّرَفُ تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان، وإن كان في الإنفاق أشهر..» قال تعالى:﴿وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: آية / ٣١]-﴿ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر آية /٤٣]، أي: المتجاوزين الحد في أمورهم» [2].

وقال الجرجاني (ت:٨١٦هـ): «الإسراف: تجاوز الحد في النفقة...وقيل: تجاوز في الكمية، فهو جهل بمقادير الحقوق» [3].

وقد جاء في لسان العرب: «الإسراف مجاوزة القصد...وأسرف في الكلام

---

(١) عبدالرحمن عمر اسبينداري، الطُّغيان السِّياسيّ وسُبُل تغييره من المنظور القرآني، ط/١ وأصله أطروحة دكتوراه قدمها المؤلف إلى قسم الدراسات القرآنية والحديثية بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا عام ٢٠٠٣م، ص/ ٤٦.

(٢) الأصفهاني، **المفردات**، ص /٢٣٠.

(٣) الجرجاني، علي بن محمَّد، كتاب التَّعريفات،، ص٣٨.

وفي القتل أفرط...والغالب على ذكره الإكثار من الذنوب والخطايا، واحتقاب الأوزار والآثام، والسرف: الخطأ... قال ابن الأعرابي: أسرف الرجل إذا جاوز الحد» [(١)].

٢-**الاسراف في الاصطلاح القرآني:** ورد لفظ الاسراف في القرآن الكريم ثلاث وعشرون مرة وفي آيات ومعان مختلفة، وأنَّ أشهر هذه المعان عند عامة الناس المقصود به الاسراف في المال، في حين أنَّ المعنى الغالب لما ورد به لفظ الاسراف في القرآن الكريم هو «مجاوزة الحد، أو القدر المعلوم »وهو ذاته معنى الطغيان، الذي سبق أن عرفناه، اذا فالإسراف والطُّغيان كلاهما يعطيان معنى مجاوزة القدر المعلوم، أو مجاوزة الحد في الاشياء، سواء كان ذلك الشيء مادياً أو معنوياً.

٣- **سلوك المسرفين في القرآن الكريم:** ورد للفظ الاسراف من معان في آيات القرآن الكريم:

الأول: المجاوزة في الحد في سلوكهم مسلك الانفاق والطغيان في ذلك كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَ لا تُطيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفينَ﴾[الشعراء: آية / ١٥١]، وقد نزلت في (ثمود) الذين أضاعوا كل صحيح وصالح بناه الاولون على أُسس حضارية، وسلكوا سلوك المسرفين الطغاة، الأمر الذي وصل بهم الى الهلاك وتدمير تلك الحضارة والمجتمع المنتظم المتماسك، بسبب سلوك الاسراف في الانكباب على الدنيا وزخرفها الذي قادهم اليه الطمع والطغيان والكفر بالله تعالى ورُسله إذ تجدهم قد استخدموا أموالهم وكل مقدراتهم في نصرة الطغيان ضد الضعفاء والمساكين بدل أن يساعدونهم من خلالها، كما ورد في تفسيرها: « فبدل أن يستخدموا أموالهم في رفد الفقراء، وقوَّتهم في إعانة المشرّدين، وسلاحهم في الدفاع عن المظلومين؛ بدل ذلك كانوا يرفعون كل ذلك للاستكبار على من هم دونهم حالًا في الحياة، فكانوا بذلك مسرفين في مواقفهم وفي تعاملهم..... على كل مجتمع بشري أن يتجنَّب مسلك الإسراف والمسرفين، لأن الإسراف ومن يتقمصه عامل انهيار الحضارة، فيما

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٩، ص١٤٨-١٥١، مادة (س، ر، ف)

المفترض أن يتوجَّه الناس إلى أهل الصلاح والإصلاح»[(١)]، إذ أنَّ مجاوزة الحد في الشرك ما هو الا سلوكاً جمعياً مرده الى المبالغة في المعصية والكفر والابتعاد عن الله تعالى.

الثاني: المجاوزة في الحد في ارتكاب الظُّلم وممارسة والطُّغيان، والتعدي على حدود الله تعالى وقد ورد ذلك في مجموعة من الآيات المباركة[(٢)]، ويبدو أنَّ هذا هو المعنى الغالب لكلمة الاسراف من خلال الاستخدام القرآني، وحتى الآيات التي أُدرجت كما تقدم في المعنى الثاني تدخل تحت هذا النوع، وهو ما يقودنا اليه السياق في الآيات التي تتحدث عن الاسراف، اذ تخلص كلها الى معنى الطُّغيان، أو تجاوز الحد في الظلم والاستكبار، ونذكر في اطار تلك الآيات قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ﴾ [غافر: آية / ٣٤] والتي ورد في تفسيرها أنَّ مؤمن آل فرعون قال لقومه: «لقد سلكتم سبيل الإسراف والتعدي على حدود الله تعالى كما قمتم بالتشكيك في كلّ شيء، حتى غدا ذلك كلّه سببا لحرمانكم من اللطف الإلهي في الهداية، فسدرتم في وادي الضلال والغي، كي تنتظركم عاقبة هذا الطريق الغاوي»[(٣)]، اذ نتيجة لسلوكهم الجمعي المتمثل في الاسراف في التعدي على حدود الله تعالى، ضيعوا انفسهم وضيعوا اتباعهم عن أن يسلكوا السلوك الصحيح.

وكذلك يتضح الأمر من خلال وصف الطغاة التسع من ثمود بالمسرفين كما في قوله تعالى في الآيتين المباركتين: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: الآية /١٥١-١٥٢] والمقصود هنا بالمسرفين الجمهور من كبراء قومهم واعلامهم كان سلوكهم الجمعي يتمثل بالإسراف في إضلال

(١) محمد تقي المدرسي، بيانات من فقه القرآن، الناشر: دار المحجة البيضاء -١٤٣٤، ١/ ٣٧٩.

(٢) سورة يونس/١١-١٢، ويونس/٨٣، والنساء/٦، والمائدة/٣٢، وغافر/٢٨، وغافر/٣٤، والشعراء/١٤٢-١٥٢، والدخان/٣١، والإسراء/٣٣.

(٣) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،.، ٤/ ٣١٨.

الناس وتكفيرهم اذ هم تسعة من الرهط [١]، وكان المثير لذلك السلوك الجمعي هو خوفهم ورعبهم من الرسالة الجديدة التي جاء بها صالح والتي من الممكن أن تُخلَص الناس من نفوذهم المهيمن على حياة المجتمع آن ذاك، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [سورة النمل: آية /٤٨]، كما ورد في تفسيرها: «وهكذا كان هؤلاء يشعرون بخطورة الرسالة الجديدة على مواقعهم ومخططاتهم، ويخافون أن يكون الموقع المميز المستقبلي لصالح والمؤمنين معه، على حساب مواقعهم الخاصة، فيتغيّر الواقع من حولهم لمصلحة الرسالة، وتختلف المفاهيم في مسائل التقييم للأوضاع وللأشخاص، فبدأوا يخططون لمواجهة هذا الخطر الجديد عليهم ويتآمرون على صالح ومن معه» [٢].

وقيل انهم هم الذين تأمروا في عقر الناقة، وأنَّ هؤلاء كانوا من أبناء الاشراف، وكان من شأنهم هو الافساد ولا يبدر منهم الاصلاح أبداً، وأنهم الذين يصدرون الأوامر ويديرون الأمور، من دون أن يستطيع أحد الاعتراض عليهم خوفاً منهم لدرجة الطاعة العمياء لهم، كما ورد ذلك في تفسير الآية الكريمة: «و هم الذين سعوا في عقر الناقة، و كانوا عتاة قوم صالح عليه السلام، و كانوا من أبناء أشرافهم وَ لا يُصْلِحُونَ يعنى أن شأنهم الإفساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح » [٣]، فبطغيان هؤلاء المسرفين من كبرائهم وتأثيرهم سيتحول السلوك الجمعي لقوم ثمود الى الابتعاد عن الله تعالى وعن كل ما هو خير وإصلاح وصلاح، من خلال الطاعة العمياء لهؤلاء المسرفين في كفرهم وتجبرهم.

ويرى الباحث أنه ما دام الاسراف وفق التعريف اللغوي والاصطلاحي يعطي

---

(١) يُنظر: الآلوسي، محمود أبو الفضل، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١١٣/١٩.

(٢) محمد حسين فضل الله ، من وحى القرآن، ١٧/ ٢١٦ .

(٣) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، ٤جلد، دار الكتاب العربي – لبنان – بيروت، ط/ ٣، ١٤٠٧ هـ.ق، ٣/ ٣٧٢.

معنى مجاوزة الحد كما هو الطُّغيان، والطُّغيان هو سلوك والسلوك اذا بدر من مجموعة من الافراد مسبوق بمثير كأن يكون عدم مخافة الله أو اتباع الهوى والطمع أو الخوف على المصالح الخاصة وغيرها، ومن بعد هذا المثير والهيجان والذي يصل الى حد اللامبالاة بالآخرين لدرجة الاسراف بذلك، ونتيجة للتمادي في ذلك، ينتج أو يحصل ردة فعل على شكل سلوك متحقق بالخارج، عندها يكون قد تحققت أركان السلوك الجمعي، التي هي المثير، والهيجان ورد الفعل، وأنَّ مثل ذلك كلما يقع من جماعات حصل عندها ذات المثير وذات الحالة من الهيجان وردة الفعل فيكون الاسراف من قبل تلك الجماعات هو سلوك جمعي مذموم، قد حصل من تأثيرات داخلية انتجتها واتفقت عليها نفوس أفراد تلك الجماعات.

ثانياً: العلو:

١-**العلو في اللغة:** كما ورد عن الخليل: «علا الملك في الأرض علواً كبيراً، أي: طغى وتجبر»[(١)] قال تعالى: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾[القصص: آية /٤]، ويقال أيضاً: «لكل شيء يعلو: عَلا يَعلو، فإن كان في الرفعة والشرف قيل: عَلِيَ يَعلي. ومن قهر أمراً فقد اعتلاه واستعلى عليه وبه »[(٢)] وقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الاسراء: آية / ٤]، مَعْنَاهُ: « لَتَبْغُنّ ولَتَتَعَظَّمُنّ. وَيُقَالُ لِكُلِّ مُتَجَبِّر: قَدْ عَلا وتَعَظَّمَ»[(٣)].

٢-**أما في الاصطلاح:** «والاستعلاء قد يكون طلب العلو المذموم، وقد يكون طلب العلاء، أي: الرفعة»[(٤)].

٣-**العلو في القرآن الكريم:** ورد لفظ ومعنى العلو في القرآن في العديد من الآيات القرآنية نذكر منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا

(١)الخليل: كتاب العين، ج٢، ص٢٤٥.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١١٢/٤-١١٣.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**،، ١٥/ ص٨٣-٨٧.

(٤) الأصفهاني، المفردات، ص ٥٨٣.

يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: آية / ٤]، والتي ورد في تفسيرها:« إنّ فرعون عَلا فِي الْأَرْضِ يعنى أرض مملكته قد طغى فيها و جاوز الحدّ في الظلم و التعسف، شِيَعاً فرقا يشايعونه على ما يريد و يطيعونه، لا يملك أحد منهم أن يلوى عنقه»(١)، وهذا المعنى والتفسير للعلو في الارض يكون بمثابة مؤثر خارجي على الجماهير فيأخذ بها أن تسلك سلوكاً جمعياً يتمثل بالرضوخ والاذعان والطاعة العمياء نتيجة الرُعب والخوف الذي يسلطه الطُّغيان الذي يجثو على رقابهم، أو أن يقود بعض مجاميعهم بأن يقوموا برد فعل \يتمثل بالثورة ضد ذلك الطُّغيان، وكلا الأمرينِ هما سلوكٌ جمعي.

ثالثاً: الاستكبار:

١-**الاستكبار في اللغة:** يقال: «هو كبير، وكُبار، وكُبَّار....والكبر: العظمة وكذلك الكبرياء»(٢).

وقيل: «والاستكبار: الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبراً، والتَّكبُّر والاستكبار: التعظم. ومعنى يتكبرون أي يرون أنهم أفضل الخلق، وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم»(٣).

٢-**الاستكبار في الاصطلاح:** «فالكبر الحالة التي يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، وأعظم التّكبّر التّكبّر على الله بالامتناع من قبول الحقّ والإذعان له بالعبادة»(٤).

٣- سلوك الاستكبار في القرآن الكريم:

(١) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل فى وجوه التأويل، ٤جلد، دار الكتاب العربي – لبنان – بيروت، ط/ ٣، ١٤٠٧ هـ.ق، ٣ /٣٩١

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،، ٥ /١٥٣-١٥٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ٥ /١٢٦-١٣٠..

(٤) الأصفهاني، المفردات، ص / ٦٩٧.

وقد ورد الحديث عن الطغاة والمستكبرين في العشرات من الآيات القرآنية [(١)]، تم فيها وصف الطغاة بالاستكبار وقد تجاوز عددها المائة والخمسين آية، منها على سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ [العنكبوت: آية / ٣٩] بمعنى أنَّهم طغوا، وتعظموا فيها كما ورد في تفسيرها: « يعني: طغوا فيها، و تعظموا عن الإيمان»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ [الاعراف: آية / ٨٨]، والتي ورد في تفسيرها، انها دلت على أن الملاء سلكوا سلوك الطغيان والاستكبار لان دعوة شعيب صعقتهم و ارعبت مضاجعهم كما في التفسير الآتي: «الكلمة الأخيرة تدل على صفة الجبر والقهر في السلطة القائمة في مجتمع مديَّن، وبالتالي على نظام الطاغوت الذي يعتمد على الملأ من الناحية الطبقية، وعلى الاستكبار من الناحية الاجتماعية والثقافية، وعلى الإرهاب من الناحية السياسية».[(٣)]

ويرى الباحث أنَّه عند معاينة آيات الاستكبار تجد التداخل واضحاً فيما بين الطُّغيان والاستكبار، فكل الطُّغاة مستكبرين، ولولا الاستكبار ما كان للإنسان أن يتجاوز حده ويصل الى مرتبة الطُّغيان، الذي يُرهب الجمهور ليحصل منه السلوك

(١) ورد الكبر ومشتقاته ١٦١ مرة في القرآن الكريم، وأفاد عدة معانٍ منها: شديد كما في سورة الإسراء: «وما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً»، أي في الشدة، ومنها: الكبير المسن كما في سورة القصص: «وأبونا شيخ كبير»، أي في السن، ومنها: الكبير كما في سورة البقرة: «ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله»، ومنها: العظيم كما في سورة الرعد: «الكبير المتعال»، أي العظيم، ومنها: الكبرياء والملك والسلطان كما في الجاثية: «وله الكبرياء في السموات والأرض»، ومنها: كبر أي: ثقل كما في سورة يونس: «إن كان كبر عليكم مقامي»، يعني ثقل، ومنها: الكبير الطويل كما في سورة الملك: «إن أنتم إلا في ضلال كبير»، يعني: في شقاء طويل. يُنظر: الدامغاني، الحسين بن محمَّد، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبدالعزيز سيد الأهل «بيروت: دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٨٥م، ص٣٩٧-٣٩٨.

(٢) السمرقندى، نصر بن محمد، تفسير السمرقندى المسمى بحر العلوم، ٣جلد، دار الفكر – لبنان – بيروت، چاپ: ١، ١٤١٦ هـ.ق، ٢/ ٦٣٣.

(٣)محمد تقى المدرسي، من هدى القرآن، ٣/ ٣٨١ .

الجمعي .

رابعاً: التجبر:

١- **التجبر في اللغة:** قيل التجبر جنس من العظمة، والعلو، والاستقامة، والجبار هو الذي طال أو فات اليد، يقال: للفرس جبار، وللنخلة جبارة.... وكذلك يقال: في التجبر أجبرت فلاناً، ولا يقع التجبر إلا بالقهر[١]، قالوا «والجبار: المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقاً....وتجبر الرجل تكبر»[٢]

٢- **التجبر في الاصطلاح:** «حمل الغير على أن يجبر الآخر لكن تعورف في الإكراه المجرّد، فقيل: أَجْبَرْتُهُ على كذا، كقولك: أكرهته»[٣].

٣-سلوك المتجبرين ومشتقاته في القرآن الكريم:

ورد التجبر ومشتقاته في القرآن الكريم في عشرة مواضع منها كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة الحشر: آية/٢٣]، وكان أحدها في وصف الله تعالى بصفة الجبار، ومنها مورد واحد أفاد معنى الطول والضخامة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾[سورة المائدة: آية /٢٢]، أما في بقية المواضع فقد أفاد التجبر معنى الطُّغيان مع الاستكبار وكذلك العتو والقهر، وكل ما يمت الى الطُّغيان من معاني، ومن هذه الآيات الكريمة ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[هود: آية / ٥٩]، فقد وِصفَ سلوكهم الجمعي بالتجبر لأنهم كان لهم ردة فعل عدائية ضد الدعوة الى الله تعالى عن طريق هود عليه السلام كما ورد في تفسير الآية: « و بعد ان عرفوا رسولهم الذي أرسل إليهم للطاعة عصوه، واتبعوا امر كل جبار عنيد يتصف باستخدام العنف

(١) يُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج١، ص٥٠١.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٤ /١١٣ -١١٤ .

(٣) الأصفهاني، المفردات، ص / ١٨٣.

ضد الناس، فهو ديكتاتور مستبد برأيه، لا يحكم بالشورى ولا يتبع الهدى.....و لانحرافهم الفكري ولانحرافهم السياسي والاجتماعي لحقتهم لعنة الأبد، وأبعدوا عن رحمة الله فعذبوا في الدنيا والآخرة، كل ذلك لكفرهم بالله وبرسول الله هود»[١].

وقوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿و إِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[الشعراء: آية / ١٣٠] ليس من الصحيح أن يغضب الانسان ويثيره الجرم ويكون سلوكه القسوة والطغيان ويتساوى العقاب عنده بمعنى أن يتساوى عقاب صاحب الجرم الصغير مع من كان جرمه كبير حتى يصل بهم الحال كما وصف هود عليه السلام ﴿ وإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[الشعراء: آية / ١٣٠] التي جاء في تفسيرها: « فمن الممكن أن يعمل الإنسان عملا يستوجب العقوبة، إلّا أنّه لا يصح تجاوز الحد والانحراف عن جادة الحق والعدل عند محاسبته ومعاقبته، وأن يعامل ذو الجرم الصغير معاملة ذي الجرم الكبير..... وأن تسفك الدماء عند الغضب ويقع التماصع بالسيف، فذلك ما كان يلجأ إليه الجبابرة والظلمة والطغاة آنئذ »[٢]،.

ويرى الباحث أنَّ هذا الحال من السلوك الجمعي يتكرر في واقعنا المعاصر أذ حكمت مجاميع وقوى اختلت عندهم موازين العدالة حتى حكموا الجماهير والشعوب واصبحوا المتحكمين في الأمن والاقتصاد والواقع الصحي والاجتماعي والتعليمي للبشرية، الأمر الذي أخذ بهم أن يسلكوا سلوك التجبر والقسوة مع الشعوب المستضعفة فيُثيرون في مجتمعاتها الحروب والفتن الداخلية والخارجية، ويفرضون الحصار الاقتصادي والصحي والتعليمي حتى يصل الحال الى موت الاطفال والنساء والرجال، من دون أيّ رحمة، اذ تراهم قد سلكوا سلوك التجبر من خلال البطش والقسوة في كل شيء، فخروج اولئك عن اطار طاعة الله والدخول في معصية الله وعدم الطاعة يجعل من سلوكهم الجمعي التجبر والطغيان اللذان يقودان الى التأثير على سلوك المجتمع الى الاذلال والخضوع.

---

(١)محمد تقى المدرسي، من هدى القرآن.، ٥ /٧٩

(٢)ناصر مكارم، الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤٢١/١١

خامساً: العتو:

١- **العتو في اللغة:** قالوا «عتا عتواً وعتياً إذا استكبر فهو عات، والملك الجبار عات، وجبابرة عتاة، وتعتى فلان، وتعتت فلانة إذا لم تطع» [(١)]، وجاء معنى العتو، بمعنى الرجل الذي استكبر وتجاوز الحد [(٢)].

«العاتي: الجبار وجمعه عتاة، والعاتي الشديد الدخول في الفساد المتمرد الذي لا يقبل موعظة. والعتو التجبر والتَّكبُّر» [(٣)].

٢- **العتو في الاصطلاح:** «العُتُوُّ: النبوّ عن الطاعة، يقال: عَتَا يَعْتُو عُتُوّاً وعِتِيّاً» [(٤)]. قال تعالى:﴿ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً﴾[الفرقان: آية / ٢١].

٣- **سلوك العتو في القرآن الكريم:** وقد ورد ذكر العتو في آيات القرآن الكريم «تسع مرات» واحدة منها أفاد معنى تجاوز الحد الطبيعي في العمر مما يجعله مع ذلك الحد غير صالح لشيء، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[مريم: آية / ٨] أما المواضع الباقية «الثمانية عشر» فقد أفاد معنى تجاوز الحد في كل من الطُّغيان والاستكبار والتجبر والعصيان، ومنها قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الاعراف: آية / ٧٧] وقد تبيَّن فيما تقدم من تفسير السلوك الجمعي لقوم صالح وعقر الناقة انتقاماً لسطوة سلطانهم، أما في بني اسرائيل فقد نزل قوله تعالى:﴿ فلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الاعراف: آية / ١٦٦]، فلما كانت ردة فعلهم تجاه الدعوة الى الله تعالى، هو السلوك الجمعي المتمثل بالتمرد والاستكبار عن سماع الحق مسخهم الله تعالى قردةً خاسئين،

---

(١) الخليل، كتاب العين، ج٢، ص٢٢٦. وقد نقل ابن فارس نفس الكلام دون زيادة عليه، يُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٤، ص٢٢٥.

(٢) يُنظر: ابن سيده، أبو الحسن علي «ت ٤٥٨هـ»، كتاب المخصص «مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ط /١، ١٣١٩هـ»، ١٢/٢٠٠.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص٢٧. ويُنظر، الرَّازي، مختار الصحاح، ج١، ص١٧٣.

(٤) الاصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص/ ٥٤٦.

كما جاء في تفسيرها: «أي فحين ظلموا أنفسهم وتكبّروا عن سماع الحق وتمرّدوا فلم يتركوا ما نهاهم الله والواعظون عنه وأبوا أن يرجعوا عن غيّهم»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[الفرقان: آية / ٢١]، ان عدم الايمان بالله واليوم الأخر، يأخذ بهؤلاء الاقوام أن يسلكوا سلوكاً جمعياً يتمثل في العتو والعناد والاستكبار حتى على الله تعالى كما يصفهم التفسير الآتي: « فعلى فرض أنّنا سنقبل أنّ النّبيﷺ يستطيع أن يعيش الحياة العادية مثلنا، لكن أن يتنزل الوحي عليه وحده، ولا نراه نحن، فهذا ما لا يمكن القبول به، ما المانع من أن يظهر الملك فيؤكّد صحة نبوة الرّسول؟ أو أن يسمعنا بعضا من الوحي!؟ أو أن نرى ربّنا بأعيننا حتى لا يبقى عندنا مكان لأي شك أو شبهة!؟هذه هي الأسئلة التي تمنعنا من قبول دعوة محمد ﷺ، المهم هو أن القرآن يصنف هؤلاء المتعللين بالذرائع تحت عنوان لا يَرْجُونَ لِقاءَنا، حيث يدل على أنّ منبع هذه الأقوال الواهية هو عدم الإيمان بالآخرة، وعدم القبول بالمسؤولية أمام الله»[(٢)].

ويرى الباحث أنَّ مفاهيم العلو والاستكبار والتجبر يُرى أنَّها مفردات متقاربة في المعنى، وتفيد بمجملها معنى الخروج عن الحد الذي يرادف الطُّغيان، بمعنى الخروج من الحد في معصية أوامر الله تعالى والتي تجلت على شكل سلوك جمعي بتحقق أركان السلوك الجمعي فيها، الأمر الذي تؤثر في الواقع الاجتماعي واختلال نظام المجتمع.

سادساً: الظلم:

١- **الظلم في اللغة:** «وقالوا الأصل في الظُّلم: أن يوضع الشيء في غير محله

(١)محمد السبزواري، الجديد فى تفسير القرآن المجيد، ٧جلد، دار التعارف للمطبوعات – لبنان – بيروت، ١٤٠٦ هـ.ق، ٣/ ٢٢٨ .

(٢) ناصر مكارم الشيرازى، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط/ ١، ١٤٢١ هـ.ق ١١/ ٢٢٥.

أو موضعه» [١]، أو هو:« التعدي في حق غيره» [٢]، وورد في لسان العرب: «"وأصل الظُّلم: الجور ومجاوزة الحد..... والظُّلمة المانعون أهل الحقوق حقوقهم» [٣].

٢- **الظلم في الاصطلاح:** ورد عن الاصفهاني أن معناه غير أهل اللغة كما هو عند أهل اللغة ويُقصد به: «وضع الشيء في غير موضعه المختص» [٤]، وقيل بنفس المعنى «إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه... والظُّلم يقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، ويقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز، ولهذا يستعمل في الذنب الكبير وفي الذنب الصغير» [٥].

٣- **سلوك الظلم في القرآن الكريم:** يصف القرآن الكريم الطُّغاة بالظلم وذكر منهم فرعون والنمرود بسبب السياسات الظالمة التي بدرت منهم تجاه رعاياهم من القتل للأنفس والهتك للأعراض، وسلب الحقوق الى غيرها من سياسة الظلم والقمع والقهر التي تمارسها الأنظمة الظالمة الطاغية المتجبرة في كل زمان ومكان، الأمر الذي يحمل الناس قصراً أن تسلك سلوكاً جمعياً واحد يتساير مع سياستهم أو يحدث ردِّ فعل ضد تلك السياسة الطاغية المتجبرة، لذلك نجد الآيات القرآنية التي ذكرت الظلم والظالمين تجاوز عددها المئات [٦]، نذكر بعضاً منها على سبيل المثال:

---

(١)ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤٦٨/٣، ويُنظر: الرَّازي، مختار الصحاح، ١٧٠/١.

(٢) العظيم آبادي، أبو الطيب محمَّد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود «بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط٢، ١٤١٥هـ»، ٢٨٣/٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ١٢/ ٣٧٣-٣٨٠.

(٤) وقد عرف كل من :« العسقلاني والعيني الظُّلم أيضاً بأنه: وضع الشيء في غير موضعه الشرعي، قال العيني: "أصله الجور ومجاوزة الحد، ومعناه الشرعي: وضع الشيء في غير موضعه الشرعي"، »العيني، بدر الدِّين محمَّد «ت ٨٥٥هـ»، عمدة القاري شرح صحيح البخاري «د. م: دار الفكر، د. ط. ت»، ٢٨٣/١٢، ويُنظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر «ت ٨٥٢هـ»، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي ومحب الدِّين الخطيب «بيروت: دار المعرفة، د. ط، ١٣٧٩هـ»، ٩٥/٥.

(٥) الأصفهاني، المفردات، ص٣١٥.

(٦) وردت مادة الظُّلم ومشتقاته ٣١٥ مرة في القرآن. وقد أفاد معاني عديدة منها: الشرك قال تعالى: «إن الشرك

أ- قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الانفال: آية / ٥٤]، إنَّ سنن الله تسري على جميع عباده من سبق منهم ومن لحق فكما ظلم، آل فرعون من قبل فالذين من قبلهم ومن بعدهم ايضاً يظلمون ما دام سلوكهم الجمعي التكذيب بآيات ربهم، كما ورد في تفسير الآية المباركة: « لقد أهلكهم الله بعد التكذيب بآياته، ولم يهلكهم قبلها سبحانه- مع أنهم كانوا كافرين- لأن هذه سنته ورحمته: ﴿وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾... وهو يعبر هنا عن آل فرعون والذين من قبلهم من أمثالهم الذين كذبوا بآيات الله فأهلكهم... بأنهم كانُوا ظالِمِينَ... مستخدما لفظ الظلم بمعنى الكفر أو الشرك وهذا هو الاستعمال الغالب في القرآن... و لا بد أن نقف قليلا عند نص هذه الآية المباركة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال: آية / ٥٣] إنه، من جانب، يقرر عدل الله في معاملة العباد؛ فلا يسلبهم نعمة وهبهم إياها إلا بعد أن يغيروا نواياهم، ويبدلوا سلوكهم، ويقلبوا أوضاعهم»[(١)].

ب-وقولة تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس: آية /١٣]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال: آية/ ٥٣] ، ويتضح للباحث أنّه لما كان السلوك الجمعي الناتج من تكذيب الرُسل، هو عبارة عن مختلف أنواع الفساد والاجتماعي والسياسي وغيرها، فأنه تعالى يحذرنا نحن البشر في

لظلم عظيم»، ومنها: فعل الذنب من غير شرك، يعني: ظلم المسلم نفسه بذنب يصيبه كما في سورة الطلاق: «ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه»، ومنها: ظلم النَّاس سواء بالقتل أو بغيره كما في سورة الإسراء: «ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً»، ومنها: النقص كما في سورة الكهف: «كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً»، ومنها: الضرر كما في سورة البقرة: «وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»، ومنها: الجور كما في سورة الزخرف: «وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»، ومنها: الجحود والتكذيب كما في سورة الأعراف: «فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون»، يُنظر، الدامغاني، قاموس القرآن، ص٣٠٨-٣١٠.

(١) سيد قطب، فى ظلال القرآن، ٣ /١٥٣٥ .

كل زمان ومكان بأن نسلك ذلك السلوك، فإن عاقبة من يسلكه الهلاك، كما ورد في تفسير الآية المباركة: «إنها سُنّة عامة لا تختص بالقرون السابقة، فعلينا جميعا انتظار ذات المصير إذا أجرمنا، وبالذات على المجتمعات أن تدرك هذه الحقيقة الهامة ان وجود نسبة عالية من الفساد الخلقي أو الاقتصادي أو السياسي، سوف تقضي عليها قضاء تاما ولو بعد حين، لذلك ينبغي أن ينشط الجميع من أجل تقليل هذه النسبة حتى لا تنطبق عليهم صفة القوم المجرمين لذلك ترى القرآن يذكّرنا بأننا خلائف أولئك الهالكين، وتنطبق علينا ذات القوانين الفطرية»[1].

ويرى الباحث أنَّه للتعبير عن الطُّغاة والطُّغيان استخدَمَ القرآن الكريم اللفاظ مختلفة لفظاً متحدة في المعنى كلها تصب في معنى يُقصد به مجاوزة الحد أو مجاوزة القدر المعلوم في مختلف أنواع السلوك والافعال والاحوال والاشياء، لاسيما مجاوزة الحد في السلوك الجمعي، كما هو في الفاظ: (الاسراف – العلو – الاستكبار – التجبر – العتو – الظُّلم) ومن الملاحظ انها الفاظ وأوصاف قد تداخل بعضها في البعض الآخر ولا يمكن فصلها عن بعضها، وأنَّ لفظ الطُّغيان بذاته يجمع كل تلك الاوصاف والتي هي أوصاف مذمومة، وبالرغم من كل ما ذكرنا فأن ذلك لا ينفي وجود بعض من الالفاظ الاخرى لها علاقة بالطُّغيان قد وردة في القرآن الكريم.

ومن الجدير بالذكر أنَّ الطُّغيان أما أن يكون هو صورة من صور السلوك الجمعي اذا كان صادراً من جماعة بسب حالة مثيرة، وأما أن يكون هو سبب لظهور السلوك الجمعي كما هو في طُّغيان الحاكم المستبد أو حاشيته فيكون مؤثراً قوياً في هيجان الجمهور فيسلك سلوكاً جمعياً يوافق سياسة الطُّغاة أو يثور ضدهم، وفي أحيان أخرى يكون الجمهور نفسه يتصفُ بالطُّغيان، الأمر الذي يأخذ بالجمهور لأن يسلك سلوكاً جمعياً معيناً تجاه حالة معينة متأثراً بالطُّغيان المسلط عليه أو المتلبس به، وفي جميع الاحوال فأن المجتمع يتأثر بسلوك مواطنية، فاذا اتجه السلوك الجمعي للجمهور نحو الايجاب كان الواقع الاجتماعي بخيرً ونموٍ نحو الافضل، أما

(١) محمد تقى المدرسي، من هدى القرآن، ٤/ ٣٤٣ .

اذا اتجه السلوك الجمعي لجمهور المجتمع نحو السلب، كان الواقع الاجتماعي متردي ومتجه نحو الانحلال والتفكك في جميع العلاقات والمستويات.

المطلب الثاني: بطانة الطاغية وصناعة السلوك الجمعي في ضوء التفسير القرآني:

أولاً: تمهيد: من العوامل التي تساعد على استمرار الطُّغيان المؤثر على سلوك الجمهور، هي البطانة وما يحيط بالملك أو الحاكم الطاغي المستكبر من وزراء أو مستشارين أو ذرية أو حاشية تحيط به، أو جنود وشرطة، بحيث أنَّه من الممكن لهذه البطانة أن تُرغب أو تُرهِّب الطاغية في الضغط على الجمهور لتوجيهه نحو سلوك معين، فمن خلال طرق وأساليب كثيرة يمكنها ذلك، ومن خلال أساليب البطانة في توجيه الطاغية يستمر المؤثر على الجمهور الأمر الذي يتسبب في استمرار الهيجان أو الخوف عندهم فيستمر السلوك الجمعي لهم، ومن هذه الاساليب النفاق والتملق اللذان يدفعان بالسلطان الى الغرور والاستبداد برأيه حتى الطُّغيان وتجاوز كل الحدود، اذ يجد تأييداً مطلقاً من تلك البطانة المتملقة والمنافقة، التي تحاول في كثير من حالاتها استرضاء السلطان.

والبطانة ممكن أن تكون بطانة خير، أو بطانة سوء، وما دام موضوعنا عن الطُّغيان فالذي تعلق به البحث هم بطانة السوء، الذين قيل عنهم: « وأكثر ما تتقرب بطانة السوء إلى الحاكم بالثناء عليه، وتزيين أعماله وتقديم الهدايا له، لتظفر منه على موافقته على مآرب غير مشروعة، أو تجعله يغض الطرف عن مفاسدهم، واستغلال نفوذهم» [(١)]، ويتضح ذلك من قصة السحرة مع فرعون قبل أن يؤمنوا وتنكشف لهم الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ﴾[الاعراف: آية / ١١٣- ١١٤]، وكذلك في سورة الشعراء: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ

(١) العطار، عبدالناصر توفيق، **دستور للأمة من القرآن والسنة** «القاهرة: مؤسسة البستاني للطباعة، د. ط. ت»، ص٢٠٠.

نَعَمْ **وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾ [الشعراء: آية ٤١- ٤٢]، وقد جاء في تفسيرها: «أي وجاء السحرة الذين حشرهم أعوان فرعون وشرطته إليه، وحين جاءوا قالوا لفرعون: هل لنا من أجر كفاء ما نقوم به من العمل العظيم الذي يتم به التغلب على موسى»[(١)] .

والذي يبدو للباحث أن الأجر والتقرب هما الأمران اللذان يدفعان نحو هذا التملق والنفاق، اضافة الى الخوف من الموت أو من القتل غالباً، كل هذه المؤثرات التي تقدم ذكرها تجعل من السلوك الجمعي للبطانة هو السكوت، وعدم الاعتراض على الطاغية، الأمر الذي يزيد من طغيان الطّاغية، فالذي يعترض فمصيره الموت، كما حصل مع مؤمن آل فرعون، من خلال تلطفه في ابداء النصيحة، واظهار حرصه على مصلحة الفرعون وآل الفرعون، وبالرغم من كل ذلك الأمر كان مصيره الموت، فما بال من لم يوافق الطّاغية كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ..... (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا..... (٢٩) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾[غافر: آية / ٢٨- ٣٢].

ويرى الباحث أنَّه بسكوت الحاشية وتأييدها لسلوك الملك يستمر الخوف والرعب لدى الجمهور، فيستمر سلوكهم الجمعي الناتج من الفزع والهلع والهيستريا التي يسببها طغيان الطاغية، فيكون سلوكهم الجمعي الاستسلام للطاغية، أو تمرد بعضهم على الطاغية ، والذينَ غالباً ما يكون مصيرهم الموت، الا بحبل من الله تعالى ومدد منه، وكل ذلك هو سلوك جمعي يؤثر في المجتمع، اذ يجعل الواقع الاجتماعي قلق وغير مستقر، ولبطانة الطاغية أشكال منها:

ثانياً: أشكال بطانة الطّاغية والسلوك الجمعي:

(١) أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ٩: ٢٨

تتلون البطانة بأشكال مختلفة لديمومة بقاء نفوذها ومن هذه الاشكال:

١- **ذوبان شخصية البطانة:** في بعض الاحيان يصبح دور البطانة مهمش أمام الطّاغية ولكن ينتفع بهم كما هو انتفاع الزنديق بالمسبحة كونهم ضعاف النفوس والقلوب، فيستخدمهم الطّاغية في تغليط أذهان العامة من الشعب، على أنَّه لا يستخدم الا الاسافل والاراذل فقط فلذلك قيل: «دولة الاستبداد دولة بُلْهٍ وأوغاد»[(١)] فيغير من سلوك الجماهير حسب ما يشتهي ويريد، كما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾[الشعراء: آية / ٢٥] فدورهم هنا كما هو الديكور والكماليات المزينة لمجلس الطاغية، ولا يتجاوز دورهم الاستماع فقط، وتحريك الرؤوس والعينين، بل يؤكدون تهميشهم بالنداء باسم الطاغية أو التصفيق له، بل ولا يحق لهم حتى مجرد الضحك أو الهزل في محضره الا أن يأذن لهم وفق ما ورد في الآية الكريمة.

ويرى الباحث أنَّ هذا الأمر وارد في زماننا وفي كل زمان من قبل وعِاظ السلاطين، وله مصاديقه التي لا زلنا نذكرها ويذكرها المجتمع، مما يأخذ ببقية الجماهير الى الانقياد مجبورة أو مخدوعة لتسلك سلوكا جمعياً أراده لهم الطاغية المتجبر.

وفي قوله تعالى: إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ [هود: آية ٩٧- ٩٨] ومن خلال لفظ «فأتبعوا» يتضح أنَّ هذا الاتباع لم يكن عن بيّان أو تعقل أو بحث، وانَّ من اتّبعوا فرعون ليس لهم شخصية حقيقية، حتى أنَّ الآية الكريمة لم تصفهم بالملأ أو البطانة، كونهم أذلاء، وأنَّ شخصياتهم ذابت في شخصية فرعون، كما جاء في التفسير: « لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم، وَما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ مرشد أو ذي رشد، وإنما هو غيٌّ محض وضلال صريح»[(٢)].

---

(١) عبدالرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ضمن: الأعمال الكاملة للكواكبي، إعداد وتحقيق: محمَّد جمال طحان «بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيَّة، ط١، ١٩٩٥م»، ص٤٦٦.

(٢) البيضاوي، تفسير البيضاوي «انوار التنزيل واسرار التاويل»، ٢/ ١٤٧.

ويرى الباحث أنَّه وبسكوت تلك البطانة والتي غالباً ما تكون من واجهة المجتمع والذين لهم التأثير والسطوة على الجماهير، يستمر طغيان الطاغية، فيستمر الرعب والفزع وبذلك يستمر السلوك الجمعي للجماهير المتمثل، أما بالاستسلام والتسليم خوفاً، أو الاحتجاج الخفي أو الثورة التي تكون في الغالب غير معلنة، وقليلاً ما تُعلن.

٢-**البطانة الببغائية التي تردد ما يقوله الطاغية:** فالبطانة في سلطة الطاغية ليس لها الا أن تُردد ما ينطلق من فيّ الطّاغية المبجل عندهم كما يذكر القرآن الكريم تكرر المقولة نفسها على لسان فرعون وعلى لسان الملأ مرة أخرى وثالثة على لسان السحرة، اذ قال فرعون كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لِلْملأ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١) قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: آية / ٣٤- ٣٨]، وفي ذات السياق والمعنى يأتي قوله تعالى في سورة الاعراف عن لسان البطانة: ﴿قَالَ الْملأ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ [الأعراف: آية/١٠٩-١١٣](٢)، تلاحظ أنَّهم يرددون ذات كلام فرعون وذات

(١) يقول سيد قطب: «"وتلك شنشنة الطُّغاة حينما يحسون أن الأرض تتزلزل تحت أقدامهم، عندئذ يلينون في القول بعد التجبر، ويلجأون إلى الشعوب وقد كانوا يدوسونها بالأقدام، ويتظاهرون بالشُّورى في الأمر، وهم كانوا يستبدون بالهوى، ذلك إلى أن يتجاوزوا منطقة الخطر، ثم إذا هم هم جبابرة مستبدون ظالمون»، المصدر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص٢٥٩٤.

(٢) وقوله تعالى: ﴿فماذا تأمرون﴾؟: « يعني ماذا ترون؟ وبماذا تشيرون؟ كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، ذهب بعض المفسرين إلى أنها من كلام الملأ، وقال آخرون: إن كلام الملأ قد تم عند قوله تعالى: «يريد أن يخرجكم من أرضكم»، فرد فرعون: «فماذا تأمرون»؟ قالوا: أرجه. وقد ذهب إلى هذا أيضا أبو الأعلى المودودي رحمه الله تعالى»، المصدر، يُنظر، المودودي، فرعون في القرآن، ص٢٤.

التهمة عينها اذ وصفوا موسى بالسحر، وحتى بنفس الالفاظ والكلمات، وتتكرر ذات الالفاظ على لسان السحرة، الذين كانوا يمثلون الجهاز الاعلامي الذي يقوم على إلهاء الناس وإضلالهم، وتشويه الحقائق وتزيين الباطل ومن يتبعه كما يُنقل عن لسان السحرة في قوله تعالى: ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمْ الْمُثْلَى فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾[طه: آية / ٦٢- ٦٤]، وفي ما تقدم اضلال وتشويه للحقيقة التي من خلالها يتوجه الناس لسلوك جمعي واحد يريده الطّاغية لهذا الجمهور أن يسلكه مراعاة لسياسته وتثبيتاً لسلطانه، إعانة على استمرار السلوك الجمعي للجماهير من خلال اعانة الطاغية وترديد طغيانه الذي هو المؤثر الرئيس في حصول السلوك الجمعي لدى الجماهير.

٣-**البطانة ما هم الا طبقة مجرمة وفاسقة ومفسدة،** والفسق في استعمال الشرعية يعني: «الخروج من طاعة الله عز وجل فقد يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان»[(١)].

ويرى الباحث أنَّ التجارب وعلى مر العصور تؤكد ان مَن يلتف حول الطّاغية ويمشي خلفه ويجلس مجلسه أغلبهم ممن لا يمتلكون عزة النفس، وأنَّهم لطالما كانوا لا يَقلّونَ عن الطّاغية في الاجرام والفسوق والفساد كما يصفهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنْ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[القصص: آية/ ٣٢]، وقوله تعالى:﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[الزخرف: آية / ٥٤]، والآية تتحدث عن فرعون الذي استخف عقول قومه الذين كانوا فاسقين

(١) القرطبي، محمَّد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ٢٤٦/١.

أي بعيدين عن الله تعالى، لذا تراهم يسلكون سلوكاً جمعياً مذموماً يدفعهم اليه ابتعادهم عن الله ومعصيتهم له تعالى، وإن سلوكهم الجمعي هذا يُؤثر على الجمهور بما يخدم أغراض وغايات الطاغية التي تؤدي بالناس الى السلوك الجمعي المنحرف ومنه العداء والظلم لموسى وقومه ومن خلاله العداء لله والكفر به تعالى، كما ورد في تفسير الآية المباركة ما نصه: «وقيل :استخف قومه أي وجدهم خفاف العقول..... وجدهم خفاف العقول فدعاهم إلى الغواية فأطاعوه.....، يقال استخفه خلاف استثقله، واستخف به أهانه. ﴿ إنهم كانوا قوما فاسقين ﴾ أي خارجين عن طاعة الله» (١).

وفي وصف البطانة بالإجرام جاء قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [يونس: آية / ٧٥] اذ أنَّ الملأ هنا هم يمثلون البطانة التي يكون اجرامها من اجرام فرعون، فيكون سلوكهم الجمعي المتأثر بعصيان الله ومخالفته، هو الاستكبار والاجرام الذي تقدم كون ذلك يعني الطُّغيان، وهنا يتبيَّن أنَّ السلوك الجمعي لمثل هذه البطانة هو الفساد والاجرام.

٤-**البطانة مرغبة ومرهبة للطاغية:** البطانة تجدها دوماً تحرص على مصلحتها فلا تهمها مصلحة البلد أو الناس أو حتى الحاكم نفسه، لذلك تجد سلوكهم هو ان يلعبوا دور الطبقة العازلة بين الناس والحاكم، متأثرة بالخوف على موقعها السياسي ومكانتها وسطوتها، فتسلك سلوك تخويف الحاكم من كل صوت يعلو حتى لو كان ذلك الصوت هو صوت العدل والحق، لذلك تجدهم يعملون بمختلف الوسائل والطرق الخبيثة لتخويف الحاكم منه، كما ينقل أحد الكتّاب «"إن الحاشية وبطانة السوء تعمل

(١) القرطبي، محمَّد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن ، ١٦/ ١٠١.

دائماً لمصالحها الشخصية لا لمصلحة الشعب أو البلاد أو حتى الملك نفسه، فهي تحرص أن تكون طبقة عازلة بين الملك والنَّاس، وأن توقع بينهما لتحتفظ بموقعها ومصالحها النفعية، وتسيطر سيطرة كاملة على مقدرات الأمور، وماذا عليهم لو آمن الملك مع النَّاس: إنهم سيفقدون كل شيء، إلا أن يؤمنوا، لأنه سيضيع سلطانهم»[(١)]، فتجدهم في حادثة فرعون وموسى عليه السلام عندما أثر فيه كلام موسى عليه السلام بعض الشيء ولم يتخذ قراراً صارماً ضده كان قولهم ما نقله لنا القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[الاعراف: آية ١٢٧]، وحتى في حال اراد الطّاغية تغيير سياسته والتراجع عن ظلمه أو تأييد جانب الحق، فإنَّه قد يخاف من بطانته، أو بعض أفرادها، أن يدبروا له المكيدة ويحلوا محله، أو في بعض الاحيان يأخذه التكبر والخوف من كلام الأَشراف كما ورد مثل ذلك في تفسير القرطبي: «قِيلَ: إِنَّ فِرْعَوْنَ رَكَنَ إِلَى قَوْلِ مُوسَى لَمَّا دَعَاهُ، وَشَاوَرَ امْرَأَتَهُ فَآمَنَتْ وَأَشَارَتْ عَلَيْهِ بِالْإِيمَانِ، فَشَاوَرَ هَامَانَ فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ، بَعْدَ أَنْ كُنْتَ مَالِكًا تَصِيرُ مَمْلُوكًا، وَبَعْدَ أَنْ كُنْتَ رَبًّا تَصِيرُ مَرْبُوبًا، وَقَالَ لَهُ: أَنَا أَرُدُّكَ شَابًّا فَخَضَّبَ لِحْيَتَهُ بِالسَّوَادِ فَهُوَ أول من خضب»[(٢)]، وبذلك البطانة تديم الطغيان المسلط على الجمهور.

ويتخلص عند الباحث مما تقدم أنَّه باستمرار الطُّغيان يستمر معه السلوك الجمعي للجمهور المتأثر بالسياسة الحاكمة الظالمة المتكبرة، التي تحكم بالرعب والتخويف والترهيب، حفاظاً منها على مصالحها، فيزداد الواقع الاجتماعي سوءاً يوماً بعد آخر.

---

(١) هشام غلام ، الدعوة دروس في حديث الساحر والغلام والراهب «القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط/١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م»، ص/١٢٢ .

(٢) القرطبي، محمَّد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن،، ١١/ ٢٠١.

٤- **البطانة تعطي الشرعية لجميع ما يصدر من الطّاغية:** لكي يخدع الحاكم الجمهور المحكوم من قِبَله، لا بد له من اقحام الوجهاء والمتنفذين ورجالات الدّين في مجلسه لغرض اضفاء الشرعية على حكمه، وان كانت مزيفة،، لذلك تجده دائماً يسيطر على الكهنة ورجالات الدين، وإنشاءِ وتأسيس مؤسسات خاصة تهتم بشؤونهم، وشراء ذممهم، ومن ديدن الطُّغاة ايجاد رجالات يمثلّون الدين في الظاهر، كما ظهر على مر التاريخ اذا كان يحيط الكهنة بالفراعنة وغيرهم من الحُكام والطواغيت فعندما يريد فرعون التأكد من إله موسى يأمر هامان، لماذا يؤكد أمام الناس أنه على حق في رفض دعوة موسى عليه السلام، لأنَّه استعان بهامان العارف بشؤون الآلهة فينخدع الناس ويصدقون فعله، واستمر ذلك الأمر في الدول الاسلامية وملوكها بتقريب وِعاض السلاطين من رجالات الدين والابتعاد عن الخط والنهج الصحيح الداعي لله تعالى كما ابتعد المسلمون عن أهل بيت نبيهم «صلوات الله وسلامه عليهم جميعا» ورثة العلم وخزانته.

ويرى الباحث إنَّه كلما ابتعدت المؤسسة الدينية عن سطوة الطبقة الحاكمة وتحكمها المادي بها كانت تلك المؤسسة اقرب الى الله ونصرة الحق وقيادة المجتمع نحو النجاة في الدنيا والآخرة.

ويستمر الامر الى اليوم اذ يسفكون الدماء ويبررون فعلهم بفتاوى دينية من الرجالات الذين حولهم، كما يصف سيد قطب دور السحرة قبل ايمانهم في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ [الأعراف: آية / ١١٣] فيقول: «إنهم محترفون، يحترفون السحر كما يحترفون الكهانة! والأجر هو هدف الاحتراف في هذا وذاك! وخدمة السلطان الباطل والطاغوت الغالب هي وظيفة المحترفين من رجال الدِّين! وكلما انحرفت الأوضاع عن إخلاص العبودية لله، وإفراده –سبحانه– بالحاكمية؛ وقام سلطان الطاغوت مقام شريعة الله، احتاج الطاغوت إلى هؤلاء المحترفين، وكافأهم على الاحتراف، وتبادل وإياهم الصفقة: هم

يقرون سلطانه باسم الدِّين! وهو يعطيهم المال ويجعلهم من المقربين»[1].

ويتضح للباحث الدور الخبيث للبطانة السيئة من خلال السلوك الجمعي لهم في دعم وأسناد ممارسة الطُّغيان من قبل الحاكم فيبطش ويقتل يُخيف ويُرعب الجمهور حتى يقودهم ذلك الفزع والخوف والرعب من الطّاغية، وليس العقل والادراك الى سلوك جمعي من قبل الجمهور، موافق لما يريده ذلك الطّاغية، حتى ولو في ذلك سلوك المعصية والعداء لله، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِين ﴾[سبأ: آية / ٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَ تِلْكَ عادٌ جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وعَصَوْا رُسُلَهُ واتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنيدٍ ﴾ [هود: آية ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ﴾ [سبأ: آية / ٣٣].

ثالثاً: من أمثلة سلوك الطُّغيان في الواقع المعاصر:

يقول صاحب تفسير من وحي القرآن: « ونحن عندما نريد أن نواجه هذه النماذج من الناس من خلال الآيات القرآنية، نشعر بالحاجة إلى ملاحقة أمثالها في حياتنا العامة، في صراعنا المرير في قضية الكفر والإيمان، لأن قيمة القراءة القرآنية وطبيعة الوعي القرآني، لا تتمثل في الفهم الحرفي والتاريخي لآياته فقط، بل في معرفتنا للجانب التطبيقي الذي يمثّل حركة الوعي القرآني في حياة الناس المستقبلية التي تتنوع مظاهرها وأشكالها ونماذجها في إطار وحدة القضايا الأساسية التي تبقى وتعيش في جميع المراحل »[2]، وقد استمر الطُّغيان في العالم وخاصة في عالمنا الشرقي حتى صارت كلمة الشرق مرادفة للطُّغيان في كتابات الكُتّاب كما يصفونها،

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ص١٣٤٩.

(٢) محمد حسين فضل الله ، من وحى القرآن، ١ / ١٣٩ ..

«حتى أصبحت لفظتا (الشرق) و(الطغيان) مترادفتين أو كالمترادفتين، فهما تصادفانك متجاورتين، متلاصقتين في جميع الكتابات السياسية»[(١)].

ومرت وتمر علينا ما دمنا في عالم الاختبار الدنيوي الجماعات والتنظيمات المختلفة التي أيَّدت الحاكم الظالم المستبد، حتى صارتْ تلك الجماعات مما يتقوم بها حكم الطّاغية الظالم من خلال مجموعة من المقومات:

١- ربط مصيرها بمصيره مما يجعلهم يعتقدون ويؤمنون أنَّه اذا قال ذلك الطاغية قالت الدنيا بأسرها، كما هو حال جماعات البعث في تأييدها لسياسة الطّاغية صدام، الأمر الذي جعلهم منصهرون أمام شخصه وقراراته المجحفة بحق الناس، فيؤيدونه في كل شيء ومن دون وعي ولا تفكير ولا حتى ضمير فيصمون أعينهم وآذانهم عن رؤية الحق كما يقول تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[البقرة: آية / ١٧١] وقد جاء في تفسيرها: « يعني الراعي إذا صاح في الغنم لا يسمع إلا دعاء ونداء فحسب، ولا تفهم قولا ولا تحسن جوابا، فكذلك الكافر لا يعقل المواعظ، صُمٌ عن الخبر، فهم لا يسمعون بُكْمٌ، أي خرس لا يتكلمون بالحق عُمْيٌ لا يبصرون الهدى، ويقال: كأنّهم صم، لأنهم يتصامّون عن سماع الحق، فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ الهدى»[(٢)].

ويرى الباحث أنَّ هؤلاء لا تجمعهم الا حالة واحدة، هي الطاعة العمياء في كل شيء لأوامر الطّاغية حتى في معصية الله تعالى من خلال ظلم الناس والافساد في الأرض، فيجتمع بذلك سلوكهم على سلوك جمعي واحد وهو الطاعة العمياء للطاغية وربط مصيرهم بمصيره، الأمر الذي يجعلهم يؤثرون على المجتمع من خلال الضغط على الناس، فيتحول الواقع الاجتماعي الى واقع مرير وجحيم لا

(١) إمام عبد الفتاح إمام، الطاغية، دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب –الكويت، ١٩٩٤، ص/ ١٥٩.

(٢) السمرقندي، نصر بن محمد، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، ٣جلد، دار الفكر، لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤١٦ هـ.ق، ج١ / ١١٣،

يطاق.

٢-ترديد ما يقوله الطاغية كأنهم الصدى لصوته، خصوصاً أنَّ ذلك الطاغية جهزهم بكل ما يجعل صوتهم عالياً على صوت الناس من خلال السلاح والعدة والعدد ووسائل القمع والتعذيب والارهاب والسجون المرعبة، واباح لهم الدماء والاعراض والاموال، الأمر الذي يجعل الجمهور المحكوم من قبلهم يعيش في كابوس مرعب يجتمع على حالة واحدة من السلوك الجمعي وهي الرضوخ والاذعان وإطّاعة الطّاغية.

ويرى الباحث ومن خلال التجربة والمعايشة العملية إنَّه ما دام السلوك الجمعي يسببه الرعب والخوف ولا يوجد أرعب من هذا النظام البعث الظالم حتى وصلت الحالة بالناس الذين يكرهونه ويتذمرون منه لشدة ما عانوا منه، ترى حالهم يصفقون ويهتفون باسمه من دون شعور عند مقابلة الطاغية صدام في تجمهر الناس حوله، وبالرغم من كونهم فقدوا الأعزة من أولادهم، وعاشوا حياة الذل والمهانة بسببه، وعندما تسألهم يتعجبون من أنفسهم لفعلهم الذي قاموا به، في حين ان الذي يعلل حالتهم هذه هو حالة الخوف والرعب التي يعيشونها عندما يرتبط الامر بذكر اسم ذلك الطّاغية، ووفق هذه الفوضى الجماعية والسلوك الجمعي اللاواعي من قبل الجمهور يولد السلوك الجمعي لذلك الجمهور.

٣-البطانة هم طغاة ايضاً كقائدهم، كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [يونس: آية / ٧٥] اذا ليس فرعون هو المجرم والطاغية فقط، إنما ملئه ايضاً مجرمون، كما ورد في تفسيرها: «أي: وصفهم بالإجرام والتكذيب»[١]، الى درجة يصل الحال بهم كلما كان

(١) عبدالرحمن السعدى، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الناشر: مكتبة النهضة العربية – لبنان –

أحدهم غارقاً بالفسق والرذيلة، والخسة والنذالة والانحطاط من سوء الاخلاق، وتجرد عن القيّم الاخلاقية والاجتماعية والانسانية كان هو الأقرب الى الطاغية والمقدم عنده، وعليه كان رجالات البعث الظالم يتسابقون وبشغف الى الطَّعنِ ببعضهم بعضاً غايتهم الوصول الى كسب مرضاة الطاغية، من خلال ممارسة كل السلوكيات المنحطة والمذمومة شرعاً وعقلاً وعُرفاً، فيفسدون ويخربون الحرث والنَّسل، ويزعمون انَّهم بُناة الوطن والمدافعون عنه في حين هم خِلاف ذلك كله بل هم المفسدون، كما يصفهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ «١١» أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ «١٢» وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: آية / ١١-١٣] وقد ورد في تفسير (من وحي القرآن): « يمكن لهذه الآية أن تتحرك في كل مجال من مجالات حركة النفاق في داخل المجتمع، مما قد يوحي ظاهره بالصلاح، ولكنه يحمل الفساد في أهدافه ووسائله ودوافعه... ولعلَّنا نواجه مثل هذه الحالات في سلوك كثيرين من حملة الأفكار التي تتحرك في اتجاه إثارة الفوضى والدمار في المجتمع باسم الإصلاح الذي يستهدف تغيير الواقع من خلال نسف جذوره»[(١)].

ويصف أحد الكتاب فترة البعث بمقالته (نهاية سيرة الدم):«هذا النظام القاتل استباح كل شيء وليس لديه اية حرمات او خط أحمر يقف ازاءه، فلقد احتضن كل اساليب الجريمة والقتل من الحَجّاج بن يوسف الثقفي الى هتلر وستالين وانظمة أوروبا الشرقية البوليسية، وتفنن في اختراع ما هو وحشي في معاقبة العراقيين»[(٢)].

بيروت، ط/ ٢، ١٤٠٨ هـ.ق، ص/ ٤٣٢.

(١) محمد حسين فضل الله ، من وحى القرآن، ١/ ١٤٤ .

(٢) كاظم الحسن، مقالة بعنوان: نهاية سيرة الدم، الناشر: وكالة الانباء العراقية، في ٨/ ٤/ ٢٠٢١م .

فيتضح للباحث مما سبق أنَّ كل فرد من أفراد البطانة كما في أفراد حزب البعث هو طاغية بذاته من خلال سلوكهم الجمعي الواحد في الظلم والقسوة مع الناس وتقديم مصالحهم فوق كل المصالح حتى النبيلة منها، أذ يتجلى سلوكهم الجمعي المتأثر بالمصالح الضيقة، ومعصية الله تعالى، على شكل تدمير حقيقي للمجتمع في كل المجالات التربوية والصحية والثقافية والصناعية والزراعية، وغيرها، وأقول: أنه ما دامت الدنيا هي عبارة عن مرحلة لاختبار الانسان وأعداده الى الحياة الحقيقية في الآخرة، فإن مثل هذه البطانة وأشكالها سوف تتكرر بكل سلوكياتها وطُّغيانها وعلى مرَّ الزمان والدهور.

٥- تعمل هذه البطانة المنافقة لتحقيق مصالحها الشخصية، فلا تهمها مصلحة الوطن أو الشعب أو حتى الطّاغية نفسه، وفي أكثر المواقف تلعب دور الطبقة العازلة بين الحاكم وبين الناس، فيكون سلوكهم الجمعي، المتأثر بحب الأنا وطغيان الطّاغية، هو محاولة التوقيع والفتنة بينهم، وخوفاً حفاظاً على مكانتها ومصالحها النفعية الضيقة، وحتى تبقى هي لوحدها المتمكنة من كل الامور والمقدرات، مما يجعل من الشعب المسكين المغلوب على أمره يعيش حالة الرعب والقلق والهيستريا، التي تجعل من السلوك الجمعي للجمهور المُضطهد مستجيباً للطاغية خاضعاً من دون حتى التفكير في محاولة التأخير عن الاستجابة لقرارات النظام الظالم، فسلوكهم الجمهور العفوي نابع عن الخوف والقلق، حتى وكأن العراق سجناً كبيراً يقع تحت قوانين صارمة جداً، بل هو السجن المشدد الإحكام بعينه.

المطلب الثالث: عوامل الاستسلام والتبعية المطلقة المنتجة للسلوك الجمعي في ضوء التفسير القرآني

ويكون بيان المطلب من خلال الآتي:

أولاً: خضوع واستعداد الجمهور لتقبل الطُّغيان:

تتحمل الرعية والجمهور جانباً كبيراً من المسؤولية في ممارسة سلوك الطّغيان والاستكبار والعداء الى جانب الحق، فتراهم قد تربّوا جيل بعد آخر على إطاعة الحاكم مهما كان حكمة ومهما زاد في طُّغيانه وقهره لهم، فإنَّ سلوكاً جمعياً عفوياً ومن دون أي تفكير بالمقاومة أو الاعتراض يحملهم على الرضوخ والذلة والهوان يظهر جلياً من خلال الآيات الكريمة:: ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: آية / ٥٩] وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: آية / ٢١].

اذ توصف الرعية التي سلوكها الجمعي الاستسلام والخضوع لأمر الطّاغية: «العوام هم قوة المستبد وقوته بهم وعليهم يصول ويطول، يأسرهم، فيتهللون لشوكته، ويغصب أموالهم، فيحمدونه على إبقائه حياتهم، ويهينهم فيثنون على رفعته، ويغري بعضهم ببعض، فيفتخرون بسياسته، وإذا أسرف في أموالهم، يقولون كريماً، وإذا قتل منهم ولم يمثل، يعتبرونه رحيماً، ويسوقهم إلى خطر الموت، فيطيعونه حذر التوبيخ، وإن نقم عليه منهم بعض الأباة قاتلهم كأنهم بغاة»[(١)].

ويرى الباحث إنَّ هذا الحال من السلوك الجمعي من الخضوع والخنوع وإعانة الظالم على انفسنا عاشه الشعب العراقي مع الطاغية صدام وعاشته جيوش هتلر وامثالهم من الطُّغاة، وهناك أمر آخر انَّ حال جمهور الاقوام السالفة، من قوم نوح، وقوم صالح وقوم شعيب، إنَّ فسق هذه الاقوام هو الذي دفعهم لان يكون سلوكهم الجمعي ومن دون وعي أن يعصوا الله ويكفروا به ويعادوا انبيائه، والفسق وفق الاستعمال الشرعي يعني: «الخروج من طاعة الله عز وجل فقد يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان»[(٢)]، كما ورد في سورة الأعراف: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ

(١) عبدالرحمن الكواكبي ، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص٤٥٩.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٤٦/١ .

لَفَاسِقِينَ﴾ [الاعراف: آية / ١٠١ –١٠٢]، فأنَّ الله سلط الظالمينَ عليهم لكونهم هم أنفسهم كانوا ظالمينَ كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[الأنعام: آية /١٢٩]، وقد جاء في تفسيرها: «الآية تدل على أن الرَّعيَّة متى كانوا ظالمينَ فالله تعالى يسلط عليهم ظالماً مثلهم، فإن أرادوا أن يتخلصوا من ذلك الأمير الظالم فليتركوا الظُّلم»(١)، أي ان يبدلوا سلوكهم من الكفر ومعاداة الحق الى سلوك واعي يقودهم لطاعة الله وتنفيذ اوامره وتجنب معاصيه، وكذلك يذكر صاحب الدر المنثور في تفسير الآية المباركة: « ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً﴾، ما سمعتهم يقولون فيه؟ قال: سمعتهم يقولون: إذا فسد النَّاس أمر عليهم شرارهم»(٢).

ويرى الباحث إنَّ سلوكهم هذا يدفعهم اليه وكما تقدم سابقاً أمور كثيرة فقد تكون العادات والأعراف وقد تكون التقاليد، وقد يكون الطمع والجشع وحب الدنيا، وقد تكون المفاسد التي ملأت نفوسهم، حتى اجبلوا على ممارسة سلوكاً جمعياً واحداً من دون أن يشعروا.

ويقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر «لا يوجد في كلام هؤلاء بأنهم كانوا يحسون بالظُّلم، أو كانوا يحسون بأنَّهم مظلومون، وإنما هو مجرد طاعة، مجرد تبعية...ينعقون مع كل ناعق، ليس لهم عقل مستقل وإرادة مستقلة»(٣)، وهذا هو السلوك الجمعي،الأمر الذي يفسر أنَّ تلك الشعوب والاقوام التي ذكرها القرآن الكريم بوقوع عذاب الله عليها انما هو بسلوكهم الجمعي الذي اشتركوا فيه والذي خلاصته الكفر ومعصية الله تعالى ومعادات انبيائه ورُسله، ومن دون وعي وادراك بما ينتظرهم من عقاب دنيوي وحساب في الآخرة، وان تعددت العوامل المثيرة لذلك السلوك كما

(١) الرَّازي، التَّفسير الكبير ومفاتيح الغيب «بيروت: دار الفكر، ط٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م».، ١٩٤/١٣.

(٢) السيوطي، الدر المنثور، ج٣، ص٣٥٨.

(٣) محمَّد باقر الصدر، السنن التاريخية في القرآن، ترتيب: محمَّد جعفر شمس الدِّين «سوريا: دار التعارف، د. ط، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م»، ص١٥١–١٥٢.

مر من حب المال أو إتباع الغريزة أو الغرور والاستغناء عن الغير، وغيرها من العوامل المثيرة للسلوك الجمعي.

و قيل: «بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى بايعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنوبهم فسواها» (١).

اذ يرى الباحث إنَّ هذا الأمر يؤكد أن سلوك قوم صالح واحد بسبب توحد ميولهم ومشاعرهم ومصالحهم مما وحد سلوكهم الجمعي فكانت ثمرته عقر ناقة صالح عليه السلام.

ويُذكر أنَّه « مر عيسى عليه السلام بقرية قد مات أهلها إنسها وجنها وهوامها وأنعامها وطيورها، فقام صلوات الله عليه ينظر إليها ساعة، ثم أقبل على أصحابه، فقال: مات هؤلاء بعذاب الله، ولو ماتوا بغير ذلك ماتوا متفرقين، قال: ثم ناداهم: يا أهل القرية، قال: فأجابه مجيب: لبيك يا روح الله. فقال: ما كان جنايتكم؟ قالوا: عبادة الطاغوت وحب الدنيا. قال: وما كانت عبادتكم الطاغوت؟ قال: الطَّاعة لأهل معاصي الله تعالى» (٢).

وهذه الصفة استمرت مع جزء من الرَّعيَّة التي كانت خاضعة لفرعون وهم بنو إسرائيل حتى بعد أن حرروا من الطَّاغية، وهذا واضح من امتناعهم دخول الأرض التي وُعدوا بها، فلما أمروا بذلك أجابوا موسى عليه السلام كما حكى عنهم القرآن بقوله: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: آية / ٢٢]، و﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[المائدة: آية / ٢٤]، اذ نجد أنَّ سلوك بني اسرائيل مع موسى عليه السلام وتمردهم ضده بالرغم من أنَّ موسى عليه السلام انقذهم من طّاغيتهم فرعون، يتبيّن أن أكثرهم كان الظلم والطّغيان في أنفسهم، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥١٨/٤.

(٢) أبو نعيم أحمد بن عبدالله «٤٣٠هـ»: حلية الأولياء «بيروت: دار الكتاب العربي، ط/٤، ١٤٠٥هـ»، ٦١/٤.

«كما تكونوا يول عليكم»[١].

اذ يصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[الصف: آية / ٥]، وقوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[البقرة: آية / ٥٩] يقول صاحب تفسير الكاشف:« أي إنّهم أمروا أن يقولوا ما يستحقون به العفو والصفح والثواب، ولكنَّهم خالفوا وقالوا ما يستوجبون عليه المؤاخذة والعقاب»[٢].

ويرى الباحث أنَّ تأريخ العراق وحاضره وبما شاع من أمثال على ألسنة سكانه يشهد على معاناة العراقيين حتى أصبحوا من المعتاد الطبيعي عندهم ومن كماليات الحياة قيادة الطُّغاة كما يصف ذلك أحد الكُتّاب بقوله: «وكان العراقي القديم كالعراقي الحديث، ينظر إلى الجمهور الذي لا قائد له نظرة الاستياء والشفقة والخوف أيضا (الجنود بلا ملك غنم بلا راع)(لاحظ تعبير الغنم)، وهم حتى في حالة وجود الراعي لا بد أن يكونوا غنما ! إلخ»[٣].

ويرى الباحث أنَّ هذا التعبير عن الحال ليس الا تصور دقيق للسلوك الجمعي عبر مفهوم القطيع.

ثانياً: الطّاغية يربي المجتمع على سلوك الخضوع والاذلال:

وعلى الرغم من كل ما تقدم من خضوع الناس بسلوكهم للطّاغية، فأنَّ المؤسسة الطّاغوتية تعمل جاهدة من خلال عدة اساليب لخلق سلوك جمعي عند

---

(١) العظيم آبادي، أبو الطيب محمَّد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود «بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط٢، ١٤١٥هـ»، ٦٢/٥.

(٢) محمد جواد مغنية : التفسير الكاشف، ١/ ١١٠.

(٣) امام عبد الفتاح إمام، الطاغية –دارسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، ص/ ٢٨.

الجمهور موافق لاستمرار حكمها وتحقيق رغباتها وتطلعاتها واطماعها من خلال اساليب مختلفة منها:

١-**بث الفرقة:** فتوحد كلمة الناس، هي من أخطر ما يواجهه الطواغيت اذ لا يستطيع ممارسة الظلم والاذلال واخضاع الرعية لما يريده لهم من سلوك جمعي، وعليه وجد الطُّغاة أنَّه يتوجب عليهم ان يعملوا ما بوسعهم لمنع اتحاد كلمة الجمهور، ومن أفضل الطرق للوصول الى ذلك هي إشاعة الفرقة بين الرعية وتقسيمها الى جماعات متنازعة عرقياً أو مذهبياً، أو قومياً، أو حتى عشائرياً، فيكون السلوك الجمعي لكل مجموعة هو التعصب والاعتزاز بالذات والتفاخر على الآخر بما لديها من معتقدات وثوابت، من دون ان تراعي شرع الله وأمره في التسامح والتسالم والايثار وان يرى الانسان من الخير للآخر ما يراه ويريده لنفسه، مستجيبة لما يفتعله الطاغية من مثيرات مادية ومعنوية لبث الفرقة بينهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص: آية / ٤]، وقد ورد في تفسيرها: «أي وفرقهم فرقاً مختلفة، وأحزاباً متعددة، وأغرى بينهم العداوة والبغضاء، كيلا يتفقوا على أمر، ولا يجمعوا على رأي، ويشتغل بعضهم بالكيد لبعض، وبذا يلين له قيادتهم، ولا يصعب عليه خضوعهم واستسلامهم، وتلك هي سياسة الدول الكبرى في العصر الحاضر، وذلك هو دستورها في حكمها لمستعمراتها، وقد نقش حكامها في صدورهم ذلك الدستور الذي ساروا عليه (فَرِّق تَسُدْ)، وطالما أجدى عليه في سياسة تلك البلاد، التي يعمها الجهل ويطغى على أهلها حب الظهور، ويرضون بالنفايات والقشور»[(١)].

والذي مكن لفرعون من تمزيق الرعية والتفريق بينهم وجود (الأقباط والإسرائيليون)،الامر الذي يسهل إثارة البغضاء والحقد بين صفوفهم، ويتمادى في

(١)أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي «د. م: دار الفكر، ط/٣، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م»، ٣٣/٢٠.

ذلك حتى يدخل في كل جنس منهم ليجعل منهم فرقاً متباغضة فيما بينها، لذا تجد بنو إسرائيل مقتسمون الى أقسام، فمنهم المقربون عند فرعون كما هو قارون، ومنهم المضطهدون المبعدون، كما يتضح من قوله تعالى:: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنْ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: آية / ٨٣] فمن كان مقرباً من فرعون قد أناب عنه في اثارة الفتنة والخوف بين بني اسرائيل، ولا سيما قارون وامثاله.

وهذا هو السلوك الجمعي المتمثل بالرضوخ والخنوع للطغاة والذي سببه الخوف والرعب والتربية على الخضوع للطاغية، الأمر الذي يؤثر في المجتمع فيجعل من الواقع الاجتماعي واقع مرعب يتصف بالظلم والتخلف واختلال الموازين وانهيار العدالة في مختلف الجوانب الاجتماعية.

٢- الاستعباد:

من وسائل الطُّغيان الاساسية والتي لا يكون من دونها هي الاستعباد فمن خلالها يتمكن الطّاغية من توجيه سلوك الرعية قهراً أو خديعة أو استخفافاً بهم، فيجعل من الرعية عبيداً مستضعفين، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[الشعراء: آية / ٢٢].

وقاله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾ [المؤمنون: آية / ٤٥ – ٤٧]، وكل ما نُقل عن التفسير في لفظ «عابدون» انما يُفيد معنى «الاستعباد والاذلال كما قيل بأنهم «مطيعون، خاضعون، مستعبدون، والوجه الرابع: كان بنو إسرائيل يعبدون فرعون»[(١)].

(١) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمَّد، النكت والعيون تفسير الماوردي، مراجعة وتعليق: السيد بن

وحينما نتصفح آيات القرآن الكريم نجد أنَّه حيثما ذُكر لفظ الطُّغاة أو المستكبرين جاء مرافقاً له لفظ المُستضعفين والمستعبدين، وذلك دليلٌ بيّن على أنه لا طُّغيان من دون استعباد للآخرين كما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [الاعراف: آية / ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[سبأ: آية / ٣١- ٣٣] .

ويرى الباحث أنَّ الطاغية يستخدم الاستعباد ليكون خير وسيلة لخلق السلوك الجمعي اللاواعي عندهم المتمثل بالرضوخ والطاعة العمياء، لضمان عدم القيام بأي تحرك مضاد ضد الطّاغية أولاً، ولخلق روح من القنوط واليأس في نفوس الرعية ثانياً، ذلك لأن الرضوخ تحت ذل العبودية يجعل من الانسان قليل التفكر فيما هو عليه، وبهذا يكون سلوكه لا واعي، وهو من مميزات السلوك الجمعي عند الجماعات التي تقع تحت نفس المؤثرات، وتعيش نفس المشكلة، ويوجهها موجه واحد فيكون فعلها واحد لا يخالف فعل المجموعة، كما يقول المثل الشعبي الخاطئ: «حشرٌ مع الناس عيد» فتراهم يسلكون ذات السلوك ولا يخرجون من حدوده، من دون أيَّة ثوابت عقلية أو منطقية يرجعون اليها، وتذكر التوراة إنَّ أسباب اعراض قوم موسى عليه السلام عنه

عبدالمقصود بن عبدالرحيم «بيروت: دار الكتب العلميَّة–مؤسسة الكتب الثقافية، د. ط. ت»، ٤/ ٥٥.

كما ورد: « –بني إسرائيل– لم يسمعوا لموسى من صغر النَّفس ومن العبودية القاسية»[1]،

ويرى الباحث أنَّ تلك العبودية ومن دون أن يشعروا جعلتهم يسلكون سلوكاً جمعياً يخالفون فيه أوامر الله تعالى في كل خير وفضيلة ويفعلون كل رذيلة تقيم وتديم عبوديتهم للطاغية.

٣– الفساد الخلقي:

يشجع الطَّاغية انتشار الفساد الخلقي في صفوف جمهور الرعية، ذلك كون الإنسان الحر والذي يمتلك الاخلاق العالية الرفيعة هو ذلك الإنسان الذي لطالما يبحث عن الأفضل، فتجده يفكر دائماً في تغيير الواقع الذي يفرضه الطّاغية.

فسلوك الانحلال الاخلاقي والاكثار من الفساد في الجماعات البشرية دلائل علو هامة الطُّغيان كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِي وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾[الفجر: آية / ٦–١٢]، وقد ورد في تفسيرها: « وعلى ضوء ذلك كله، فإننا نستطيع استحياء النظرية الإسلامية في الدائرة الاجتماعية والسياسية، وهي أن الطُّغيان في القوى الحاكمة والنافذة في واقع الأمة، يستلزم الفساد في كل جوانبها ومواقعها، حتى يفسد المستضعفين الذين ينالهم طغيان الطُّغاة في عملية التعسف والظلم والقسوة، من خلال إفساد المجتمع كله، وإذا انتشر الفساد في المجتمع من خلال طُغيان الطُّغاة، فإن الإرادة الإلهية تتدخل في عملية إنهاء الطُّغيان أو تخفيفه، أو إفساح المجال للقضاء على رموزه، ليتنفس المجتمع فترة

(١) الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح السَّادس: ٩.

من الزمن، بحيث يمكن للمصلحين أن ينفذوا إلى بعض ثغراته»[١]،

فيتضح إنَّ الطّاغية يُحوّل سلوك الجمهور المحكوم من قِبَلِهِ الى سلوك منحط وفاسد في جميع مفاصل حياته من خلال سلب الثقة فيما بين افراد المجتمع من قبل الطاغية والرعب والخوف والفزع فلا يستطيع الفرد اظهار الاخلاق المخالفة له بل يظهر ما يوافق ارادة الطّاغية، اضافة الى ذلك فإن العبودية المتجذرة في المجتمع تؤثر في أخلاق أفراده، اذ يميلون في سلوكهم الى التعامل مع مظاهر ومفاصل الحياة بروحِ ونَفَسِ العبيد الاذلاء وأخلاقهم، مبتعدين في سلوكهم عن أخلاق الإنسان الحر العزيز، فلا يهتمون الى ما يقع منهم من سلوكيات في القول أو الفعل، أو ما يقع عليه من حيف أو ضيم على أيدي الآخرين، اذ يقول صاحب كتاب (الطَّاغية دراسة فلسفية): «إن حكم الطَّاغية يقضي على مبادئ الأخلاق، وهي نتيجة حتمية لحكم يبني على الخوف، وبث الرعب في قلوب النَّاس، واستخدام السيف أو التلويح باستخدامه في كل لحظة، فمن ذا الذي يستطيع في مثل هذا الجو الخانق أن يقول الصدق أو يشهد بالحق؟ أو يتمسك بأهداب الفضيلة؟ أو يرفض أن يرتشي؟ أو يأبى شهادة الزور؟ ثم إذا كان الحاكم نفسه يدعو الأخ ليتجسس على أخيه، والطالب على معلمه، والموظف على رئيسه...الخ ، فكيف يمكن أن تكون هناك أخلاق؟! وهل يمكن أن تكون هناك مبادئ أخلاقية من دون فرد يحترم نفسه، وتحترمه الدولة وتصون كرامته»[٢]، وسؤال يطرح نفسه، لماذا يلازم التدهور الاخلاقي حكم الطُّغيان ؟ فالجواب للهروب من سطوة البطش والفزع من الطّاغية يلوذ الناس بالكذب والخديعة والمكر والحيلة كما يصف ذلك ابن خلدون: «فإن الملك إذا كان قاهراً،

(١)محمد حسين فضل الله ، من وحى القرآن، ٢٤ / ٢٤٤ .

(٢) إمام عبدالفتاح إمام، الطَّاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السِّياسيّ، ص٣٥٢-٣٥٣.

باطشاً بالعقوبات، منقباً عن عورات النَّاس وتعديد ذنوبهم، شملهم الخوف والذل، ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة، فتخلقوا بها، وفسدت بصائرهم وأخلاقهم» [1]، في حين نجد إنَّ كل خُلقٍ سيّءٍ قد ذمه ونهى عنه الله تعالى أمثال الكذب وعدم الوفاء بالعهد، والخيانة، والرياء، وغيرها، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُوْلئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: آية / ١٠٥]، وفي الخيانة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الانفال: آية / ٥٨]، وفي عدم الوفاء بالعهد قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[الاسراء: آية / ٣٤]، نلاحظ السلوكيات المذمومة من الكذب، والخيانة، والرياء، وعدم الوفاء بالعهد وغيرها، كلها سلوكيات يقوم بها الجمهور المحكوم من قبل الطُّغاة، جاءت من سوء وتردي الواقع الاخلاقي الذي صنعه ورباه الحاكم الطاغية مما جعل من كل ذلك سلوكاً غير واع عند الجمهور وذلك هو السلوك الجمعي،الذي سببه الطُّغيان وآثاره المخيفة المؤثر تأثيراً سلبياً في المجتمع.

٤- مصادرة الحريات:

فالحُرِّيَّة والطُّغيان ضدان محال اجتماعهما في دولة أو مجتمع واحد، ووفق ما تقدم من تعريف الطُّغيان نستفيد من كون الطُّغيان من معانيه حرمان الناس من جميع ما له علاقة بالحرية وممارستها، اذ أنَّ الرعية في ظل الطُّغيان ليس الا قطعان من العبيد الذي لا حول ولا قوة لهم أمام ارادة الطّاغية وسياسته، وبعد البحث في آيات الكتاب العزيز يتضح أنَّ الطُّغاة يحرمون الناس من الحريات الآتية:

أ- **انعدام حرية الاعتقاد والتدين:** اذ يتدخل الطُّغاة بأدق مفاصل الحياة حتى يتحكموا بسلوك الجمهور الذي تقبع تحت سيطرتهم وحكمهم بقوة القهر والرعب مما يجعلهم حتى في معتقداتهم مسَلِّمينَ الى سياسة الطّاغية، فتراه يعترض أشد

(١) ابن خلدون، عبدالرحمن، مقدمة أبن خلدون «بيروت: دار القلم، ط٥، ١٩٨٤م»، ١/١٨٨-١٨٩.

الاعتراض على ايمان السحرة بموسى من دون اذنه كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾ [طه: آية / ٧١]، وقد ورد في تفسيرها: «أي صدقتموه في أنَّه نبي مرسل من الله، وآمنتم بالله قبل أن آذن لكم، يعني أنَّهم لم يكفوا عن الإيمان حتى يأذن لهم، لأنه يزعم أنَّهم لا يحق لهم أن يفعلوا شيئا إلا بعد إذنه هو لهم» [(١)].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنْ الْمَسْجُونِينَ﴾[الشعراء: آية / ٢٩]، ويظهر أنَّه هناك رابط قوي بين سلوك من كان حراً في اعتقاده وبين الكفر بالطّاغوت، أو بلفظ آخر بين من يسلك سلوك الايمان بالله تعالى وبين من كان لديه حرية في الاعتقاد والتدين كما في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّين قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: آية / ٢٥٦]، وجاء في تفسيرها: «أي: لم يجر الله أمر الإيمان على الإجبار، ولكن على الاختيار قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ تميّز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة، وقيل: إخبار، معناه النّهي، أي: لا تكرهوا في الدين [(٢)]، وهو إمّا عام نسخ بآية السيف، [(٣)] أو خاص بالذّميين» [(٤)]

ويرى الباحث، أنَّه ليس مع ذلك النسخ الذي يصفه المفسر في التفسير السابق وذلك بسبب اختلاف المواضيع في الآيتين الكريمتين بمعنى أنَّ كل آية تتكلم عن موضوع يختلف عن موضوع الآية الأُخرى، وإذا اختلفت الموضوعات اختلفت الأحكام.

---

(١) الشنقيطي، محمد امين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ١٠جلد، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤٢٧ هـ.ق، ج/ ٣٥٨ .

(٢) قاله مجاهد كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٦٣.

(٣) آية السيف هو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وخُذُوهُمْ واحْصُرُوهُمْ واقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾[سورة التوبة: ٩/ ٣] .

(٤) ابن ابى جامع، على بن حسين، الوجيز في تفسير القرآن العزيز «عاملي»، ٣جلد، دار القرآن الكريم – ايران – قم، ط/ ١، ١٤١٣ هـ.ق، ١ / ٢٠٥ .

نعود الى موضوع حرية الاعتقاد، اذ يرى الباحث إنَّ الانسان أذا تُرك الى فطرته السليمة وكانَ يمتلك حرية الاعتقاد والتدين ولا يوجد مؤثر داخلي أو خارجي يؤثر على معتقده الديني أكيد سوف يختار الطريق الصحيح والذي هو الايمان بالله تعالى والكفر بالطّاغوت، وخلاف ذلك يكون سلوك من خضعوا وتقيَّدَ اختيار معتقدهم الديني بإذن الطّاغوت والسلطان المستكبر، إذ يكون سلوكهم سلوكاً جمعياً تابع للمجموعة المضطهدة والمهددة دوماً من قِبَلِ الطاغية، فيتجلى سلوكهم الجمعي بالكفر والعصيان، فالإنسان مطلق الإنسان اذا أراد أن يُكوّن مجتمعاً ينعم بالحُرّيَّة لا بد عليه أولاً أن يَكفرَ بجميع الطّواغيت، مهما تشكلت واختلفت ألوانهم، ويقاوم ويمتنع من الانقياد لهم، عندها يكون سلوك جمهور ذلك المجتمع سلوكاً واعياً مدركاً لحقائق الامور، بعيداً عن السلوك الجمعي المذموم الذي ينتج عن تأثير قوة الاستكبار والطّغيان.

ب-انعدام حرية التنقل والسفر:

من المعتاد عند السادة منع العبيد من حرية التنقل والسفر والتنقل، وكذلك هو الطّاغية يفعل الأمر عينه مع رعيَّته، كما هو فعل فرعون عندما منع بني اسرائيل من الخروج من مصر، وهو الظلم بعينه، إذ يذكر القرآن الكريم مطاردة فرعون لبني اسرائيل بالبغي والعدوان كما قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾[يونس: آية / ٩٠]، اذ يذكر ابن عاشور في تفسيره: «وإنما كان اتباعه إياهم ظلماً وعدواناً إذ ليس له -فرعون- شائبة حق، لأنَّ بني إسرائيل أرادوا مفارقة بلاد فرعون، وليس مفارقة أحد بلده محظورة إن لم يكن لأحد عليه حق في البقاء فإنَّ لذي الوطنِ حقاً في الإقامة في وطنه، فإذا رام مغادرة وطنه فقد تخلى عن حقٍ له، وللإنسان أن يتخلى عن حقه، فلذلك كان الخلع في الجاهلية عقاباً، وكان النفي في الإسلام عقوبة لا تقع إلا بموجب شرعي، وكان الإمساك بمكان عقاباً، ومنه السجن، فليس الخروج من الوطن طوعاً بعدوان» [(١)].

(١) ابن عاشور، الطاهر، تفسير التحرير والتنوير المسمى تفسير ابن عاشور، ١١/ ١٦٩.

والصورة كانت أوضح عندما منع المشركون والطُّغاة من قريش المستضعفين من المسلمين من الهجرة والخروج من مكة في الهجرتين الى الحبشة أولاً والى المدينة ثانياً، إذ يصف القرآن الكريم حال المسلمين بقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾[النساء: آية / ٧٥]، ويقول الآ لوسي في تفسيرها: «أي يقولون: ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها بالشرك الذي هو ظلم عظيم، وبأذية المؤمنين ومنعهم عن الهجرة»[(١)].

ويرى الباحث إنَّ هذا الحال كان واقعاً في العراق في زمن الطّاغية، إذ كان ممنوعاً على العراقيين السفر حتى في أصعب الظروف الصحية، أو غيرها، خوفاً من الطاغية أن يهرب الناس من سلطانه وجبروته واطلاعهم على الحرية التي سلبها منهم، فكان سلوكهم الجمعي المفروض عليهم هو الرضوخ والاذلال تحت ظلمِ واستعبادِ الطّاغية.

ت-تقييد حرية الاعلام والتعبير: من الوسائل التي يعمل الطُّغاة عليها في اذلال وتضليل الناس هو تسييس الاعلام، بالوجهة التي يؤثر من خلالها على المجتمع ويجعله راضخاً له، وسوف يكون لنا شوط من الكلام والتفسير في الفصل الثالث عن أثر الاعلام في صناعة السلوك الجمعي، لذا نحول الكلام فيه الى هناك ان شاء الله.

٥-الاغراء بالمال والمنصب: يتفنن الطُّغاة في السيطرة على الناس واغوائهم وضلالهم، اذ يستخدمون المال، والمناصب العليا، وتقريب بعضهم من مجالسهم، وكما هو واضح وصريح في فعل فرعون واغرائه للسحرة كونهم يمتلكون قدرة الماكنة الاعلامية على إلهاء الناس وتضليلهم، وتمويه الحقيقة، وفق هذا النهج يجمع الطّاغية حاشيته التي تعينه على فرض سطوته على الناس كما هو في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنْ

(١) أبو السعود الألوسي، العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم «بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط. ت»، ٥/ ٨٢.

الْمُقَرَّبِينَ﴾[الأعراف ١١٣- ١١٤]، وقد ورد في تفسيرها: «"ويتلقون من فرعون الوعد بالأجر الجزيل، والقربى من عرشه الكريم! فلما جاء السحرة قالوا لفرعون: أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين؟ قال: نعم، وإنكم لمن المقربين..... وهؤلاء هم الذين يستخدمهم الطُّغاة دائماً في كل مكان وفي كل زمان. وها هم أولاء يستوثقون من الجزاء على تعبهم ولعبهم وبراعتهم في الخداع، وها هو ذا فرعون يعدهم بما هو أكثر من الأجر، يعدهم أن يكونوا من المقربين إليه، وهو بزعمه الملك والإله!»[(١)]، فمن خلال هذه آيات يتضح المعيار الذي يستخدمه الطّاغية في صناعة حاشيته الذين يدافعون عنه ويحمون نظامه وكل ما يحمله من مجون وكفر وظلم وفسوق وإرهاب واضطهاد واذلال واستضعاف للبسطاء.

ونجد هذه الطريقة حاضرة ومتبعة في عصرنا اليوم والتي تُشرى بها ذمم الاعلام والوجهاء ورؤساء القبائل والملاء من القوم كما فعل الملاء من بني اسرائيل الذين اشتراهم فرعون بالمال والمنصب نجدهم مارسوا الارهاب ضد قومهم من بني إسرائيل نيابة عن فرعون، وقد بيَّنت الآيات المباركة تخوف بني اسرائيل لم يصدر من فرعون فقط انما كانوا يخافون من فرعون وملئه كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنْ الْمُسْرِفِينَ﴾[يونس: آية / ٨٣]، فالطمع وحب الدنيا والسلطان يجعل من فرعون وملائه يُرهِبون الناس ويُخوفونهم حتى يحصل عنده سلوكاً جمعياً يتجلى بالنفور والخوف من الاستجابة الى موسى عليه السلام، وهكذا هو السلوك الجمعي لكثير من الجماهير التي يحكمها أو يتسلط عليها الطغاة، فتراهم وان عرفوا الحق وجانب الخير فإنهم يخافون الاصطفاف الى جانبه، وان نصروا جانب الحق فهم على تخوف وحذر شديدين.

٦-اكراه الناس على تعلم نوع معين وخاص من المعارف:

من الوسائل التي يتبعها الطُّغاة في استمرار ظلمهم وسلطانهم إكراه الشعب

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ص /٢٥٩٥.

وطوائفه على تعلم المعارف المعينة ذات المنفعة لاستمرار طُّغيانهم والتمجيد بهم فقط، وتأسيس المناهج وفق ذلك، صرح بذلك السحرة كما يُنقل عنهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنْ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[طه: آية / ٧٣] وقد ورد في تفسيرها: « قالوا ذلك لأن الملوك كانوا يجبرونهم على تعليم السحر كي لا يخرج السحر من أيديهم وقيل إن السحرة قالوا لفرعون أرنا موسى إذا نام فأراهم إياه فإذا هو نائم وعصاه تحرسه فقالوا ليس هذا بسحر إن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى عليهم إلا أن يعملوا فذلك إكراههم» [(١)].

ويرى الباحث إنَّه في عصرنا اليوم نجد أمر إكراه الرَّعيَّة على التثقف بثقافة معينة دون غيرها أمر واقع ومتحقق في أغلب الدول التي يحكمها الطُّغاة، وان زينوها، ولمعوها بمسميات أخرى مثل «الثقافة القومية» أو ما الى ذلك من ما تربى عليها الاجيال من المسميات، فيكون السلوك الجمعي لمن أثرت عليهم قوة وفعالية تلك الثقافة هو سلوكا واحداً يتمثل بالطاعة العمياء والرضوخ الى سلطان الطّاغية وأعوانه، من دون أي اعتراض ومخالفة، اذ على وِفق ما بحثناه فيما تقدم من مفهوم جمهور السلوك الجمعي أنَّه يمكن صناعة ذلك الجمهور عن طريق مؤثرات صناعة السلوك الجمعي كالتظليل بالإعلام والارهاب والقهر وغيرها من الوسائل.

خلاصة الفصل الثاني :

ومما يخلص له البحث في هذا الفصل، أنَّ الباحث أخذ أهم تشكيل يتشكل فيه السلوك الجمعي، الا وهو (الجمهور)، فالجمهور اذا ما تُرك على فطرته السليمة التي فطره الله تعالى عليها بدون تدخل ، فأنه سيسلك السلوك السليم الممدوح، والذي يقع في محل ما أراده الله تعالى من خلق الإنسان في أحسن تقويم.

في حين أنَّ تلك الفطرة لم تبقَ سليمة وقد تلوثت لأسباب كثيرة ، وظهرت ايضاً مؤثرات، بسببها تكوَّن سلوكاً جمعياً، و حسب ما توصل الباحث اليه من مفهوم السلوك الجمعي أنَّه سلوك موحَد لجماعة من الناس يحدث بسبب ذات المؤثر النفسي

(١) الطبرسى، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٧/ ٣٥.

أو الحالة الطارئة، أو الكارثة الطبيعية، والتي تُسبب الرُعب أو الهيجان أو الهستيريا والفوران لمجموعة من الناس، وقد تبيَّن للباحث أنَّ، ذلك المؤثر في تكوين السلوكاً الجمعياً قد يكون مؤثراً داخلياً من ذات الجمهور بسبب أمور وحالات عديدة طارئة أو خارجي مسلط عليه من الخارج، آنذاك يصبح الجمهورُ ذو خصائص جديدة تختلف عن خصائص أفراده المنعزلين عن بعضهم بعض، الأمر الذي يجعلهم مجتمعين تحت ميول وعاطفة موحدة لا يخرج أحد الافراد من اطارها.

انتقال الأثر:

فإنتقال الأثر قد يكون (صفري) في حال عدم انتقال الأثر أو يكون (موجب) في حال كون المؤثر ذو تأثير قوي وموجب ، وقد يكون انتقال الأثر سالب في حال كون المؤثر ذو تأثير قوي وسالب.

وقد يتصور بعض من يتصور، أنَّ جمهور السلوك الجمعي جمهور مؤقت ينتهي في فترة زمنية قصيرة ولكن بعد البحث في كتب علم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعي تبيَّن إنَّ لجمهور السلوك الجمعي صور مختلفة [(١)].

ويمكن أن نوجز كل ما تقدم في هذا الفصل على شكل مجموعة من النقاط وكما يأتي:

١- حسب ما ورد في الآيات القرآنية المباركة وتفسيراتها، لا يختص مفهوم جمهور السلوك الجمعي بالجمهور الغاضب المُدَمِر المُخرِّب، إنَّما يمكن أن يكون جمهوراً مصلِحاً يقود الحياة للخير والإعمار والإصلاح، من خلال سلوك جمعي إيجابي، كما هو في الجمهور المُسَلِّم لأوامر الله ﷻ ونواهيه، كما هو في سلوك الاقوام الذين ناصروا الانبياء، في الأمم السابقة، وكما هو حال استجابة المسلمين الى دعوة النبي ﷺ، وأداء الشعائر الاسلامية، كما وصف وأمر القرآن الكريم به.

٢- من اهم اسباب تشكيل جمهور السلوك الجمعي ظهور العقل الجمعي ولعدَّة

(١) يُنظر: عبد اللطيف عبد الحميد العاني، سوسيولوجا الجماهير والقيادة – دراسة في السلوك الجمعي، الناشر: دار الكتب العلمية، للطباعة والنشر والتوزيع – بغداد – العراق، ط/ ١، ١٤٣٨- ٢٠١٧ م، ص/ ٣١- ٣٣.

أسباب ومنها الخوف والقلق على النفس والمصالح.

٣- من أهم الأُمور المثيرة والمسببة لحصول السلوك الجمعي عند الجمهور ما يأتي:

أ- أمور عرضية طارئة مثل:الحوادث والكوارث الطارئة.

ت-حالة تراكمية مسبقة، كأن تكون من تراكم العادات والتقاليد المتوارثة من الاباء والاجداد ومن المحيط، كما هو حال الاقوام السالفة، الذين ذكرهم القرآن الكريم بأنَّهم اتبعوا ابائهم، وإنهم على آثارهم مقتدين، أو تراكم الافكار والمشاعر والاحاسيس عند الجمهور، أو الشعور بالغموض في مجريات الأمور والواقع الذي يعيشه الجمهور، ومصداق ذلك من القرآن الكريم الشعور بالظلم المستمر والحرمان وانعدام العدالة والمساواة في نيل الحقوق، الذي تحقق عند بني اسرائيل تحت سلطان وظلم فرعون وقومه، وما كان يعانيه المستضعفون من الناس من نير العبودية والجهل والفقر القاتل في ظل العتاة والمتجبرين من قريش كما تبيَّن وصف ذلك في الآيات القرآنية وتفسيرها،وهي أمور كَثُرتْ مصاديقها في الأمم السالفة والمعاصرة في واقعنا.

ث-الانقياد والتبعية، وهذا يعتمد على نوع القيادة التي ينقاد اليها الجمهور فأن صَلُحَتْ صَلُحَ السلوك الجمعي الذي يسلكه الجمهور، كما هو في قيادة الانبياء والصالحين في الأمم التي سبقت الاسلام، وجاء ذكرهم في القرآن الكريم، والقيادة الربانية للنبي ﷺ وآل بيته (عليهم السلام)، وإن فسدتْ وطغتْ، فسد الجمهور وإنقاد لها، عندئذٍ ساءَ السلوك الجمعي للجمهور، كما في قيادة كل الطّغاة أمثال النمرود وفرعون وهامان، والاقوام الذين حاربوا أنبياء الله ورُسله لأنهم أرادوا الإصلاح، وكما وصفت حالهم الآيات القرآنية الكريم، وما تبيَّن من تفسيرها.

٤- تنقسم مثيرات ومنتجات السلوك الجمعي للجمهور الى:

أ- داخلية: اذ بيَّنَ الباحث ومن خلال الآيات القرآنية الكريمة مجموعة المفاهيم المتسببة في ذلك ومنها: (التطرف، والسذاجة، والطغيان الداخلي للجمهور، انعدام المعايير الأخلاقية والاجتماعية عند الجمهور)، وكما تبيَّن من خلال الآيات القرآنية التي تصف تطرف حاشية فرعون، وسذاجة قوم فرعون، وهود وصالح (عليهم

السلام)، وانحطاط القيم الاخلاقية الذي ظهر جلياً عند قوم لوطعليه السلام،وسوء خُلق قوم شعيب عليه السلامبخسهم في الميزان والمكيال، وقد كان لكل ذلك أشباه ونظائر كثيرة في الواقع المعاصر.

ب-خارجية: مثل: (الطُّغيان المسلط على الجمهور، الدعاية والاعلام، الموضة، نشر الشائعات)،ومثال ذلك الشائعات والاعلام الذي ذكره القرآن الكريم في وصف ماكنة الاعلام الفرعونية ضد موسى عليه السلام وإنَّه عليه السلام جاء ليخرجهم من ملتهم وأنَّه ساحر، وكذلك هي الماكنة الاعلامية والشائعات التي مارسها كفار قريش ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ وصفوه بالكذاب بعد ان كانوا يُلقبونه بالصادق الأمين، أصبح يصفوه بالمجنون والساحر، وكذلك كان اسلوب العداء من قبل اليهود من أهل المدينة وكيف قلّبوا الأمور ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته الاسلامية العظيمة، وكما وصف القرآن الكريم مؤامراتهم واسلوبهم الخبيث في نشر الدعاية الكاذبة والشائعات المغرضة للنيل من الاسلام بكل رموزه، وكما يمارس اليوم أحفادهم ومن تأثر بهم حربهم ضد الاسلام، وممارستهم نشر المغالطات الفكرية والدعاية والاعلام المغرض ضد القرآن الكريم والنبيصلى الله عليه وآله وسلم وجميع رموز الاسلام وضروریاته .

٥- من مصاديق السلوك الجمعي (الشذوذ الجنسي)، الذي له مسبباته ودوافعه الداخلية والخارجية ومنها:

أ- الداخلية: ومنها: التوجيه الأسري الخاطئ، الاهمال والتفريط في تربية الابناء، مرافقة اصدقاء السوء، وقد وجَّه القرآن الكريم، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم الى الاباء وأولياء الامور أن ينقذوا انفسهم وأهليهم من النار التي وعد الله أن يدخلها كل من خالف أوامر الله، وسلك السلوك الشاذ.

ب-الخارجية: و منها: الغزو الفكري عبر وسائل التواصل والاعلام، والموضة التي تصدر من مراكز ابحاث مختصة وموجِهة غايتها نشر ذلك السلوك في وسط المجتمع الاسلامي، التي ورد ذكر مقدماتها ومصاديقها في الآيات القرآنية الكريمة مبيّنةً ومحذرةً وكما هو الإخبار عن سلوك الأمم السابقة، التي ضَلّت عن سبيل الله تعالى، وما جاء به الشيطان الرجيم وجنده من الاخلاق الشاذة والسيئة، فتأثر الناس

بها وما يوجههم اليها الحُكّام الطّغاة لأنهم يرون في التفكك الاخلاقي دوام ملكهم، كما تبين ذلك من خلال تفسير الآيات القرآنية المباركة.

٦- للشذوذ الجنسي آثار اجتماعية هدامة للأسرة، ومن ثم للمجتمع بأسره، ومن هذه الآثار:

أ- اختلال التوازن الاجتماعي وضياع المحددات والمعايير والقيم، فقد بيَّن القرآن الكريم إنَّ من يعصي الله ولا يستحي منه تعالى يهون عنده فعل كل شيء، والشذوذ الجنسي مخالف لفطرة الله التي فطر الناس عليها، ومخالفة للأنبياء الذين أرسلهم الله للتذكير بفطرة الله تعالى.

ب-زيادة نسبة الجريمة، من خلال نشر الفساد في الارض ووفق مختلف الصور، التي صورها القرآن الكريم.

ت-انتشار الامراض التناسلية والجسدية، والنفسية، بسبب الممارسات الجنسية المحرمة، وكما أمر الله تعالى في القرآن الكريم في تقيد الانسان بحدود الله من هذه الناحية، وحذر من تجاوز حدوده تعالى في ممارسة ذلك، ومن ناحية أخرى يصف القرآن الكريم تقلبات النفس حتى تصبح النفس أمارة بالسوء الا ما رحم ربي.

ث-العزوف عن الزواج الشرعي وتكوين الاسرة المثالية التي هي النواة في تكوين المجتمع، وهذا يخالف السنن الإلهية وفطرة الله التي فطر الناس عليها، كما تبيَّن ذكره في القرآن الكريم.

ج-هبوط السلوك الانساني معنوياً ومادياً الى ادنى مراتب التسافل والانهيار، المؤدي الى الانهيار الاخلاقي والاجتماعي فضلاً عن الانهيار الديني، حتي يكون الانسان في اسفل سافلين، بعد أن خلقه الله في أحسن تقويم، كما بيَّنت الآيات القرآنية المباركة وتفسيراتها.

٧- الطُّغيان الذي هو من اظهر الاسباب في تشكيل السلوك الجمعي عند الجمهور، له مرادفات لغوية تؤدي الى نفس نتائج الطغيان التي تتمحور في (مجاوزة الحد، أي بأن تجاوز الانسان حدوده كونه عبداً داخراً لله تعالى أو يتجاوز حده الذي حده الله تعالى له) من هذه المرادفات المعنوية التي وردة في القرآن الكريم

(الاسراف، والاستكبار، والتجبر، والعتو، والظلم)، وقد بيَّنت الآيات القرآنية الكريمة مصاديق كل لفظ من الالفاظ المتقدمة.

٨- الطَّغيان المسبب للسلوك الجمعي قد يتجلى في كل زمان ومكان، كما وصفت الآيات القرآنية وتفسيراتها طُغيان قوم نوح، وقوم ابراهيم ومَلِكَهم النمرود، وفرعون وقومه وهامان وقارون والسامري، وما قص القرآن الكريم عن بني اسرائيل في قتل الانبياء والرُسل، وطُغيان كفار قريش وتجبّرهم على الله ورسوله، وقد تجلى في عصرنا وفي العراق بالذات، من خلال طُغيان النظام البعثي المقبور.

٩- للطغيان اشكال منها:

أ- طغيان الملوك والرؤساء والسلاطين، والقادة، وكما تبين ذكره في القرآن الكريم من معاداتهم الأنبياءِ، والصالحين من عباد الله.

ب-طُغيان البطانة أو الحاشية المتسلطة والقريبة من السلطان، كما يصف القرآن الكريم طُغيان حاشية فرعون، وقوم صالح وغيرهم، وكما أنَّ القرآن يتماشى مع الحياة ما دامت كما وصفه آهل بيت النبوة (عليهم السلام)فقد تحقق لطغيان السلطان مصاديق كما هو في طغيان بعض الأحزاب التي تسلطت على دفة الحكم في العالم المعاصر، أو الحركات الفكرية أو العقائدية سواء كانت دينية أو غيرها، أو الجماعات المُنفلته والخارجة عن القانون والتي تجلَّت مصاديقها في الواقع المعاصر.

ت-طغيان الجمهور ذاته، وكما تبيَّن في القرآن الكريم من خلال طغيان بني اسرائيل وتعاملهم مع موسى عليه السلام وما بعده من انبياء بني اسرائيل.

١٠- للطغاة اساليب كثيرة قد يتربى الجمهور عليها لضمان خضوعه، حتى يسلك السلوك الجمعي المتوافق مع ارادة الطغاة ومن هذه الاساليب:

أ- بث الفرقة وتمزيق وحدة الكلمة عند الجمهور، كما وصف القرآن الكريم بعض اساليب الطغاة من تقديم بعض الاشخاص الذين يتجاوبون مع غاياتهم الدنيئة، وتأخير غيرهم ممن لا يقبلون بالأحكام الجائرة والظلم والطغيان، كما هو سلوك فرعون مع بني اسرائيل.

ب-الاستعباد والإذلال، كما يصف ذلك القرآن الكريم من سلوك فرعون في استعباد

بني اسرائيل، وامثال ذلك على مر التأريخ.

ت–نشر الفساد الاخلاقي، الذي يتوافق مع سير سياسة الطغاة، ويديم بقاء حكمهم، كما تصف الآيات القرآنية المباركة وتفسيراتها.

ث–مصادرة الحريات بأنواعها المختلفة، كما يصف القرآن الكريم من سلوك قوم نوح وتدخلهم ومعارضتهم له، وأذيتهم له في بنائه للسفينة، وكما صادر النمرود حرية التعبير عند ابراهيم عندما كسر الاصنام، وكما كان يصادر فرعون حرية بني اسرائيل حتى وصل الحال بهم الى قتل المواليد من الذكور وإبقاء المواليد من الاناث، وكما صادر كفار قريش حرية التعبير عن المعتقد عند النبي ﷺ ومن تبعه، بعد ان قال لهم: لكم دينكم ولي ديني، ولكنهم لم يقبلوا بذلك.

ج– الاغراء بالأموال والمناصب، وشيء من المغانم الدنيوية الرخيصة، كما ورد في القرآن الكريم، من اغراء فرعون للسحرة وتوجه سلوكهم نحو مواجهة موسى عليه السلام.

ح– اجبار الجمهور على تعلم نوع معيَّن من الثقافة والمعارف التي تقوي وتزيد من سطوة وطغيان الطاغية، وكم ورد في القرآن الكريم في قول فرعون لقومه، ما اريكم الا ما ارى، وما سار في سياقه من سياسة البعث ونظامه في العراق، في فرض مناهج خاصة بفكره وسياسته يجبر الناس على تعلمها دون غيرها.

الفصل الثالث

عوامل ظهور السلوك الجمعي في ضوء التفسير القرآني

المبحث الأول: الرأي العام وتسببه في ظهور السلوك الجمعي في ضوء التفسير القرآني

المطلب الأول: ماهية الرأي العام.

المطلب الثاني: الدوافع والمحفزات الى تشكيل الرأي العام

المبحث الثاني: الموضة وظهور السلوك الجمعي في ضوء التفسير القرآني:

المطلب الأول: مفهوم الموضة.

المطلب الثاني: الموضة في السلوك الجمعي في ضوء التفسير القرآني.

المطلب الثالث تنوع أشكال السلوك الجمعي المذموم الناتج من الموضة في ضوء التفسير القرآني.

خلاصـــــــــــــــة الفصل الثالث

الفصل الثالث

عوامل ظهور السلوك الجمعي في ضوء التفسير القرآني

تمهيد:

« وتظهر أشكال السلوك الجماعي في نماذج مختلفة من سلوك الجماهير وانتشار التقاليد والموضة وتكوين الرأي العام وقيام الحركات الاجتماعية »[١]، فاذا تعرفنا على تلك المظاهر التي ظهر بها السلوك الجمعي في الواقع صار من الممكن بحثها ودراستها من خلال مصاديقها وصورها التطبيقية التي وردة في القرآن الكريم ومن هذه المظاهر: «الرأي العام، الموضة، الانتفاضات والثورات، حالة كبش الفداء »[٢]، التي سنبحث منها الرأي العام والموضة، بحثاً تفسيرياً من واقع الآيات القرآنية المباركة، وقد انقسم البحث في هذا الفصل الى مبحثين الأول في السبب الأول وهو الرأي العام، والمبحث الثاني عن الموضة، وكما في التفصيل الآتي:

(١) البدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص/ ٦٩ .

(٢) يُنظر: الامارة، أسعد شريف، مقدمة في السلوك الجمعي، ص/ ١٦١ .

المبحث الأول

الرأي العام وتسببه في ظهور السلوك الجمعي في ضوء التفسير القرآني:

وينقسم هذا المبحث الى مطلبين الأول تعريفي فقط لمفهوم الرأي العام، أما الثاني فهو تفصيلي حول المثيرات والمحفزات التي تشكل الرأي العام مع تطبيقاتها القرآنية، وكما يأتي:

المطلب الأول: ماهية الرأي العام:

ويتبين من خلال الآتي:

أولاً: مفهوم الرأي

١- **الرأي في اللغة:** « ورَأَى رَأْياً ورُؤْيَةً ورَاءَةً مِثْلُ راعَة، وَقَالَ ابْنُ سِيدَهْ: الرُّؤْيَةُ النَّظَرُ بالعَيْن والقَلْب»[١]

٢- الرأي في الاصطلاح: قالوا: «الرأي جزء من منظومة متكاملة تبدأ بالمعلومات وتنتهي بالسلوك »[٢] و« هو فكرة او عقيدة او مذهب لم يبرهن صحته في الوقت الحاضر او لم يثبت فرضياته وحجمه لذا فهو يحتاج إلى براهين وأدلة وتجارب تؤيد صحته وتفرز مبادئه وتثبت فرضياته لكي يتحول إلى حقيقة قائمة بحد ذاتها، ولا تتأثر بالقيم الذاتية والنزوات النفسية التي تطغى على عقول الأفراد ومداركهم فتجعلهم يتسمون بخصائص التحيز والتعصب واللاموضوعية»[٣].ويجد الباحث أنَّ المُعتَقَد يختلف عن الرأي لتميز لمُعتَقَد بالرسوخ والثبات أكثر من الرأي كما يوصف: « فالمعتقدات تتميز بعمق الايمان وقوة التمسك بها، (والمعتقِد) بكسر القاف بحقيقة معينة لا يسمح لنفسه ان يتكيف مع المعتقدات الاخرى في حين ان الذي يتمسك برأي معين قد يسمح بتقبل الآراء الاخرى، وربما تتسامح المعتقدات ازاء ما يعارضها

(١) ابن منظور، لسان العرب، ١٤/ ٢٩١.

(٢) بطرس الحلاق، الرأي العام وطرق قياسه، تدقيق: محمد حجاز، الناشر: الجامعة الافتراضية السورية _ ٢٠٢٠م، ص/ ٤٤.

(٣) احسان محمد الحسن، علم الاجتماع السياسي، ط/ ١، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٣، ص/ ١٠٢ .

من المعتقدات الاخرى، غير ان ذلك لا يكون الا تعايشاً»[١].

وعرّفه آخر بأنَّه: « نتاج من نتاجات العقل البشري يتم التعبير عنه بشكل مُعلن وصريح او بشكل مستتر كامل كما ويتم التعبير عنه بشكل طرق وأساليب وأدوات متعددة سواء بكلمة او صورة او حركة او نظرة او سكوت»[٢]، كما وعُرف على أنَّه: «حكم قابل يكشف عن موقف معين، بمعنى انَّه استعداد شخصي وعقلي وجسماني في وقت واحد يتصرف طبقا لنموذج معين من السلوك»[٣]. ويرى الباحث الرأي: هو بذرة السلوك التي تشكلت بسبب حالةٍ أو تجاه موضوعٍ ما توفرت بعض أو كل علاماته ودلائله أو مثيراته، فظهر على شكل قول أو فعل معينين، وقد يتصف بالصواب وقد يتصف بالخطأ.

ثانياً: مفهوم العام:

١- **العام في اللغة:** جاء: «من (عم) وهي خلاف الخاص، والرأي العام، ما يعتقده الجمهور و(العامة) من (عم): هي مؤنث العام، عامة الناس وهي خلاف خاصتهم او يقال جاء القوم كافة، أي جمعا»[٤].

٢- **العام في الاصطلاح:** «تعني الأشياء والأحداث التي لا تتعلق بفرد واحد او جماعة واحده بل تتعلق بأفراد كثيرين وجماعات مختلفة وجماهير متعددة ومجتمعات محلية متباينة بصفاتها الموضوعية والذاتية»[٥]، وكذلك يُعرّف العام بأنَّه ما: « يشير إلى المسائل والمصالح المشتركة والشؤون التي يشترك بها كل او اغلب الأعضاء البالغين في جماعة واحدة»[٦].

---

(١) رواء طه، الرأي العام، بحث في كلية الاسراء الجامعة الاهلية قسم العالم السنة الثالثة، ص/ ١١.

(٢) عامر حسن فياض، الرأي العام وحقوق الإنسان، ط / ١، مطبعة صباح صادق، بغداد، ٢٠٠٣م، ص / ٨.

(٣). إسماعيل مرزة، آراء ونظريات في فكرة الرأي العام، ط/١، مطبعة دار الملاك، بغداد، ٢٠٠٥م، ص/ ٢٤.

(٤). مجموعة باحثين، المنجد الأبجدي، ط/٣، دار المشرق للطباعة، بيروت، ١٩٨٢ م، ص / ٦٨١.

(٥) احسان محمد الحسن، علم الاجتماع السياسي، ص/ ١٠٢.

(٦) .احمد شاهين، الإعلام والرأي العام، ط /١، مؤسسة طيبة للمنشر، القاهرة، ٢٠١٠م، ص/ ٢٧.

ثالثاً: مفهوم الرأي العام:

فقد عرَّفة كثير من العلماء والكتّاب بتعريفات متعددة منها: «هو تعبير صادر عن مجموعة كبيرة من الناس لموافقة التأييد او لمعارضة مسألة من المسائل، او حالة معينة، او شخص معين، او اقتراح محدد له أهمية واسعة للانتشار، سواء من ناحية العدد او القوة او الدوام معا، ويترتب عليه احتمال القيام بعمل مباشر او غير مباشر يتعلق بالموضوع الذي يدور حوله بما يحقق الهدف»[(١)]، وتعريف أخر: «الرأي السائد بين أغلبية الشعب الواعية في فتره معينة بالنسبة لقضية او أكثر يستخدم فيها الجدل والنقاش وتمس مصالح هذه الأغلبية او قيمها الإنسانية مساسا مباشراً»[(٢)]، ويُعرِّفه كاتب آخر بأنه: «تعبير عن آراء جماعة من الاشخاص ازاء قضايا , مسائل, او مقترحات معينة تهمهم سواء كانوا مؤيدين او معارضين لها بحيث يؤدي موقفهم بالضرورة الى التأثير الايجابي او السلبي بالأحداث بطريقة مباشرة او غير مباشرة في لحظة تاريخية معينة»[(٣)].

ومما تقدم من تعريفات للرأي العام يرى الباحث أن الرأي العام: هو تعبير أغلب الجمهور، أو الجماعة أو تعبير أغلب المجتمع، عن موقفه أو رأيه أو مشاعره وأفكاره أو عاداته واتجاهاته، في وقت من الأوقات، حول مسائل تخصه أو مشكلة أو قضية تهمه، فهو قوة حقيقية في المجتمع، وحكم الجماهير الذي تصدره على حالة معينة سواء كانت في المجال الداخلي أو المجال الخارجي، ولها مساس بمصالح الناس واهدافهم الحيوية، اذا فالرأي العام بصرف النظر عن صحةِ أو خطأ ما بُنيَّ عليه فأنَّ تأثيره على الواقع الاجتماعي كبير، ومصيري في أغلب الأحيان ولكونه من مظاهر السلوك الجمعي وحسب ما تقدم فإن ذلك يؤكد أثر السلوك الجمعي في

(١) سميسم، د.حميدة، نظرية الرأي العام، ط / ١ , دار الشؤون الثقافية، بغداد، -١٩٩٢م، ص / ٢١٠.

(٢) مختار التهامي، الرأي العام والحرب النفسية، ط /١ دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧، ص/ ١٧.

(٣) جمال سلامة علي , الرأي العام: بين الكلمة والمعتقد، ط /١ دار النهضة العربية, القاهرة,٢٠١٠م. ص / ٢٢.

المجتمع وقد يكون ذلك الاثر سلبياً مذموماً وقد يكون ايجابي.

ويرى «الزورث روس»(*) إنَّ الرأي العام لا يُبنى على الميل أو الحكم الشخصي، انما يُبنى على الميل العام أو الحكم العام، وكذلك العمل العام فيقول: «انَّ رأي الفرد عن نفسه لا يكون نتيجة ادراك الحواس وانما يشكله الايحاء، فنادراً ما يحدث أن ينظر شخص الى عمل على أنَّه خير اذا كان الآخرون يرون أنَّه شر، وكذلك لا يمكن أن ينظر الشخص الى نفسه على أنَّه بطل اذا كان الآخرون ينظرون اليه على أنه جبان.....ونادراً ما يحس الشخص العادي بسيطرة الرأي العام عليه لأنه أَلِفَ ذلك»(١)، وقد قيل في الرأي العام: «الرأي العام لا يُفرض على الجمهور فرضاً، بل هو تعبير إرادي وهو رد فعل واستجابة لمثيرات معينة في المجال السلوكي للجماعة»(٢).

ويرى الباحث أنَّه صحيح أنَّ الرأي العام لا يُفرض بطريقة مباشرة على

(*) روس، ادوارد الزورث «١٨٦٦م. –١٩٥١» من بواكير كتّاب علم النفس الاجتماعي الامريكيين خريج جامعتي برلين وجون هوبكنز، أحد مؤسسي علم الاجتماع في الولايات المتحدة، وأحد علماء الاجتماع الأوائل الذين سعوا إلى وضع نظرية سوسيولوجية شاملة. حصل على الدكتوراه سنة ١٨٩١م، ثم انضم إلى هيئة تدريس جامعة ستانفورد سنة ١٨٩٣م، فأصبح أستاذًا في الإدارة والمالية، ثم حوّل اهتمامه بعد ذلك إلى علم الاجتماع. كان روس كاتبًا غزير الإنتاج، الذي أثار أسلوبه وموهبته في عرض أطروحاته اهتمامًا كبيرًا في محيط بحوث العلوم الاجتماعية. كما كان داعمًا للسوسيولوجيا التحسينية= Melioristic Sociology، وهي تطبيق مبادئ السوسيولوجيا في أهداف الإصلاح الاجتماعيّ. من أعماله: الرقابة الاجتماعية ١٩٠١م.، علم النفس الاجتماعي ١٩٠٨م.، الخطيئة والمجتمع ١٩٠٧م.، مبادئ علم الاجتماع ١٩٢٠م.، ثورة روسيا البلشفية ١٩٢١م.، طرق نحو السلام الاجتماعي ١٩٢٤م.، التوجه الاجتماعي ١٩٢٢م.، العالم القديم في إطار الجديد ١٩١٤م.، المصدر: موقع: العلوم الإنسانية والاجتماعية، صفحة، مجتمع، تهتم هذه الصفحة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢١/ ٨ / ٢٠١٧م.

(١) صلاح نصر، الحرب النفسية معركة الكلمة المعتقد، الناشر: دار القاهرة للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٦٧م، ص/ ٤١٢ –٤١٣.

(٢) بطرس الحلاق، الرأي العام وطرق قياسه، ص/ ٤٦.

الجمهور ولكنَّه كثيراً ما يُصنع ويتشكل عند الجمهور نتيجة الدعاية، أو الاشاعة أو الاعلام، أو الخوف والرعب والقلق على النفس أو الأهل أو المصالح، وغيرها، فيتبناه الجمهور بإرادته من دون أن يشعر.

والرأي العام هو ظاهرة سلوكية من مظاهر السلوك الجمعي كما يفسر صاحب كتاب العلوم السلوكية بقوله: « لو تركنا جانباً تلك الأبعاد المختلفة لظاهرة الرأي العام وحاولنا تحليلها كظاهرة سلوكية لوجدنا أنها تطبيق لتلك التجزئة في عناصر السلوك بين: المنبه – الجسد – الاستجابة »[١]، بمعنى إذا توفرت هذه الاركان الثلاثة حصل منه السلوك الجمعي، إذ أنَّ هناك مثير (منبه) واحد ، أجتمع عليه الافراد على مختلف مشاربه وهذا هو (الجسد)، وكل له أسبابه التي تجمعه مع المجموعة في الاتفاق على رأي واحد مما يقود الى (استجابة) اجسادهم لاتخاذ سلوك واحد ومثال ذلك الرأي العام المرتبط بموضوع(تحديد النسل): « فهذا شخص يرفض تنظيم النسل لأنه متدين ومؤمن الى حد التعصب ويرى في الدعوة الى التنظيم مخالفة صريحة للتعاليم الدينية، أليست الآية القرآنية صريحة المال والبنون زينة الحياة الدنيا ؟ ثم هناك شخص ملحد لا يؤمن بالدين ولا يعنيه كل ما له صله بالتعاليم الدينية، ولكنه لم يُقَدّر له خلال حياته الزوجية سوى انجاب الإناث وهو يريد ويتمنى ابناً ذكراً، ولذلك هو يرفض مثل هذه الدعوة.....ثم هناك شخص ثالث لا تعنيه أيضاً التعاليم الدينية ولكنه يرفض كل ما له صلة بالنظم الاشتراكية، وهذه الدعوة جاءت من نظام يدعو الى الاشتراكية، اذن فهو يرفض مثل هذه الدعوة لأنه يرفض مصدرها ولا يقبل كل ما يأتي من ذلك المصدر، ثم هناك شخص رابع مصالحه تفرض عليه أن يرفض مثل تلك الدعوة: فلنتصور القابلة أو الطبيب المولد أو صاحب مستشفى الولادة، لا بد وأن يقف رافضاً مفنداً أي دعوة لتنظيم النسل»[٢]، فنجد عناصر السلوك

(١)حامد عبد الله ربيع، استاذ كرسي النظرية السياسية، كلية الاقتصاد – جامعة القاهرة، مقدمة في العلوم السلوكية، حول عملية البناء الفكرية لإصول علم الحركة السلوكية، الناشر: دار الفكر العربي، ص/ ١٩٨.

(٢) حامد عبد الله ربيع، مقدمة في العلوم السلوكية، ص/ ٩٩.

الثلاثة متحققة من خلال: الدعوة الى تنظيم النسل هو (المنبه) أما كل من «المتدين، والشخصان الآخران، والقابلة، والطبيب المولد وصاحب المستشفى» هؤلاء يمثلون (الجسد) في حين الرأي العام الصادر منهم جميعاً بالرفض لتنظيم النسل أو رد فعلهم جميعاً ضد تنظيم النسل يمثل (الاستجابة)، وبهذا يكون قد تحقق السلوك الجمعي من خلال الرأي عام.

فمن عملية تشكيل الرأي العام، يحصل تبادل حيوي يسيطر على سلوك افراد الرأي العام، والذي ينتج عنه «السلوك الجمعي»، كما يصف صاحب كتاب (الرأي العام وتأثره بالدعاية والاعلام) بقوله: «فمن خلال العملية التي ينشأ بها الرأي العام، يقوم تبادل حيوي بين شتى ضروب النفوذ التي تسيطر على سلوك الأفراد وأفكارهم وعواطفهم، هذا التبادل الذي نطلق عليه أسم (السلوك الجماعي)، وبهذه الطريقة يخلق الرأي العام القدرة على اتخاذ الاجراء الجماعي المتفق عليه»[١]

وأما علاقة الرأي بالاتجاه، فبالرغم من قرب ترادف المعنيين، يقول بعض الباحثين: «فيما يتعلق بعلاقة الاتجاه بالرأي العام، يرى بعض الباحثين انه من الافضل ان يطلق مصطلح (الاتجاهات الجماعية) على تسميه (الرأي العام) وهذا يعني ان مفهوم الاتجاه لديهم يرادف مفهوم «الرأي»، ويتفق معهم باحثين اخرين والذين ذهبوا الى القول ان الرأي العام يعبر عن الاتجاه الحقيقي»[٢].

في حين يتأكد للباحث بعد بحثه أنَّ الاتجاه يختلف بعض الشيء عن الرأي العام كون الاتجاه موجود مسبقاً قبل تشكل الرأي، ويتصف الرأي بالوضوح والعلنية بخلاف الاتجاه الذي يكون كامناً وغير معلن عنه، كذلك يمكن وبسهولة تغيير الرأي العام، في حين يتصف الاتجاه بالثبات وصعوبة تغييره، وفرق آخر أنَّ الاتجاه تغلب عليه الذاتية والعاطفة، بخلاف الرأي الذي يتصف بالموضوعية، الاتجاه

(١) محمد عبد القادر حاتم: الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية، الناشر: مكتبة لبنان – ساحة رياض الصلح، بيروت – لبنان –١٩٧٣م، ص/ ١٢٥.

(٢)رواء طه درويش، الرأي العام، ص/ ١١.

لا يكونه الفرد كوجهة نظر للتأقلم مع البيئة المحيطة كما هو الرأي العام، انّما الاتجاه يوجد ذاتياً مع الفرد ومن دون ارادته (كما هي العقيدة المعيَّنة أو المذهب المعيَّن) ، وبما أن الرأي يعكس سلوكاً معيناً، لذلك من الممكن أنَّ يكون الرأي علامة على وجود اتجاه معيّن، أي أنَّ معرفة الرأي تساعد على معرفة واكتشاف الاتجاه[١] .

فالاتجاه العام في حد ذاته ليس دافعاً سلوكياً أو منطلقاً لتشكيل سلوك الافراد، بمعنى ليس الاتجاه العام من يشكل السلوك الجمعي انما هو موجه ومحفز من خلاله يتكون الرأي العام الذي يتشكل وفقه السلوك الجمعي كما يذكر صاحب مقدمة السلوك الجمعي: «فالاتجاه العام في حد ذاته لا يعدو كونه منطلقاً فكرياً أو دافعاً سلوكياً للأفراد، ويشير الاتجاه العام الى ما توارثه المجتمع من قيم اجتماعية (معتقدات، ميراث ثقافي وحضاري، عادات وتقاليد) تلك القيّم أو العوامل تعمل كموجه أو محفز للأفراد في أي مجتمع، وتسهم في نهاية الأمر في تحديد أو تكوين آراء الأفراد بصدد القضايا المتعددة...التي ترتبط باهتماماتهم ومصالحهم الرئيسية»[٢] ، اذاً فالاتجاه مصدرٌ أساس من مصادر تشكيل الرأي العام، ووفق ذلك قالوا: « أن القيم والعادات والمعتقدات السلبية المتوارثة لها تأثير كبير جداً وبالغ الخطورة على الرأي العام، خاصة مع عدم قدرة الفرد من الانعتاق منها في الحالات تكوينه لرأيه حول بعض المسائل ذات الصفة الحالية المطروحة للمناقشة، لا بل أن هناك بعض الجهات التي تتقن استغلال هذه القيم والعادات لتوجيه الرأي العام توجيهاً يتفق مع مصالحها ومآربها وخاصة في المجتمعات قليلة الحظ من التعليم والثقافة»[٣].

رابعاً: أنواع الرأي العام حسب مدى تأثيرها وتأثرها:

ينقسم الرأي العام الى ثلاثة أقسام حسب ما تبديه من تأثير وتأثر في الواقع

(١) يُنظر: المصدر السابق، ص/ ١٢.

(٢) أسعد شريف الامارة ، مقدمة في السلوك الجمعي ، ص/٨١.

(٣) مختار التيامي، د . عاطف عدلي العبد، الرأي العام، ط/١، ٢٠٠٥، ص/٤٨.

الاجتماعي:[1]

١- **الرأي العام القائد أو النابه أو المسيطر:** ويتكون من واجهة القوم وصفوتهم، وبالخصوص الطبقة المتعلمة المثقفة منهم، ونسبة هؤلاء قليلة في الشعب، ووظيفتهم وظيفة القائد والمرشد والموجه والمُثقِف، ومن صفات هذه الطبقة أنها لا تتأثر بوسائل الدعاية والاعلام المختلفة كالصحافة وغيرها، انما العكس صحيح فهي تؤثر في كل ذلك وفي أفكارها وآرائها.

٢- **الرأي العام المثقف والقارئ:** وتمثله الطبقة المتوسطة ثقافياً، ولكن ثقافتهم أقل من ثقافة الطبقة القائدة السابقة الذكر، وهذا الرأي تحدد مدى تأثيره وتأثره و درجة التعلم في المجتمع، فهو من جهة يؤثر فيما هو أدنى منه درجة من حيث التعليم والثقافة، ومن جهة أخرى يتأثر بوسائل الدعاية والاعلام وبدرجات متفاوتة، وكما وقد يؤثرون في تلك الوسائل بقدر ما يصدر عنهم من افكار ناضجة وأراء وانتقادات ومناقشات.

٣- **الرأي العام المنقاد:** ويمثله السواد الأعظم من الشعب، وهم الذين غير قادرين على الاطلاع ومواصلة البحث، ومتابعة الاحداث، وقليلي التعليم والثقافة، إذ ينقاد أصحاب هذا الرأي الى ما يوجههم به أصحاب الرأيين السابقين «النابه والقارئ»، وهذا الرأي هو الرأي الذي غالباً ما يحصل منه السلوك الجمعي اذ تؤثر فيه كل وسائل الاعلام والصحافة ومواقع التواصل، وتمرر عليه الدعاية، ويتقبل الاشاعة، فتجدهم يؤمنون بكل ما يُعرض ويذاع وينشر في وسائل التواصل، وكما قلنا سابقاً فهم أشبه بالقطيع الذي يُساق من قبل الرأي النابه والقارئ.

المطلب الثاني: الدوافع والمحفزات الى تشكيل الرأي العام:

توجد دوافع مختلفة ومحفزات، ادت الى تشكيل الرأي العام، الذي هو أحد أشكال السلوك الجمعي ومنها: (العادات والتقاليد المعتقدات المتوارثة، والاشاعات،

(١) يُنظر: بطرس الحلاق، الرأي العام وطرق قياسه، ص/ ٥٧ .

والدعاية والاعلام والشعارات البراقة لحقوق الانسان) ووفق هذه الدوافع والمحفزات سوف نبحث الرأي العام كأحد مظاهر السلوك الجمعي دراسة تفسيرية لآيات القرآن الكريم، وذلك من خلال الآتي:

أولاً: العادات والاعراف والتقاليد المتوارثة

من المحفزات الرئيسية التي تؤثر في تكوين وتشكيل الرأي العام هي العادات والاعراف والمعتقدات المتوارثة فيُقال أنَّه: «يتأثر في تكوين العادات والتقاليد والقيم المتوارثة.....ويُشار الى العناصر التي يتكون منها الرأي العام «الاستاتيكي Statics»(*)، بالتراث الثقافي والقيم والمعتقدات والمبادئ والعادات والتقاليد، بينما يُشار الى العناصر التي يتكون منها الرأي العام «الديناميكي Dynamic»[*] بإرادة التغيير والتطلعات والآمال والطموحات والاحتياج والرفض أو عدم الرضا»[1]، كما يُقال: «وتفيد الدراسات، بأن مواقف السلوك الجمعي تخضع للتلقائية والا تخطيط، بمعنى إنها تتسم بالنقص النسبي في التنظيم قياساً بمظاهر السلوك الفردي المنضبط، فضلاً عن إنها تعتمد على التنبيه الداخلي المتبادل بين الأفراد، والمتميز بسرعة تقبل

(*) «الرأي العام الاستاتيكي » أو الساكن :،« وهو مجموعة من الآراء المتبعة والمعتنقة من دون أي تمحص.، كما يصفه صاحب كتاب «الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية» اذ يقول: «فهو الذي يستمد قوته من التقاليد والعادات والقيم، والمبادئ المستقرة المصطلح عليها .....ويسود مثل هذا الرأي العام في المجتمعات والاقتصاديات المتخلفة أو شبه المتخلفة، وهو يتلائم مع نظم الحكم المطلقة سواء كانت روحانية أم علمانية» المصدر: محمد عبد القادر حاتم، الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية، الناشر: مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح –بيروت – لبنان – ١٩٧٣م، ص/ ١٢٣.

(*) «المذهب الدينامي»: «مذهب فلسفي مقابل للميكانيكية ويفسر جميع الظواهر المادية بقوى لا ترجع الى الكتلة والحركة، وأنَّ الموجود متحرك بذاته، ويستخدم مصطلح ﴿دينامي ﴾ بمعنيين «أحدهما» باعتباره مضاداً لمفهوم الثباتي Static»، المصدر: البدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص / ١٢٠. كما وصفوه: «ينشا من الرغبة في التغيير، ومن ثم فأنَّه يستمد قوته من اعتماده على الحيوية والتعقل والتمحص أكثر من اعتماده على التقاليد والعادات والقيم المستقرة المصطلح عليها . ويتلاءم هذا الطراز من الرأي العام مع المجتمعات الاقتصادية والصناعية المتقدمة»، المصدر محمد عبد القادر حاتم، الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية، ص/ ١٢٣ – ١٢٤ .

(١) بطرس الحلاق، الرأي العام وطرق قياسه، ص/ ٤٧.

الإيحاء والمحاكاة.....، وبخاصة عندما تسود الجماهير حالة هياج انفعالي ناشئة عن حدوث أو توقع حدوث كارثة أو حدث خطير يمس الجميع، أو عن الاعتقاد بأن أعراف وتقاليد معينة مهددة بالإساءة»[١]. فتشكيل الرأي العام من خلال ما متوارث من العادات والاعراف والقيم والتقاليد يؤدي الى سلوك جمعي يسمى «السلوك الجمعي التقليدي»: وهو الذي «يتمثل بالسلوك الجمعي الذي يهدف إلى تكوين مجموعات ذات جداول عمل منظمة ومرتبة بشكل يقوم على معايير وأسس معتاد عليها سابقاً، وتهدف مثل هذه الأنماط من السلوك الجمعي إلى أن يتم توارث وتناقل العديد من العادات والقيم والأخلاق بين الأفراد وبين الأجيال بشكل حقيقي ولا تزييف فيه»[٢]

١-**العادات والاعراف والتقاليد في اللغة:** وخلاصة ما قاله أهل اللغة، إن العادة هي: معاودة الأمر حتى يصبح ذلك سجية عند صاحبه وديدناً وطبعاً[٣]، ولذلك قيل:« العادة طبيعة ثانية»[٤].

٢-**العادة اصطلاحاً:** «هي ما استمر الناس عليه على حكم المعقول»[٥]، وقيل «وعادوا إليه مرَّة بعد أخرى بعد أخرى.....وهو بهذا يقصر العادة على الحسن منها فحسب »[٦]، في حين نجد أنَّه من العادة ما يقع حسناً، ومنها ما يقع سيئاً، وعليه نستطيع تعريف العادة: مجموعة من السلوكيات تطبَّع عليها مجتمع معيَّن سواء كانت حسّنة أو سيّئة.

---

(١) شبكة النبأ، منشور: مصطلحات اجتماعية «السلوك الجمعي» متعلقات في سيكولوجية السلوك الجمعي، الناشر: شبكة النبأ المعلوماتية – الثلاثاء ١٠ / تموز / ٢٠٠٧ – ٢٥ / جماد الأخرى / ١٤٢٨.

(٢) رندا العكاشة، مقال: السلوك الجمعي في علم النفس الاجتماعي، في: ١٠ / ٢م ٢٠٢١م.

(٣) يُنظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤/، ١٤٥ والراغب، المفردات في غريب القرآن :٢/ ٢١٨، وابن منظور، لسان العرب / ٣٦٨، ٣/، ٣١٦ .

(٤) الراغب، المفردات :٢/، ٢١٨

(٥) قلت أي:: المتزن الموافق للمصلحة العامة.

(٦) الجرجاني، التعريفات، ص/ ١٨٨.

وقد ورد التعريف اللغوي لكل من الأعراف، والعادات، والتقاليد في معجم اللغة العربية المعاصر كما مذكور: « «الاعراف»: ما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم، والأعراف الاجتماعية، أما« العادات»: ما أَلِفَه وتعوّده، فصار عادةً وسلوكاً فيه، أما «التقليد»: عادة متوارثة يُقلِّد فيها الخَلَف السَّلَف»[(١)].

٣-**العادات والاعراف والتقاليد في الاصطلاح: أما العادة عند علماء التفسير، وعلوم القرآن: فقد ورد أنَّ** «أحوال العرب السلوكية السائدة وقت نزول القرآن الكريم..... قلت هذا؛ لأن القرآن معني بالعادة وقت نزوله، أما ما أتى بعد ذلك فيمكن قياسه على السبب السابق»[(٢)].

الأعراف والتقاليد وهما: «بمعنى العادة» على صحيح القول[(٣)]، وقد عُرِفت التقاليد في معجم المصطلحات الاجتماعية: «عناصر الثقافة التي تنتقل من جيل الى آخر أي أنَّها عبارة عن قواعد السلوك الخاصة بجماعة أو طائفة معينة والتي يتناقلها الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل، وتتميز التقاليد عن العادات والأعراف في ان الناس يشعرون نحو التقاليد بقدر كبير من التقديس ولا يرون أنَّ من الممكن العدول عنها»[(٤)]، وعرَّف الجرجاني في التعريفات كل من «الأعراف، والتقاليد» فقال: « «الاعراف»: ما استقرَّت النّفوس عليه بشهادة العقول، وتلقته الطبائع بالقبول، وكذلك العادة هي ما استمر الناس عليه على حكم العقول إليه مرّة بعد أخرى، «التقليد»: عبارة عن اتّباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً للحقيقة فيه عن غير نظر

---

(١) عمر أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، العُرف ص/١٤٨٥، العادات ص/ ١٥٧١، التقاليد ص/ ١٨٥٠ .

(٢) عبد الفتاح محمد أحمد خضير، عادات عربية في ضوء القرآن الكريم – دراسة موضوعية، الناشر: وقفية الأمير غازي للفكر القرآني، ص/ ٧٣.

(٣) ويقول الجرجاني:« العرف ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول وهو حجة – أيضاً – لكنه أسرع إلى الفهم و، العادة هي ما استمر الناس عليه على حكم العقول وعادوا إليه مرة أخرى، أما التقليد فهو إلف ما عليه الناس ومجاراتهم في عاداتهم»،المصدر : الجرجاني، التعريفات، ١٩٣ .

(٤) البدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص/ ٤٢٨.

وتأمل في الدليل كأن هذا المتَّبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه»[١]

٤-**تطبيقات تفسيرية للعادات والتقاليد من القرآن الكريم:** وقد تصل **العادات** الى مبلغ حد «العقيدة» فمن العادات التي وبمرور الزمن والدهور تتحول الى عقيدة ودين يدين بها الناس لا يمكن أنَّ يتخلي عنها الانسان بحكم التوارث جيلاً يعقبه جيل كما ورد في أقوال متعددة من الذكر الحكيم:

أ-قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آَبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[الشعراء: آية / ٧٤] أي انهم متفقين على رأي واحد يجمعهم على أن يكون سلوكهم التقليد لأباءهم كما ورد في تفسيرها: «أضربوا عن أن يكون لهم سمع، أو يتوقّع منهم ضرّ أو نفع، والتجأوا إلى التّقليد»[٢]، وفي تفسير روح البيان، اذ يصف لسان حال قوم ابراهيم في جوابهم عن سبب عبادتهم الاصنام فكان معنى جوابهم: « وجدناهم يعبدون مثل عبادتنا فاقتدينا بهم اعترفوا بانها بمعزل من السمع والمنفعة والمضرة بالكلية واضطروا الى اظهار أن لا سند لهم سوى التقليد»[٣]، أما صاحب تفسير الكاشف فيربط الآية بالواقع المعاصر مبيتاً السلوك الجمعي الذي تقوم به جماعات الاحزاب من خلال التقليد لرؤسائهم، وان كان ذلك التقليد مخالف للشريعة أو فيه ظلمٌ للناس، أو تخريبٌ للبلاد ومصالحها أو لوقوع الفساد في الأرض، كما ورد في تفسيره: «هذا اعتراف صريح بأنَّهم مقلدون، ولا عجب فقد رأينا في القرن العشرين وعصر الفضاء، رأينا أتباع الأحزاب والمنظمات بشتى أنواعها يقلدون رؤساءهم، ويستدلون بأقوالهم، ويأخذونها أخذ البديهيات من غير تحقيق وتمحيص»[٤]، وهذا السلوك الجمعي لأحزاب الطبقة الحاكمة وأتباعهم ينعكس سلباً في الواقع الاجتماعي من خلال توقف عجلة التطور في البلاد وتقديم الخدمات

(١) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ص/ ٥٦، ص/ ١٢٥.

(٢) القمي مشهدي، محمد بن محمد رضا، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، ايران – طهران، ط/ ١، ١٣٦٨ هـ.ش.، ٩/ ٤٨٠.

(٣) اسماعيل بن مصطفى الحقي، تفسير روح البيان، دار الفكر – لبنان – بيروت، ط/ ١.، ٦/ ٢٨٢

(٤)محمد جواد مغنيه، التفسير الكاشف، دار الكتاب الإسلامي – ايران – قم، ١٤٢٤ هـ.ق.، ٥/ ٥٠٢..

الى المواطنين.

ب- وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾[الانبياء: آية / ٥٢] بمعنى «أي فقلدناهم وتأسينا بهم»[١].

ت-وقوله تعالى: ﴿وَ إِذا قيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ وإِلَى الرَّسُولِ قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا﴾ [المائدة: آية / ١٠٤] وقد جاء في التفسير اللغوي والمعنوي للآية المباركة: «أنَّ مقدمة الآية المباركة ﴿ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من الكتاب المبيّن للحلال والحرام وإِلَى الرَّسُولِ أي: الذين أنزله تعالى على الرسول ﷺ، « أي: لإفراط جهلهم وانهماكهم في التقليد حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أي كافينا ذلك، وحَسْبُنا مبتدأ والخبر ما وَجَدْنا.. . . أي: أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً أي لا يعرفون حقّا ولا يفهمونه ولا يَهْتَدُونَ أي: إليه، قال الزمخشري: والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي، وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة، انتهى، وقال الرازي: واعلم أن الاقتداء إنما يجوز بالعالم المهتدي، وإنما يكون عالما مهتديا إذا بنى قوله على الحجة والدليل، فإذا لم يكن كذلك لم يكن عالما مهتديا »[٢].

فيرى الباحث إنَّ الرأي العام الذي عند الكفار وعبدة الأوثان مأخوذ من العادات والتقاليد المتوارثة من دون أن يفكروا بحقيقة الأمر وما يقبله العقل والتفكير السليم بل هو التقليد الاعمى، وتقليد الجاهل للجاهل، في حين يُبيّن المفسرون أن التقليد والاتباع صحيح اذا كان على قاعدة «تقليد الجاهل للعالم» كما يذكر الزمخشري وكذلك الرازي في المصدر المتقدم ، بجواز الاقتداء بالعالم بدين الله المهتدي بهديه ونهجه القويم، فاذا كان ذلك يقع السلوك الجمعي ممدوحاً صحيحاً من عامة الناس لأنَّ رأيهم العام أجتمع من مصدر صحيح وانَّ القيادة التي قلدوها أخذت علمها وهُداها من الله تعالى.

---

(١) القاسمي، جمال الدين، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – لبنان – بيروت، ط/١، ١٤١٨ هـ.ق، ٧/ ٢٠٠ .

(٢) المصدر السابق، ٤/ ٢٧٦.

ث-وفي ذات السياق يأتي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا» [الأعراف: آية / ٢٨], ومما ورد في التفسير الروائي عن سبب نزول هذه الآية، أنّ العرب من غير قريش كانت تطوف عراة حول الكعبة الا من جاء بثوب جديد أو استعار ثوباً من أهل مكة، وحتى النساء يطفن ليلاً من دون ثياب، فأعاب المسلمون عليهم فعلهم و سلوكهم الجمعي هذا فكان رأيهم العام أنهم وجدوا أباءهم على ذلك فقلدوهم، وان هذا هو ما أمر الله به كما ورد في ذلك: « و كانت قريش- وهم الحمس- يطوفون في ثيابهم، ومن أعاره أحمسيّ ثوبا طاف فيه، ومن معه ثوب جديد طاف فيه ثم يلقيه، فلا يتملكه أحد، ومن لم يجد ثوبا جديدا، ولا أعاره أحمسيّ ثوبا، طاف عريانا، وربما كانت امرأة، فتطوف عريانة، فتجعل على فرجها شيئا ليستره بعض الستر،..... وأكثر ما كان النساء يطفن بالليل، وكان هذا شيئا قد ابتدعوه من تلقاء أنفسهم، واتبعوا فيه آباءهم، ويعتقدون أن فعل آبائهم مستند إلى أمر من الله وشرع، فأنكر تعالى عليهم ذلك»[(١)] .

ج- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [لقمان: آية / ٢١] وقد ورد من تفسيرها ما ورد في تفسير (المطهري): «وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا لا نتبع ما انزل الله بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا، فيه منع من التقليد في اصول الدين قال الله تعالى أَ يتبعون بتقدير يعنى قل أيتبعون آباءهم ولَوْ كانَ الواو للحال او للعطف على مقدر يعنى لو لم يكن ولو كان الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ الضمير اما لهم او لآبائهم إِلى عَذابِ السَّعِيرِ، بإلقاء حسن التقليد او حسن الإشراك في قلوبهم والاستفهام للإنكار والتعجب»[(٢)] .

ح- وقوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: آية / ٢٢]، ففي الأمثل : ما نصه: « لم يكن لهؤلاء دليل إلّا التقليد الأعمى للآباء والأجداد، والعجيب أنّهم كانوا يظنون أنّهم مهتدون بهذا التقليد، في

(١) قاسمى، جمال الدين، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، ٥ / ٣٣ .

(٢) باني بتي، ثناء الله ، التفسير المطهري، مكتبة رشديه - باكستان - كويته، ط/ ١، ١٤١٢ هـ.ق.، ٧ /٢٦٠

حين لا يستطيع أي إنسان عاقل حر أن يستند إلى التقليد في المسائل العقائدية والأساسية التي يقوم عليها بناؤه الفكري، خاصة إذا كان التقليد تقليد (جاهل لجاهل)، لأنَّنا نعلم أن آباء أولئك المشركين لم يكن لهم أدنى حظ من العلم، وكانت أدمغتهم مليئة بالخرافات والأوهام، وكان الجهل حاكما على أفكارهم ومجتمعاتهم، كما توضح ذلك الآية (١٧٠) من سورة البقرة: ﴿أَ ولَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً ولا يَهْتَدُونَ﴾؟، التقليد يصحّ في المسائل الفرعية وغير الأساسية فقط، وأيضا يجب أن يكون تقليدا لعالم، أي رجوع الجاهل إلى العالم، كما يرجع المريض إلى الطبيب، وغير المتخصصين إلى أصحاب الاختصاص، وبناء على هذا فإنّ تقليد هؤلاء كان باطلا[(١)] .»

ويرى الباحث من كل ما تقدم من الآيات الكريمة كان اجتماع الاقوام المتقدم ذكرهم على رأي عام وهو أنَّ ما يقومون به ما هو الا ثبات على ملة الاباء وتقليدٌ لمن سبقهم من ابائهم واجدادهم وكبرائهم من دون تفكير ولا وعي، فيتكون عندهم رأي عام منبعه الاعراف والعادات والتقاليد ومعتقدات الاباء والاجداد وتقليد أولئك،الأمر الذي نتج عنه سلوك جمعي سلبي تمثُل في معاداة الانبياء والرسل (عليهم السلام) ورفض التوحيد، ومعاداة الله تعالى ورُسله وأنبيائه، والذي يؤكد سلوكهم الجمعي هو اتصاف هذا السلوك بعدم الرجوع للعقل والتفكير الذاتي والاستسلام للفكر الآخر وتوجيهاته ، يؤكد ذلك صاحب تفسير (من هدى القرآن) بقوله: « وعلامة فقد الارادة، أن هذه الفئة لا تملك حرية التفكير وتتعرض لأسوأ استعمار واستعباد وهو فقدان الاستقلال الفكري والثقافي الذي هو مقدمة لسائر أنواع الاستغلال والاستثمار»[(٢)] ، الأمر الذي يجعل مثل هذا المجتمع مجتمعاً سهلاً الاختراق من قبل جهات مضادة له، أو جهات ترى أنَّ لديها مصالح وأهداف يتوجب تحقيقها من خلال هذا المجتمع المعين.

(١) ناصر مكارم شيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٦/ ٣٣.

(٢) محمد تقى المدرسي، من هدى القرآن، ٣/ ٢٩٧ .

ثانياً: الشائعات «Rumours »:

قبل الشروع بتعريف الشائعة في اللغة والاصطلاح لابد من بيّان أنَّ الشائعة هي من اسباب تشكيل الرأي العام عند الجمهور والذي من خلاله يحصل السلوك الجمعي المؤثر في الواقع الاجتماعي اذ يذكر صلاح نصر في كتابه الحرب النفسية: «ان الشائعة تنتشر عن طريق الشعب، فهي تعيش عليه، انَّها تؤثر على الافكار وتضبط مجالات نشاطه، ولكن بينما ينمو الرأي العام ببطء فأنَّ كثيراً من الشائعات تخرج فجأة بصورة غير متوقعة، وهي تنمو بصورة مفاجئة مثيرة، ومن هنا يمكن أن نطلق عليها (الرأي العام الطارئ) إذ نجد الوصول الى اجماع عام قد تم في غمضة عين دون حاجة الى القيام بعملية مجهزة من عمليات التقييم كما في حالة الرأي العام»[(١)]، ويقول في موضع آخر: « ولما كان الفرد يتأثر الى حد كبير بالسلوك الجماعي كما أنَّه يكون جزءاً من الرأي العام فلا بد أن يكون لانتشار الشائعة أهمية كبيرة في استخدامها كدليل للرأي العام..... يمكن القول: أن الرأي العام هو الذي يخلق الشائعات ويبدعها... وأما من ناحية أخرى فإنَّ الشائعات قد تخلق الرأي العام ايضاً وتوجده»[(٢)]،

فيتضح للباحث إنّ العملية متبادلة ومتداخلة بين الرأي العام والشائعة الى حد يُعد كليهما من بعضهما.

١-**الشائعة في اللغة:** قال الاصفهاني في المفردات «شاع الخَبر أيّ كثُرَ وقوي، وشاعَ القوم: انتشروا وكَثروا، والشَّيعة من يتقوى بهم الإنسان وينتشرون عنه»[(٣)]، ويقول ابن منظور: « شاع الشيب :ظهر وتفرّق، وشاع الخبر في الناس شَيْعا وشَيَعانا...، فهو شائع :انتشر وافترق وذاع وظهر، وأشاع ذِكرَ الشيء :أطارَه وأظهره، وقولهم :هذا خبر شائع وقد شاع في الناس، معناه قد اتصل بكل أحد

(١) صلاح نصر: الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد، ١/ ٣٥١.

(٢)صلاح نصر: الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد، ١/ ٣٥٢، ٣٥٥.

(٣) الراغب الاصفهاني، المفردات،، ١م ٣٥٦.

فاستوى علم الناس به ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض، والشاعةُ: الأخبار المنتشرة، وفي الحديث :أيّما رجل أشاع على رجل عوْرة ليشينه بها، أي أظهر عليه ما يعيبه، وأشعتُ السر وشِعتُ به إذا أذعتُ به. ..ورجل مِشْياع أي مذياع لا يكتم سرّا» [(١)]، والى هذا المعنى نوّه القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ ﴾[الاسراء: آية / ٨٣]، بمعنى أن جمع من المنافقين وضعاف المسلمين اذا سمعوا خبر الخوف صحيحاً كان أو كاذباً نشروه بين المسلمين ليضعفوا من عزيمتهم وينشروا المخاوف بين صفوفهم فيتولد نتيجة الخوف سلوكا جمعياً غير متزن يؤدي الى اضعاف صفوف المسلمين[(٢)]، ويظهر أن الشائعة والاشاعة لفظان متقاربان لمعنى واحد كما يعرفهما المعجم الوسيط: «الشائعة: الخبر ينتشر ولا يثبت فيه...والاشاعة: الخبر ينتشر غير متثبت منه»[(٣)]

٢-**والشائعة في الاصطلاح:** «ظاهرة اجتماعية بالغة الأهمية، ويضاعف من هذه الأهمية شيوعها في كل زمان ومكان، وأنها مسلك مألوف من مسالك الجماعات»[(٤)] .

وورد تعريفها في معجم المصطلحات الاجتماعية بأنَّها: « كل قضية أو عبارة نوعية أو موضوعية قابلة للتصديق تتناقل من شخص الى أخر، عادةً بالكلمة المنطوقة وذلك دون أن تكون هناك معايير أكيدة للصدق »[(٥)] .

كما وتُعد الشائعات من الوسائل المثيرة للدعاية السوداء[(٦)]، ومن الأدوات

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٧/ ٢٦٠.

(٢) يُنظر: محمد رضا قمي المشهدي: ، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الناشر : دار الغدير، قم، ١٤٢٣ق. = ١٣٨١، ٣/ ٤٨٥.

(٣) نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط/ ٢ -١٩٧٩م، ١/ ٥٠٣.

(٤) محمد أبو زيد، الشائعات والضبط الاجتماعي «القاهرة – ط/١ ١٩٨٠م»، ص/ ١٠ .

(٥) البدوي: أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية:، ص/٣٦٢.

(٦) تنقسم الدعاية الى ثلاثة أنواع وهي: الدعاية البيضاء، والدعاية السوداء، والدعاية الرمادية، وتلجأ الدعاية

الرئيسية لها، اذ قالوا أنها: «أداة من أدواتها (الدعاية السوداء)، لأنها تعمل على بث الذعر، والكراهية، وتحطيم الروح المعنوية، وإثارة عواطف الجماهير، وبلبلة أفكارهم، وخاصة في أوقات الحرب والأزمات، إذ يستولي على الناس الخوف والرعب»[١]، ويصفها الدكتور محمود أبو زيد بنقلة عن أنَّ كثيراً من الباحثين يُعبرون عنها: «الشائعة رواية تتناقلها الأفواه، دون التركيز على مركز يؤكد صحتها، أو أنها اختلاق لقضية أو خبر ليس له أساس من الواقع، أو هي مجرد التحريف بالزيادة أو النقصان في سرد خبر يحتوي على جزء ضئيل من الحقيقة، وكله مما يُعبر عنه باللفظ أحياناً أو بالنكتة والرسم في أحيان أخرى»[٢].

وبعد البحث يثبت عند الباحث إنَّ الشائعات قد تكون عبارة عن قصص أو حكايات مروية تتداول وتنقل على ألسن الناس، وهي ظاهرة من الظواهر الاجتماعية، وهي قديمة من الازل، لأنها نتاج التعبير عن الخوف أو القلق أو الفرح، وما يتعرض له الانسان من التقلبات الطبيعية الممكنة الحصول في أي زمان ومكان، ويكون انتشار الشائعات سريعاً جداً كانتشار النار في الهشيم، خصوصاً في الاوقات العصيبة التي يمر بها الافراد أو المجتمع، وكما ينقل، بأنها «الشائعات» حكايات أو معلومات يتناقلها الناس، وهي واقعاً غير صحيحة وغير واقعية، أو فيها جنبة من الحقيقة ، وقد تروج الشائعات بين الناس فتكون مقصودة، وقد لا تكون عن قصد،

السوداء الى مخاطبة الغرائز والانفعالات وحشد الاكاذيب والأوهام دون أن تكشف عن مصدرها، أو تحدد اتجاهها وأهدافها، المصدر: يُنظر: الدكتور علي عجوة، الأسس العلمية للعلاقات العامة، القاهرة، ط/ ٢ ١٩٧٨م، ص / ٢٦- ٢٨.

(١) محمد فريد محمود عزت، بحوث في الاعلام الاسلامي، الناشر: دار الشرق للنشر والتوزيع والطباعة، ط/ ١ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م -جدة - المملكة العربية السعودية، ص/ ١٣.

(٢) محمود أبو زيد: الشائعات والضبط الاجتماعي، القاهرة، ط/١ -١٩٨٠م، ص/ ١٠.

وهي تلعب دوراً كبيراً في صناعة الرأي العام الذي ينتج عنه السلوك الجمعي وخصوصاً المقصودة منها والمغروسة، لاسيما في أوقات الحروب والأزمات، من خلال اثارة العواطف فهي بذلك تترك الآثار العميقة في النفوس، في حين قد تقع الشائعات وتكون غير مقصودة، والتي دائما ما تكون على شكل ثرثرة أو دردشة كما يسمونها، فناقليها يساهمون في نشرها ونشر تأثيرها على الناس من دون أن يشعروا بذلك كما يصفها صاحب كتاب (بحوث في الاعلام الاسلامي): «أما الشائعات غير المقصودة، فتسمى ثرثرة أو دردشة GOSSIP ويجد كل من ناقلها ومستمعها لذة ومتعة في روايتها، دون أن يعلموا أنهم يساعدون على نشر الشائعات الكاذبة والروايات المختلقة، والاخبار المضللة التي تخدع الناس، وتبلبل أفكارهم، وتثير فيهم الشكوك والريب وتحطم معنوياتهم، وتفقدهم الثقة بقادتهم، وتنشر الفتن والضغائن بين الطوائف والطبقات، كل ذلك من العوامل التي تفكك وحدة الأمة وتصدع كيانها»[1]، وكل ذلك يحدث من خلال نشر الاشاعة بين الناس الذين اجتمعوا على الاخذ بها وسلموا لها فصارت رأياً عاماً يجتمعون عليه فأنتج ذلك الرأي العام سلوكاً جمعياً كما في الشائعات التي توقع العداء بين الطبقات أو عدم الانصياع الى القادة والموجهين أو المصلحين فيؤثر ذلك في تفكك الأمة وتخلفها وعيشها في أرذل الظروف الاجتماعية الاقتصادية والصحية والتعليمية وغيرها.

وهناك شرطان مهمان يحكمان شدة سريان الشائعة لأي موضوع وهما: «أهمية الموضوع» بالنسبة للناقل والمستمع، و« مقدار الغموض» الذي يحيط بالموضوع ويُغلفه، اذ إنَّ مدى تأثير الشائعة من عدمه ما هو الا حاصل ضرب «الاهمية × الغموض» فأن كانت أحدهما صفراً كان الناتج صفرا، كذلك توجد علاقة

(١) محمد فريد محمود عزت، بحوث في الاعلام الاسلامي، ص/ ١٥.

طردية بين مدى شدة الاشاعة، وبين ودرجة الصداقة أو العلاقة والمحبة والألفة بين الافراد، مع انها تنتقل في المجتمع في كل الاحوال الا ان انتقالها في اطار تلك العلاقات يكون أشد وأسرع(١).

وللإشاعة أنواع، وأشكال، وتقسيمات على أساس ولادتها ودوافعها، نفسية، وغير نفسية، وماهية الشائعة، واختلافها شدةً وضعفاً، وحركة انتقالها واختلاف ذلك من شخص الى آخر، والعوامل المحركة لها، وقنوات نشرها ومضامينها، ومن يقف وراء الشائعة وترويجها، ومن هو جمهور الشائعة، وهل كل الشائعات مختلقة، وكذلك تطبيقات الشائعة، وغيرها، كل ذلك يطول الحديث عنه عند الغور فيه وقد نبتعد عن أساس بحثنا وللتعرف بها يمكن مراجعة مصادر كثيرة منها «الاشاعة في ضوء القرآن الكريم، سيكولوجية الاشاعة، بحوث في الاعلام العالمي » (٢).

ويعود ظهور الشائعات الى أوائل ظهور المجتمعات البشرية، وقد تطورت مع استمرار تطور المجتمع، اذ ينقل صاحب موسوعة السياسة: « وقد لعبت الشائعة دوراً في التأريخ، فأدت مثلاً الى موت سقراط بتهمة تحريض الشبان في أَثِنا على التمرد والعصيان، وقامت الحروب في القرون الوسطى نتيجة المغالاة في رواية قصص المعجزات والجرائم والاسلاب، وكان لها دور في التعبئة النفسية في أوربا إبان الحرب الصليبية » (٣) كل هذه المظاهر من الحروب والاحداث والتغيرات الاجتماعية كان ورائها الشائعة التي انتجت رأياً عاماً عند الجماعات المختلفة حول قضايا كانت تهمهم، كل جمهور حسب بيئته وظروفه والحالة النفسية التي يمر بها ويعيشها،

(١) يُنظر: المصدر السابق، ص/ ١٦.

(٢) علي طوينة، بحث في: الاشاعة في ضوء القرآن الكريم، الناشر: مركز التراث العلمي، جامعة بغداد، ص/ ١٢- ٢١، وحسن السعد، سيكلوجية الاشاعة «رؤية قرآنية» اشارات موجهة في الحرب النفسية وأجندة المواجهة، الناشر دار دجلة – المملكة الاردنية الهاشمية، ط/١ -٢٠١١م، ص/١٦- ٣٣، ومحمد فريد محمود عزت، بحوث في الاعلام الاسلامي , ص/ ١٣ / ٢٤.

(٣) عبد الوهاب الكيالي ومجموعة من الباحثين، موسوعة السياسة، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى للنشر والتوزيع – ببيروت – لبنان، ٣/ ٤٢٣.

الأمر الذي أنتج تفاعلا وحراكاً شعبياً على شكل سلوك جمعي أحدث تغيراً حقيقياً على الأرض في الواقع الاجتماعي.

وللبيان أكثر و توضيحاً لأثر الاشاعة على تشكيل الرأي العام المُنتج للسلوك الجمعي فقد تُساعد بعض الشائعات في يقظة الشعوب وتوحيد كلمتها ضد العدو الاساسي يذكر صاحب الموسوعة السياسية واقعة حصلت وهي: « شائعة ساعدت على اندلاع الثورة الهندية ضد بريطانيا عام ١٨٥٧م، فلقد كان الجنود الهنود العاملون في جيش الهند البريطاني يستخدمون بنادق تُملأ من فوهة السبطانة «الماسورة»، وكان عليهم خلال الرمي أن ينزعوا بأسنانهم الورق المشحم من طرف كل خرطوشة، حتى يسقط البارود في سبطانة البندقية قبل وضع المقذوف في مكانه، واعتمدت الشائعة التحريضية على هذا الأمر إذ انتشرت بين الجنود المسلمين شائعة تقول بأنَّ الشحم المستخدم هو شحم خنزير، وخُيل للهندوس بأنه شحم بقر، وقد حاول الإنكليز وقتذاك إقناع الجنود بالقيام بأنفسهم بتشحيم ورق الخرطوش بالسمن النباتي »[1].

٣- الشائعة في القرآن الكريم:

لم يأتِ التصريح في لفظ الشائعة أو مشتقاتها في النص القرآني الا مرّة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: آية / ١٩]، بيدَ أنَّ مفهوم الشائعة وتطبيقاتها وشواهدها موجود في كثير من المواقف والمواطن المشهودة، وفي جميع الحركات التغييرية الكبرى التي كانت بصمتها واضحة على مسيرة التأريخ البشري، وأن لم يجيء مصطلح الشائعة بلفظه المتعارف فقد جاء بمفهومه الذي بيَّنه القرآن الكريم كاشفاً من خلاله مكائد ومؤامرات المشركين من قريش وغيرهم ومن اليهود الذين كثيراً ما دبروا المكائد والمؤامرات ضد

(١)عبد الوهاب الكيالي ومجموعة من الباحثين، موسوعة السياسة، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى للنشر والتوزيع – ببيروت – لبنان: ٣/ ٤٢٣ – ٤٢٤.

الاسلام، وكذلك نبَّه القرآن الكريم عن الاشاعات التي يطلقها المنافقون والمرجفون والذين في قلوبهم أمراض وأحقاد دفينة ضد الاسلام والمسلمين، اذ يقول صاحب كتاب سايكلولوجية الاشاعة: «حرص القرآن على توعية المسلمين وتكوين الحس السياسي والإعلامي لديهم، لصيانة الرأي العام الاسلامي وتحصينه من التأثّر بالإشاعات والأكاذيب والأراجيف التي يبثها المندسون والمنافقون والخصوم، ليكوّن المناعة الفكرية والنفسية، ويفوّت الفرص على أولئك المخرّبين، فثبّت الأسس والموازين اللازمة للإنسان المسلم، ليتمكّن من فحص وتمييز الإشاعة والدعاية الكاذبة»[1].

ومن الوسائل التي استخدموها لنشر الشائعات التي أراد بها كل من (المشركون، واليهود، والمنافقون) أن تكون سلاحاً يضربون به عقيدة المسلمين من خلال الطعن في شخص النبي ﷺ وما جاء به من دين حنيف ليهدي به الناس، فأخذوا سلاحهم هذا المتمثل في اطلاق الشائعات غاية منهم أن يشككوا المسلمين بعقيدتهم، وان ينفروهم عن قائدهم، وكذلك ليُكوّنوا من خلال اشاعاتهم هذه رأياً عاماً عند الناس ومن يريدوا أن يدخل بالإسلام أنَّ هناك شكوك ومطاعن مريبة في هذا الدين مما يتولد عند الناس سلوكاً جمعياً وهو النفور عن الاسلام، وكما هي الشائعات التي يطلقها اليوم كثير من مراكز الابحاث والملحدون والدعاة الى معاداة التوحيد، فمرة يطعنون بشخص النبي الكريم ﷺ ومرة يطعنون بالقرآن كونه كتاباً من عند الله تعالى، فيدّعون بشرية مصدره، ومرة يقولون أنَّه الهي المعنى محدي اللفاظ، بمعنى أن الفاظه من وضع النبي ﷺ، ومرة يدعون النقص أو التحريف في نصه، وغيرها، وهم بذلك لم يأتوا بجديد بل هي ذات الافكار والغايات والاهداف التي أرادها وجاء بها «المشركون، واليهود، والمنافقون »، وما هم الا خلف لذلك السلف، فكانت الشائعات

(١) حسن السعد، سايكلوجية الاشاعة «رؤية قرآنية» اشارات موجهة في الحرب النفسية وأجندة المواجهة، ص/ ٣٣.

على ثلاثة أشكال:[1]

الشكل الأول: بث الدعاية الكاذبة: فقد استخدم المشركون من قريش أسلوب الدعاية الكاذبة لنشر الشائعات التي يرجون من خلالها تكوين رأي عام مضاد لتشويه الصورة النبوية الطاهرة ومن خلال ذلك يؤثرون على سلوك عامة الناس فضلاً عن من دخل في الاسلام فيرتدون عن الدخول في الدين الاسلامي، فمرة قالوا شاعر وأخرى قالوا كاهن وأخرى قالوا مجنون، وغيرها، كما وصفه القرآن الكريم:

أ-بقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ٢٩ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾[الطور: آية / ٢٩-٣٠] فقد ورد في تفسيرها: «امض في سبيلك، وثابر يا محمد على مهمتك، وهي الدعوة الى الله والتخويف من عذابه، ولا تكترث بما يقوله عنك بعض المعاندين: انك كاهن تدعي علم الغيب... ويقوله آخرون: انك مجنون... فأنت بحمد الله وفضله أبعد من كان ويكون عن أكاذيبهم ومزاعمهم... وكيف تكون كاهنا أو مجنونا وقد جعلك الله أمينا على وحيه، واختارك لرسالته؟. ﴿أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾، قال بعضهم لبعض: محمد شاعر يتكلم من نسج الخيال... فاثبتوا على تكذيبه، وانتظروا أياما، فإن هلك فذاك ما تبتغون، وان عاش افتضح بمزاعمه... ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهذا﴾ الافتراء والضلال، والمراد بأحلامهم عقولهم، البالية وأمانيهم الخادعة»[2]، فهذ شائعات يصدرونها من أحلامهم يمنون بها أنفسهم.

ب-عجزوا فوصفوه ﷺ بالشعر والجنون والسحر مروجين ضد شخص النبي الكريم الإشاعات الكاذبة، كما يتضح في الآيات المباركة الآتية:

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾[القلم: آية ٥١]

.﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْر مُّبِينٌ ﴾[الصافات: آية / ١٥]

.﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾[الصافات: آية /٣٦]

---

(١) يُنظر: محمد فريد محمود عزت، بحوث في الاعلام السياسي، ص/ ٢٥ – ٧٩.

(٢)محمد جواد مغنيه،، التفسير الكاشف، ٧/ ١٦٧ .

.﴿وَقَالَ الْكَافِرونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذّاب﴾[ص: آية / ٤]

﴿قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتراهُ بَلْ هُوَ شَاعر﴾[الانبياء: آية / ٥]

كما يصف أحد الكتاب ذلك بقوله: « ولما أعيتهم الحيلة في مواجهة الحجة بالحجة، وأنّى لهم ذلك؟ انتهجوا ترويج الإشاعات ضد الرسول الأكرم ﷺ كونه المثل الأعلى، ذلك في محاولة للتسقيط الشخصي، فأخذوا يشيعون أنه كاهن، وأنه مجنون، وأنه شاعر، وأنه كذّاب، وأنه ساحر...!!.»[(١)] .

ويرى الباحث أنَّ غاية ما في الأمر من اطلاق هذه الشائعات هو تشويه صورة شخصية النبي ﷺ أمام من اتبعوه ومن يتطلعون الى اتباعه فينشأ عندهم رأي عام مشكك بشخصه ودعوته ﷺ لهم في اعتناق الاسلام فيثمر من ذلك سلوك جمعي يتمثل في النفور عن الاسلام والعداء له، كما يذكر صاحب كتاب (بحوث في الاعلام الاسلامي): «ومع ان مطلقي هذه الشائعات هم من قادة المشركين وأصحاب الفكر والتدبير فيهم، هم أعلم الناس بكذب هذه الشائعات، وانه ليس لهم من هدف ترويجها الا صرف الناس عن اتباع الرسول ﷺ والدخول في الدين الجديد »[(٢)]

وكذلك يرى الباحث إنَّ هذه الشائعات جديدة قديمة فهي تكررت في الازمان الماضية والى يومنا هذا، وصارت وتكررت مع جميع الانبياء عليهم السلام فقد أذاعوا عليهم أنهم كاذبون، مظلون، بالرغم من كونهم انبياء ورسل من ربِّ العالمين فصنعوا بشائعاتهم رأياً عاماً نتج عنه سلوكاً جمعياً نافراً ومعادياً للأنبياء والرسل، كما يصف صاحب كتاب (الحرب النفسية) ذلك بقوله: «وفي قصص الانبياء (عليهم السلام) أمثلة حية وبيّنة لأشكال مختلفة من الحرب النفسية بين الأنبياء وأقوامهم كمثل الدعايات الكاذبة والاتهامات الباطلة.....وإنَّ كلمة (الملأ) التي تتردد في القرآن الكريم وإن كانت تعني الأشراف والكبراء وأهل الرأي، لكنها تُعبر عن(الرأي العام) – في المصطلح الحديث – أو من يُمثل الرأي العام الكافر في عهد الانبياء عليهم

(١) حسن السعيد، سايكلولوجية الاشاعة، رؤية قرآنية، ص/ ٣٤.

(٢) محمد فريد محمود عزت، بحوث في الاعلام السياسي، ص/ ٣١.

السلام »[1]، وكما ورد في الآيات الكريمة والتالية وتفسيرها:

فقد أشاعوا على نوح (عليهم السلام) بأنه ضال وكذاب، كما جاء بقوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[الاعراف: آية / ٦٠- ٦١]، وقد ورد في التفسير وفق اسباب النزول لهذه الآية الكريمة: «يا نوح ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ عن طريق الصواب لأنك تدعونا إلى شيء لم نعرفه نحن ولا آباؤنا فزيفك هذا (مُبِينٍ) واضح لا خفاء فيه ردا على نصحه لهم وانما قالوا ذلك لأنه لما خَوَّفهم بالطوفان رأوه يصنع السفينة في أرض لا ماء فيها، أي أنك تتعب دون فائدة وهذا من الضلال لأن السفينة لا تجري على اليبس، ولم يعلموا أن الذي أمره بعملها هناك قادر على إيجاد الماء لها»[2]، وكذلك أشاعوا عليه بأنَّه عليه السلام كاذب كما جاء في قوله تعالى:﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[هود: آية / ٢٧] ليصنعوا سلوكاً جمعياً حاصله الاستهزاء والسخرية من نوح عليه السلام، ونزع هيبته من الناس كما ذكر تعالى:﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾[هود: آية / ٣٨].

وكذلك الحال مع موسى عليه السلام عندما أشاعوا عليه الملأ أنه(ساحر) لتكوين رأي عام ضد موسى فيتكوّن سلوكاً جمعياً لدى الناس بالعزوف عنه لتثبيط من يريد الايمان به كما في قوله تعالى:﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾[الاعراف: آية / ١٠٩] وقد جاء في تفسيرها: «انهم اعتمدوا على عدة وسائل لمقاومة رسالة الله، ولم يكن بينها بالطبع الاهتداء بها أو مواجهتها الحجّة بالحجة..... قالوا لموسى انه ساحر عليم ليضللوا الناس عن رسالته»[3].

---

(١) فهمي النجار: بحث بعنوان: الحرب النفسية في ضوء القرآن الكريم، ص/٤٢٥- ٤٢٦.

(٢)عبدالقادر آل غازى، ، بيان المعاني، ٦جلد، مطبعة الترقي – سوريه – دمشق، ط/ ١، ١٣٨٢ هـ.ق، ١ / ٣٦٨ .

(٣)محمدتقى مدرسى ، من هدى القرآن، ٣ /٤٠٢ .

الشكل الثاني: شائعات الخوف:

بعد أن عجز اليهود وأعداء الاسلام من الوقوف بوجه المد الاسلامي، أخذوا يُطلقون شائعات الخوف والرُعب في صفوف المسلمين، ليصنعوا من خلالها رأياً عاماً عند المسلمين ينتج عنه سلوكاً جمعياً يتمثل في التخلي والارتداد عن الدين، ومن نماذج النفاق في اثارة شائعات التخويف ومثال ذلك:

أ- كما حصل في أثناء معركة أُحد، اذ ذاع المشركون شائعة أثناء المعركة بأنَّ رسول الله ﷺ قد قُتِل، فسرعان ما انتشرت هذه الشائعة في صفوف من في المعركة من المسلمين والمشركين، فحدث أن صار رأياً عاماً في صفوف جَمْعٍ من المسلمين ضعيفي الايمان قادهم الى سلوك جمعي تمثل بانسحابهم عن القتال بل وحتى الهروب والارتداد عن الاسلام كما يصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ومَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران: آية / ١٤٤]وقد ورد في تفسيرها اذ يصف حال الاغلبية من المسلمين عند سماع تلك الشائعة الأمر الذي نتج منه: « ترك من الأثر السئ في نفوس المسلمين حيث تزعزعت روحيتهم وزلزلوا زلزالا شديدا، فاضطرب جمع كبير منهم كانوا يشكلون أغلبية الجيش الإسلامي، وأسرعوا في الخروج من ميدان القتال، بل وفكر بعضهم أن يرتد عن الإسلام بمقتل النبي ويطلب الأمان من أقطاب المشركين»[(١)] ، وما ثبت مع النبي الا نَفَرٌ بعدد أصابع اليد على رأسهم أمير المؤمنين علي عليه السلام.

ويرى الباحث في هذا الحدث إنَّ الغالبية من المسلمين قد شكلت عندهم الشائعة رأياً عاماً بالندم على دخول الاسلام مما قادهم الى سلوكٍ جمعيٍّ بأن تركوا القتال وتخلوا عن دينهم.

وتبقى كلمة (أنس بن النضر) شاهدة على ارتدادهم عندما رأهم منهزمين وقد ألقوا بأيديهم، فسألهم عن السبب فأخبروه أن النبي ﷺ قد قُتل فكان جوابه كما ورد في

(١)ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢ / ٧١٨ .

تفسير الأمثل: «يا قوم إن كان قد قتل محمّد فربّ محمّد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله ﷺ وموتوا على ما مات عليه، ثمّ شد بسيفه وحمل على الكفّار وقاتل حتّى قُتِل»[١]، فلما تبين بطلان وكذب الشائعة، جاء القرآن الكريم موبخاً المنقلبين على أعقابهم.

ب- وموقف آخر سببه النفاق، اذ يُذكر أنَّ أنباءً ترامت الى رسول الله ﷺ حول عزم الروم على الهجوم على الاسلام من ناحية شمال الجزيرة، وضربه ضربه ترده من حيث جاء، وفي ضوء ذلك رأى النبي ﷺ من الضروري استنفار المسلمين من أجل التصدي لهذا العدوان، ولكن صادف ذلك في أيام قحط وقيظ، حين طابت الثمار ومن طبيعة الناس حب المقام تحت الثمار وظلالها، وشتان بين هذا والخروج الى الحرب، فأنتهز المنافقون الفرصة في اثارة الشائعات وبث سمومهم لخلق رأيٍ عامٍ نتج منه سلوكٍ جمعي يتمثل في امتناع المسلمين من الخروج للحرب وجعلهم يزهدون الجهاد، من خلال تثبيطهم بإشاعة ان لا تنفروا في الحر، كما يذكر كتاب (بحوث في الاعلام الاسلامي): «ولقد انتهز المنافقون فرصة هذه الظروف العصيبة، ونشطوا يبثون سمومهم وينشرون (شائعات الخوف) لتثبيط المسلمين عن استعدادهم لهذا الغزو، ومما قالوا في شائعاتهم: لا تنفروا في الحر»[٢]، فأنزل الله تعالى قرآنا يصفهم بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: آية / ٨١] والذي جاء في تفسيره «انتظروا زوال شدّته ومجيء الفصل المعتدل الذي يبرد فيه الجوّ، فيعين الإنسان على تحمّل مشقّة الجهاد، ليخلقوا بذلك حالة من الارتباك والبلبلة في صفوف المسلمين»[٣]، وكذلك ورد في تفسير(التفسير القرآني للقرآن) ما نصه: «قد يكون من حديث بعضهم إلى بعض، وتحريض بعضهم لبعض على ترك الجهاد في الحرب، وذلك ليكثر عددهم، وتقوى جبهتهم،

(١) المصدر السابق، ٢ / ٧١٨

(٢) محمد فريد محمود عزت، بحوث في الاعلام السلامي، ص/ ٥٧.

(٣) محمد حسين فضل الله ، من وحى القرآن، ١١/ ١٧٨ .

وليكون للمتخلف منهم وجه من العذر، بكثرة المتخلفين غيره، وقد يكون هذا القول منهم على إطلاقه، يقولونه لكل من يلقاهم من المؤمنين، ليفتروا به الهمم، ويكسروا العزائم، حتى لا يجتمع على دعوة النبيّ للجهاد، الجيش الذي يخرج به في هذه الغزوة.. وبهذا لا ينكشف أمر المنافقين الذين عقدوا العزم على التخلّف عن الغزو، حيث لا يخفّ أحد للجهاد، إذا صحّ ما قدّروه، وعملوا له، من إشاعة الدعوة في الناس، بألّا ينفروا في الحرّ» [(١)].

ثالثاً: الدعاية والاعلام:

كون الدعاية والاعلام عيّنة معلوماتية فأنها تؤدي غايتها، متى ما تهيئتْ الارضية والمناسبة والاهتمام الاجتماعي بها، وأيّاً كانت الأسباب فإنَّ أيَّ دعاية إعلامية سلبية كانت أم ايجابية، لا بد أن تجد لماهيتها كياناً أو سقفاً يقف تحته جمهور معين من الناس، وغالباً هم من أولئك السذج الذين يتصفون بالتدني في المستوى العلمي ودرجات الادراك والوعي، وبالرغم من ذلك فأنهم يمثلون قوة من الضغط العشوائي الكبير والمؤثر في المجتمع.

١- مفهوم الدعاية:

أ-الدعاية في اللغة: ويرجع أصل الدعاية الى أرسطو طاليس في كتابه (الخطابة)[(٢)]، قال الفراهيدي(ت: ١٧٣هـ)، في كتاب العين:« دعا دعاء، وفلان داعي قوم وداعية قوم: يدعو إلى بيعتهم دعوة والجميع: دعاة »[(٣)]، وقال ابن فارس (ت: ٣٩٥):«(دعوا) الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تُميل الشيء إليك

(١)عبدالكريم الخطيب، التفسير القرآنى للقرآن، دار الفكر العربي – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤٢٤ هـ.ق، ٥/ ٨٥٧ .

(٢) محمد جودت ناصر: الدعاية والإعلان والعلاقات العامة، الناشر: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع –١٩٩٨م، ص/ ٤ .

(٣) الفراهيدي، العين، ٢/ ٢٢١.

بصوتٍ وكلامٍ يكون منك»[١]، وقال الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): «دعوت فلاناً وبفلان: ناديته وصحت به، وما بالدار داع ولا مجيب، والنبي داعي الله، وهم دعاة الحق، ودعاة الباطل والضلالة، وتداعوا للرحيل»[٢]، في حين قال ابن منظور (ت: ٧١١هـ):« دعا الرجل دعوًا ودعاءً: ناداه»[٣].

وقد وورد لفظ الدعوة في القرآن الكريم في آيات عديدة منها:

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: آية /٥]

وقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: آية / ٣٣]

وقوله تعالى ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف: آية/ ١٠٨].

وقوله تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: آية / ١٠٣]

ومما تقدم من التعريفات اللغوية يتضح إنَّ لفظة الدعاية من الفعل «دعا» الذي يشير الى «النداء»، إذ دعوة الرجل بمعنى صحت به، والدعاء الى شيء – بقصد الحث عليه، ومن دعا الى قضية ما أراد اثباتها والدفاع عنها، باطلاً كانت هي أم حق.

ب-الدعاية في الاصطلاح:

ابتعد التعريف الاصطلاحي للدعاية عن تعريفها اللغوي، من خلال اختلاطه بمفاهيم مثل الاعلام والاعلان والشائعة والحرب النفسية، والتعليم كما قيل: «ففي

(١) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٢٧٩.

(٢) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ م، ١/ ١٣٤.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، ١٤ / ٢٥٨.

الاتحاد السوفيتي سابقاً يرى الشيوعيين أنَّ الدعاية والتعليم شيء واحد» [١].

وكذلك عرفوها بأنها: «الدعاية هي نشر معلومات "حقائق" أو مبادئ أو مجادلات أو شائعات أو أنصاف حقائق أو أكاذيب وفق اتجاه معين من جانب فرد أو جماعة في محاولة منظمة للتأثير في الرأي العام وتغيير اتجاه الأفراد والجماعات باستخدام وسائل الإعلام والاتصال بالجماهير» [٢].

وهناك تعريفات لا تكتفي بوصف الدعاية بكونها علم بل تصفها بأنَّها فن كما هو تعريف الأستاذ عبد القادر حاتم بقوله: «بأنها فن إقناع الآخرين بان يسلكوا في حياتهم سلوكاً معيناً ما كانوا ليسلكوه لدونها» [٣]، وهذا يبيّن أنَّ الدعاية ليست مجرد نشر معلومات فقط، وعلى الرغم من تعدد تعريفات الدعاية، الا انَّ الغربية منها والعربية قد اقتصرت على الجانب السلبي من الدعاية، مقتصرين على كونها وسيلة خداع للرأي وتشويه وتحريف للحقيقة في حين أنَّ النبي الكريم ﷺ أستخدم الدعاية في نشر دعوته الى الخير والحق والهدى والمساواة ونشر المحبة والتأخي بين الناس، وقد مارس ﷺ أسلوب الدعاية من خلال ومواجهة المشركين وكما سيتضح لنا في التطبيقات القادمة.

ومن خلال ذلك يتبيَّن للباحث أنَّ الهدف الاساسي من الدعاية هو التأثير في توجيه الرأي العام نحو القيام بسلوك جمعي للجماهير، وانقياد ذلك الجمهور في اطار السلوك الذي رسمه له صانع الدعاية، مستخدماً الوسائل والاشكال المختلفة، وعبر وسائل التواصل الجماهيرية، مراعياً تغير الوسائل مع تغير الزمان والمكان.

وللدعاية أركان ثلاثة: (رجل الدعاية، واسلوب ومادة الدعاية، والجمهور

---

(١) علي سلطاني، الدعاية من منظور الاعلام الاسلامي، رسالة لنيل درجة الدكتوراه تخصص ك دعوة اسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، قسم اصول الدين، دعوة اسلامية ٢٠١٠م -٢٠١١م، ص/ ٩٣.

(٢) حامد زهران: علم النفس الاجتماعي،، الناشر: عالم الكتاب – القاهرة – مصر، ط/ ٥ – ١٩٨٤ ص/ ٣.

(٣) محمد عبد القادر حاتم: الراي العام وتاثره بالإعلام والدعاية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣، ص ١٤٠.

المستهدف) فصانع الدعاية لابد أن يكون ممن له كيان وشخصية قادرة على اقناع الجمهور، وأما مادة واسلوب الدعاية فيتوجب أن تكونا مما يحاكي ويناغم المشكلة التي يعيشها الجمهور، أما الجمهور المستهدف فهو الجمهور الذي يكون بمثابة الأرض الخصبة التي يمكن أن تنبت وتؤثر في فيها الدعاية.

ت-**أصل لفظة الدعاية:** وردة في قاموس أكسفورد وفي اللغات الاوربية المعاصرة بلفظة (بروباغاندا)، على أنها كلمة ايطالية أُخذت من اللاتينية ذات التسمية الحديثة Concrigato de Propaganda Fide وتعني (لجنة نشر المعتقد) التي أنشأها أحد البابوات عام ١٦٢٢، لغرض التبشير بالمسيحية، وبمرور الزمن صار لفظ الدعاية كلما أُطلق ينصرف الذهن لهذا المعنى (التبشير بالمسيحية)، ويرى بعض آخر أنَّ كلمة الدعاية (البروباجنده) وهي كلمة انجليزية أُشتقت من الفعل (Propagate)*، ومثل هذا اللفظ أُستُحدِثَ من قبل (المعز لدين الله الفاطمي ٩٦٩ – ٩٧٥) في مصر عند تأسيسه وظيفة باسم (داعي الدعاة) وبهذا يكون قد سبق البابا بأكثر من ستة قرون[١]، في حين نجد وخلافاً لكثير من الباحثين أنَّ أول من استخدم لفظة الدعاية هو الرسول الكريم ﷺ في رسائله الى ملوك العالم، كما ورد في الرسالة الى هرقل ملك الروم، والتي نصها: «"سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فان توليت فإن عليك إثم الأريسيين»[٢]، وكذلك في الرسالة الى المقوقس عظيم القبط، والى النجاشي ملك الحبشة، وغيرهم، ووفق ما تقدم يتضح أنَّ الاسلام الحنيف كان سباقا الى الاصطلاح على لفظ الدعاية بأنها وفق مفهومها الاصيل الذي يعني «الدعوة الى

(*)(Propagate) « ومعناه التنشئة والتنمية و مفهوم نشر الآراء والعادات ونقلها من شخص إلى آخر ومن جيل إلى جيل»، المصدر: محمد عبد القادر حاتم: الراي العام وتأثره بالإعلام والدعاية ص /١٣٥.

(١) يُنظر : المصدر السابق ص /١٣٥.

(٢) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري،المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة «مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي» ط/١، ١٤٢٢هـ، ٨/١.

أمر ما »[١].

٢- **مفهوم الاعلام:**

للإعلام دور كبير وبارز في حياة الشعوب والأُمم والافراد، فهو قد يكون ذا غرض مشروع وقد يكون ذا غرض غير مشروع حسب من يستخدمه والغاية من استخدامه كما هو في استخدام الاعلام من قبل كثير من الدول الاستعمارية التوسعية وغير الاستعمارية، وقبل الخوض في الموضوع توجب تعريف الاعلام وكما يأتي:

أ-**الاعلام في اللغة:** جاء في« معجم محيط المحيط" لبطرس البستاني: "الإعلام في اللُّغة مصدر أَعْلَمَ، وأَعْلَمت كأذْنيْتُ، ويقال: استَعلِمْ لي خَبَر فَلان وأعلِمْنيه حتى أعْلَمَه واستعلمني الخبر، وأعْلَمَ الفارسُ، جعل لنفسه علامة الشجعان، وأعلَمَ الفرسَ علَّق عليه صوفاً أحمر أو أبيض في الحرب، وأعلَمَ وسمها نسيما الحرب» [٢]، وقالوا: وقالوا: « والإعلام في اللُّغة مشتق من أَعْلَمَ، يقال: أَعْلَمَهُ إِعْلامَاً، بمعنى أخبره إخبار... والإعلام كذلك في اللُّغة: التبليغ، يقال: بلغت القوم بلاغاً، أي أوصلتهم الشيء المطلوب»[٣] كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص: آية/ ٥١).

ب-**الاعلام في الاصطلاح:** «الإعلام هو التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاها في الوقت نفسه»[٤].

---

(١) يُنظر: علي سلطاني، الدعاية من منظور الاعلام الاسلامي، ص/ ٩٢- ٩٣.

(٢) بطرس البستاني: محيط المحيط، مادة «علم»، ص ٦٣٩ . وانظر: ابن منظور: لسان العرب مادة «علم» . ١٢ /ص ٤١٧ .

١٦٢، وكذا، الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م ، ١/ص ١٧ .

(٣) رشاد شحاتة أبو زيد: مسئولية الإعلام الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٩٩ ط/ ١، م، ص/ ٨ .

(٤) عبد الحليم محي الدين: الاتصال بالجماهير والرأي العام، الناشر مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ١٩٩٣، ص/٧٥، وكذا: عبد اللطيف حمزة: الإعلام له تاريخه ومذاهبه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢، ص/ ٢٣.

وكذلك قالوا بأنَّه: « تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي عام صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، بحيث يُعبر هذا الرأي تعبيرا موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم...ويعني ذلك أن الغاية الوحيدة من الإعلام هي التنوير عن طريق المعلومات والحقائق والأرقام والإحصاءات ونحو ذلك» [١] .

و تستخدم الدول وسائل الإعلان الإعلامي [٢] وذلك لتوعية الجماهير لخطر ما، أو تحريضهم لغرض القيام بواجب قد يكون اجتماعياً أو سياسياً، كما يحدث في استخدم الإعلام السياسي الذي «هو عبارة عن برنامج الحزب أو المرشح المراد إيصاله للجماهير المستهدفة، وإقناعها بالبرنامج. أي إحداث التأثير المستهدف على الرأي العام لجمهور الناخبين » [٣] ، في حين تستخدم الدول القوية الاعلام للترويج عن أفكارها وصناعة الرأي العام لدى جماهير معيّنة للسيطرة على الدول الفقيرة لهدف التمكن منها واستغلالها، إذ تمارس هذه الدول ما يسمى بالغزو الثقافي، فمتى ما سيطرت هذه الأفكار نرى تأثيرها على العالم إذ نجدها تُغيّر من نمط الحياة وطريق التعامل والسلوك الجمعي والاجتماعي في معظم دول العالم وخصوصاً تلك الدول الضعيفة التي تتأثر ولا تؤثر، اذ تجدها قد فتحت أبوابها للدعايات الغربية وجعلت من شعوبها فريسة سهلة المنال لشتى التأثيرات، مما زادها فقرها فقراً وضعفها ضعفاً، وقابليتها لاستنزاف خيراتها والخضوع والاستغلال من قبل الدول القوية، حتى صار

---

(١) عبد اللطيف حمزة: الإعلام والدعاية، – ١٩٦٨ م، ص/ ٧٥ .

(٢) ينقسم الإعلان إلى قسمين كبيرين تجاري وإعلامي، انظر حسن محمد خير الدين: مقدمة العلاقات العامة المبادئ والتطبيق، ط ٢، مكتبة عين شمس، القاهرة ١٩٦٠، ص ٢٨ . هذا على المستوى العام، ولان ما يعنينا بالدراسة الإعلان الإعلامي، إلا ان هناك تقسيمات عدة للإعلان وأقسام كثيرة منها «الإعلان التعليمي، الإعلان الإرشادي او الإخباري، الإعلان الترويجي ، يُنظر:: احمد عادل ذكيري، الإعلان الإعلامي، الإعلان التنافسي، الإعلان الأهلي او العام، الإعلان المحلي، الإعلان الصناعي او الفني، راشد: الإعلان، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١ م، ص / ٤٦.

(٣) علي سلطاني، الدعاية من منظور الاعلام الاسلامي، ص/ ٤٧.

مألوفاً مصطلح العولمة والذي يعني «هي الحالة التي تتم فيها عملية تغيير الأنماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ومجموعة القيم والعادات السائدة وإزالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث »[١].

٣-**الفرق بين الدعاية والاعلام:** من خلال ما تقدم من تعريفي الاعلام والدعاية المتقدمين يمكن استنتاج بعض الفروقات بين الاعلام والدعاية وكما يأتي:[٢]

أ- الاعلام يتناول حقائق مجردة، قد يكون بعضها سارياً، وبعضٌ منها غير سارٍ، أما رجل الإعلام غالباً والمفروض أنه لا غرض له فيما ينشر الا ذات الاعلام فقط، في حين تهدف الدعاية لتحقيق غاية معينة.

ب-رجل الاعلام يفترض أن يكون موضوعياً في نقل أفكاره، والا يتحول الاعلام الى دعاية، وهو ما يحصل في الغالب.

ت-غالباً ما يكون مصدر المعلومات الاعلامية معروفاً، بينما مصدر المعلومات في الدعاية فغالباً يكون غير معروف.

ث- دائماً ما يحاول الاعلام زيادة وتوسعة المشاركة الجماهيرية، لغرض إيصال الجمهور واشراكه في صنع القرار، وبخلافه الدعاية التي هدفها إضعاف المشاركة والعرقلة ووضع الحواجز ما بين الجمهور والحقيقة، ونشر الطاقات السلبية واليأس عند الخصوم، ونشر الايجابية والثقة عند الاتباع.

ج-كل الاساليب متاحة عند مستخدمي الدعاية، فتراهم يستخدمون الوسائل الاخلاقية واللأخلاقية مثل التمويه والكذب والخداع والتشويه المبالغة والحذف، والاختلاق والاشاعة، فكل الوسائل عندهم مباحة من أجل الوصل الى الغاية المنشودة والتأثير على رأي الجمهور، وسلوكه السلوك المطلوب، في حين يفترض في مهنة الاعلام الصدق والامانة، واتباع الاساليب المهنية والاخلاقية، على الرغم من خرق هذه القاعدة.

---

(١) صالح الرقب: العولمة، الجامعة الإسلامية، فلسطين، ط/ ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ص /٨ .

(٢) يُنظر: علي سلطاني، الدعاية من منظور الاعلام الاسلامي، ص/ ٧٧- ٧٨.

ح- ساعد الاعلام الناس على تكوين وجهات نظر مختلفة، واصدار الاحكام، في حين الدعاية تحاول الاستحواذ على عقل الجمهور وكل مدركاته للتحكم بها.

خ- تتميز الدعاية في استعمالها الكلمات، والشعارات، والجمل القصيرة ذات التأثير الفعال، أما الاعلام فعادة ما يستند الى الاحصاءات ولغة والارقام في تأكيد مخرجاته.

د- تستغل الدعاية جهل الجمهور، وطالما استندت الى التقليد والايحاء، فلا تعطي للمتلقي الوقت الكافي للتفكير، بل تنمي التسرع والعجلة والابتعاد عن التركيز.

ذ - يضحي رجل الدعاية بكل شيء من أجل تحقيق غايته، ولا تعمل الدعاية على تنبيه وايقاظ الجمهور، كما هو عمل الاعلام، بل تعمل في أكثر الاحيان على خداع وتخدير التفكير والتلاعب بالغرائز.

٤- **الدعاية والاعلام في القرآن الكريم:** كان اهتمام القرآن الكريم بجانب الدعاية والاعلام كبيراً، فقد أولى المواجهة الاعلامية الاهتمام الكبير، وبإيصال المعلومة الصادقة، حفاظاً على الرأي العام عند جمهور المسلمين من التلوث بأساليب الحرب النفسية، اضافة الى توجيهه بالوجهة السليمة، لينتج عنه السلوك الجمعي السليم الذي يحاكي الواقعة أو الحدث في آنه، وبالمقابل صناعة رأي عام عند الاعداء فيسهل حصول السلوك الجمعي المتمثل بخضوعهم وانكسارهم أو دخولهم في الاسلام مهتدين الى سبيل الرشاد، فنجد تركيز القرآن الكريم على مجموعة من الأساليب الاساسية منطلقاً من أُسس وقواعد نفسية بالغة الأهمية، من خلالها يبني عند الجمهور الدوافع، فيكتسب استجابتهم ليربح الموقف، ومن أهم هذه الأُسس هي:[١]

أ- **كشف القرآن الكريم ورده للدعاية المضادة :** فلا يكون لها فاعلية في تشكيل رأي عام معادي للإسلام، وبالمقابل توجيه رد ضد مروجيها ويتضح ذلك من خلال آيات متعددة منها:

(١) يُنظر: علي سلطاني، الدعاية من منظور الاعلام الاسلامي ص/ ٥٨٦ - ٦٠٨، ويُنظر: مقال منشور بعنوان: اسلوب المواجهة الإعلامية في القرآن، الناشر: الموسوعة الاسلامية في ٣١/ ١٠ ، ٢٠١٢.

أولها: قوله تعالى: «قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُم إِن كُنْتُمْ صادِقِينَ» [البقرة: آية / ١١١] بعد أن قالت اليهود والنصارى: ﴿وَ قالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى ﴾ [البقرة: آية / ١١١] وهذا ليس الا أسلوب من أساليب الدعاية عن طريق الكذب ليضعّفوا من عزيمة المسلمين ويصنعوا رأياً عاماً عندهم بأنهم(المسلمين) على خطأ فيكون سلوكهم ترك الاسلام، الا أن القرآن الكريم واجه تلك الجماعات بالسخرية والاستهزاء بهم من خلال تعريتهم مما يدَّعون بالحجة والبرهان القاطعينِ، وثَبَّت المؤمنين وجعل سلوكهم هو التمسك بالدين الحنيف، يقول فضل الله: «أن القرآن الكريم اتخذ هذا فصل جديد من السورة، يدخل فيه القرآن معهم في حوار غير مباشر، أو يوحي للنبي بالدخول معهم في ذلك، و هو جزء من حملة التوعية العملية للمسلمين لمعرفة ما حولهم و مَنْ حولهم، و أسلوب من أساليب التعرية للواقع الداخلي لهذه الجماعات من خلال الأوهام الساذجة التي يحملونها عن مصيرهم و مصير غيرهم من الناس من دون استناد إلى ركن وثيق، فهم يحسبون أن الجنة محجوزة لليهود و للنصارى، فهذا هو ما يقوله اليهود عن أنفسهم، و ما يقوله النصارى عن أنفسهم، طلب البرهان على صدق دعواهم: ﴿وَ قالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى﴾ [البقرة: آية /١١١] و لكن القرآن يواجه هذه الأوهام بتعليق ساخر مهذّب:﴿ تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ ﴾، و لكلّ إنسان مطلق الحرية في تمني ما يشاء لنفسه، فإن مساحة الأماني الذاتية واسعة سعة الخيال، فإذا كانت كلماتهم هذه من وحي التمنيات، فلتكن لهم حريتهم في إطلاقها كما يريدون، و إذا كانت من وحي العقيدة التي تحدد للإنسان مصيره الذي يبني عليه حياته، فلتكن المواجهة من باب النصيحة و التحدي، ﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ ﴾على ذلك، بتقديم الأسس العقيدية التي تحدد للإنسان قضية المصير في الآخرة من الجنة و النار، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ في هذه الدعوى، لأنّ الصدق يتطلّب الإثبات الذي ترتكز عليه القناعة العقلية و الوجدانية، و هذا ما يفقده هؤلاء في ما يملكونه من وسائل الإقناع و الإثبات »[(١)] .

(١)محمد حسين فضل الله ، من وحى القرآن، ٢ / ١٧٢ .

ويرى الباحث أنَّه بهذا البيَان الرائع لتفسير قول الله تعالى تندحر هذه الدعاية المغرضة للإسلام والمسلمين، فيتكون رأياً عاماً عند المؤمنين بأنَّ دعوى اليهود والنصارى هذه باطلة ويترتب عليها سلوكٌ جمعيٌّ عند جميع المؤمنين بالعمل الصالح والاحسان في جميع مجالات الحياة لغرض نيل رضا الله تعالى والدخول الى الجنة التي لا يدخلها الا من كانت تلك هي صفاته، وفي نفس الوقت يكون تأثير ذلك السلوك الجمعي الذي يتحول مع مرور الزمن الى سلوك اجتماعي من خلاله يتحسن حال المجتمع عبر سلوك المؤمنين في الاحسان للغير وتقديم كل ما هو نافع في جميع مفاصل الحياة.

ثانيها: وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: آية/ ١٣-١٤]، أنَّ كفار مكة أثاروا دعاية كاذبة بأن هذا القرآن من مفتريات النبي ﷺ كما هي دعوى كثير من مدعي الحداثة المعاصرين الذين يدَّعون بشرية النص القرآني، اذا يقول صاحب كتاب (افتراءات المستشرقين): « إنَّ للمستشرقين مقولاتٍ وأوهاماً كثيرة حول القرآن مصدراً واسلوباً نعرض- هنا - لمقولة: أنَّ القرآن صياغة جديدة لما ورد في التوراة أو العهد القديم، ولما ورد في الانجيل (الاناجيل) أو العهد الجديد، ومعنى هذا -عندهم- أنَّ القرآن ليس له مصدر سماوي مستقل، ويقولون: إنَّ محمداً ﷺ استقى القرآن من أهل الكتاب يهوداً ونصارى؟»[(١)]، فكان الرد مُزلزلاً لهم متحدياً لهم بأنَّكم ايها المنكرون لسماوية النص القرآني وبالرغم من عربيتكم وفصاحة لسانكم، فضلاً عن المستشرقين الذين يتصفون ببعدهم عن العربية وكل صفاتها ومزاياها وخصوصياتها، فأتوا ولو بسورة واحدة منه وادعوا من استطعتم من دون الله، فقد أرادوا

(١) عبد العظيم ابراهيم محمد المعطي، افتراءات المستشرقين على الاسلام عرض ..ونقد، الناشر: مكتبة وهبة - القهرة -مصر، ط/١ -١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص/ ١٣.

صناعة رأي عام بأنَّ هذا القرآن مفترى، ولكن رُدّت دعواهم في نحورهم وتبيّن عجزهم وتأكد الرأي العام عند المسلمين ومن أراد الدخول في الاسلام بأن القرآن كتاب منزل من عند الله ، كما جاء في تفسير ذلك:« أَمْ يَقُولُونَ يعني: أ يقولون افتراه؟ وهم كفار مكة، افْتَرَاهُ يقول: تقوّله من تلقاء ذات نفسه، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾، يعني: مثل القرآن؛ وادْعُوا، يعني: استعينوا على ذلك مَنِ اسْتَطَعْتُمْ ممن تعبدون، مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ بأنَّه تقوّله من تلقاء نفسه، فلما قال لهم ذلك، سكتوا ولم يجيبوا، فنزل قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾، يعني: بما لم يعلموا بعلمه، يعني: القرآن لم يعلموا بما فيه، ويقال: لم يعلموا ما عليهم بتكذيبهم، ولَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ، يعني: ولما يأتهم عاقبة ما وعدوا في هذا القرآن، يعني: سيأتيهم ما وُعد لهم، وهو كائن في الدنيا بالعذاب، وفي الآخرة بالنار»(١).

ويرى الباحث أنَّ كل ذلك يمنع من حصول رأي عام مضاد للإسلام الأمر الذي يمنع من وقوع سلوك جمعي مخالف للدين الاسلامي، بل يقع العكس منه عند المسلم وغير المسلم بأن يتشكل رأياً عاماً بأنَّ الاسلام هو دين الله، فيدخل الناس فيه افواجاً بسلوكٍ جمعي يدفعهم له قوة حجة الاسلام واندحار حجة الخصوم.

ب-التسقيط: استعمل القرآن الكريم الاعلام كأسلوب ذا فاعلية نفسية ليهزم الخصوم من الداخل بشعورهم بالاندحار والهزيمة في اعماق النفس، وتفاهة الشخصية، فيتشكل عندهم شعور يؤدي بهم الى رأي عام بأنَّ حُجة القرآن أقوى من حجتهم، الامر الذي يقودهم الى سلوكٍ جمعي نتيجته الفشل أو الاهتداء الى الاسلام وفي ذلك نصوص عديدة منها:

أولها: قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نارًا فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة: آية/ ١٧-١٨]، وقد ورد لهذه الآيات تفسيرات كثيرة عند المفسرين كلُ يفسر حسب ما جناه من علم في التفسير الروائي واللغوي والبلاغي والموضوعي، أو حسب

(١) السمرقندي، نصر بن محمد، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، ٢ / ١١٧.

ما أحاط به من الاعجاز القرآني، أو ما وصله من مخزون روائي، لكن الباحث يغترف من كل ذلك البحر الزاخر للتفسير ما يهم وينفع بحثه وهو كيف أن الله تعالى يستعمل الاعلام من خلال التصوير البليغ لحال المنافقين ليرسم في نفوسهم الخسران ويهزمهم من الداخل، فيتشكل عندهم رأياً عاماً بأنَّهم لا دليل لهم وأنهم تائهون، وكما جاء في تفسيرها: «فإنَّ ضرب المثل والتشبيه أوقع في النّفس وأقمع للخصم اللّجوج، فإنّه ألدّ الخصام لأنه يجعل المتخيّل كالمحقّق والمعقول كالمحسوس، والمثل في الأصل النظير، ثم أطلق على القول السائر، ولا يضرب إلّا لما فيه غرابة»[(١)].

فيرى الباحث إنَّ هذا وأمثاله من الامثلة التشبيهية ما هي الا أساليب اعلامية لتقريب الصورة للمشككين والضالين طريقهم حتى يهتدوا فيكون رأيهم العام صحة الاسلام وخطأ ما هم علية فينقلبوا على واقعهم ليسلكوا سلوكاً جمعياً وهو ترك الشرك والدخول في الاسلام، فقد ورد في تفسير (مواهب الرحمن) الآيات الكريمة المتقدمة: « و كانت الأمثال دائرة بين الأمم خاصة عند العرب بل كان استعمالها يُعّد من شؤون الفصاحة والبلاغة، وقد نهج القرآن الكريم في استعمال الأمثال لغرض تفهيم المخاطبين والتكلم معهم بلسانهم المتعارف بينهم، وجلْب قلوبهم إلى غير ذلك من الحِكم والفوائد، وقد اهتم القرآن الكريم بها اهتماما كبيرا، فقال تعالى: ﴿ولَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [سورة الروم، الآية: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿ وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة ابراهيم، الآية: ٢٥] »[(٢)].

ثانيها: وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: آية/ ١٧٩].

---

(١)محمد السبزواري ، الجديد في تفسير القرآن المجيد، دار التعارف للمطبوعات – لبنان– بيروت، ط/ ١، ١٤٠٦ هـ.ق، ١ / ٤٣ .

(٢)عبد الاعلى السبزواري ، مواهب الرحمن في تفسير القرآن /، الناشر : مكتب سماحه آيت الله العظمى السبزواري، ١٤٠٩ هـ.ق، ١/ ١٠١ .

يتضح للباحث **إنَّ** القرآن الكريم يُبيّن وباسلوب اعلامي بليغ بأنَّ كثيراً من الجن والانس خُلقوا ليكونوا في جهنم لأنَّهم عطلوا عقولهم فصار سلوكهم سلوك القطيع في الوقوف ضد الحق لأنهم لا يبصرون ولا يسمعون الحقيقة التي بيَّنها لهم ربهم بواسطة الرُسل والانبياء حتى صاروا أضل من الانعام، فيصعقهم بهذه الحقيقة لعلهم يهتدوا فيتشكل عندهم رأياً عاماً بالاهتداء الى الحق فينقلبوا بسلوكٍ جمعيٍّ الى الدخول في الاسلام، ونستشهد على ذلك بالتفسير الآتي: «يعني: خلقنا لجهنم كثيرا مِنَ الْجِنِّ والْإِنْسِ..... ثم وصفهم فقال تعالى: لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها يعني: لا يعقلون بها، ثم قال: ولَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها يعني: الهدى ولَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها يعني: الهدى، ثم ضرب لهم مثلا آخر فقال: أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ فشبههم بالأنعام لقلة رغبتهم وتغافلهم عن الحق. يعني: إنهم كالأنعام في اذهانهم لا في صورهم، لأنه ليس للأنعام إلا الأكل والشرب، فهي تسمع ولا تعقل، كذلك الكافر هو غافل عن الأمر والنهي والوعد والوعيد. ثم قال: بَلْ هُمْ أَضَلُ سبيلا يعني: الكفار أخطأ طريقا من الأنعام»[(١)].

فيرى الباحث أنَّه تعالى بهذا الاسلوب الاعلامي البليغ يريد أنَّ يخلق رأياً عاماً في النفوس سواء المشركين أم المسلمين أنَّه يجب عليهم دوماً العودة الى العقل والتفكر بما جاء به الرسول الكريم ﷺ، وذلك ما يليق بالإنسان الذي كرمه الله على جميع المخلوقات، لكي لا ينزل في المستوى دون الانعام، فاذا تشكَّل ذلك الرأي العام ينتج عنه السلوك الجمعي الممدوح في أنَّهم يكونوا مسلمين يعمرون الارض، ولا يفسدون فيصلح المجتمع بسلوكهم الخيِّر الموافق لما أمر الله تعالى به.

وفي الوقت نفسه نجد هذه الآيات المباركة تُبيّن وبأسلوب اعلامي بليغ أن الرأي العام عند المشركين من الجن والانس على غاية من الخطأ والضلال، علماً انَّه ليس أمراً خُلقوا عليه، بمعنى أنهم لم يُخُلقوا مُجبرين على أن يكونوا كافرين وعصاة، انما هو رأيهم العام الذي اختاروه بأنفسهم، كما يصفهم الشيخ الطوسي في تفسير(

(١) السمرقندي، نصر بن محمد، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، ١ /٥٦٨

التبيان) بقوله: « والمعنى أنَّه لما كانوا يصيرون اليها بسوء اختيارهم وقبح أعمالهم جاز أن يقال: إنه ذرأهم لها والذي يدل على ان ذلك جزاء على أعمالهم قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها ﴾، وأخبر عن ضلالهم الذي يصيرون به الى النار، وهو مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً﴾ [آل عمران: آية / ١٧٨] ومثل قوله ﴿رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ ومَلَأَهُ زِينَةً وأَمْوالًا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾[يونس: آية / ٨٨]» (١).

فيرى الباحث أن ذلك الأمر انتج عندهم سلوكاً جمعياً رافضاً الى كل سبل الهداية والرشاد من خلال فسادهم في الارض على مختلف صور المعاصي والذنوب.

ت-الإهمال: من الوسائل الاعلامية استعمال الحرب النفسية التي استخدمها القرآن الكريم في مواجهته الاعلامية للخصوم عن طريق عدم الاعتناء بالخصم واهماله، حتى يشعر بصغر حجمه، فيكون عند الخصوم رأياً عاماً داخلياً يُثَبِّتْ قوةِ الجانب الاسلامي وتمكّنه وضعف جانب الخصم وضآلة قدرته، وهو اسلوب افضل وأقوى من الدخول معهم في حرب كلامية، كما ورد ذلك في نصوص قرآنية كثيرة منها:

أولها: قوله تعالى: ﴿وَإِذا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً» [الفرقان: آية / ٦٣]، يقول في تفسيرها صاحب الميزان: «أي إذا خاطبهم الجاهلون خطابا ناشئا عن جهلهم مما يكرهون أن يخاطبوا به أو يثقل عليهم كما يستفاد من تعلق الفعل بالوصف أجابوهم بما هو سالم من القول وقالوا لهم قولا سلاما خاليا عن اللغو والإثم، قال تعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً ولا تَأْثِيماً إِلَّا قِيلًا سَلاماً سَلاماً﴾ [الواقعة: آية / ٢٦]، ويرجع إلى عدم مقابلتهم الجهل بالجهل» (٢)، الأمر الذي يجعل من المسلمين المؤمنين دعاة الى الله وللإسلام صامتين أو بحُسن الخُلق، حتى يحصل عند الخصوم من غير المسلمين أو المؤمنين احساس ورأي عام أنَّ الاسلام هو دين قوي يتميز بالصفاءِ والنقاوة والطهارة، فيتحول ذلك الرأي العام الى سلوك جمعي عند

(١) الطوسي، محمد بن حسن، التبيان في تفسير القرآن، ٥ / ٣٦ .

(٢)محمد حسين الطباطبايى ، الميزان في تفسير القرآن، ١٥/ ٢٣٩ .

الخصوم يتمثل بالدخول أفوجا بالإسلام كما في قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾«النصر: آية /٢] التي جاء في تفسيرها: « وكان الناس يترقّبون النتائج النهائية للصراع الدائر بين المسلمين وقريش، ليحددوا موقفهم، وكانوا يأملون أن تكون النتيجة لمصلحة المسلمين، فلما كان فتح مكة وتحقق الوعد الإلهي، وتحطم الحاجز النفسي والمادي الذي كان يحول بينهم وبين الدخول في الإسلام، دخلوا في دين الله أفواجا، وتحوّل الواقع إلى موج هادر يكتسح أمامه كل شيء»[(١)].

ويرى الباحث إنَّ انكسار العدو وتحطم منظومته الاخلاقية عن طريق هذا الاسلوب الذي يرسمه القرآن الكريم هو الذي يبني الرأي العام الذي يوجه الناس نحو الاسلام فيكون سلوكهم الجمعي الدخول في دين الله أفواجا، وهذا الذي يجب أن يكون عليه حال المسلمين في العالم اليوم لا أن يتصف سلوكهم بالإرهاب فينفر المجتمع البشري من الاسلام، كما فعلت المنظمات الارهابية، التي تلبس لباس الاسلام اليوم، والإسلام منهم براء.

ثانيها: قوله تعالى: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [الأنعام: آية/ ١٠٨].

يمنع الله تعالى المسلمين وينهاهم عن سب آلهة أو رموز الكافرين تجنباً لأن يقوموا بسب الله الجليل هذا أولاً، وثانياً ما دمنا أصحاب رسالة نريد ابلاغها للناس توجب أن ندعو لها بأحسن وسائل الدعاية والاعلام وذلك من خلال نشر فكر التسامح والخُلق الرفيع الذي يسمو على ما هم فيه، كما ورد في(التفسير الكبير): فقد « دلت هذه الآية على انه لا يجوز ان يُفعل بالكفار ما يزدادون به بعدا عن الحق ونفورا، إذ لو جاز ان يفعله لجاز ان يأمر به، وكان لا ينهى عما ذكرنا، وكان لا يأمر بالرفق بهم عند الدعاء، كقوله لموسى وهارون: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ

(١)محمد حسين فضل الله ، من وحى القرآن، ٢٤ / ٤٦٧ .

أَوْ يَخْشى﴾ [طه: آية / ٤٤]، وذلك يبين بطلان مذهب المجبرة»[١].

اذ يرى الباحث إنَّ مثل هذا الخطاب الذي يدعو اليه القرآن الكريم قد يُثير انتباههم فيُؤثر في نفوسهم فيتكوّن بذلك رأيٌّ عامٌ عند الجميع بأن الاسلام فوق كل التفاهات والخرافات والجهل الذي يدَّعونه، الأمر الذي يُوقع في قرارة نفوسهم الانتباه لما نحن عليه من دعوة للخير، والعودة الى الفطرة السليمة التي فَطَرَ اللهُ الناسَ جميعاً عليها فيسلكون سلوكا جمعياً بدخولهم الاسلام كما يصف ذلك صاحب (الظلال): «إن الطبيعة التي خلق الله الناس بها، أن كل من عمل عملا، فإنه يستحسنه، ويدافع عنه! فإن كان يعمل الصالحات استحسنها ودافع عنها، وإن كان يعمل السيئات استحسنها ودافع عنها، وإن كان على الهدى رآه حسنا، وإن كان على الضلال رآه حسنا كذلك! فهذه طبيعة في الإنسان... وهؤلاء يدعون من دون الله شركاء... مع علمهم وتسليمهم بأن الله هو الخالق الرازق... ولكن إذا سب المسلمون آلهتهم هؤلاء اندفعوا، وعدوا عما يعتقدونه من ألوهية الله، دفاعا عما زُين لهم من عبادتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وتقاليدهم! فليدعهم المؤمنون لما هم فيه»[٢].

ث- **الاستمالة والتأثير بالحسنى:** ويرى الباحث إنَّ هذا الاسلوب الاعلامي بعيدٌ لفظاً، و قريبٌ في المعنى عن الاسلوب السابق غير أنَّ اسلوب الاهمال، هو أسلوب للدعوة غير المباشر، في حين هنا يكون الاسلوب الدعائي والاعلامي مباشر من خلال التعامل بالكلام والفعل الطيب والحسِنْ، ليشعر المتلقي بالاحترام من قبل الذي يُخاطبه بالكلام الموجه له، وبحُسن النيّة، الأمر الذي يعكس الصورة المضيئة الناصعة للإسلام في قرارة النفوس، فنكسب ود وثقة الجماعات المخالفة فيستطيع الاسلام أن يجد له منفذاً في نفوسهم ليتقبلوه سلوكياً في جميع نشاطاتهم، ومن الآيات المباركة التي حثت على مثل هذا الاسلوب ما يأتي:

---

(١) الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير «مفاتيح الغيب»، ٣٢جلد، دار إحياء التراث العربي – لبنان – بيروت، ط/ ٣، ١٤٢٠ هـ.ق، ١٣/ ١١٠ .

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢ /١١٦٩ .

أولها: قوله تعالى: ﴿... ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصّلت: آية/ ٣٤]، التي ورد في تفسيرها: «، معناه دارِ القوم ولا تغلظ عليهم حتى كأنَّ عدوك الذي يعاديك في الدين بصورة وليك من حسن عشرتك له و بشرك له، و يدعو ذلك ايضاً عدوك إلى أن يصير لك كالولي الحميم، و قيل: المراد ان من أساء اليك فأحسن اليه ليعود عدوك وليك، و كأنَّه حميمك، والحميم القريب الذي يحم لغضب صاحبه»[(١)]، ورُبَّ سائل يسأل فيقول: «هل الاسلام دين ارهاب وعنف ؟»[(٢)]، الجواب على مثل هكذا سؤال: إنَّ الاسلام أقرَ مبدأ (عدم الجبرية) ويتضح ذلك من ظاهر الآية المباركة: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: آية / ٢٥٦) والذي يُوضح معناها أكثر هو ما ورد في تفسيرها: «أن المستفاد من شأن نزول هذه الآية هو أن بعض الجهلاء طلبوا من رسول الله ﷺ أن يقوم بتغيير عقائد الناس بالإكراه والجبر فجاءت الآية جوابا لهؤلاء وأن الدين ليس من الأمور التي تفرض بالإكراه والإجبار وخاصة مع كل تلك الدلائل الواضحة والمعجزات البيّنة التي أوضحت طريق الحق من طريق الباطل، فلا حاجة لأمثال هذه الأمور»[(٣)].

فيرى الباحث ومن خلال الآيات القرآنية وتفسيرها اذ يتضح احتواء الفضاء الدلالي لهذه الآيات المباركة على مفردات ومعاني لمفهوم التسامح والرقة واللين والرفق والرحمة، لا كما هي الصورة المشوهة التي رسمتها المنظمات الارهابية المحسوبة على الاسلام في وقتنا الحاضر، الامر الذي جعل الناس تنفر من الاسلام وتتطاول على الدين والقرآن والنبي الاكرم ﷺ والذي تجلى في حرق المصحف الشريف، والرسوم الكاريكاتورية المتطاولة على شخصية النبي ﷺ، في حين نجد القرآن الكريم يدعو الى خلاف ذلك، اذ يدعو الى نشر الخير والسلام والمحبة والتقرّب

(١) الطوسى، محمد بن حسن، التبيان في تفسير القرآن، ٩/ ١٢٥.

(٢) رغد سليم، بحث بعنوان: مفهوم التسامح الاسلامي وانعكاساته على واقعية التعايش السلمي، الناشر: مجلة بيت الحكمة، مجلة الدراسات الفلسفية العدد: ٣٦ – ٢٠١٥م، ص/ ١٠.

(٣) الشيخ ناصر الشيرازي، مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢/ ٢٥٩ .

حتى في اسلوب الحوار مع المسلم وغير المسلم ومن جميع الديانات كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[العنكبوت: آية /٤٦]، فأن قال بعض المفسرين من الجمهور أنَّ هذه الآية منسوخه بإطلاق آية السيف، يُجيب السيد الخوئي ﷺعلى ذلك في تفسيره «البيان» فيقول: «وإن استندوا فيه إلى إطلاق آية السيف وهي قوله تعالى:﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾، فمن الظاهر أن المطلق لا يكون ناسخاً للمقيد، وإن كان متأخرا عنه»[(١)]، لأنَّ التقييد حاكم على الاطلاق.

كما ويؤكد هذا الاسلوب من الدعاية والاعلام في الاسلام، بأنْ تكون الدعوة للآخر بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة لا بالإرهاب وسفك الدماء، في سورة النحل، كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[النحل: آية / ١٢٥]، التي ورد في تفسيرها: « إن الآية هذه تدل على ضرورة تحكيم العقل في أسلوب الدعوة إلى الله.....الدعاة: التزام العدالة في معاملة الأعداء، فلا يسرف في العقوبة، بل يسعى الدعاة في تجاوز أنفسهم، وأن يتنازلوا عن حقوقهم من أجل المصلحة العامة»[(٢)].

من هنا يرى الباحث أنَّه يتبيَّن من كل ما تقدم من الآيات المباركة وتفسيراتها التي جاءت بأسلوب الدعاية والاعلام، إنَّ الغاية منها أن يتشكل عند المخالف والمؤالف، غير المسلم، وحتى المسلمين على اختلاف مذاهبهم رأياً عاماً بأن الاسلام هو دين السلام والخير والمحبة والحوار بالحكمة والأفة والود والتسامح، لا دين الارهاب وسفك الدماء والعنف، والذي يقود الى سلوكٍ جمعيٍّ عند مختلف الجماعات المخالفة بالإقبال على الاسلام، وعند الجماعات المسلمة سلوك الحوار بالود للوصول الى الحقيقة التي عليها الدين الحنيف.

---

(١)أبو القاسم الموسوي الخوئي ، البيان في تفسير القرآن، الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ص/ ٣٠٥.

(٢) محمد تقي المدرسي ، من هدى القرآن، ٤/ ٣٨٨.

ج – **الموضوعية والإقناع المنطقي:** يقول أحد الكتّاب: « وكما يخاطب الإعلام الجانب النفسي والعاطفي عند الإنسان، ويستعمله كمدخل لشخصية المتلقي للخطاب الإعلامي، وللتأثير على مساحات واسعة من الرأي العام، فإنّه يستخدم الإقناع المنطقي، والأسلوب العقلي، والموضوعية العلمية، بدعوة الطرف الآخر إلى الحوار»[(١)]، عن طريق هذا الاسلوب المنطقي يشعر المقابل بالثقة في نفسة من الجانب الاسلامي، منطلقاً من موقع القوة لا الضعف أو الجبر، ومن خلال الاقناع العقلي، لكون الإسلام يؤمن بأنَّ العقل هو الاصل والأساس القوي الذي يُبنى وفقه السلوك الإنساني، وأنَّ القناعات والافكار السليمة التي تُبنى وفق المنطق والعقل، هي من تبقى راسخة وثابتة وتكون أكثر تأثيراً في السلوك الإنساني، وعليه نجد الفكر والعقيدة الاسلامية مبنية وبصورة أساسية على العقلانية والاقناع المنطقي الموضوعي، ويتجلى ذلك بشكل ظاهر للعيان ولكل ذي لب في حوار الرد على الدعاية المضادة، التي وجِهت لشخص النبي ﷺ ودعوته الاسلامية، ومن خلال قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الأعراف: آية/ ١٨٤] الخطاب المباشر حسب سبب النزول موجه الى قريش التي ادعت بدعاية الجنون على شخص النبي ﷺ، فخاطبهم القرآن الكريم بأسلوب اعلامي بليغ اذ دعاهم الى التفكر والى منطق العقل الذي نتائجهُ لا تُخطئ، كما يذكر ابن كثير(ت:٧٠٣هـ) في تفسيره قوله تعالى:« أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِنَا مَا بِصاحِبِهِمْ يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ جِنَّةٍ أَيْ لَيْسَ بِهِ جُنُونٌ..... يَقُولُ: إِنَّمَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ أن تقوموا قِيَامًا خَالِصًا لِلَّهِ لَيْسَ فِيهِ تَعَصُّبٌ وَلَا عِنَادٌ مَثْنى وَفُرادى، أَيْ: مُجْتَمِعِينَ وَمُتَفَرِّقِينَ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا فِي هَذَا الَّذِي جَاءَكُمْ بِالرِّسَالَةِ مِنَ اللَّهِ أَبِهِ جُنُونٌ أَمْ لَا، فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ بَانَ لَكُمْ وَظَهَرَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا»[(٢)].

(١) مقال منشور بعنوان: اسلوب المواجهة الإعلامية في القرآن، الناشر: الموسوعة الاسلامية في ٣١/ ١٠ م

(٢) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي «المتوفى: ٧٧٤هـ»، تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت،

ويرى الباحث إنَّ هذا الاسلوب من الاعلام المضاد للدعاية المغرضة الذي يستند الى المنطق ويحاكي العقل سوف يخلق رأياً عاماً عند غير المسلمين والمخالفين المنصفين لا المعاندين، أن الاسلام دين منصف اذ يدعونا الى التفكر والاستدلال العقلي والبرهان والحجة الناصعة، الأمر الذي يُنتج انقلاباً سلوكياً ثمرته سلوكاً جمعياً ينبذ التطرف ويعود بهم الى التعقل و الموضوعية حتى الدخول في الاسلام.

ويمكن بيّان ذلك من قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: آية/ ٦٤]، هذا هو الاعلام الإلهي الذي يستند الى المنطق والعقل والحجة والبرهان في الاقناع لمن يطلب الحقيقة اذ ورد في تفسير الآية الكريمة:« في هذه الآية حديث مع أهل الكتاب في أسلوب جديد من أساليب الحوار التي أراد الله للنبي ﷺ في ما خاطبه به في وحيه، أن يواجه به هؤلاء الذين يريد الإسلام الوصول معهم إلى نقطة اللقاء على أساس القناعة في الفكرة الواحدة، أو التعايش في موقف التفاهم وإقامة الحجة الواضحة التي لا ريب فيها ولا التباس... »[(١)]، وفي ضوء ذلك يتكون الرأي العام عند المخالفين المنصفين ان الاسلام دين يدعو الى منطق التفكر والتعقل لا منطق الخرافة والعادات والتقاليد التي لا تستند الى المنطق والعقل، الأمر الذي يأخذ بأيدي طلاب الحقيقة المنصفين أين ما يكونوا ويتوجه بهم الى سلوكٍ جمعيّ للتفكر والى مراجعة العقائد والأديان حتى وصولهم الى الحقيقة الناصعة ألا وهي الاسلام.

ح- تحطيم رموز الخصوم للإسلام: تُمثل القيادة الرمز والقوة المركزية، وهي الموجِّه والمشغِل الحركي للأمة والجماعات، اذ تتناسب قوة ارتباط الأمة وصعوبة اختراقها طردياً مع ثقة الأمة برموزها وقوة تحصيناتها الدعائية والفكرية، وعليه فإنَّ تلك القيادة

ط/ ١ - ١٤١٩ هـ ٣/ ٤٦٧.

(١)محمد حسين فضل الله ، من وحى القرآن، ٦ / ٧٧ .

والرمز تُعد الهدف الأول للإعلام المضاد وحربه النفسية، فتوجب على الاعلام الصادق كشف الحقائق للناس وتحطيم الرموز والقيادات المعادية للإسلام وللحق، عَبْرَ عزل تأثيرها، وتدمير ثقة الجماعات بهذه الرموز والقيادات، وقد استعمل القرآن الكريم هذا الاسلوب الاعلامي في تعرية القيادات الضالة المنحرفة وكشف جنايتهم وزيفهم وإظلالهم للأمة، ومن يتبعونهم، وفك الارتباط، وتحطيم تأثيرهم النفسي على الرأي العام، ويتجلى ذلك من خلال الحملة الاعلامية عبر الآيات التي تصدت لفرعون والنمرود وكذلك رموز الكفر في قريش أمثال ابو لهب وأبو جهل وغيرهم وكثير من الطواغيت والمنحرفين والمستكبرين، وبيان نتيجة من اتبعهم وكيف أنَّهم سيتخلون عنهم يوم القيامة، وبالمقابل يتبنى الخطاب الاعلامي القرآني الدفاع عن المستضعفين وبذلك يفصل بين القيادة الطاغية المتسلطة وبين الرأي العام، حتى يتمكن من ايصال وقبول خطاب الانبياء والمصلحين للجمهور ليصل بهم الى سلوك جمعي بقبول الدعوة لله والدخول في دين الله ونبذ الشرك والوثنية وكل ما يتعلق بها من سلوكيات جاهلية، وكان ذلك الاسلوب الاعلامي في آيات كثيرة منها:

أولها: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: آية / ٤-٦]، إذ يُريد الله تعالى من خلال النص المبارك أن يُبيّن أن على الجمهور أن يكون لديه رأياً عاماً بحقيقة أزلية لا تغيير لها بأن الانسان خُلق حراً ووفق ذلك يجب عليه أن ينبذ كل اشكال الطُّغيان والتسلط والاستكبار، لأنَّ هؤلاء الجبابرة مهما علوا وتكابر شأنهم قد يُرى في أول الامر أنَّهم الغالبون ولكن قضاء الله وعدله فوقهم فيحق الحق بكلماته ويركس الباطل فينتقم منهم، كما أذلَّ فرعون وهو الذي علا شأنه في الارض ، فنصرَ اللهُ تعالى موسى وبني اسرائيل وهم الذينَ كانوا مستضعفين مستعبدين اذلاء، كما يتضح ذلك عبر تفسير الآيات المباركة: « تدور آيات السورة كما يبدو من فاتحتها حول السلطات الفاسدة، و كيفية القضاء عليها، كما تبحث

موضوع الحركات الرسالية التي عن طريقها يبدل الله- سبحانه و تعالى- حاكماً ظالماً بآخر عادل، و سلطة فاسدة بأخرى صالحة، و نستطيع أن نستوحي هذه الحقيقة و بصورة واضحة من الصراع الرسالي الذي قاده موسى عليه السلام مع بني إسرائيل ضد فرعون بجاهليته، و المستكبرين من ملئه.....، إذ لا يمكن للناس ان يسكتوا عن سلطة تضيع في ظلها حقوقهم و حرياتهم، والذي يزرع بذور الثورة بظلمه و فساده »[1].

ويرى الباحث أنَّه وفق هذا التوضيح والبيان القرآني يفتضح القادة والرموز الضالين المُضلين في كل زمان ومكان ومن خلال هذا البيان يتكون الرأي العام الرافض لهم والمُنتج للسلوك الجمعي المنتفض والثائر، نتيجة الظلم والطُّغيان الذي يمارسه المتسلطون على رقاب الناس، بمعنى أنَّه سوف يتولد رأياً عاماً رافضاً، للسياسة الحاكمة، فيتشكل الهيجان والفوران عند الجمهور، والذي يقود بدوره الى حصول الثورة على الواقع المرير، وهذه الثورة ما هي الا شكلٌ من أشكال السلوك الجمعي الذي أنتجته السياسة الظالمة المتجبرة القاهرة والمذلة للجمهور، كما ثار موسى عليه السلام لإنقاذ بني إسرائيل ضد فرعون، وكما يُريد القرآن الكريم أنْ بصنعه عند كل الشعوب التي تريد التحرر من الطُّغيان والاستكبار الذي تعاني منه.

ثانيها: وقوله تعالى: ﴿«عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: آية / ١٣-١٦] يُجرد القرآن الكريم المفسدين من القادة والمتسلطين على رقاب الناس من مواقع هيبتهم عند الجمهور فينتزعها منهم بأن ينمي عند الجمهور رأياً عاماً مؤمناً بفساد هؤلاء فيقود ذلك الى سلوكٍ جمعيٍّ بالتمرد عليهم وعدم الطاعةِ لهم والثورة ضدهم والخروج مِنْ سلطانِهم كما يصف ذلك صاحب الميزان: «معناه أنه بعد ما ذكر من مثالبه ورذائله عتل زنيم قيل: وفيه دلالة على أن هاتين الرذيلتين أشد معايبه، والظاهر أن فيه إشارة إلى أن له خبائث من الصفات لا ينبغي معها أن يطاع في أمر الحق ولو أغمض

(١) محمد تقى المدرسى ، من هدى القرآن، ٩/ ٢٥٨ .

عن تلك الصفات فإنَّه فظ خشن الطبع لا أصل له، لا ينبغي أن يُعبأ بمثله في مجتمع بشري فليُطرد ولا يُطاع في قول ولا يُتبع في فعلٍ»[1].

ويرى الباحث إنَّه ومن الطبيعي أنَّ من كان هذا وضعه كما يصوره القرآن الكريم، فإنَّ السلوك الجمعي سيكون متوجهاً باتجاه تسقيطه، وتحطيم كيانه المادي والمعنوي على حد سواء.

٥-الدعاية والاعلام ووسائل التواصل والغزو الفكري ضد المجتمع المسلم:

للدعاية والاعلام المضادين والمغرضين تأثيرهما السلبي على الواقع الاجتماعي، وهي سبب رئيس في صناعة الرأي العام عند الأُسرة التي هي النواة للمجتمع مما يتولد منه عند الجمهور السلوك الجمعي الذي يتأثر غالباً سلباً وحياناً وإيجاباً بتلك الدعاية والاعلام والغزو الفكري تجاه المجتمع، وهو اليوم يُمارس بوسائل مختلفة منها المرئية والمسموعة والمقروءة، وتبعتها اليوم وسائل التواصل الاجتماعي، فهي تُعد من أكثر وأخطر وسائل الغزو الثقافي والفكري استخداماُ في عصرنا الحاضر، لما تمتاز به من قوة التأثير على الجماهير وسعة الانتشار، وهي في ذات الوقت تخاطب مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية،، فتجدها سلاحاً ذو حدين ايجابيي أو سلبي، اذ تؤثر سلباً من خلال ما تعرضه من مواد ودعاية واعلام ذو محتوى هابط يُخالف الثوابت التي يؤمن بها أفراد المجتمع سواء العَقَدية، والاخلاقية منها، والقيم والمبادئ التي تربى عليها، كذلك فإنَّه عبر هذه الوسائل يتم نشر العقائد والافكار المشوهة والمنحرفة، ونشر الاتجاهات الفكرية ذات الطابع المتناقض مع الفكر الاسلامي، ومحاولة تشويه التراث الثقافي الاسلامي، بكل ما يحتويه من قيم ومبادئ وفكر ومعتقد وغيرها، الأمر الذي صَنَعَ وكوّن رأياً عاماً عند بعضِ الجماعات رافضة للإسلام والذي أنتج عندهم سلوكاً جمعياً بعيداً ومناقضاً للسلوك الاسلامي، فهناك حقيقةٌ مُرّةٌ يشير اليها بعض الكتّاب تقول: «والمحزن أنه لم يعد بمقدور الإنسان أن يتجاهل هذه الوسائل، وهي تلاحقه في كل

(١) محمد حسين الطباطبايى، الميزان في تفسير القرآن، ١٩ / ٣٧٢ .

مكان وزمان من خلال التلقي بالكلمة، أو الصورة، أو الصوت، دون تثبت»[1].

ووفق ذلك وعند مراجعتنا للقرآن الكريم نجده يتوعد بالعذاب كل من يخوض في حديث الإفك، وكل حديث مماثل له في كل زمان ومكان، وتلك الزمكانية التي يتمتع بها القرآن الكريم كما يُنقل في تفسير العياشي حول تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ ولِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾[الرعد: آية / ٧]، فقد ورد في تفسيرها: « عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَصِيرِ قَالَ كُنْتُ يَوْماً مِنَ الْأَيَّامِ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ (عليهم السلام) فَقَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحِيمِ قُلْتُ: لَبَّيْكَ، قَالَ: قَوْلُ اللَّهِ: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ ولِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾ إِذْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَا الْمُنْذِرُ- وعَلِيٌّ الْهَادِ ومَنِ الْهَادِ الْيَوْمَ قَالَ: فَسَكَتَ طَوِيلًا ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ هِيَ فِيكُمْ- تَوَارَثُونَهَا رَجُلٌ فَرَجُلٌ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَيْكَ، فَأَنْتَ جُعِلْتُ فِدَاكَ الْهَادِ، قَالَ: صَدَقْتَ يَا عَبْدَ الرَّحِيمِ، إِنَّ الْقُرْآنَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، والْآيَةُ حَيَّةٌ لَا تَمُوتُ، فَلَوْ كَانَتِ الْآيَةُ إِذَا نَزَلَتْ فِي الْأَقْوَامِ مَاتُوا فَمَاتَ الْقُرْآنُ، ولَكِنْ هِيَ جَارِيَةٌ فِي الْبَاقِينَ- كَمَا جَرَتْ فِي الْمَاضِينَ»[2]، والذي يخص مقام بحثنا ان آيات القرآن غير متقيدة بسبب نزولها بل هي منطبقة وجارية في أحكامها على المعاصرين كما جرت على الماضين وفي هذا المضمون ورد تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾[النور: آية /١٤-١٥]، وقد جاء في تفسير البيضاوي « لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره، والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم الّتي من جملتها الإمهال للتوبة ورَحْمَتُهُ في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم، لَمَسَّكُمْ عاجلا، فِيما أَفَضْتُمْ خضتم، فِيهِ عَذابٌ عَظِيمٌ يستحقر دونه اللوم والجلد.....و تَلَقَّوْنَهُ و(تألقونه) من الألق والألق وهو

(١) داليا محمد شوقي محمد صادق داود، الانحراف الفكري ووسائل الوقاية والعلاج في ضوء القرآن الكريم –دراسة موضوعية، ص/ ٨٤١.

(٢) العياشى، محمد بن مسعود، التفسير «تفسير العياشي»، ٢جلد، مكتبة العلمية الاسلامية – ايران – تهران، ط/ ١، ١٣٨٠ هـ.ق، ٢ / ٢٠٣.

الكذب، و«تثقفونه» من ثقفته إذا طلبته فوجدته و(تقفونه) أي تتبعونه، وتَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ أي وتقولون كلاما مختصا بالأفواه بلا مساعدة من القلوب، ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ لأنه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى:﴿ يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ، وتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً ﴾ سهلا لا تبعة له، وهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ في الوزر واستجرار العذاب، »[1].

ويرى الباحث إنَّ من أسباب استمرار عداوة الفكر الغربي للقرآن العظيم وتطاولهم على الاسلام، كون المسلمين لم يستغلوا أو يستثمروا عظمة القرآن وتأثيرها في نشر الإسلام، ويوصلون الصورة الاسلامية الناصعة التي جاء بها القرآن الكريم، أو أنَّهم أي المسلمين لم يستثمروا قوة البلاغة القرآنية والطاقة النورانية الجبارة الهادية للقلوب والعقول، التي جاء بها القرآن الكريم، كونه كلام الله تعالى الحكيم، الأمر الذي جعل من زمام المبادرة تكون بيد أعداء الاسلام من الغرب وغيرهم، فقد حاولوا بث اعلامهم ونشر الدعاية لصرف أنظار الجمهور بعيداً عن القرآن الكريم، ومن الدعاية المغرضة ضد الاسلام التي اطلقها الغرب، انَّ الاسلام هو دين بُنيَّ على أُسس أتت من اليهودية والنصرانية، فكان صورة مشوهة منها كما يتبيَّن من ترجمتهم للنصوص القرآنية وفق ما يريدون ويفهمون اذ يظهرون فيها أنسنة القرآن الكريم، وفي كثير من الأحيان يضيفون لله القادر الخالق العظيم، صفات المخلوقين، ومثال ذلك: أنهم « ترجموا قوله تعالى: في سورة البقرة: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة: آية / ٥٤] وتعني: أن الله هو الذي تاب بدلاً منكم لأنَّه يميل الى التوبة»[2] في حين أن تفسيرها « ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِها ﴾ يعني من بعد عبادة العجل وَآمَنُوا يعني وصدَّقوا بأنَّ اللَّه واحد لا شريك لَهُ

(١) البيضاوي، عبدالله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل «تفسير البيضاوي»، ٥جلد، دار إحياء التراث العربي – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤١٨ هـ.ق. ٤/ ١٠١.

(٢) عبد الراضي محمد عبد المحسن، ماذا يريد الغرب من القرآن، الناشر: مجلة البيان، مكتبة الملك فهد الوطنية – ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م، طم١، ص/ ١٠٠.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾، لذو تجاوز عَنْهُمْ رحيم بهم عِنْد التوبة» [١]، وترجم الروسي المعروف (كراتشكوفسكي)(*٢) سورة الناس الى: «إله الناس الذي يختبئ من شر الوسواس، الذي يوسوس صدور الناس » [٣] ، بينما تفسير ذلك من سورة الناس هو: « يقول أستعيذ بالله وخالق الناس ويقال: أستعيذ بالله الذي هو رازق الخلق، ثم قال عز وجل: مَلِكِ النَّاسِ يعني: خالق الناس ومالكهم وله نفاذ الأمر والملك فيهم، ثم قال عز وجل: إِلهِ النَّاسِ يعني: خالق الناس ومعطيهم ومانعهم مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ» [٤] .

المبحث الثاني

الموضة وظهور السلوك الجمعي في ضوء التفسير القرآني:

وينقسم هذا المبحث الى ثلاثة مطالب، الاول منها في بيان مفهوم الموضة، والثاني يتكلم عن الموضة في السلوك الجمعي، أما الثالث منها فكان

---

(١) أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى «المتوفى: ١٥٠هـ»، تفسير مقاتل بن سليمان، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط/١ – ١٤٢٣ هـ، ١/ ١٠٨.

(*) «غناطيوس كراتشكوفسكي (Крачковский, Игнатий Юлианович) مستشرق روسي، أحد مؤسسي مدرسة الاستشراق الروسي. ولد في ٤ مارس ١٨٨٣ في فيلنيوس وتوفي في ٢٤ يناير ١٩٥١ في لينينغراد، لقد شغف منذ صغره بدراسة آراء المستشرقين ودراسة اللغة العربية. التحق عام ١٩٠١ بكلية اللغات الشرقية في جامعة سان بطرس بيرغ، فبدأ بالغة العبرية واللغة الحبشية، كما حضر دروس زوكوفسكي Zukovskij في اللغتين الفارسية والتركية التتارية، درس تاريخ الشرق الإسلامي على يد المؤرخ الروسي بارتولد، ثم اللغة العامة عند مليورانسكي Milioranskj، ومع انطوان خشاب، تدرب على لغة المخاطبة العربية بلهجة شامية، وذهب إلي الشرق فزار مصر وسوريا وفلسطين، فأطلع علي خزائن كتبها وتعرف إلي علمائها وأدبائها، ثم عاد إلى بلاده وعين أستاذا للعربية وثمة رأي يقول إنه كان مكتشف الأدب العربي الجديد بالنسبة للغرب »، المصدر: منشور: مترجموا القرآن الكريم، النشر: ويكيبيديا، الموسوعة يوم ٢٤ فبراير ٢٠٢٢، الرابط : https://ar.wikipedia.org/wiki/ .

(٣) فاشكيفيتش نيكولاي، الفرقان في ترجمة معاني القرآن، الناشر: مجلة شمس الإسلام «٢»، لندن، موسكو، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، ص/ ٥٧–٥٨.

(٤) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي «المتوفى: ٣٧٣هـ»، تفسير السمرقندي، ٣/ ٦٣٨.

بالتحديد عن السلوك الجمعي المذموم الناتج عن الموضة، مع التطبيقات القرآنية المتوافقة مع مطالب المبحث، وكما يأتي:

المطلب الأول: مفهوم الموضة:

أولاً: تعريفها: هي كلمة أجنبية محرفة، وتعني «على الطراز الحديث، على آخر زي، مُودَه.....والموضة ابتكار مستحدث، لم تعرفه العرب أو المسلمون في تاريخهم»(١)، وجاء تعريفها في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية بأنَّها: «نواح أو أنماط ثقافية غير منطقية ومؤقته من السلوك تميل الى التواتر والتكرار في المجتمعات التي ليس لها رموز ثابته تدل على المكانة والتي يسعى أعضائها للحصول على اعتراف بالمكانة وللإعراب عن الذات عن طريق تقليد الصفوة وهذا التقليد يكون بمثابة السبيل الى الاعراب عن الأذواق والميول الجماعية»(٢).

والموضة كونها ظاهرة اجتماعية ونفسية تعتمد على العامل الاقتصادي، والدعاية، والاعلان، وعلى وسائل الاعلام، لتحقيق هذه الاثارة التي تحرك كيان الفرد ودوافعه لممارسة المثير، إذ انَّها تولد شعوراً ودافعاً جامحاً بالحاجة للرغبة، وكثيراً ما يهرول الناس وبدافع التقليد الاعمى لفئة أو جماعة، يشعرون بالرغبة بالتطبيق والانتماء للموضة المنتشرة ولو لفترة من الزمن، فيتصف هذا الاندفاع بالابتعاد عن العقل الذي يتوجب انَّه هو المسيطر على زمام المشاعر، في حين يكون الامر في الموضة عكس لذلك، والموضة تدخل في جميع سلوك الناس فهي في الملبس والمأكل والمسكن وطريقة البناء والعمارة، والديكورات، ومواد الزينة والحلي، أو نوع أو شكل أو لون السيارة، أو الاعجاب بمُغنّي أو شخصية معينة، وفيها شيء من التعبير عن حالة الرفاهية والتحضر الاجتماعي والاقتصادي السائد، وتدخل الموضة حتى في أسلوب وطريقة الكلام(٣)،وقالوا أنَّه:« يُوصف متَّبع الموضة بأنه MODERN

(١): فاطمة بنت عبد الله، الموضة في التصور الاسلامي، الناشر: مكتبة السنة، ص/ ١١.

(٢) البدوي: أحمد زكي معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية:، ص/ ١٥٥

(٣) يُنظر: أسعد شريف الامارة: مقدمة في السلوك الجمعي، ص/ ٥٣-٥٤.

أي: عصري جديد، رجل عصري» [١]، وهذا الوصف انما هو من باب «كلمة حق اريد بها باطل»، لأن من يضع مثل هذه الدلالات للألفاظ يضعها من أجل أن تخدم الاغراض والأهداف، الدنيئة الخبيثة، التي تحجب المعروف، وتخلع على المنكر ثوباً ناعماً جميلاً خداعاً، وكما هو على سبيل المثال: تسمية أُمُّ الخبائث الخمرةُ، باسم(المشروب الروحي)، وتسمية الفاحشة وإساءة السبيل الذي هو الزنا باسم (الحب)، وتسمية الفجور، والخلاعة والانحلال باسم (الفن) ، مع كون الفن شيء نبيل، وغيرها من التلاعب بدلالات الألفاظ.

وهناك تعريف آخر للموضة: «هي الممارسات الجديدة التي تستسيغها الجماعة وتتقبلها، فتنتشر بين كثير من الأفراد، والموضات عادات لا تتصف بالاستقرار والدوام، فهي في الغالب قصيرة الأجل سريعة الزوال، وبعد فنائها تتلوها موضات أخرى » [٢].

في حين يرى (الدكتور: حاتم الكعبي) بأن الموضة: «تغطي رقعة واسعة من الحياة البشرية، هي أكثر من الملابس بكثير، فهي توجد في الأساليب السلوكية، وفي الفنون، وفي الآداب، وفي الفلسفة، وفي بعض حقول ووجوه العلم، والصناعة وطراز البناء وتأثيث البيوت... الخ» [٣].

وما أن الموضة التي لا تخالف الشريعة الغراء فيها الابداع والابتكار والتجدد.

فقد يكون اساس الموضة هو البدعة التي تتصف بكونها موضة مؤقتة قد تعيش لفترة قصيرة من الزمن وقد تستمر لتكون مودة أو تكون تقليداً وعرفاً اجتماعياً.

ثانياً: أسباب انتشار الموضة:

(١) لإلياس أنطوان إلياس وإدوارد إلياس، ط/ ١٣،ص / ٤٥٤.

(٢) دياب، فوزية: :القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت،، ١٩٨٠ ص.٢١٧.

(٣)حاتم الكعبي ، التغير الاجتماعي وحركات الموضة، دار الحداثة، بيروت،، ١٩٧٢ ص.٢٠٣

الموضة كونها ظاهرة من ظواهر «السلوك الجمعي»[١]، يسلك الناس فيها ما يتناسب مع المجتمع ويتماشى معه ويكون مستحسناً في نظر الاغلبية، وان كانوا على خطأ فهي تنتشر أكثر في الفئات الأوطأ درجة من غيرها في المجتمع، كونهم يقلدون الفئات الأعلى، وهكذا فالأعلى يقلد الأعلى منه اقتصادياً واجتماعياً، وهي أحد وسائل التغيير والتجدد لأسباب قد تكون داخلية أو خارجية، ويبدو أنَّ الغرض من اتباع الموضة هو التغيير ليس الا، ومن اسباب الركض خلف الموضة، هو السأم من الحياة الرتيبة والفراغ الممل، التي يتمتع بها فئة من المجتمع الفاره الذي يعيش حياة ميسورة، وكذلك تنتشر الموضة في الشرائح ذات المستوى العالي من الترف والرفاهية والوضع الاقتصادي، أعم انتشاراً من انتشارها بين الفئات المتوسطة والفقيرة، بسبب الرغبة الجامحة في الظهور والتَمَيز عن الأخرين، ويرى الباحث إنَّ الموضة على فرض انَّها لا تحمل اغراضاً مضرة ومغرضة فهي قد تخرج عن روح الاسلام اذا ما تجاوزت الحدود واطلق لها العنان على هوى النفس . فكونها في تلك الحال تخالف القناعة والزهد والابتعاد عن التبذير والشعور بالفقير، فضلاً عن ما يخطط له جند الشيطان لتدمير المجتمع بوسائل وصور مختلفة تحت ستار الحرية الشخصية، وحرية المرأة، والتحضر، والتطور، وغيرها من التفنن والتزويق اللفظي، والموضة يركن لها غالبية المجتمع اليوم، ويرضى بأعمالها ويتودد لمروجيها بالطاعة العمياء والخضوع المطلق[٢] .

المطلب الثاني: الموضة وظهور السلوك الجمعي في ضوء التفسير القرآني:

الموضة هي أحد اشكال السلوك الجمعي كما يُذكر في تعريف السلوك الجمعي وما يتضمنه ويشمله معناه وكما مبيّن: «السلوك الجمعي قد يبدو للوهلة الأولى غير خاضع لمعايير محددة واضحة، الا أنَّ البحوث الحديثة أثبتت أنَّه ليس تلقائياً أو مشوشاً، بل يخضع لمحددات اجتماعية وثقافية تعمل على اطلاقه، وهو

(١)أسعد شريق الامارة ، مقدمة في السلوك الجمعي، ص/ ٧٣

(٢) يُنظر: ا أسعد شريق الامارة ، مقدمة في السلوك الجمعي ، ص/ ٧٣- ٧٦.

يتضمن في معناه الشامل الشائعات، والتغيرات في الرأي العام، و(الموضة).....[1] »، وفيما تقدم من وصف للموضة تبَّين أنَّها تؤدي الى صناعة السلوك الجمعي للمجتمع، بل هي مظهر من مظاهر السلوك الجمعي الذي يكون مذموماً في الغالب، وقد نهى القرآن عن ذلك في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[القصص: آية / ٧٩] وقد ورد تفسير ذلك ما جاء في تفسير البيضاوي «ولا تميلوا إليهم أدنى ميل فإنَّ الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم واستدامته»[2].

ويرى الباحث أنَّ الكلام عن الموضة وذمها ليس هو الكلام عن التطور التكنلوجي والحضاري النابع من التقدم العلمي والثقافي واعمار الارض واصلاحها، فهذا أمر يريده الخالق عز وجل وقد حث عليه كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: آية /١١٧]، التي ورد في تفسر السمرقندي: « وروي عن ابن عباس أنه قال: ما أهلك الله قوما إلا بعملهم، ولم يهلكهم بالشرك، يعني: لم يهلكهم بشركهم وهم مصلحون، لا يظلم بعضهم بعضا، لأن مكافأة الشرك النار، لا دونها، وإنما أهلكهم الله بمعاصيهم زيادة على شركهم، مثل قوم صالح بعقر الناقة، وقوم لوط بالأفعال الخبيثة، وقوم شعيب بنقصان الكيل والوزن، وقوم فرعون بإيذائهم موسى وبني إسرائيل، ويقال: وما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وأَهْلُها مُصْلِحُونَ يعني: وفيهم من يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وقال: لم يكن ليهلكهم وهم يتعاطون الحق فيما بينهم، وإن كانوا مجرمين»[3]، ولكن الله تعالى نهى عن الأساليب والطُرقِ والوسائلِ التي من خلالها يهبط السلوك البشري الى

(١) منشور: سيكولوجية الحشود الهائجة أو النسيج الجمعي لفوضى، الناشر: صفحة: معلومات غريبة لا يصدقها العقل، تاريخ النشر: ١٨ / ١/ ٢٠١٥م.

(٢) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٣/ ١٥١.

(٣) السمرقندي، نصر بن محمد، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم،، ٢ /١٧٥

أسفل سافلين، مبتعداً عن الفطرة التي خلقه تعالى عليها، وأراد منه البقاء عليها، وبيَّن لنا من هو العدو «الشيطان »الذي يتربص بنا كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[فاطر: آية / ٦]، وقد أكد سبحانه وتعالى في آيات كثيرة على الستر والحياء، وأنَّ على الانسان تجنب التعري وانكشاف سَوأتِه بخلاف ما تريده الموضة اليوم من هتك الستر والتعري، والخروج من جمال الحياء، الى الوقاحة والاستهتار بكل القيم الجميلة التي هي في الغالب يكمن ورائها الذوق والجمال والاخلاق الرفيعة وحلاوة الحياء ومن هذه الآيات الكريمة:[1]

١-قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا﴾ [الأعراف: آية /٢٠] ولأهمية الستر وتحلي الانسان به كيف كان العدو الأول للإنسان (ابليس) يسعى وبكل اسلوب ان يسلبه من الإنسان، وكما يفعل اليوم صانعي الموضة والمطالبين بحرية المرأة من الغرب والمتأثرين بهم من الشرق، وقد جاء في تفسيرها: « يسعى في إضلالهم ما استطاع، وكان يعلم جيدا أنّ الأكل من الشجرة الممنوعة تعرّض آدم للإخراج من الجنّة، عمد إلى الوسوسة لآدم وزوجته، وبغية الوصول إلى هذا الهدف نشر شباكاً متنوعةً على طريقِهما، ففي البداية- بدأ بنزع لباس الطاعة والعبودية الله، عنهما، فأبدى عورتهما التي كانت مخبأة مستورة ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطانُ لِيُبْدِيَ لَهُما ما وُورِيَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِما﴾، وللوصول إلى هذا الهدف رأى أنّ أفضل طريق هو أن يستغلّ حبّ الإنسان ورغبته الذاتية في التكامل والرقي والحياة الخالدة»[2]، وقيل: « كان عليهما نور لا ترى سوآتهما»[3].

ويرى الباحث إنَّ فعل الشيطان اللعين هذا هو عينه ما تعمل عليه مراكز الابحاث الغربية واتباعهم من المتأسلمين اليوم في واقعنا، أولاً: سلب التدين وحب

(١) يُنظر : فاطمة بنت عبد الله، الموضة في التصور الاسلامي، ص/ ٣٦.

(٢) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤ / ٥٩١.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن «تفسير الطبري»،، ٨ /١٠٤.

الدين من الشباب ومن خلال تقديم نماذج سيئة من رجالات الدين فيجعلونهم يكرهون كل ما له صلة بالله فيكون سلوكهم الجمعي الا واعي هو النفور من الدين وهتك الستر ونشر الرذيلة وهتك الحياء، لأنَّ علاقتهم بمن ينهاهم عن كل ذلك «الله» تعالى قد انقطعت، وحتى يتحقق لهم الوصول الى هذا الهدف لا بد من التدرج في خطوات متتالية من الموضة في الملبس وطريقة والكلام وقصات الشعر، وتغيير الفكر، وحتى الأكل والكلام وطريقته، والمشروبات وأنواعها، والكماليات الاخرى في المظهر والعطور وغيرها.

٢- وقوله تعالى: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: آية / ٢٢]، لقد بذل الشيطان (لعنة الله عليه) جهوداً في اغرائهما، لغاية الوصول الى هتك الستر عنهما، وبعد أن انكشفت لهما الحقيقة وسقطت كل الحجب عادا الى رشدهما وأخذا يبحثان عن اسباب الستر من خلال قوله تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: آية / ٢٢]، وقد ورد في التفسير الآية المباركة: «أي أنزلهما عن درجتهما الرفيعة، فأوصلهما إلى مرحلة السقوط بسبب الغرور الذي أوقعهما فيه، في ما استعمله من أساليب الخداع، فَلَمَّا ﴿ذاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما ﴾ وشعرا بالعري الذي بدأ يبعث في نفسيهما الشعور بالخزي والعار، في إحساس جديد لم يكن لهما به عهد من قبل، وقيل: إنهما كانا يلبسان لباس أهل الجنة، فسقط عنهما بسبب المعصية، ﴿وطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ ليسترا سوءاتهما في إحساس بالحاجة إلى ذلك، بطريقة غريزية، من خلال شعورهما بالدور الخجول للعورة، أو لأمر آخر يعلمه الله،»[(١)].

ويرى الباحث أنَّه كذلك هو اسلوب الشيطان وجنوده معنا نحن بني آدم الى اليوم، اذ عن طريق صيحات الموضة الحديثة في كل شيء، حتى يقع فيها الشباب من الجنسين، فيكونوا فريسة سهلة لافتراس متبعي الغرائز والشهوات والملذات

(١) محمد حسين، فضل الله، من وحى القرآن، ١٠ / ٥٦ .

الفاحشة، حتى يجد أولئك الشباب أنفسهم قد سلكوا سلوكاً جمعياً غارقين من خلاله في بحر الانحراف والخسران في الكرامة وفي كل شيء وقد تخلت عنهم جميع تلك الأصوات التي دعتهم الى اتباع الموضة.

٣-وقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: آية / ٢٦]، اذ يؤكد الله تعالى على العفة والستر والتقوى في ذلك من خلال لباس التقوى المادي والمعنوي، حتى لا يقع الناس في سلوك الانحراف عن طاعة الله تعالى، وقد ورد في تفسيرها: « فأول ما ينظر فيه هذا الخليفة، هو أن ينظر إلى نفسه، وأن يخرج من عالم الحيوان العاري، إلى هذا الإنسان الذي ينبغي أن يبدأ بستر عورته أولا، ثم يتجمل بما يقدر عليه مما بين يديه، من هذا الخير الكثير الذي بثّه الله في الأرض.. ثانيا،....أن يجلس على كرسي الخلافة، ويمسك بيده، زمام الكائنات التي تعيش معه، والريش هو الزينة، وكذلك الرياش، وهو شيء إضافي، فوق الحاجة الضرورية، ولهذا جاء بعد اللباس الساتر للعورة.... فهو مأخوذ من الريش الذي يكسو الطائر ويزينه، ثم بعد أن يأخذ الإنسان لجسده ما يستره ويجمّله، عليه أن يحصّل لكيانه الداخلي، من المشاعر والأحاسيس والوجدانات والمدركات- ما يستره ويجمّله، وذلك هو لباس التقوى، وهو خير لباس يتزيا به الإنسان» [(١)]، أما في قوله تعالى: ﴿وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ﴾ « إشارة إلى أن هذا اللباس إنما هو مما ينسجه الإنسان من ذات نفسه، إذ لا وجود له في العالم الخارجي، ولهذا لم يعطفه الله سبحانه وتعالى على قوله: ﴿أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي سَوْآتِكُمْ﴾ حيث مادة هذا اللباس هي مما يراه الإنسان ويلمسه بحواسه في النبات أو الحيوان، في حين أن مادة التقوى شيء مطوي في ضمير الإنسان، مدسوس في كيانه» [(٢)].

اذ يرى الباحث أنَّه كلما تزين الناس بلباس التقوى المادي والمعنوي، سوف

(١)عبدالكريم الخطيب ، التفسير القرآني للقرآن، ٤ / ٣٨٥ .

(٢)عبدالكريم الخطيب ، التفسير القرآني للقرآن، ٤ / ٣٨٥ .

يبتعدون عن الميل الى السلوك الجمعي المنحرف عن جادة الله تعالى، الناتج عن اتباع الموضة المخزية بكل اشكالها، اذ حين ذاك تجده لا يعي حقيقة خلق الانسان، وأنه أكرم مخلوق خلقه الله تعالى فجعل منه خليفته على خلقه فيسلك الناس السلوك الذي يرضي الله تعالى المتمثل بسلوك التقوى.

٤-قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: آية / ٢٧]، وقد ورد في تفسيرها:« يا بني آدم لا يخدعنكم الشيطان فيبدي سوآتكم للناس بطاعتكم إياه عند اختباره لكم، كما فعل بأبويكم أدم وحواء عند اختباره إياهما فأطاعاه وعصيا ربهما فأخرجهما بما سبب لهما من مكره وخدعه من الجنة، ونزع عنهما ما كان ألبسهما من اللباس ليريهما سوآتهما بكشف عورتهما وإظهارها لأعينهما بعد أن كانت مستترة»[(١)].

ويرى الباحث إن كلمة (اختباره لكم) التي وردت في التفسير المتقدم ليست في محلها لأن الشيطان لعنه الله مهمته وعمله الاغواء كما وصف نفسه بقوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[ص: آية/٨٢] وليس الاختبار، وإن ما تقدم في الآية المباركة وهو خطاب واضح من الخالق جل وعلا يُحذر فيه الناس من الخديعة التي تحيط بهم من قبل الشيطان وجنوده من الجِّن والإنّس، والتي وقع بها كثير من الناس وطبقات الشباب في العصر الحديث من خلال ركوب موجة الموضة حتى صار سلوكهم الجمعي ومن دون تفكير بالصحيح من الخطأ، هو الانحلال الاخلاقي في الملبس والمظهر والتكلم وطريقة المشي والتفكير والحكم على الاشياء، فتركوا الإيثار والصبر والزهد والكرم ونقاوة الروح والقناعة والجلادة والتحمل، واتبعوا الملذات والميوعة وتزيّ الرجال بزي النساء، والنساء بزي الرجال، متقوين بالقوانين الأممية والدولية والتي تناصر وتدعم مثل هذه التوجهات.

(١) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن «تفسير الطبري»، ٨ / ١١٢

المطلب الثالث: تنوع أشكال السلوك الجمعي المذموم الناتج من الموضة في ضوء التفسير القرآني: إنَّ ما ينتج عن الموضة غالباً ما يكون مضراً بالمجتمع، كونه يدفع لإنتاج سلوكيات بعيدة عن الفطرة السليمة التي فطر اللهُ الناسَ عليها، وإذ ينتج اشكالاً مختلفة من الأضرار الاجتماعية من خلال السلوك الجمعي الناتج عن اتباع الموضة ومنها ما يأتي: (١)

أولاً: الموضة إسراف وتبذير: ان انسياق الناس بمختلف الأعمار الى عدم مخالفة الموضة خوفاً من الخروج عن الواقع المحيط أو المجموعة، فيكون المخالف للموضة شاذ عن المجموع لا يقترب منه الأخرون، فينظرون اليه بنظرة دونية انتقاصية، في حين أنَّ القرآن الكريم بيَّن في آيات كثيرة حرمة التبذير ووجوب الابتعاد عنه، وكونه يصدر من مجموعة كبيرة من الناس بسبب تأثير الموضة ومن دون وعي لعواقب الأمور فقط للاستجابة للموضة، فإنَّ ذلك يُعد سلوكاً جمعياً غير ممدوح، بسبب «أنَّ الموضة تستدعي الإسراف والتبذير في شراء ما لا يلزم »(٢)، وكما ورد في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[الاعراف: آية /٣١].

ويرى الباحث مما تقدم إنَّ الله تعالى قد أباح للإنسان لبس الثياب الجميلة، والاكل اللذيذ والشرب الطيّب، ولكن في حدود المعقول والمناسب، في حين نرى أنَّ معظم الناس يخالف المعقول والمناسب من خلال اللبس وفق الموضة وإن كان اللباس باهض الثمن وزائد عن الحاجة،المتمثلة بالستر والوقاية من الحر والبرد، وكذلك الحال في الأكل والشرب والتزيّن في الحفلات واقامة والولائم، وفق الموضة خوفاً من ألاّ يقل قدرهم عند الآخرين، وحتى ما يحصل من تبذير في الولائم والمناسبات من بذخ وتبذير في الطبخ والتفنن في كثرة الطعام، وتنويعه، على ان لا يكون الآخرون اعلى مكانة منهم، لأن ذلك الأمر هو السائد هذه الأيام في الولائم

(١) يُنظر: فاطمة بنت عبد الله، الموضة في التصور الاسلامي، ص/ ٩٧ – ١٥٠.

(٢)فاطمة بنت عبد الله، الموضة في التصور الاسلامي ، ص/ ١٠٣.

والمناسبات فهي موضة يجب اتباعها، فترى غالبية المجتمع تقودهم الموضة لأن يسلكوا سلوكاً جمعياً، يتمثل في التبذير والاسراف من دون الحاجة، و حتى فوق طاقتهم المادية، اذ يدفعهم الخوف من مخالفة الموضة التي عليها المجموعة التي ينتمون اليها فيقلل ذلك من قَدْرَّهم أو مكانتهم الاجتماعية، وقد جاء في تفسير الآية المباركة: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ﴾ [الأسراء: آية / ٢٧] ، ما قوله: «لأنهم يلتقون بهم في الأسس الذي يرتكز عليه سلوكهم من اتباع الهوى ورفض العقل، في ما يحركونه من طاقاتهم، وما يخضعون له من شهواتهم، الأمر الذي يبعدهم عن الله تعالى، بابتعادهم عن خط الإيمان به وبتوحيده والاعتراف برسله ورسالاته، وهذا ما يريدهم الشيطان أن يثيروه كخطّ شامل لكل جوانب الحياة عندهم ، ﴿وكانَ الشَّيْطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ فهو يتحرك في مسار التمرد على الله، وجحود نعمه، والانحراف بالإنسان عن خط الالتزام العملي بطاعة الله»[(١)] ، وورد في تفسير آخر: «أي إن المبذرين المنفقين أموالهم في معاصي الله يشبهون في هذا الفعل القبيح الشياطين، فهم قرناء الشياطين في الدنيا والآخرة، وأشباههم في ذلك في الصفة والفعل، كما قال تعالى: ﴿ ومَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً، فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾[الزخرف:آية/ ٣٦] ، وقال تعالى: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأَزْواجَهُمْ ﴾[الصافات: آية /٢٢]، قالوا:أي قرناءهم من الشياطين، قال ابن مسعود: التبذير: الإنفاق في غير حق، وقال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق، لم يكن مبذرا، ولو أنفق مدا في غير حق، كان مبذرا، وعن علي (كرم الله وجهه) قال: ما أنفقت على نفسك وأهل بيتك في غير سرف ولا تبذير، وما تصدقت فلك، وما أنفقت رياء وسمعة، فذلك حظ الشيطان..»[(٢)] .

ويرى الباحث أن الناس تجنح الى الموضة رياء وسمعة ومسايرة للمجموع

(١)محمد حسين فضل الله ، من وحى القرآن، ١٤ / ٩٣.

(٢) وهبه الزحيلى ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ٣٢جلد، دار الفكر – سوريه – دمشق، ط/ ٢، ١٤١١ هـ.ق، ١٥/ ٥٨ .

الأغلب حتى وان كانوا من الطبقة الاجتماعية الفقيرة، مما يخالف الشرع والعقل والمنطق، فنلاحظ الهوس واللاعقلانية في سلوكهم مما يجعله سلوكاً جمعياً مؤثراً في المجتمع، يقوده نحو التسافل والخسران في الدنيا والآخرة.

ثانياً: الموضة ضرر وضرار:يرى الباحث وبعد التقصي في هذا الموضوع إنَّ الموضة من خلال الافراط في مجاراتِها في الملبس والمأكل والاثاث والمكياج وغيرها تستنزف أموال الأب والزوج، والسيدات أنفسهن، من خلال انفاقها فيما لا يلزم، كذلك إنَّ السلوك الجمعي لمتبعي ومتبعات الموضة سوف يقود الى نشر الفساد والفتن والانحراف في الوسط الاجتماعي، وخاصةً عندما يتبع الناس الموضة التي تستلزم الاختلاط من خلال الحفلات التي تقام بالمناسبة أومن غير المناسبة تماشياً مع الموضة، كذلك أنَّ ما يستلزم لمواكبة الموضة من بناء المصانع والمعاهد والمؤسسات لإنتاج الملابس ومواد التجميل، وما يتبعها من أدوات الزينة، وفي كل ذلك كُلف مالية واقتصادية، قد يؤدي الاستغناء عنها قيام صناعات أخرى مفيدة ونافعة، وكذلك لترويج بضائع وسلع الموضة ونشرها لمختلف الاغراض والاسباب، يستلزم إنشاء دور للطباعة والنشر، ووسائل إعلام وقنوات للتواصل الاجتماعي مدعومة مادياً،حتى تقوم بنشر الازياء والسلوكيات المنحلة،والتي تدعو للتبرج والانسلاخ عن القيم الاخلاقية والتعاليم الإلهية، الأمر الذي يضر بالمجتمع من خلال السلوك الجمعي غير الواعي المتمثل بالانحلال والانحراف والتبرج المُواكب الى صرخات الموضة، وهنا نجد تعاوناً اجتماعياً من قبل الصانع والبائع والمستهلك على نشر الموضة الهدامة للقيم الاجتماعية في حين نجد القرآن الكريم يدعو الى التعاون على البِرِ والتقوى ونبذ الاثم والعدوان كما في:

١- قوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ**﴾ [المائدة: آية / ٢]، والتي ورد في تفسيرها: «يجب أن يكون الهدف من التعاون اشاعة الخير ومقاومة الشر أنى كان مصدرهما، ويضع القرآن في مقابل البر الإثم، وفي مقابل التقوى العدوان فالإثم هو الحصول على أموال الناس بالخديعة (الغش- السرقة- الاحتكار- التعاون مع السلطات الجائرة- الحلف

الكاذب)، بينما العدوان: هو الاستيلاء على حقوق الناس بالقوة، وبلا أي غطاء»[١].

ويرى الباحث إنَّ من أظهر مصاديق التفسير المتقدم الموضة التي ينخدع الناس بها وخصوصاً الشباب والنساء منهم، الأمر الذي يؤدي الى استنزاف الأموال والقدرات من دون فائدة عقلانية من قبل المؤسسات والشركات التي تروج وتنشر الموضة في مختلف اشكالها، فينقادون الى سلوكٍ جمعيٍّ يتجلى بالتعري والخليعة وفساد الاخلاق وتزيي الرجال بزي النساء والنساء بزي الرجال، وابراز المفاتن، مما يؤدي الى اثارة الغرائز والشهوات والملذات غير المنضبطة، فيتحول السلوك الانساني الى سلوك حيواني جامح، اذ يهبط السلوك البشري الذين تقودهم تلك الغرائز والملذات الى اسفل سافلين، وكذلك ورد في تفسير الآية الكريمة المتقدمة الذكر: «فالله سبحانه وتعالى، يريد للنَّاس ألَّا يتعاونوا على الإثم والعدوان، بحيث يصرفون كل طاقاتهم في هذا الاتجاه، واستلزاماً لهذا الغرض يريد منهم أن يبتعدوا عن الجو المحموم الَّذي تخلقه مجتمعات الإثم والعدوان في نفوس الأفراد، وذلك لإضعاف الدوافع الّتي تقود إلى الإثم، ولكي تتلاشى النوازع الّتي تعمل على إثارة روح العدوان على الآخرين في النفس، ولتتحول، بالتالي، الحياة إلى ساحة خير وإيمان وسلام»[٢].

٢-**وقوله تعالى:** ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ «٧٨» كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ «٧٩» تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: آية / ٧٨- ٨٠]، وقد ورد في تفسيرها: « فهي المعصية والاعتداء؛ يتمثلان في كل صورهما الاعتقادية والسلوكية على السواء..... وعند ما يصبح فعل الشر أصعب من فعل الخير في مجتمع من المجتمعات؛ ويصبح الجزاء على الشر رادعاً جماعياً تقف الجماعة كلها دونه؛ وتوقع العقوبة الرادعة عليه.. عندئذ ينزوي الشر، وتنحسر دوافعه، وعندئذ

(١)محمد تقى المدرسي، من هدى القرآن،، ٢ /٢٩٣ .

(٢)محمد حسين فضل الله ، من وحى القرآن، ٨/ ٢٩.

يتماسك المجتمع فلا تنحل عراه، وعندئذ ينحصر الفساد في أفراد أو مجموعات يطاردها المجتمع، ولا يسمح لها بالسيطرة؛ وعندئذ لا تشيع الفاحشة»[(١)].

ويرعى الباحث أنَّه من خلال هذه الامثال وغيرها التي يضربها القرآن الكريم يتوجب على المجتمع المسلم أنَّ يتحصن ويتكاتف ويتلاحم وينهج منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للحد من تأثير الموضة والانحلال والتعري والفساد والشذوذ ، ووضع الحلول التي تقف دون انتشارها كسلوك جمعي غير واعٍ مؤثر في تفكك المجتمع وانحلاله.

ثالثاً: الموضة عبودية لغير الله تعالى: ويتضح للباحث أنَّه من خلال ملاحقة المجاميع من الناس للموضة بما فيها من زينة مادية وشغفهم بها وتقليد الموضة واشخاصها، حتى يصل بهم الحال أنْ يتخذوا من أولئك الاشخاص انداداً يحبونهم كما يحب المسلم الله تعالى، فيقلدون المشاهير من المطربين أو الممثلين، أو لاعبي الكرة وغيرها من الألعاب، يقلدونهم في سلوكياتهم في الملبس وفي قصات الشعر وفي طريقة التحدث والمشي وحتى التفكير، فيتشكل نتيجة الاستغراق والغور عميقا في الموضة سلوكاً جمعياً يتمثل في التقليد الاعمى للأشخاص والاستجابة لهم ولكل ما يُملونه عليهم على الرغم من ان أغلب ما يملونه عليهم ويقلدونهم به يخالف أوامر الله تعالى ونواهيه في ما هو حلال وما هو حرام، اذ تجدهم يستجيبون لهم، حتى يحصل الشرك الخفي، كما يبيّن تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: آية / ١٦٥- ١٦٧]، وقد ورد في تفسيرها: « أي: يعظمونهم ويخضعون لهم كتعظيم الله والخضوع له، و(الأنداد)هي: إمّا الأوثان التي اتخذوها آلهة لتقربهم إلى الله زلفى، ورجوا منها النفع والضرّ، وقصدوها بالمسائل، ونذروا لها النذور وقرّبوا لها القرابين، وإمّا الرؤساء، الذين يتبعونهم فيما يأتون وما يذرون، لا سيما في الأوامر والنواهي، ورجح هذا، لأنه تعالى ذكر بعد هذه الآية ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ [البقرة: آية /١٦٦

(١) سيد قطب،، في ظلال القرآن.، ٢ / ٩٤٨ .

] وذلك لا يليق إلّا بمن اتخذ الرجال أندادا وأمثالا لله تعالى يلتزمون من تعظيمهم والانقياد لهم ما يلتزمه المؤمنون من الانقياد لله تعالى والَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ من المشركين لأندادهم، لأنّ أولئك أشركوا في المحبة، والمؤمنون أخلصوها كلّها لله»[(١)].

ويرى الباحث إنَّ هؤلاء الانداد في كل زمان يتشكلون بأشكال توافق الزمن الذي هم فيه كما يذكر ذلك صاحب الظلال: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدادًا...كانوا على عهد المخاطبين بهذا القرآن أحجارا وأشجارا، أو نجوما وكواكب، أو ملائكة وشياطين.. وهم في كل عهد من عهود الجاهلية أشياء أو أشخاص أو شارات أو اعتبارات.. وكلها شرك خفي أو ظاهر، إذا ذكرت إلى جانب اسم الله، وإذا أشركها المرء في قلبه مع حب الله، فكيف إذا نزع حب الله من قلبه وأفرد هذه الأنداد بالحب الذي لا يكون إلا لله؟»[(٢)]، ويُعقب الباحث أنَّه يجب ملاحظة ان الحب قد يقع للوالدين وللأولاد وللعشيرة ولمن نحب من المتفضلين علينا في العلم والهداية الى الله تعالى أو أصدقائنا، وغيرهم، ولكن يجب أن يقع في طول حب الله بمعنى استمراراً وتبعاً لحبنا لله، لا في عرض حبنا لله تعالى، فكل شيء يبدر من المؤمن يجب أن ينضر الله فيه أولاً وآخراً.

رابعاً: الموضة تولد الحقد والحسد والتكبر بين الناس: من اشكال الضرر الذي يولده السلوك الجمعي الناتج من اتباع الموضة، ان متبعي الموضة يكونون مُعجبينَ بأنفسهم، تأخذهم الخُيَلاء والتكبر، لأنَّهم يرون أنَّهم قد حازوا ما لم يَحزه غيرهم، الأمر الذي يجعلهم يحتقرون غيرهم، من الذين هم لا يهتمون بالموضة لأنهم فقراء، ولا يملكون المال الكافي لمسايرة الموضة بكل تشكلاتها، فيولد ذلك الأمر سلوكاً جمعياً

(١) القاسمى، جمال الدين، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، ١ / ٤٦١ .

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ١/ ١٥٣ .

معاكساً يتمثل بالحسد من قبل من لم يحصلوا على الموضات لمن حصل عليها فعلاً، فقد كانت الموضة في الجاهلية إنَّ النساء يلبسنَّ في أرجلُهنَّ الخلخال يضعن في أرجلهن فيضربن بأرجلهن ليُسمع صوت الخلخال فينتبه الرجال لهن ولزينتهن فجاء الاسلام ينهى عن هذه الصورة القبيحة التي تنتهك حياء المرأة وتثير شهوة الرجل وطمعه فيها كما يذكر القرآن الكريم ذلك السلوك في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: آية / ٣١] التي ورد في تفسيرها: «أي لا تضرب برجلها ليعلم الناس ما تخفيه من خلخال أو زينة على الساق، وإن النهى عن هذا يتضمن النهى عن الضرب في ذاته بحركة غير محتشمة، تتلوى فيها المرأة تلويا مغريا، ثم إنَّه يبدى الزينة المغرية المشتهاة، وقد قال الغزالي: إن الصّبي المتيم يثير شهوته سماع صوت الهون تدق به حبيبة، و في الجملة: إنه يجب التستر في كل شيء، فلا يبدو منها ما يثير النظر أو الشهوة، وإن النفوس قد تغفل عن بعض هذا الواجب وهو غض البصر، ولذلك ختم الله تعالى الآيتين بقوله: ﴿وتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور: آية / ٣١] »[(١)].

ويرى الباحث أنَّه في عصرنا الحاضر أنَّ مثل هذه الموضة « لبس الخلخال» قد عادة فيما بين النساء، بل اخذت النساء تكشف بالمباشر عن السيقان والافخاذ، مسلمات للموضة تسليماً مطلقاً، وكاشفات عن اجسادهن في المسابح وشواطئ البحار المختلطة مع الرجال، عادّات كل ذلك من التمدن والثقافة، وان ما دونهنَّ من المحتشمات فإنهنَّ متخلفات بعيدات عن التحضر، فإذا كان الله تعالى قد نهى عن صوت تظهره النساء اثناء المشي، فكيف بالتعري وكشف الاجساد وعرضها وهي خليعة أمام الناس، وقد تنظر اليهن من لا دين لهنَّ من اللواتي لا يمتلكن المال

(١)محمد، زهرة ، ابو زهره، التفاسير، ١٠جلد، دار الفكر – لبنان – بيروت، ١٠ /٥١٨٥ .

لمواكبة هذا المستوى من الملبس والمعيشة الفارهة بعين الحسد والتمني أن يكنَّ مثلهنَّ، وهذا كله سلوك جمعي متمثل بالاستهتار بكل القيَّم الأخلاقية والحياء، والذي يؤدي بالنتيجة الى صناعة مجتمع بعيد عن كل الاخلاق النبيلة وبعيد عن الفطرة السليمة التي فطر الله الخلق عليها.

خامساً: الموضة قد تؤدي الى انتهاك الحقوق الزوجية:

ويرى الباحث وان كان الأمر لا يُعمم لأن في النساء من هنَّ أفضل من الرجال لكن لتقريب الفكرة ، ومن باب الامثال تضر ولا تقاس ، فمن خلال معاينة الواقع أنَّ هذا حال كثير من الأولاد الصغار من الذكور حين يستسلمون للموضة وكذلك بعض من النساء مع ازواجهن حين يرغبن شراء الازياء والحلي وكماليات البيت ومواد التجميل المواكبة للموضة، إذ يظهر تأثير الموضة عليهن من خلال السلوك الجمعي المتشابه الذي هنَّ عليه، يدفعهن ويهيجهنَّ الى ذلك مسايرة الموضة العمياء ومن دون تفكير، مخالِفات في ذلك شريعة الباري عز وجل الذي جعل من الرجال قوامين على النساء وأعطاهم كلمة الفصل في ادارة شؤون الأسرة كما جاء في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[النساء: آية / ٣٤] والتي ورد في تفسيرها: «المراد بالرجال هنا خصوص الأزواج لا كل الرجال، وبالنساء خصوص الزوجات لا جميع النساء، أما قوامون فالمراد قائمون بشئونهن وعليهن أيضا، ولكن لا قيام الراعي على الرعية والرئيس على المرؤوس كلا، فقد حدد الفقهاء هذه السلطة بثلاثة أشياء: أن يطلقها متى شاء، وأن تطيعه في الفراش، وأن لا تخرج من بيته إلّا بإذنه، ولهن في عدا ذلك، مثل الذي عليهن. بِما فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ ومهما قيل في المساواة بين المرأة والرجل فإنه أقوى منها على تحمل التبعات والمسئوليات وإنكار ذلك إنكار للبديهيات وبِما أَنْفَقُوا فيه إيماء إلى أن الزوج إذا لم ينفق لم يكن قواما عليها، ولها

والأمر كذلك، أن تطلب الطلاق منه والانفصال عنه» [1].

ويرى الباحث أنَّه وحسب ما ورد في التفسير المتقدم من تحديد العلماء لكلمة (قوامون) في الطلاق، والطاعة في الفراش، وأن لا تخرج من بيته الا بإذنه، ولكن بقية الامور من شراء حاجيات ومستلزمات الحياة يجب أن تكون ضمن المعقول الذي يُحدده دخل الأسرة وحاجياتها الضرورية وضمن حدود الشرع المقدس بعيداً عن التبذير والاسراف تلك السلوكيات التي حرمها الله في كثير من الآيات القرآنية وأن لا تُثقل الزوجة كاهل الزوج في الطلبات التي تفوق قدرته المادية.

سادساً: الموضة تشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، والابتعاد عن الفطرة: لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم كما يذكر في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين: آية / ٤] وجعل منه الذكر والانثى كل له ميزاته التي ميَّزَه بها عن الآخر، فأعطى للرجل القوة البدنية والجرأة في الاقدام على مواجهة مصاعب الحياة، وميزه بغلبة العقل على العاطفة، في حين أعطى للمرأة حرارة العاطفة والحنان، ورقة الاحساس والعقل، والنعومة في الشكل والجسد، وميزها بالقدرة على الانجاب والتربية للأطفال وتدبير شؤون البيت، والميل الى حب التزيين والتجمل، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾[الزخرف: آية / ١٨] التي ورد في تفسيرها: « لقد ذكر القرآن هنا صفتين من صفات النساء غالبا، تنبعثان من ينبوع عاطفتهنّ، إحداهما: تعلّق النساء الشديد بأدوات الزينة، والأخرى: عدم امتلاكهنّ القدرة الكافية على إثبات مرادهنّ أثناء المخاصمة والجدال لحيائهنّ وخجلهنّ، ولا شكّ أنّ بعض النسوة ليس لديهنّ هذا التعلّق الشديد بالزينة، ولا شكّ أيضا أنّ التعلّق بالزينة ومحبّتها في حدود الاعتدال لا يعد عيبا في النساء، بل أكّد

(١)محمد جواد مغنيه ، التفسير المبين، ١جلد، دار الكتاب الإسلامي – ايران – قم، ١٤٢٥ هـ.ق، ١٠٥.

عليها الإسلام، إلّا أنّ المراد هو أكثريّة النساء اللاتي تعوّدن على الإفراط في الزينة في أغلب المجتمعات البشريّة، وكأنّهن يولدن بين أحضان الزينة ويتربّين في حجرها»[(١)]، فلا الرجل مؤهل لما فُطرتْ عليه المرأة ولا المرأة مؤهلة لما فُطِرَ عليه الرجل فكل منهما جنس يختلف تكوينيا عن الجنس الآخر، اذ يقول الله تعالى على لسان أم مريم (عليها السلام) في وصف خلق الانسان: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾[آل عمران: آية / ٣٦] ، وقد ورد في تفسيرها «وعليه يكون المعنى وليس الذكر كالأنثى فيما يصلح له كل منهما»[(٢)].

اذ يرى الباحث أنَّه وبالرغم من ذلك تظهر بين الحين والآخر وخصوصاً في الآونة الأخيرة موضات مريبة مقصودة ومخطط لها تهدف الى محو واذابة الفوارق الطبيعية تماماً بين الذكر والأُنثى، خلافاً لكل النواميس الطبيعية والتشريعات الإلهية، والقواعد الاخلاقية، وخلافاً للفطرة التي فطر الله الناس عليها، اذ تعالت صيحات الشيطان وجنده المناصرة لمثل هذه الموضة التي تبيح للرجال التشبه بالنساء وبالعكس، حتى وصل بنا الحال الى تقنين القوانين الدولية التي تسمح بتحول الرجل الى امرأة وبالعكس، وتزويج المرأة بالمرأة والرجل بالرجل أو حتى بالحيوانات البهيمية، وسَنِّ قوانين الجندر التي سبق ان عرفنّاها الأمر الذي جعل من هؤلاء المؤيدين والمستجيبين للموضة وصيحاتها بأن يسلكوا سلوكاً جمعياً حتى الحيوانات البهيمية لا تسلكه لأنها واقعاً تميز بين الذكور والإناث من جنسها، وقد منع تعالى من اتباع مثل هذا السلوك الشاذ، كما يذكر في قول تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن

(١) ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٦ / ٢٧

(٢) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ١٢جلد، الناشر: الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م، ٣/ ٢٣٨.

فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[النساء: آية / ٣٢]، التي ورد في تفسيرها: «قال الله تعالى في هذه الآية: ﴿ولا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ﴾، لأنّ لكل نوع من أنواع هذا التفضيل والتفاوت أسرار خفيّة عنكم غير ظاهرة لكم، سواء كان التفاوت من جهة الخلقة والجنس وبقية الصفات الجسمية والروحية التي تشكل أساس النظام الاجتماعي فيكم، أو التفاوت من الناحية الحقوقية بسبب اختلاف الموقع والمكانة كالتفاوت في سهم الإرث، إذ إنّ جميع أنواع هذا التفاوت قائم على أساس العدل والقانون الإلهي الحكيم، ولو كانت مصلحتكم في غير ذلك لسنّه وبيَّنه لكم، وعلى هذا فإن تمنّى تغيير هذا الوضع نوع من المخالفة للمشيئة الرّبانية التي هي عين الحق والعدالة..... لا يمكن للنساء أن يتمنين أن يكنّ رجالا، كما لا يمكن للرجال أن يتمنوا أن يكونوا نساء، لأنّ وجود هذين الجنسين أمر ضروري للنظام الاجتماعي الإنساني، ولكن هذا التفاوت الجنسي يجب أن لا يتّخذ ذريعة، لأن يسحق أحد الجنسين حقوق الجنس الآخر، ومن هنا فإنّ الذين اتّخذوا هذه الآية ذريعة لإثبات التمييز الاجتماعي الظالم أو يتصوروها حجّة على هذا التمييز قد أخطئوا خطأ كبيرا»[(١)]، بل يرى الباحث إنَّ في مضمون الآية المباركة قد تجلى عين العدل الإلهي، الذي يعطي ويحفظ لكل جنس ميزاته وامكاناته وحقوقه التي أقرها وثبتها الله تعالى له.

وقد ورد في آيةٍ أخرى كيف أنَّ الشيطان يغوي البشر ليغيروا في الخلقة الأولى التي فطرها الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾[النساء: آية / ١١٩] التي جاء في تفسيرها: «فسّر ذلك بالتغيير الجسدي، وعدّ حلق اللحية أحد مصاديقه، وجعلت هذه الآية دليلا لحرمته وقيل: إن من مصاديقه الخصاء الذي

(١) ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣ /٢٠٩ –٢١٠ .

كان يستعمل للعبيد حتى يدخلوا على النساء من دون حرج»[1] .

اذ يرى الباحث ومن خلال التفسير المتقدم أنَّه اذا كان حلق اللحية يُعد تغييراً لخلق الله ، وقد فسر المفسرون من خلال الآية المباركة بأنَّه دليل على حرمة ذلك الأمر، فكيف بمن يتحول من ذكر الى أُنثى، أو بالعكس، وهذا السلوك أصبح سلوكاً جمعياً عالمياً نتيجة صيحات الموضة التي سلبت عقول الناس، الأمر الذي تَعمُ نتائجه الوخيمة والمدمرة على المجتمع، فيكون مجتمعاً منحطاً يعيش في النجاسات ويتميز بالأخلاق الرذيلة البعيدة عن كل ما هو نبيل وجميل من روح الاخوة والمحبة والايثار والتسامح والاحترام للأخر ومساعدة الآخرين وإيثار مصالح الآخرين على مصلحة الانا.

خلاصة الفصل الثالث:

١- تبيَّن للباحث، ومن خلال أخر الأبحاث، وما توصلت اليه الوسائل العلمية الحديثة أنَّ السلوك الجمعي ليس دائماً حالة تلقائية إنما هو حالة لها مسبباتها ومحفزاتها وبواعثها المقصودة ومن هذه المسببات والمحفزات:

أ- الرأي العام، بكل مكوناته (الدعاية والاعلام، والموروث الثقافي والعقائدي، والتقاليد والاعراف، والشائعات).

ب-الموضة.

ت-الثورات والانقلابات

٢- الرأي العام المُنتج للسلوك الجمعي: هو من أهم منتجات السلوك الجمعي، وهو التعبير الموحد للجمهور تجاه مسألة من المسائل، أو حالة من الحالات في زمان

(١) محمد حسين فضل الله ، من وحى القرآن، ٧ /٤٦٩ .

أو مكان معينين، سواء كان ذلك التعبير مع أو بالضد من تلك المسألة أو الحالة، الأمر الذي ينتج عنه القيام بعمل معيَّن مباشر أو غير مباشر، يتجلى من خلاله ذلك التعبير، وهذا التجلي هو السلوك الجمعي.

٣- للرأي العام دوافع ومُحفزات ومثيرات اساسية يتوقف عليها حصوله عند الجمهور، وقد بيَّن الباحث ذلك من خلال الآيات القرآنية .

٤- قد يقول قائلً: إن الرأي العام هو عينه الاتجاه الذي يتخذه الجمهور، في حين تبيَّن إنَّ الرأي العام يختلف عن الاتجاه.

٥- عند النظر الى كل واقع اجتماعي نجد أنَّ للرأي العام أنواع.

٦- الرأي العام سلاح ذو حدين، فكما استُخدمت الدعاية والاعلام والشائعات في تكوين الرأي العام المنتج للسلوك الجمعي السلبي، كذلك استُخدِمت في تكوين الرأي العام المُنتج للسلوك الجمعي الإيجابي، وكما تبيَّن من خلال الآيات القرآنية الكريمة.

٧- إنَّ اسلوب الدعاية والاعلام له أركان ثلاثة: (رجل الدعاية، اسلوب الدعاية، الجمهور المُستهدف).

٨- يوجد فرق بين الدعاية والاعلام، ولكن الهدف واحد، وهو صناعة الرأي العام المُنتج للسلوك الجمعي.

٩- لقد استخدم القرآن الكريم أساليب متعددة وناجحة في كشف أساليب المشركين والمنافقين واليهود، والتغلب عليها، والتي يتوجب الاقتداء بها في مواجهة أعداء الاسلام.

١٠- كل ما انطبق على صانعي الدعاية والاعلام والشائعات، وأهدافها وغاياتها وتأثيرها على الأُسرة والمجتمع ينطبق على الموضة.

١١- الموضة من الاسباب المهمة في صناعة السلوك الجمعي، والتي طالما يستغلها الأشرار في صناعة السلوك الجمعي السلبي والمذموم، لذا توجب على المسلمين أخذ الحيطة والحذر وتجنب أنواع الموضة المُصدَّرَة الى المجتمع المسلم وبمختلف اشكالها القولية والفعلية والفكرية، وقد حذر القرآن الكريم من كل ذلك وتوعد بالعقاب الأليم لمن يغير في خلق الله تعالى ويهتك ستره.

١٢- قد يعتقد بعض الناس إنَّ الموضة في الملبس والمظهر فقط، في حين أنَّها تدخل في المأكل والمشرب وفي مختلف جوانب الحياة البشرية، وتدخل في الجانب النفسي والأدبي والعلمي، وفي الفن والفلسفة والصناعة والطراز العمراني، والكثير من الحقول العلمية وغيرها، الامر الذي ينتج منها سلوكاً جمعياً مؤثراً تأثيراً بالغاً في الواقع الاجتماعي، لذلك أعطى القرآن الكريم محددات وثوابت لكل شيء سواء الملبس أو المأكل أو طريقة الكلام والمشي والتفكير، وغيرها.

١٣- وأن لم تكن الموضة مقصودة أو أنَّها صُنعت لغاية مغرضة، لكن اذا تتبعنا تجلياتها عندما تكون مفرطة نجدها تُخالف كثير مما جاء به القرآن الكريم من تعاليم مثل: (الزُهد، والقناعة، والإثار، والابتعاد عن التبذير، وحب الخير للآخر.. وغيرها)، وفي اتباع خلاف تلك المفاهيم القرآنية، اتباعُ لما وعد به الشيطان الرجيم من اضلال الناس عن الصراط المستقيم.

١٤- ليست الموضة هي التقدم العلمي والحضاري والثقافي، إنما هي شيء وحالة تختلف عن ذلك، فالقرآن الكريم يساير الحياة، ويشجع على العلم والتعلم وتطوير الحياة واعمار الأرض، ولكن في الموضة تغيير لخلق الله تعالى كما يصف القرآن الكريم الابتعاد عن تعاليمه تعالى .

١٥- أنَّ السلوك الجمعي الناتج عن الموضة له كثير من السلبيات المخالفة لتعاليم الله تعالى التي وردة في القرآن الكريم ومنها:

أ- الاسراف والتبذير.

ب-الموضة ضرر وضِرار.

ت-الموضة عبودية لغير الله تعالى.

ث-الموضة تولد الحقد والكراهية والتكبر والحسد بين الناس.

ج-الموضة تؤدي الى انتهاك الحقوق الزوجية.

ح-الموضة تشبيه للرجال بالنساء وبالعكس، وذلك خلاف لما خلق الله تعالى عليه الانسان من ذكر وأنثى، وأمر به تعالى من اتباعه والثبات عليه.

الفصل الرابع

السلوك الجمعي الاسلامي وتوجيه المجتمع في ضوء التفسير القرآني

المبحث الأول: السلوك الجمعي الموجه للمجتمع في المنظور اسلامي، في ضوء التفسير القرآني

المطلب الأول: السلوك الجمعي الديني وشروط تحققه.

المطلب الثاني: بناء وتثبيت السلوك الجمعي الديني.

المبحث الثاني: : نماذج من تطبيقات السلوك الجمعي الاسلامي وتوجيه المجتمع، في ضوء التفسير القرآني.

المطلب الأول: السلوك الجمعي في شعيرة الحج، في منظور التفسير القرآني.

المطلب الثاني: السلوك الجمعي في زيارة الأربعين في منظور التفسير القرآني.

المطلب الثالث: السلوك الجمعي واستجابة فتوى الجهاد الكفائي في منظور التفسير القرآني.

المطلب الرابع : الآثار الأخرويّة للسلوك الجمعي.

خلاصـــــــة الفصل الرابع

الفصل الرابع

السلوك الجمعي الاسلامي وتوجيه المجتمع في ضوء التفسير القرآني

ويتكون من المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: السلوك الجمعي الموجه للمجتمع من منظور اسلامي، في ضوء التفسير القرآني:

لقد سبق ان بيَّن الباحث في الفصل الأول وأشار الى انَّ من اقسام السلوك الجمعي هو (السلوك الجمعي الديني)، وبيَّن الشروط التي تفسر كون السلوك الديني هو سلوكاً جمعياً، وفي هذا المبحث يشرع الباحث في تفصيل وبيّان ذلك من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: السلوك الجمعي الديني وشروط تحققه:

أولاً: السلوك الجمعي الديني:

ويمتاز السلوك الجمعي الديني بصورة عامة عن السلوك الجمعي بصورة عامة، كون السلوك الجمعي هو ظاهرة استثنائية في السلوك الإنساني، في حين إن السلوك الجمعي الديني ليس كذلك، اذ تجد الدين الاسلامي هو الذي يحث المكلفين على التجمع، إذ يدفعهم ايمانهم للاستجابة لأوامر الله ونواهيه فتراهم يسلموا لله تسليما كما ورد في قوله تعالى: ﴿ **أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾ [البقرة : آية / ٢٠٨] وكذلك ورد في تفسيرها: «و المعنى من احسن ديناً وأصوب طريقاً، واهدى سبيلا ممن اسلم وجهه لله يعني استسلم وجهه لله، والوجه يراد به ها هنا نفسه وذاته وكما قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص/ آية: ٨٨] فانقاد له بالطاعة ولنبيه ﷺ بالتصديق ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ بمعنى وهو فاعل للفعل الحسن مما أمره الله به ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً﴾ يعني واتبع الذي كان عليه ابراهيم عليه السلام »[(١)] .

(١) الطوسي، محمد بن حسن، التبيان في تفسير القرآن، ٣ /٣٣٩ .

وكذلك في تفسير معنى (الحنيف) « و قيل: الحنيف: المستقيم في سلوك الطّريق الذي أمر بسلوكه» [١].

اذ يجتمعون لإداء الشعائر الدينية والعبادية وبصورة جماعية، مسلِّمين لله من دون نقاش ولا اعتراض لأنهم مؤمنين ايماناً مطلقاً، أنَّه تعالى لا يُريد الا صلاح أمرهم في الدنيا والآخرة، فتراهم يحضرون جماعاتٍ جماعات في مختلف الميادين تسليماً وايماناً بالله تعالى .

وكذلك ساحات الجهاد كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال:آية / ٦٥]، والتي ورد في تفسيرها: «أي: حثّهم واستنهاضهم إليه بكل ما يقوي عزائمهم، ويُنشط هممهم، من الترغيب في الجهاد، ومقارعة الأعداء، والترهيب من ضد ذلك، وذكر فضائل الشجاعة والصبر، وما يترتب على ذلك من خير في الدنيا والآخرة، وذكر مضار الجبن، وأنه من الأخلاق الرذيلة، المنقصة للدين والمروءة، وأن الشجاعة بالمؤمنين، أولى من غيرهم» [٢]، الأمر الذي يقوِّم سلوكهم الجمعي تجاه صالح الدين وبناء مجتمع الأمة الاسلامية ونشر الخير والصلاح والإصلاح.

وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:آية /١٠٤]، والتي ورد في تفسيرها: « وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ

---

(١) الطبراني، سليمان بن احمد، التفسير الكبير: تفسير القرآن العظيم «الطبراني»، ٦جلد، دار الكتاب الثقافي – اردن – اربد، ط/ ١، ٢٠٠٨ م، ٢ ٣٠٦

(٢)عبدالرحمن السعدى ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١جلد، مكتبة النهضة العربية – لبنان – بيروت، ط/ ٢، ١٤٠٨ هـ.ق، ١/ ٣٦٩١ .

وجماعة كاملة النّفس، عالمة بالمعارف الإلهيّة والأحكام الشّرعيّة يَدْعُونَ النّاس إِلَى الْخَيْرِ وما فيه صلاح الدّين والدّنيا، من التّديّن بالإسلام، والتزام الطّاعات، والتّخلّق بالأخلاق الكريمة، والتنزّه من الصّفات الذّميمة ويَأْمُرُونَ العباد بِالْمَعْرُوفِ وما استحسنه الشّرع والعقل ويَنْهَوْنَ الجهّال عَنِ ارتكاب الْمُنْكَرِ وما استقبحه الشّرع والعقل، وفي تخصيصهما بالذّكر إيذان بغاية فضلهما»[(١)] فيعتدل سلوك الناس وينتظم تجاه كل خير، كما في تفسير تكملة الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:آية /١٠٤]: «فإنه داخل في هذه الآية الكريمة، ثم نهاهم عن سلوك مسلك المتفرقين، الذين جاءهم الدين والبينات، الموجب لقيامهم به، واجتماعهم، فتفرقوا واختلفوا وصاروا شيعا، ولم يصدر ذلك عن جهل وضلال، وإنما صدر عن علم وقصد سيئ، وبغي من بعضهم على بعض، ولهذا قال: وأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ»[(٢)]،فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يوجه نحو السلوك الجمعي الصحيح للأمة واجتماع شملها.

كذلك في اعلان المسرات والأفراح كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾[الروم: آية /٥٠)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: آية /٥٧-٥٨] اذ يُهذّب القرآن الكريم أخلاق وسلوك الانسان المسلم من خلال بيان مواضع الفرح والسرور وأين ومتى يكون، اذ ورد في تفسير الآية المباركة: «وهذا بنفسه يبين أن القرآن وصفة لتحسين حال الفرد والمجتمع، وصيانتهم من أنواع الأمراض الأخلاقية

---

(١) النهاوندي، محمد، نفحات الرحمن في تفسير القرآن، ٦جلد، مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر – ايران – قم، ط/ ١، ١٣٨٦ هـ.ش،٢/ ٤٧ .

(٢)عبدالرحمن السعدى، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١/ ١٤٧.

والاجتماعية، وهذه الحقيقة أودعها المسلمون في كف النسيان، وبدل أن يستفيدوا من هذا الدواء الشافي، فإنَّهم يبحثون عن دوائهم وعلاجهم في المذاهب الأخرى، وجعلوا هذا الكتاب السماوي الكبير كتاب قراءة فقط، لا كتاب تفكر وعمل! وتقول الآية الأخرى من أجل تكميل هذا البحث والتأكيد على هذه النعمة الإلهية الكبرى – أي القرآن المجيد –: قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ولا يفرحوا بمقدار الثروات، وعظم المراكز، وعزة القوم والقبيلة، لأن رأس المال الحقيقي والأساس للسعادة الحقيقية هو هذا القرآن، فهو أفضل من كل ما جمعوه، ولا يمكن قياسه بذلك المجموع، إذا هو خير مما يجمعون»[(١)].

ويرى الباحث أنَّه تعالى لما أجاز الفرح لفضله ولرحمته فمن رحمة الله وفضلة أنَّه أرسل الينا نبينا وحبيبنا محمد ﷺ والأئمة المعصومين من آل محمد (عليهم السلام) ، وعليه يكون جواز الفرح والابتهاج بالمواليد والمناسبات التي تسر وتُبيَّن مقام محمد وآل محمد ﷺ، لأن آل محمد هم امتداد لمحمد ﷺ وهو كما يصفه الباري عز وجل بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الانبياء:آية / ١٠٧]، التي ورد في تفسيرها: «أي أنك رحمة مرسلة إلى الجماعات البشرية كلهم– والدليل عليه الجمع المحلى باللام– وذلك مقتضى عموم الرسالة، وهو ﷺ رحمة لأهل الدنيا من جهة إتيانه بدين في الأخذِ به سعادة أهل الدنيا في دنياهم وأخراهم، وهو ﷺ رحمة لأهل الدنيا من حيث الآثار الحسنة التي سرت من قيامه بالدعوة الحقة في مجتمعاتهم مما يظهر ظهورا بالغاً بقياس الحياة العامة البشرية اليوم إلى ما قبل بعثته ﷺ وتطبيق إحدى الحياتين على الأخرى»[(٢)]، وكذلك هم آهل البيت (عليهم

(١) ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٦ / ٣٨.

(٢)محمد حسين الطباطبائى ، الميزان في تفسير القرآن، ١٤/ ٣٣١.

السلام) رحمة للعالمين، كما جاء في قوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ (هود: آية / ٧٣).

التي جاء في تفسيرها:« أي رحمة الله وبركاته الكثيرة عليكم يا أهل بيت النبوة تتوارث في نسلكم إلى يوم القيامة»[١]، فالإيمان بكونهم (عليهم السلام)رحمة للعالمين جعل من شيعتهم ومحبيهم يفرحون ويقيمون الأفراح والاحتفالات الجماعية في جميع مواليدهم والمناسبات المناصرة لهم تعبيراً عن الولاء لهم والنصرة والسير على نهجهم، ويرون ويعتقدون بأنَّ ذلك هو سبيل الله ونصرة لدينه تعالى، وكذلك الأمر في وفياتهم وأحزانهم (عليهم السلام)، وهذا كله هو سلوك جمعي ديني ممدوح.

وهكذا في التعبير عن الأحزان والآلام بصوة جماعية، وقد يتجسد السلوك الجمعي الديني من خلال إطعام الطعام الجماعي للفقراء والمساكين، فنلاحظ أنَّ معظم العبادات والمعاملات بشكلها العام هي سلوك جمعي، ما عدى ما يتعلق بالنية والدافع نحو الأداء في بعض العبادات المختصة بالجانب الفردي، وكذلك يمتاز السلوك الجمعي الإسلامي بأنَّه سلوك ممدوح بخلاف أغلب أنواع السلوك الجمعي، لأن السلوك الجمعي الاسلامي يحث على اصلاح المجتمع من النواحي المعيشية والصحية والاجتماعية والاخلاقية والتربوية وغيرها.

فيخلص الباحث الى أنَّ السلوك الجمعي الديني: هو ذلك السلوك الذي يصنعه المُشَرِّع من خلال تشريعاته التي بَلَّغها رُسوله والأئمة والعلماء الى المكلَفين، فاستجاب المكلفون عَبرَتفاعل فكري وعاطفي...الخ على وفق التشريع موافقٍ لإرادة المُشَرِّع، وأستجابةً على عدم مخالفة إرادة المُشَرِّع، وطاعةً له وإيماناً منهم بربهم، وخوفاً من المخالفة التي توقعهم في المعصية للرب، التي تقود بهم الى سوء العاقبة في الدنيا والآخرة.

ودائماً ما يقع مثل هذا السلوك الجمعي على شكل أقوال أو أفعال أو مواقف رسمها لهم الرب وفق تشريعاته التي جاءَ بها المبلِّغون لشرعه.

---

(١) احمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي، ٣٠جلد، دار الفكر – لبنان – بيروت، ١٢/ ٦٠

ثانياً: شروط تحقق السلوك الجمعي الديني:

سبق وأن بيّن الباحث في الفصل الأول هذه الشروط بتفصيل في شرحها، والتي تلخصت في:

١- الإلزام الديني.

٢- الدوافع الذاتية.

٣- الشعور والإحساس المشترك بوحدة الهوية ووحدة الانتماء العقائدي والمذهبي.

٤- وجود الهدفية في السلوك الجمعي الديني.

٥- وجود القيادة العملية.

ولا تقع ولا تحصل الشروط آنفة الذكر الا بوجود المُوّجه أو المُبلّغ الذي يقود المجتمع لتحقيق السلوك الممدوح الذي جاء في التشريع الإلهي والذي يتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والارشاد الى أوامر الله تعالى ونواهيه، وزيادة وترسيخ الإيمان بالدين والعقيدة الاسلامية، وأول المُبلِغين لرسالة الاسلام والمرشدين الى سبيل الله هو نبينا الكريم محمد ﷺ ومن بعده الأئمة المعصومين من آل محمد «عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم »، ومن بعدهم يأتي مراجع الدين والفضلاء من أهل العلم والورع والفقه والعلوم الاسلامية كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[التوبة: آية / ١٢٢] والتي جاء في تفسيرها: «على هذا، فإنّ هذه الآية دليل واضح على وجوب توجه فئة من المسلمين وجوباً كفائياً على الدوام لتحصيل العلوم في مختلف المجالات الإسلامية، وبعد الفراغ من التحصيل العلمي يرجعون إلى مختلف البلدان، وخصوصا بلدانهم وأقوامهم، ويعلمونهم مختلف المسائل الإسلامية »[(١)].

ولتوجيه اتجاهاتنا نحو أي سلوك خارجي، فإن ذلك يحتاج الى كم من المعلومات يُغذينا بها ويقدمها لنا آخرون وكما يأتي:[(٢)]

---

(١) ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٦ / ٢٦٧.

(٢) زهير الأعرجي، الابعاد الاجتماعية لمناسك الحج ، ص/ ١٨٣- ١٨٤.

إنَّ هؤلاء المُبلِغين حتى يصنعوا السلوك الجمعي الديني الممدوح يتوجب أن تتوفر فيهم شروط منها: « ١- أنَّ من أهم وسائل الاقناع لتثبيت أو تغيير اتجاهاتنا هو كمية المعلومات الواردة الى أذهاننا من المصادر الخارجية، ٢- ملاحظة سلوك القادة يؤثر دائماً على أفكارنا، ٣- نظام الثواب والعقاب يؤثر دائماً على توجيهاتنا السلوكية ٤- - العلم بأصول الدين، والمبادئ الأساسية للدين الحنيف،٥- تتوفر فيه القدرة على التأثير في النفوس، ٦- أن يكون ممن يؤسس لما ينفع المجتمع والدين، ويَأمن من مفسدته»(١).

المطلب الثاني: بناء وتثبيت السلوك الجمعي الديني:

ولإنشاء وتشكيل السلوك الجمعي الديني وتثبيته عند المكلفين من المسلمين حسب ما أراده الله من عباده لابد للمرشد أو المبلغ العمل على هدايتهم وتثبيت عُرى الإيمان في نفوسهم ومشاعرهم ويتحقق ذلك من خلال مجموعة من النقاط:(٢)

أولاً: توجيه النية الى القصد السليم عند المكلف، فبالرغم من قيام الجماعات المسلمة بالسلوك الجمعي في تأدية العبادات، والاستماع للإرشادات الدينية، الا انَّهم في ذات الوقت يرجعون الى آرائهم الفردية في نفوسهم وذاتهم المنفرد عن الجماعة في النية والمقصد، فمنهم من يأتي وهو مسلمٌ تسليماً كاملاً الى منطق الحق والدليل والبرهان القوي، في حين يأتي آخر وفي سريرته مقاصد أخرى مثل الرياء، أو الجدال، أو المنافع الشخصية، وهنا تتجلى مهمة المُبلغ والمرشد نحو جمع وتنقية النوايا تجاه المراد الإلهي من التجمع العبادي أو التجمع في المعاملات فليس من الصحيح الحث على السلوك الديني المتمثل بالحضور الجماعي، وإهمال النية والمقصد الحقيقي في تأدية التكليف الشرعي.

ثانياً: تنمية الدافع للامتثال للأمر المولوي عند المخاطبين به، فالجميع يحضر ويستمع ويخدم، كون هذه امور اجتماعية، في حين المراد الإلهي هو الامتثال

---

(١)زهير الأعرجي، الابعاد الاجتماعية لمناسك الحج ، ص/ ٢

(٢) يُنظر: المصدر السابق، ص/ ١٠- ١٣.

الخالص لوجهة تعالى والتي هي تعود الى أصل الفطرة التي فطر اللهُ الناسَ عليها، اذ يرجع ذلك الى ما تقدم من الاخلاص في النية في اداء العمل قربة الى الله تعالى، ومن خلال التوجيه المعنوي نحو ذلك يتحقق السلوك الجمعي السليم النابع من التسليم المطلق للتكليف المولوي.

ثالثاً: يجب على المبلّغ المهتم بالفرد أن يهتم ايضاً بالتأثير النفسي الواقع عليه من قبل السلوك الاجتماعي، فالإنسان ابن بيئته فاذا رأى الناس تعمل الخير تأثر بهم وسلك سلوكهم في عمل الخير، كما كان رسول الله ﷺ يربي ويعلم أصحابه، اذ يُروى أنه دخل المسجد سائل يسأل الناس، فحث الرسول ﷺ المسلمين على مساعدته، فقال لهم «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينتقص من أجورهم شيء» [1] ، إذ يتضح من خلال اطلاق اللفظ في الحديث النبوي المبارك أنَّ السنة لا تقف عند الانفاق، أو المساعدة أو غيرها من عمل الخير، وكذلك الأمر عند الحديث عن السنة السيئة، التي تمثل مطلق الشر، فظهور من يقوم ويتحمل أو يوجه الى تحمل كل مسؤولية أخلاقية لمساعدة المجتمع ، سوف يؤدي عمله هذا الى تحريك سلوك بقية أفراد المجتمع وتوجيه سلوكهم في تحمل المسؤوليات الاجتماعية عَبرَ تقديم المساعدة للأخرين والنهوض بالواقع الاجتماعي، إذ نلاحظ صورة جميلة للنفس البشرية في التلاحم والتعاضد والوفاء والاخلاص، من خلال سلوك جمعي يقوم به الموالون لأهل البيت (عليهم السلام) خلال المناسبات الدينية في أيام الزيارات عند ذكرى شهادة أو ولادة أيٍّ من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) المتمثل في البذل المادي والمعنوي في جميع صوره، وهي صور تُعبر عن تكامل النفوس الاجتماعية، متأثرة بتلك المناسبات المحزنة أو المفرحة لأهل بيت النبوة (عليهم السلام) .

رابعاً: بناء وتأسيس الانسجام الروحي والنفسي بين الافراد والجماعات، اذ أنَّ الحقائق الدينية لا تُبنى في نفوس الافراد من وحي الخيال أو الصدفة، انَّما يحتاج

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ط/ مؤسسة الوفاء، ١٠٠ / ٢٣

ذلك الى تقديم المساعدة من الآخرين، وتهيئة المقدمات والاستعدادات الذهنية والنفسية التي تؤسس للانسجام النفسي بين أفراد الجماعة، كما هو في فهم العقيدة الاسلامية الناصعة عن طريق المبلغين والفقهاء والعلماء الهُداة الداعين الى الله تعالى، لأن(العلم اللَّدُّني)(*) هو فقط لأفراد خاصين، وهم الأئمة المعصومين من أهل البيت (عليهم السلام) والانبياء ومن اجتباهم الله تعالى من عباده الصالحين،كما جاء في قوله تعالى :﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ٦٥﴾[الكهف: آية / ٦٥]، أما بقية الناس من علمائهم وعامتهم فعلمهم مكتسب، وقد قال تعالى في ذلك: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[يوسق: آية / ٧٦] التي ورد في تفسيرها:« حسب ما تفرضه طبيعة اختلاف الدرجة في المعرفة»(١).

ويرى الباحث إنَّ هذا الانسجام يعتمد على مدى شعور الافراد بعدم انسلاخ كل منهم عن المجموعة، أثناء حضوره في المسجد أو الحسينية أو أي تجمع ديني يدعو اليه المبلغ، لأنَّ الانسلاخ والاغتراب يجعل الفرد يرفض سلوكيات المجموعة المحيطة به والتي ينفر منها، فلا يتوحد سلوكه مع سلوك المجموعة، لذا توجب على المُبلِغ الحرص على انسجام كل فرد من الأفراد المُبَلَغين، وصولا الى السلوك الجمعي الممدوح الذي يترجى حصوله عند المجموعة من الجماهير المحتشدة تحت منبر تبليغه.

خامساً: يجب توفر القدرة على الاقناع في شخصية المُبلِغ ، بمعنى أن يكون لديه القدرة على حتمية التأثير في المخاطبين، ويتوقف ذلك على امور ثلاثة: من المخاطِب ومن هو المخاطَب ؟ ما الذي يقوله المخاطِب ؟ وما التأثير المطلوب ؟

اذ ينبغي في المُبلِغ أو المرشد أن يكون لديه القدرة والامكانيات العقلية والثقافية والايمانية التي تمكنه من تغيير سلوك الجماعة التي يخاطبها وتعديل

(*)(العلم اللدّني): «المقصود بالعلم اللدني هو العلم الذي يحصل من عند الله تعالى من دون واسطة » المصدر : النراقي، خزائن، الناشر : مؤسوعة كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم، ١٩٩٦م، ٢/ ١٢٣١، الناشر : مكتبة صيد الفوائد في ١٢/ ١/ ٢٠١٧.

(١)محمد حسين فضل الله ، من وحى القرآن، ١٢/ ٢٤.

وتوجيه ذلك السلوك من وجهة غير صحيحة الى سلوك جمعي ممدوح كما هو في تعليم العبادات العامة كالصلاة والصيام والزكاة والجهاد والحج وإداء جميع الشعائر والمناسك التي شرعها الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: آية / ٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: آية / ٢٧]، فلا يتحقق الاقناع الا بعد دراسة الظروف الموضوعية التي من خلالها يمكن أن تتغير اتجاهات وعقائد الافراد ومواقفهم الأمر الذي يؤثر في تغيير سلوكهم، كذلك يتوجب أن يتصف المُبلِغ بسعة الصدر واستيعاب الجميع، كما يُبيّن الله تعالى ذلك لنبيّه الكريم ﷺ بقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[آل عمران:آية /١٥٩].

وبالنتيجة يخلص الباحث الى أنَّه يتوجب من أجل تحقق السلوك الجمعي الديني الممدوح وتغير سلوك الجماعات الى ذلك السلوك، يتوجب على المُبَلِغ أن يجمع بين أمور: أن يجمع بين الخبرة وكسب الثقة، وبين القدرة على جذب الأخرين من خلال المنزلة الاجتماعية والعلمية التي يتمتع بها، وكذلك أن تكون رسالته التي يريد تبليغها، تحاكي الواقع والعقل والعواطف، وبأسلوب فصيح، وبموضوعية ووضوح في تحديد الايجابيات والسلبيات الواقعية، فتقع بذلك في صميم ما يعانيه المخاطبون فيكونوا كالأرض العطشى للماء في استقبال خطابه.

وفوق كل ما تقدم يجب أن نضع القرآن المجيد، وما ورد من بيانه عن طريق الاخبار الواردة عن أئمة أهل بيت النبوة (عليهم السلام) مناراً للهداية لتحقيق ما نصبوا الى تحقيقه من سلوك جمعي بَنّاء وممدوح، فقد خط لنا القرآن الكريم الطريق من خلال الآيات المباركات في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ

وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾[الأحزاب:آية /٣٩]، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب:آية / ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ [النساء:آية /٦٣].

ومن خلال السنة المباركة واخبار آهل البيت (عليهم السلام): فقد ورد أنَّه عندما نزل قوله تعالى: ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً... ﴾[الأحزاب:آية / ٤٥] « عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً... ﴾ وقد كان أمر علياً ومعاذا رضي الله عنهما أن يسيرا إلى اليمن فقال انطلقا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا إنه قد أنزل علي ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ »[(١)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: « يا ابن النعمان ليست البلاغة بحدة اللسان، ولا بكثرة الهذيان، ولكنها إصابة المعنى وقصد الحجة »[(٢)]، فإنه تعالى يضع لنا الخطوط العريضة التي يجب أن يسير وفقها المُبَلِغ في صناعة السلوك الجمعي الممدوح عند جمهور المخاطبين، اذ يتوجب أن يكون تعامل المُبلِّغ وفق أُسس علمية وشرعية وعقلية مدروسة.

يستنتج الباحث مما سبق كله أن السلوك الجمعي لا يقع مذموماً دائماً كما وصف علماء الاجتماع والنفس من الغرب، وأنَّه(السلوك الجمعي) فقط الذي ينتج عن الفزع وردود الفعل المباشرة والقلق والرُعب بمختلفة مسبباته، إنَّما يمكن أن يقع السلوك الجمعي ممدوحاً، ومثاله السلوك الجمعي الديني وأنصع صوره هو السلوك الجمعي الاسلامي، والذي يُصنع على أعين الباري عز وجل من خلال تشريعاته التي بلَّغها النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من أهل بيته (عليهم السلام) من بعده، ومن بعدهم العلماء الربانيين العاملين والمبلغين الذين يتصفون بالمعرفة والإحاطة بعلوم الشريعة كالفقه والاصول وعلوم القرآن، وعلوم اللغة، وغيرها من العلوم، والمتصفين بالتأثير في

---

(١) ابن كثير،(ت: ٧٧٤)، تقديم : يوسف عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان،١٤١٢ هـ- ١٩٩٢ م، ٣/ ٥٠٥.

(٢) المجلسي ، بحار الأنوار، ٧٨/ ٢٩٢.

الناس من خلال مكانتهم الدينية والعلمية والاجتماعية، والسعة والقدرة على استيعاب الناس وجذبهم اليهم لا تنفيرهم للأخرين ، كذلك يتصفون بالخوف على مصالح العباد، وأن يأمن جانبهم من ايقاع التشويه والتحريف في التشريع، وأن يكونوا من أحرص الناس على دينهم، وان يمتلكوا وسائل الاقناع المختلفة التي تجعل من البلاغ الديني يستقر في قلوب ونفوس المكلفين، الأمر الذي يجعلهم يستجيبون جميعاً الى طاعة الله تعالى وتنفيذ وتطبيق العبادات المكلفين بها، حتى ينالوا رضا الله سبحانه والجنة، والابتعاد عن المخالفة التي تستوجب غضبه تعالى والوقوع في النار.

المبحث الثاني: بعض تطبيقات السلوك الجمعي الاسلامي وتوجيه المجتمع، في ضوء التفسير القرآني

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: السلوك الجمعي في شعيرة الحج، في منظور التفسير القرآني:

إنَّ مناسكَ الحجِ مظهرٌ من مظاهرِ السلوكِ الجمعي، كما قيل: « ليس من شك في أنَّ مناسك الحج التي شرعتها الرسالة الاسلامية تُعد من أهم أشكال السلوك الجمعي الانساني في تأريخ البشرية»[1].

وبالرغم من كون أفراد الحجيج لم يظهروا على هيئة جمهور يمارس العنف أو الذعر أو حالة العاطفة الانفعالية الجمعية الهستيرية، أو أنَّهم كالأفراد الذين يسيرون في المظاهرات السلمية، أو أيَّ لون من الالوان السلوك الجمعي التي ذكرها علماء الغرب، إنَّما بالعكس من ذلك فأنَّ هذا اللون من السلوك الجمعي يُبنى على شرط طهارة الحجيج المادية من الحدث أو الخبث، والمعنوية كطهارة الروح من كل الشرور المؤدية الى الجدال والفسوق كما يقول تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدالَ فِي الْحَجِّ ﴾[البقرة:آية

(١) أسعد شريف الامارة ، مقدمة في السلوك الجمعي، ص/ ٢١٣.

/١٩٧]، وتحديدهم بارتداء زي موحد مكوّن من ابسط ما يرتديه الإنسان، مع تقييد سلوكهم بعدم ايذاء مختلف الكائنات الحية من النباتات والحيوانات كما في قوله تعالى: ﴿ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴾ [المائدة:آية / ١]، وقوله تعالى: ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُوا اللهَ ﴾ [المائدة:آية / ٩٨]، وعلى الرغم من الأعداد الكبيرة من الناس تجدهم يسلكون السلوك ذاته من دون وجود قائد ميداني واحد يقود هذه الملايين من الجماهير نحو الهدف المعيّن، بل تجد كل فرد هو مسؤول تمام المسؤولية عن ما يقوم به في جميع مفاصل شعيرة الحج، من الطواف، والسعي، أو الوقوف، أو المبيت، أو النحر، أو الرمي، والكل يؤدي ذات السلوك، حتى يظهرون جميعاً بما يقومون به بمظهرٍ يؤدون فيه سلوكاً جمعياً واحداً من خلال أداء مناسك الحج، إنَّ هذا السلوك الجمعي له اثاره النفسية والتربوية في ذات شخصيات أفراد الحجيج، كما وله أبعاده الاجتماعية، وفي كلا الاثار النفسية والتربوية وكذلك الابعاد الاجتماعية فأنَّ للسلوك الجمعي من خلال فريضة الحج اثاره على المجتمع [١]، ويظهر ذلك كما يأتي:

أولاً: الأثار النفسية والتربوية الناتجة من السلوك الجمعي لفريضة الحج:

ويتضح ذلك من خلال النقاط التالية:

١- **التفاعل بين الحجيج** : ويحصل من خلال عدة نقاط:

أ-فالتفاعل بين الافراد مع اختلاف اجناسهم الذي يؤدي الى (التقدير الاجتماعي)* الذي يُعد الأصل في السلوك الجمعي.

ب-وحدة السلوك في مناسك الحج تُلهب شعور المسلم بالانتماء الاجتماعي لمجتمع التوحيد العالمي، فتراهم يأتون من كل بقاع العالم ومن كل القوميات والاجناس البشرية ذكوراً واناثاً وبمختلف الاعمار لتلبية دعوة الله في تأدية مناسك واحدة في

---

(١) يُنظر : زهير الاعرجي، الابعاد الاجتماعية لمناسك الحج،ص/ ١.

(*) التقدير الاجتماعي هو :« حاجة الإنسان الى أن يقدره الآخرون من خلال الخدمات التي يُقدمها إليهم أو الى المجتمع بنحو عام، وهو حاجة الإنسان الى أن يحبه الآخرون » المصدر : هانم داود، التقدير الاجتماعي، الناشر دنيا الوطن ، في ٢٠/ ٩ / ٢٠٢٠م

مكان واحد وزمان واحد كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[الحج:آية / ٢٧]، اذ نرى المؤمنين بالله يدفعهم الشوق واللهفة من أعماق نفوسهم لتلبية نداء ابراهيم عليه السلام في سلوك جمعي يظهر من خلال تأدية مناسك الحج، كما ورد في تفسيرها: « و لما فرغ إبراهيم من بناء البيت امره الله ان يؤذن في الناس بالحج، فقال: يا ربّ ما يبلغ صوتي فقال الله اذن، عليك الأذان و عليَّ البلاغ، و ارتفع على المقام و هو يومئذ ملصق بالبيت، فارتفع به المقام حتّى كان أطول من الجبال، فنادى و ادخل إصبعه في اذنه و اقبل بوجهه شرقا و غربا يقول: أيها الناس كتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق فأجيبوا ربكم، فأجابوه من تحت البحور السبع و من بين المشرق و المغرب، الى منقطع التراب من أطراف الأرض كلها و من أصلاب الرجال، و من أرحام النساء بالتلبية: لبيك اللّهمّ لبيك، اولا ترونهم يأتون يلبون؟ فمن حج من يومئذ إلى يوم القيامة فهم ممن استجاب الله و ذلك قوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعنى نداء إبراهيم على المقام »[1]، ويرى الباحث ان استجابة الناس وهم في عالم أخر هو عالم الاصلاب والارحام، جعل من تلك الاستجابة دافعاً قوي عند من استجابوا في تلك العوالم على إن يستجيبوا وبسلوك جمعي في عالم الدنيا.

٢ – الحج هو **التسليم المطلق والطاعة: لله في كل شيء**، كما في قوله تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾[الحج:آية / ٢٨]، فمن خلال هذا السلوك الجمعي لفريضة الحج يُهذب الله تعالى أرواح المسلمين من خلال تلك الحركات السلوكية، التي اذا ما عاشها الانسان أبحر طويلاً في تأمل مع ربه متجرداً

(١)عبدعلى بن جمعه الحويزى ، تفسير نور الثقلين، ٥جلد، اسماعيليان – ايران – قم ١٤١٥ هـ.ق، ٣/ ٤٨٨.

من ادران وشوائب الدنيا، فيكون في قمة من الصفاء في المشاعر والاحاسيس ورفيع الاخلاق ، وصار في دورة تدريبية مكثفة تسلخه من حبال الشيطان عندها يدخل المسلم في حمى الرحمن، كما ورد في تفسير الآية المباركة: « فإذا التقينا بالحج، فإننا نلتقي بالعبادة الزاخرة بأكثر من معنى، فهي تلتقي بالصلاة في أجواء الطواف و السعي، و الوقوف بعرفات و المزدلفة، و المبيت بمنى، إذ يعيش الإنسان أعمق حالات التأمل و أصفى مشاعره، و أرفع درجاته، أما الإحرام، فإنه يمثل الالتقاء بالصوم حين يفرض على الإنسان الالتزام الطوعي الاختياري بكثير من الأشياء التي تتصل بشهواته و عاداته و أخلاقه، فتمثل مرحلة تدريبية صعبة يتعلم فيها الصبر و الخشونة و احترام مشاعر الآخرين، و احترام كل شيء محترم حوله حتى الحيوان و النبات، إلى جانب دقّة الملاحظة عند ما يراقب كل حركة من حركاته حتى سقوط الشعر و حكّ البدن و النظر في المرآة، أما رمي الجمار، فإنه يمثل الرمز العملي للصراع مع الشيطان، في ما تمثله الجمرات من رمز، و هكذا يتحرك الإنسان من عمل إلى عمل ليحقق لنفسه البناء الروحي و الفكري و العملي في أجواء العبادة التي يعيش في داخلها اللقاء بالله »[1]، فاذا عاد ذلك الحاج من بيت الله الى مجتمعه عاد انساناً جديداً بعيداً عن الشيطان والوقوع في الخطأ أو ارتكاب المعاصي والذنوب، قريب من الله وعمل الخير وبناء واصلاح المجتمع.

ثانياً: الأبعاد الاجتماعية للسلوك الجمعي في فريضة الحج:

(١)محمد حسين فضل الله ، من وحى القرآن، ٤/ ٩٩.

أنَّ مناسك الحج في الاسلام بما فيها من التفاعلات الروحية والاجتماعية بين المسلمين من أبرز وأظهر أشكال السلوك الجمعي، كما يتضح من أقوال المختصين في علم الاجتماع وكما مبيّن: « تُعدُّ مناسك الحج التي شرعها الإسلام شكلاً من أشكال السلوك الجمعي ووجهاً من أوجه التفاعل الروحي والاجتماعي بين المسلمين....وما ينتج بين الأفراد من مختلف الأجناس، يؤدي بالنهاية الى التغيير الاجتماعي الذي هو الأصل في نشاطات السلوك الجمعي ..... إنَّ الاسلام لم يقدّم للبشرية أعظم نظريات السلوك الجمعي فحسب، بل وضع الأفراد على محك التكليف الشرعي العملي..... إنَّ الطهارة الروحية والمادية تعتبران من أهم مميزات السلوك الجمعي الاسلامي..... ويمكن اعتبار أعمال الحج من أكمل أشكال السلوك الجمعي، لما تتميز به من دقة التنظيم..... إنَّ السلوك الجمعي في الحج يؤدي الى تغيير ملموس، فالحج باعتباره سلوكًا جمعياً منتظماً وثابتاً في الزمان والمكان والشروط، يمتلك تأثيراً هائلاً في النفوس»[1]، وتتضح الابعاد الاجتماعية للسلوك الجمعي في فريضة الحج من خلال النقاط التالية:

١- فمن خلال قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[الحج:آية / ٢٧]، اذ استجاب المسلمون لذلك النداء فحدث التفاعل الروحي والاجتماعي بينهم ، من خلال النشاط الاجتماعي عبر السلوك المشترك بين الحجيج، الأمر الذي ينتج عنه التغيير الاجتماعي والذي يُعدُّ الاساس الذي ينعكس من نشاطات السلوك الجمعي، وكما يُنقل: « يعتبر الحج الملتقى الاجتماعي الأكبر للمسلمين في العالم، فقد كانت المشيئة والإرادة الإلهية في جعل الحج فريضةً وواجبًا على المسلمين، لكي يجتمعوا من مختلف أنحاء العالم في

(١) زهير الاعرجي، الابعاد الاجتماعية لمناسك الحج، ص/١٨٦ و ١٧٨ و ١٩٠ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٦ و ١٩٩.

نقطةٍ مركزية واحدة؛ ليُحقِّقوا الوحدة والتواصُل فيما بينهم، من أجل إيجاد التلاحُم الوثيق »[1] حتى يتحقق ما أمرت به الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: آية /١٠٣] ، ولا يتوقف شعورهم الاجتماعي عند بلد معين بل يتعداه الى الشعور بالوحدة الكونية التي تضم جميع الخلق والمخلوقات، اذ يرى مجموع أفراد الحجيج وحدة النشاط في الطواف حول البيت ، والسعي ما بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفات وما يتبعه من افاضة ملايين الحجيج في الوقت ذاته الى مزدلفة، ونحوها، كل ذلك ما هو الا دليل وحدة النظام الاجتماعي الذي مصدره المشرع الواحد المنظم لحركتهم ونشاطهم حول سلوك جمعي واحد،اذ يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾، [المؤمنون:آية /٥٢] والتي ورد في تفسيرها: « وحدة الرسالة المتحركة في خط التوحيد و الشريعة المنطلقة باتجاه هدف واحد هو إقامة الحياة على كلمة الله، و تحصيل رضاه بذلك.. و هذا ما يجمع الدعاة إلى الله و الأدلّاء عليه، بعيدا عن العلاقات الشخصية و المنافع الذاتية، و هو ما يضمّ المؤمنين في دائرة الوحدة، بعيدا عن الأوضاع العائلية و العرقية و الإقليمية و نحو ذلك مما يختلف فيه الناس و يتوحّدون، فلا بد من إقامة الوحدة على هذا الأساس، بحيث يشكل القاعدة و المنطلق »[2]، فقد ورد أن السلوك الجمعي في فريضة الحج الذي ينتج من تلبية المسلمين لنداء ابراهيم عليه السلام على اختلاف اجناسهم ولغاتهم وحضاراتهم وتنوع الواقع الاجتماعي لهم فإنَّ ذلك ينمي أمور وهي: « أ- تعميق معنى الوحدة : لقاء المسلمين في الحج يجسد الوحدة الاسلامية، إذ تتجلى وحدة الشعائر و وحدة الهدف، فالحجيج على اختلاف اجناسهم و السنتهم، يؤمنون برب واحد، و يطوفون ببيت واحد، و

(١) خميس النقيب، مقالة بعنوان : الجانب الاجتماعي في الحج، ٧/٣ / ٢٠٢٢م.

(٢)محمد حسين فضل الله ، من وحى القرآن،١٦ / ١٦١ .

يؤدون اعمالا موحدة ، ب- التعارف: من المنافع الاجتماعية البارزة في رحلة الحج التلاقي و التعارف، و بناء العلاقات الاجتماعية السليمة، مع مختلف انماط و ضروب المجتمع دون اي تفرقة ت- تهذيب السلوك الاجتماعي: فريضة الحج تربي في المسلم آداب و اخلاقيات السلوك الاجتماعي السوي، و بالتالي تحسن العلاقة بينه و كل المحيطين به»[1]

٢- كون الحج مؤتمر عظيم لجميع المكلفين، وقد دعا لذلك المؤتمر رب الكون.

ويرى الباحث أنَّه لو فرضنا أن أيّة حركة اجتماعية أو أي حزب سياسي قاموا بمثل هذه الدعوة للناس، في أن يتجمعوا في ذلك المكان في قلب الصحراء وفي ذلك الوقت المحدد من كل عام، لما وجدنا تلك الاستجابة من أحد، الأمر الاخر إنَّ ارتداء ثياب الاحرام ببساطتها، ذات الكلفة المادية القليلة، والذي يتساوى في ارتدائه الغني والفقير، كل تلك الامور وما سبقا من تساوي جميع المستويات الاجتماعية في الاستجابة، تزيل نسبة كبيرة من الفوارق الاجتماعية، التي قد تجعل الفرد يشعر بالقيمة الاجتماعية الحقيقية، وبالتواضع ، حين العودة الى الواقع الاجتماعي الذي يعيشه في وطنه الأم.

٣- كونهم يأتون كما قال تعالى: ﴿ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾، [الحج:آية / ٢٧] يعني من مجتمعات تختلف فيما بينها من الناحية الثقافية ودرجة الرقي والتقدم الحضاري، كل ذلك يُسهم في عملية التلاقح الحضاري والاجتماعي من خلال تبادل المعلومات والافكار خصوصاً في الفترتين ما قبل مناسك الحج وما بعدها، وأمر آخر إنَّ الطهارة الإلهية للمكان كما قال تعالى: ﴿ إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾، [الحج:آية /٢٦] , والتي

(١) شروق هشام، فوائد الحج الصحية و النفسية و الاجتماعية، في ٥/ ٩ / ٢٠١٦.

ورد في تفسيرها: « فمهمّة إبراهيم عليه السلام كانت تطهير البيت و ما حوله من أي نجس ظاهر أو باطن، و من أي صنم أو مظهر للشرك، من أجل أن يوجّه عباد الرحمن قلوبهم و أبصارهم إليه تعالى وحده في هذا المكان الطاهر، و ليقوموا بأهمّ العبادات في هذه البقعة المباركة، ألا و هو الطواف و الصلاة في محيط إيمانيّ لا يخالطه شرك»[١]، اذ ستنعكس هذه الطهارة المادية والمعنوية على نفوس الحجيج حتى تجعل منهم عناصر يسلكون سلوك جمعي يتجلى من خلال نفوسهم النقية الطاهرة والتي سوف تنتشر في داخل المجتمعات التي جاءوا منها فيكونوا مصابيح خير وصلاح واصلاح في المجتمع، فهو موسم نقاء وصفاء القلوب كما يصف أحد الكتاب في مقالته: « موسم الحج موسم لتصفية الخلافات مع الآخرين، ونقاء القلوب عند المؤمنين، ومحو الذنوب مع المخطئين، وسمو الأخلاق للطائفين، وعلوها للعاكفين والرُّكَّع السجود؛ حيث يعود الحاج..... بقلب فرح، ونفس مطمئنة؛ ممَّا يُساعد على تقبُّله للآخرين ونسيان الأخطاء والنزاعات الماضية، فيحصل التكافل والتكامل والتعاضُد والتعاون في المجتمع »[٢].

٤- من خلال السلوك الجمعي الناتج من الالتزام بكل التكاليف الشرعية لمناسك الحج ، تقدم لنا هذه الشعيرة العبادية نموذجاً من الانسان السوي الايجابي البناء لوطنه والمُصلِح في مجتمعه الذي يحب الخير له ولجميع أفراد المجتمع الذي ينتمي اليه فضلاً عن أنه يحب ويتمنى الخير لكل المجتمع الانساني والكوّن كله ويعمل على تحقيق ذلك كما وصف ذلك بعض الكتّاب في قولهم: « إن عبادة الحج تقدم للمجتمع إنسانًا سويًّا طيبًا ودودًا صالحًا، بعد أن يتفاعل مع المشاعر، ويُعظِّم الحرمات، ويبلغ درجة التقوى، ومن ثَمَّ يريد الخير للناس، ويطلب الصلاح

(١) ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٠ / ٣٢٠

(٢) خميس النقيب، مقالة بعنوان : الجانب الاجتماعي في الحج، ٧/٣ / ٢٠٢٢م.

لهم، ويهتمُّ لأمرهم، لا يصدر عنه إلا ما ينفع البلاد والعباد، إنسانًا يطلب وجه الله فيما يقول وفيما يفعل، إنسانًا إيجابيًّا يتحمل مسؤولياته تجاه المجتمع، يقوم بواجباته، يحمل هَمَّ الدِّين والمتدينين، بل يكون داعيةَ خَيْرٍ وصلاحٍ ومحبة، يتعاون مع غيره على البِرِّ والتقوى لا على الإثم والعدوان، وهذا من أعظم الآثار الاجتماعية للحج، فريضةُ الحَجِّ شأنُها شأنُ غيرِها من الفرائض تستهدف بناء الإنسان وبناء المجتمع، وعملية البناء هذه تنطلق من تهذيب النفس الإنسانية من كل ما يشوبها من رذائل لتعزيز الفضائل فيها، وتحلية بما هو خير، وتخلية عما هو شرٌّ!»[1] كما يُبين القرآن الكريم كيف يكون المكان الذي يُليق بالطائفين والعاكفين والركع السجود، بأن يأمر انبيائه ابراهيم واسماعيل﴿ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِ ﴾ من خلال الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: آية / ١٢٥] والتي ورد في تفسيرها: « و كأن الله أراد أن يجعل من هذا البيت قاعدة سلام يجتمع إليها الناس من دون إحساس بالخوف و بالمشاعر المضادّة التي تمنعهم من اللقاء....، و من جهة أخرى ليعيش الناس في أجواء إبراهيم كقدوة في كل المعاني الروحية الكبيرة، فتمتزج صلاتهم بصلاته، و دعواتهم بدعواته و ابتهالاتهم بابتهالاته في تفاعل روحيّ عظيم، ثم عهد إليه و إلى ولده إسماعيل، أن يجعلا هذا البيت طاهرا من كل دنس سواء كان ذلك من مظاهر الشرك و الوثنية، أو من عناصر القذارة و النجاسة، أو من الأشخاص الذين يدخلون فيه من حيث نظافتهم من القذارات المادية و المعنوية »[2].

(١) خميس النقيب، مقالة بعنوان : الجانب الاجتماعي في الحج، ٧/٣ / ٢٠٢٢م.

(٢) محمد حسين فضل الله ، من وحى القرآن، ٣ / ٢٣.

ومن كل ما تقدم يخلص الباحث في هذا المطلب الى أن الحج هو من أظهر صور السلوك الجمعي الديني، وان لم تتحقق فيه بعض ملامح السلوك الجمعي الذي وصفه علماء الغرب، الا أنه توفرت فيه من خصائص ما تجعله في مقدمة صور السلوك الجمعي الإيجابي، اذ يتوفر فيه الانقياد الجماعي للقيام بالحركات والافعال والاقوال المنتظمة في زمان ومكان واحد، قد يطيع الجمهور الملك الطاغية خوفاً ورعباً أو تملقاً من دون تفكير بعواقب الامور، في حين في الحج ومن خلال المعايشة الميدانية للباحث في مناسك الحج وجد الباحث أنَّ الحجيج يطيعونَ الله بأداء مناسك الحج، من عَرِفَ فلسفتها ومن لا يعرف، خوفاً من الله تعالى أن يأخذهم بعدله لأنَّه المنعم والمتفضل عليهم الذي توجب كل النواميس الطبيعية والعقلية وجوب طاعته وشكره، و الذي توجب مخالفته ومعصية الهلاك والعذاب في الدنيا والاخرة، كذلك يؤدي الحجيج ذلك السلوك الجمعي، استجابةً للحاكم العادل لأنَّهم يطمعون في البركة والخير منه لهم ولأهلهم ولمجتمعهم، والتي ستنالهم من الله تعالى لأنه هو الخالق المتصرف بأمور الخلق، كل ذلك ينمي الشوق والحب الشديد الملتهب عندهم لأداء مناسك الحج ودليل ذلك المشاعر الجياشة عندهم التي تتجلى في البكاء بحرقة عند وصول الحجيج الى المسجد النبوي وأضرحة آل البيت (عليهم السلام)، ومن بعدها الوصول الى مكة واللقاء في بيت الله الحرام، واداء المناسك التي اداها ابراهيم عليه السلام، اذ يؤدونها ايماناً بربهم الذي عرفوا وأمنوا بأنَّه تعالى لا يريد بهم الا الخير والصلاح في الدنيا والاخرة، وايماناً بنبيهم صلى الله عليه وآله وسلم الكريم وصدقه وأمانته الذي أرسله الله تعالى رحمةً للعالمين كما ذكر القرآن الكريم.

ووفق كل ذلك يُعدُّ الحج سلوكاً جمعيا اسلامياً ممدوحاً في كل جزئياته، فهو سلوك جمعي في توقيتاته الزمنية الواحدة الثابتة التي يجتمعون خلالها، وسلوكاً جمعياً في مواقيته المكانية المنظمة المترتبة بالتسلسل في الوقوف بها جميعاً، وفي

الملابس والزي الواحد البسيط الذي يرتديه الحجيج كلهم، كذلك هو سلوك جمعي اسلامي في كل الحركات والافعال، والتراتيل وما يلبون في افعالهم وأقوالهم التي يؤدونها مجتمعين في ذلك الزمان والمكان الواحد بقلوب ومشاعر ما بعدها من المشاعر اذ تذوب في تلك اللحظات في لقاء الرب المتصرف بالنفوس ومصائرها وحاضرها ومستقبلها مُسَلِّمين له في اجواء حارة لاهبة وزحام شديد يجعل العرق يجري من حلمة آذانهم، يرغبون أن يُكفِّر الله تعالى عنهم ذنوبهم في طوافهم هذا ولقائهم بالحجر الاسود وادائهم كافة مناسك الحج كما أراد منهم تعالى، وجميع ذلك السلوك الجمعي الاسلامي كان المحرك الأول له هو ذلك النداء القديم الذي علمه الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام فنادى فلبت له القلوب والانفس وهم في الاصلاب والارحام فهم ليس بإرادتهم يأتون جماعات جماعات الى بيت الله الحرام بل بدافعٍ في حقيقه داخلية في أعماق نفوسهم منذ القِدَمْ، وأمر أخر خارجي وهو طاعة الله تعالى، فقد شرع الله الحج في كتابه الذي أنزله على نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، اتباعاً وطاعة منهم وتسليماً لسنة النبي وآهل بيته الكرام (عليهم السلام) التي أمر الله تعالى بإتباعها.

كل ذلك السلوك الجمعي الاسلامي الذي رسمه الباري ﷻ له الآثار الروحية والاخلاقية والايمانية والمعرفية التي تؤثر في الواقع الاجتماعي الاسلامي أولاً والعالمي ثانياً والكوني ثالثاً، ومن خلال التفاعل الروحي والتفاعل المعرفي، واطلاع الحجيج اطلاعاً مباشراً على النقاط المشتركة التي تجمعهم والتي تقوّي من علاقاتهم وتزيل الحجب التي وضِعت بينهم، فدينهم واحد وربهم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد وقبلتهم واحدة ومناسكهم العبادية واحدة وقلوبهم واحدة في الدعوة الى الخير للجميع، كل ذلك يجعلهم يسلكون سلوكاً جمعياً واحداً في العمل على الخير.

المطلب الثاني: السلوك الجمعي في زيارة الأربعين في منظور التفسير القرآني:

أولاً: زيارة الاربعين سلوك جمعي: تُعد ظاهرة زيارة الاربعين (المشاية) سلوكاً جمعياً، كونها تكتل منشأه العقيدة والإتباع والمولاة التي هي من فروع الدين فاجتمع الناس على أداءها، وقد يكون منشؤها الرأي العام الذي تشكل من اتفاق مجموعة آراء تطورت شيئاً فشيئاً مع مرور الزمن فصار رأياً عاماً واتفاقاً جماعياً عند الغالبة من فئات جمهور تجاه تلك الظاهرة، كذلك تقترب ظاهرة المشاية من عدَّها نوعاً من التقاليد، أو التقليد عند من لم تترسخ في ذهنه الفلسفة الحقيقية لزيارة الاربعين، والسبب في ذلك وجود جانب التقليد للأصدقاء والرفقة الاجتماعية، كما لاحظ الباحث ميدانياً ذلك الأمر في العديد من الزيارات الاربعينية التي عاشَ سعادة لحظاتها، اذ يوجد كثير ممن يشارك في هذه الظاهرة المباركة لكنَّهم يمارسونها كطقوس سنوية اعتادوا سنوياً على إدائها نتيجة التأثير الاجتماعي الذي يحيط بهم، وكذلك إنَّ زيارة الأربعين تشكل حشداً جماهيرياً وظاهرة حشديه بامتياز وهذا أمر مسلَّم به، لتميزها بجميع المواصفات التي تتصف بها الحشود ، كذلك يجد الباحث أنها ومن المؤكد تنتمي الى أظهر وأبرز الحركات الاجتماعية والعبادية، لأنَّها ظاهرة من الظواهر الاجتماعية العبادية.

وكل ذلك ينطبق مع آراء أحد منظري علم الاجتماع والرواد في تنمية مفهوم السلوك الجمعي وهو عالم الاجتماع الفرنسي المشهور (اميل دوركهايم)[*1]، اذ يوجز بأنَّ أهمية العامل الجماعي ضمن السلوك البشري تقوم على أساس (التفاعل

(*) «دايفيد إميل دوركايم (بالفرنسية(David Émile Durkheim : (١٥ أبريل ١٨٥٨ – ١٥ نوفمبر ١٩١٧) فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي. أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن معا. أبرز آثاره (في تقسيم العمل الاجتماعي) (عام ١٨٩٣)، و (قواعد المنهج السوسيولوجي) (عام ١٨٩٥) » المصدر : منشور بعنوان (إميل دوركايم) في وكوديا الحرة ، الرابط : https://ar.wikipedia.org/wiki/

الاجتماعي) وما له من أهمية وأثر، اذ يرى بأن التمثلات الجماهيرية الجمعية، ما هي الا نتاج اندماج وانصهار العقول الفردية نتيجة تعايشها وترابطها أو اشتراكها الاجتماعي، فهو بذلك يرى أنَّ التمثلات الفردية تتحور أو تتغير في عملية التفاعل المكون للخليط الاجتماعي النفسي، والتي غالباً ما تحدث في الجماعة، ووفق ذلك فإنَّ التمثلات الجمعية لا تُفَسر وفق العمليات العقلية الفردية، أو من خلالها [١].

ويصر(اميل دوركهايم) من خلال أرائه وتوجهاته على أنَّ الطقوس والافكار الدينية والشعائر، تتمحور وتتولد من الاجواء الاجتماعية الحماسية والهياج الجماهيري، ومن بعد ذلك يتكون دين المجتمع، فينشأ المقدس، ووفق ذلك يتمحور رأي (دوركهايم) بكون التغيير الاجتماعي الحاصل من تأثير السلوك الجمعي يعود لسببين هما: [٢]

١- الطقوس وما يقع فيها من الهياج، فتنمو وتنتج تمثلات جمعية جديدة، ومختلفة وتتجلى من خلالها الرموز المقدسة.

٢- كثافة الجمهور، ديناميكية السكان، التي وفقها يتقسم العمل الذي يزيد من اللحمة والتماسك الاجتماعي فيكون تماسكاً عضوياً.

ووفق ذلك وبمرور الزمن وتراكمات الاحداث التي تجذبهم أصبح لدى الشيعة تفكير وشعور جمعي يتمثل بزيارة الاربعين يختلف عن سلوك وتفكير وشعور الافراد منعزلين عن المجموع، والذي يجعل ذلك سلوكاً جمعياً اتفاقه وانسجاماً مع الآراء التي يذهب اليها دوركهايم، الذي يُنقل عنه في ما يذهب اليه أنَّ: « "العقل الجمعي" عند إميل دوركايم، يوجد خارج عقول أفراد المجتمع، وهم يخضعون دائما لتعاليمه وتوجيهاته، ولو على غير إرادة منهم، كما أنه المكوّن الأول

---

(١) يُنظر: حاتم الكعبي، السلوك الجمعي،١/ ١٤١.

(٢) يُنظر : مجاهد أبو الهيل، (المشاية) في مراسيم الزيارة الأربعينية – دراسة ميدانية، ص/ ٢٢.

لأفكار الناس، ومذاهبهم، وعاداتهم، وهو الملزم لهم باتباع أوامره وإملاءاته..... ويتضح من فلسفة إميل دوركايم أن "العقل الجمعي" بمثابة كائن لا مرئي يسيّر المجتمع ويتحكم فيه، بحيث لا يستطيع الناس مواجهته أو التمرد عليه، ولعل في الاقتصار على العوامل الاجتماعية في فهم وتحليل كل ما يتعلق بالمجتمع،، أثر من آثار هذا "العقل الجمعي" أو الكائن الا مرئي »[1] ، وحسب ما تقدم من مجريات البحث تأكد أن العقل الجمعي هو مقدمة للسلوك الجمعي، فينتج أن ما يحصل في زيارة الاربعين هو سلوك جمعي اسلامي ممدوح لأن فيه احياء الدين وتجديده، سواء كان مصدره المنظومة العقدية السليمة المبنية على أصول وقواعد ومرويات الشيعة، فكان سلوكهم نتيجة لذلك المعتقد، أو ناتج عن تقليد اجتماعي واتباع للجماعة.

ومما يؤكد كون طقوس زيارة الاربعين فيها سلوك جمعي، لقاء الباحث المباشر مع أحد الاشخاص الذي يقول: بعد ان توفيت والدتي التي كنت احبها ولا زلت متعلقاً تعلقاً شديداً بها، الأمر الذي اخذني الخزن عليها، الى مرافقة مجموعة من رفاق السوء الذين حملوني على شرب الخمر حتى أصبحت من المدمنين عليه لمدة خمس سنوات، وفي يوم من الايام سمعت مجموعة من الشباب في المنطقة وفي فترة مناسبة زيارة الاربعين يستعدون صباحاً الى الذهاب مشياً من بغداد الى كربلاء لإداء زيارة الاربعين، فقلت لهم أريد الذهاب معكم، حينها قاطعته بطرح السؤال التالي عليه، ما الذي حملك على هذا الأمر، أن تسير الى الزيارة وانت على غير طريق، ولا تصلي وليس متدين ؟

فكان الجواب، (حملتني الدوامة) يعني السلوك الجماعي، ثم يكمل الكلام فيقول: ضحك الجميع مني، وحسبوا اني اهزاء بهم لما يعلمونه مني من سلوك غير سوي،فيكمل و يقول: وعندما صار الصباح كنت انا أول الواقفين في الشارع انتظر

(١) عبد الله المصمودي،منشور بعنوان : العقل الجمعي" عند إميل دوركايم، ٢٣ أكتوبر ٢٠١٨ .

خروجهم فتعجب الجميع من أمري، وفي الطريق، وفي أحد مواكب الراحة سمعت أحد الشيوخ يتكلم كيف أن الله يغفر الذنوب ويقبل توبة من تاب، وان الله يبدل سيئات التائبين الى حسنات، كما في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: آية / ٧٠] ، التي ورد في تفسيرها : « عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ :فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ قَالَ: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ كَانُوا قَبْلَ إِيمَانِهِمْ عَلَى السَّيِّئَاتِ فَرَغِبَ اللَّهُ بِهِمْ، عَنْ ذَلِكَ فَحَوَّلَهُمْ إِلَى الْحَسَنَاتِ وَأَبْدَلَهُمْ مَكَانَ السَّيِّئَاتِ الْحَسَنَاتِ»[(١)]، وهنا يتضح دور المبلغين والمرشدين الى الله الذين يبلغون الناس تعاليم الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: آية / ١٩] ، والتي ورد في تفسيرها: « حَيْثُمَا يَأْتِي الْقُرْآن فَهُوَ دَاع وَهُوَ نَذِير ثمَّ قَرَأَ ﴿لأنذركم بِهِ وَمن بلغ﴾،وَأخرج..... أَن النَّبِي ﷺ قَالَ: يَا أَيهَا النَّاس بلغُوا وَلَو آيَة من كتاب الله فَمن بلغته آيَة من كتاب الله فقد بلغه أَمر الله أَخذهَا أَو تَركهَا »[(٢)].

ويُكمل هذا الشخص حديثه قائلاً: فما أن صارت قدمي على جسر منطقة المسيب واتجهت باتجاه الحسين عليه السلام حتى سالت دموعي معاهداً الله وجاعلاً الإمام الحسين عليه السلام شاهداً عليَّ لأن يعينني على ترك شرب الخمر، سوف اتوب واستمر على زيارة الاربعين، يقول: فأخذتني رجفة حتى صار جسمي يجري وجبيني يصب عرقاً، وكأنَّما دخلتُ في حمام لأغتسل من النجاسات التي كنت أحملها، وبقيت مدة من الزمن كلما اشم عطراً اتقيأ جميع ما في جوفي حتى بقيت حيناً من الزمن على هذه الحال، وكأنما أراد الله أن يغسل ما في جوفي من ذلك المنكر الذي كنت مدمناً عليه، والحمد لله انا اليوم ومنذ ثمان سنوات أنا اصلي وأصوم واحب الخير ومقتنع برزقي، ومستمر في خدمة زوار ابي عبد الله في زيارة الاربعين.

---

(١)الرازي: : أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم،المحقق: أسعد محمد الطيب،الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط/٣ – ١٤١٩ هـ، ٨/ ٢٧٣٣.

(٢) السيوطي، الدر المنثور، ٣/ ٢٥٧.

ويرى الباحث ما حصل لهذا الانسان المؤمن، وغَيَّرَ حالهُ من حال الى حال أفضل، الا السلوك الجمعي بتقليد الآخرين في سلوكهم حتى حصد ثمار الايمان الأمر الذي يؤكد ما في زيارة الاربعين من منافع ايمانية هذه الحالة أحد مصاديقها.

ثانياً: السلوك الجمعي في زيارة الاربعين والتفسير القرآني:

لا شك ولا ريب أنَّ زيارة الأربعين هي شعيرة من الشعائر الدينية، فالشعيرة في اللغة تعني « كلما كان من موقف ومسعى وذبح، وإنما قيل شعائر لكل علم مما تعبد به، لأن قولهم شعرت به أي علمت، ولهذا سمى الإعلام التي هي متعبدات شعائر الواحدة شعيرة،.... الشعائر: المعالم التي ندب الله إليها وأمر بالقيام بها وقال »[1]، ومن ملاحظة التعريفات التي وردت في كتب اللغة، وأقوال العلماء، يتبيَّن أنَّ الشعائر تختص بما يأتي: « الجصاص فسر الشعائر بجميع ما أمر الله به ونهى عنه، الحسن البصري: ذكر أنها الدين كله، القرطبي.. أحكام القرآن: خصها بالمتعبدات التي أشعرها الله تعالى وجعلها علامة للناس، ورابع: خصها بمناسك الحج بقرينة السياق في آيات سورة الحج والسور الأخرى »[2]، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (البقرة:آية / ١٥٨) .

ويرى الباحث أنَّه قد يرد اشكال: إنَّ الله تعالى قد جعل مفهوم الشعائر الاسلامية مقيدة فقط في الصفا والمرة والبدن لورود النص القرآني صريحاً فيها، فلا يجوز أنّ يدخل غيرها في حكم الشعائر.

---

(١) الهروي : أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت: ٤٠١ هـ) ،الغريب والمعاجم،الكتاب: الغريبين في القرآن والحديث تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط/ ١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م، ٣/ ١٠٠٧– ١٠٠٨.

(٢)جعفر السيد عبد الصاحب الحكيم : الشعائر الدينية، نقد وتقديم (تقريرات لبحوث الاستاذ الشيخ محمد السند)، الناشر : دار الغدير / قم، ط/١، ١٤٢٤هـ –٢٠٠٣م، ص/ ١٢.

فيُردُ على ذلك الاشكال: « إنَّ اثبات الشيء لا ينفي ما عداه »[١]، فلو رجعنا الى المشهور بين الفريقين، إنَّ الشعائر تعني كل ما نص وأمر به الله في القرآن وغير القرآن، حتى وصل الحال بأحد الفقهاء من مذاهب مدرسة الجمهور أن يجعل من صلاة الجماعة شعيرة من شعائر الله، ذلك لأنَّ حرمة الصلاة بقيد الجماعة أعظم من حرمتها منفردة، فيقول: « وَالْإِمَامَةُ وَالْأَذَانُ شَعَائِرُ لَا يُمْكِنُ إبْطَالُهَا؛ وَلَا تَنْقِيصُهَا بِحَالٍ »[٢].

في حين نجد جمعاً كبيراً من العلماء يجعل من مفهوم الشعائر الدينية شاملاً لكل حرمات الدين وشعائره، كما هو الشيخ (الجواهري)، و(الميرزا النائيني) الذي يُعبّرُ في فتواه بأنَّ الشعائر الحسينية ما هي الا شعائر الله، في حين يستدل الشيخ (محمد حسين كاشف الغطاء) من العموم في انها تشمل شعائر الحسين من خلال قوله تعالى: ﴿ ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾، [الحج: آية / ٣٢]، أما (السيد الحكيم) في المستمسك فمال الى وجوب الشهادة الثالثة، جهة انطباقها مصداقاً للشعائر، وكذلك هو رأي الميرزا القمي ، والسيد جمال الدين الكلبايكاني النجفي [٣]، فالشعائر جاءت كما قالوا عن « الشعار الديني هو الاعلام للمعاني الدينية بأدوات حسية، فكل ما أعلم بالله تعالى أو بفكرة منتسبة له كدينه أو أمره ونهيه فهو شعار ديني »[٤].

---

(١) أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني القِنَّوجي البخاري (ت: ١٣٠٧هـ)، تفسير فتحُ البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، ١٤ / ١١١

(٢) ابن تيمية : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، الفتاوى الكبرى، الناشر: دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م، ٤/ ٢٤٥.

(٣) يُنظر : الحكيم : جعفر السيد عبد الصاحب، الشعائر الدينية، نقد وتقديم (تقريرات لبحوث الاستاذ الشيخ محمد السند)، ص/ ١٢– ١٣

(٤) المصدر السابق، ص/١٨

و من كل ما تقدم يكون الجامع المشترك الذي يجمع ماهية الشعيرة: انها الشعار الذي يُستخدم في موارد الاعلام الحسي، فيكون الشعار الديني بمثابة الاظهار والاعلام للمعاني الدينية وبالأدوات الحسية، فجميع ما هدى الى الله وأنار الطريق للوصول اليه وأعلَمَ بالله تعالى، أو بدينه، أو ما أمر به ونهى عنه أو بفكرٍ منتسب الى الله تعالى، فهو شعار ديني، ومنه الشعيرة، ووفق ذلك قالوا في زيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعين: « المقصود من هذه الشعيرة، تلك العادة المطّردة التي اتخذها الموالون لأهل البيت (عليهم السلام) في زيارة قبر الحسين عليه السلام كل عام في يوم الأربعين، وهو العشرون من صفر، لإقامة العزاء عليه، فمن علامة الإيمان و الولاء للدين و لسيد شباب أهل الجنة عليه السلام المثول في يوم الأربعين من شهادة الحسين عليه السلام عند قبره الأطهر لإقامة المأتم عليه، و تجديد العهد بما جرى عليه و على صحبه و أهل بيته من الفوادح »[1].

وفي ضوء ما تقدم يستنتج الباحث أن شعائر الله التي أمر الله بتعظيمها لا تقف عند مناسك الحج، فما الفائدة من أن يحج الناس بالملايين ولكنهم مستَعبَدينَ من قبل الشيطان وطواغيت الأرض لا يأمرون بمعرف ولا سلطة عندهم ينهون بها عن منكر، انما هي طقوس تؤدى كما تؤدى الطقوس في الديانات الأخرى في الأديرة والكنائس، والتي أصبحت مجرد حركات وتراتيل روتينية لا نفع منها ولا فائدة ترجى للمجتمع، في حين يتجلى موقف الامام المعصوم وخليفة الله وبقيته في أرضه (الحسين) عليه السلام في تركه الحج والتصدي والوقوف بوجه الانحراف الديني والسلوكي الذي خطة طغاة عصره، في التغيير من سلوك المجتمع والعودة به الى السلوك الجاهلية العمياء، فما كان من الحسين عليه السلام الا أن يصعق ذلك الدين الذي أوشك على الموت بصاعقة من دمه الطاهر فأعاد له الحياة التي أعاد من خلالها

(١) لبيب بيضون، الموضوع : أهل البيت، ٢/ ٥٦٢.

الصوم والصلاة وجميع العبادات كمناسك الحج وشعائر الله التي أراد الطُّغاة محوها، فكانت زيارة الحسين عليه السلام بذلك في كل عام وخصوصاً زيارة الاربعين هي احياء وتعظيم لشعائر الله، ووفق ذلك فقد تبيَّن أن زيارة الأربعين هي على رأس شعائر الله التي حَثَّ الله تعالى على أدائها وتعظيمها، بالرغم من عدم وجود نص قرآني صريح عليها، لكن ومن خلال الرؤية القرآنية وما ورد في الآيات القرآنية والعمومات التي بيَّنت ودلَّت على وجوب المحافظة على إداء الشعائر الدينية وزيارة الأربعين منها هذه الآيات المباركة:(١)

١- قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللهِ ﴾ [المائدة: آية / ٢] فموضوع الآية هو الشعائر، أما المتعلق فالأول هو الإحلال والتراخي، والثاني التعظيم، اذ يُستفاد من الآية المباركة المحافظة على زيارة الاربعين وممارستها والتخطيط لها كونها من شعائر الله والعلامات الهادية اليه تعالى، من خلال ذلك السلوك الجمعي الذي تسلكه جماهير الأربعين ، وقد ورد في تفسيرها: « إن ما ورود في أسباب النزول يعني ضمناً، أنَّ الآية واردة في مقام حض المسلمين على حفظ و احترام الشعائر و المواقف و الأشخاص الّتي ترتبط ببعض العبادات أو الأوضاع العامة المتعلقة بالتخطيط للسلام في الحياة أو الأماكن المقدسة، و لذا بدأ بشعائر اللَّه الّتي اختلف الرأي في تطبيقها على عدّة مواطن و معالم و مناسك، باعتبار صدق هذا العنوان عليها، كما جاء في الآية الكريمة: إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ [البقرة: آية / ١٥٨]، و لكن لا مانع من القول بأنَّها شاملة لكل حرمات اللَّه و معالم أمره و نهيه، باعتبارها علامات على طاعة اللَّه»(٢).

---

(١) يُنظر : جعفر السيد عبد الصاحب الحكيم ، الشعائر الدينية، نقد وتقديم (تقريرات لبحوث الاستاذ الشيخ محمد السند)، ص/ ١٢.

(٢)محمد حسين فضل الله، ، من وحى القرآن، ٨ / ٢٣.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ [الحج:آية /٣٠] الموضوع هنا هو الحرمات، وليست الشعائر، لكن صنفوا الحرمات من عمومات الشعائر، اذ جاء في تفسيرها: « و الحرمة: ما لا يحل هتكه، و جميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج و غيرها، فيحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه»[١]، ومما أمر الله تعالى به هو احياء الشعائر،اذاً فعموم الآية يشمل الشعائر، التي أمر الله تعالى في تعظيمها، و قد ورد في التفسير التأكيد على المحافظة على حرمات الله وشرائعه التي يعود نفعها للإنسان في الدنيا والأخر مما يجعل من ذلك دافعاً كبيراً للمؤمنين ان يقوموا جماعات جماعات بكل شوق ولهفة وعطش يصل حد الجنون والولع في أداء واحياء زيارة الأربعين التي هي من شعائر الله كما تقدم اثبات ذلك، وقد جاء في تفسيرها ايضاً « لان تعظيم حرمات الله و شرائعه يعود نفعه الى الفرد نفسه، إذ يحتسبه الله له، فيجازيه خيرا منه، سواء في الدنيا بزيادة البركات، أو في الآخرة بالجنات »[٢].

ويرى الباحث أنه ينتج عن كل ذلك الشوق واللهفة والمصلحة التي يؤمن بها أولئك الزارئرون الاندفاع بقوة لإحياء زيارة الأربعين بالمشي أو بالخدمة أو بالمساهمة في ذلك بكل ما يساعد على احيائها وتعظيمها بجماعات مليونية كبيرة وذلك هو السلوك الجمعي.

٣- وقوله تعالى: ﴿ ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج:آية / ٣٢] وهذه الآية المباركة في نفس السياق والمعنى المتقدم في الآيتين المباركتين السابقتين في حثهما المؤدي الى انتاج السلوك الجمعي المتمثل في زيارة الأربعين، فقد جاء في تفسر الشعائر: « جمع شعيرة أو شعارة بالكسر بوزن قلادة و هي كل

---

(١) الزمخشرى، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل فى وجوه التأويل، ٤جلد، دار الكتاب العربي – لبنان – بيروت، ط/ ٣، ١٤٠٧ هـ.ق، ٣ / ١٥٤.

(٢) محمد تقى المدرسى ، من هدى القرآن،،٨ / ٥٦

شيء فيه لله شعار، و منه شعار القوم في الحرب و هو علامتهم التي يتعارفون بها، و منه إشعار البدن و هو الطعن في جانبها الأيمن، فشعائر الله أعلام دينه، و تدخل فيها الهدايا في الحج دخولا أوليا »[١]، أي انها لا تقتصر على الهدايا في مناسك الحج، وكذلك ورد في تفسيرها « أي معالم دينه سبحانه، سواء كانت أعلاماً لعبادته وطاعته أم لا، فالأنبياء والأوصياء والشهداء والصحف والقرآن الكريم والأحاديث النبويّة كلّها من شعائر دين الله وأعلام شريعته، فمن عظّمها فقد عظّم شعائر الدين»[٢] .

ويرى الباحث أنه ما دام تعظيم الشهداء من شعائر الدين فالحسين عليه السلام هو سيد الشهداء،، وما دامة الشعائر تعني تحقيق وتعظيم ما أمر الله به ، فالحسين عليه السلام خرج ليحقق العدل الذي أمر الله تعالى به، وينهى عن المنكر الذي نهى الله عنه، لإحياء دين الله ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:آية / ٩٠] من خلال ثورته ضد أعداء الله ، فيثبت أنَّ زيارة الاربعين سلوك جمعي ممدوح من خلال احياء دين الله في احياء شعائره.

٤- وقوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾[النور: آية / ٣٦] ، وأفضل البيوت بيت آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد ورد في تفسير الآية المباركة: « عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: فِي قَوْلِهِ «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ» قَالَ هِيَ بُيُوتُ الْأَنْبِيَاءِ وَ بَيْتُ عَلِيٍّ (عليهم السلام) مِنْهَا»[٣]، بل ورد في التفسير الروائي ان بيت علي أفضل تلك البيوت كما هو مبيَّن: « قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي

(١) صديق حسن‌خان، محمدصديق، فتح البيان فى مقاصد القرآن، ٧جلد، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤٢٠ هـ.ق،٤/ ٤٧١ .

(٢) جعفر السبحاني، صيانة الآثار الإسلاميّة ، ص/ ٢١٦ .

(٣) القمى، على بن ابراهيم، تفسير القمي، ٢/ ١٠٤.

بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: أَيُّ بُيُوتٍ هَذِهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بُيُوتُ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْبَيْتُ مِنْهَا؟ وَ أَشَارَ إِلَى بَيْتِ عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ): قَالَ: نَعَمْ، مِنْ أَفْضَلِهَا، ..... حَدَّثَنَا الْإِمَامُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ، قَالَ: «بُيُوتُ آلِ مُحَمَّدٍ، بَيْتُ عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ وَ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ وَ حَمْزَةَ وَ جَعْفَرٍ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِين»[1].

فيرى الباحث أنَّه اذا كان بيت علي وفاطمة وذريتهما الطاهرة التي يوصي بها الله ورسوله ﷺ أفضل البيوت التي أمر الله تعالى أن تُرفع ويُذكر فيها أسمه، وقد تقدم أن ما يُظهر ويبيّن ذكر الله ويكون علامة تدل على الله هو من شعائر الله فيكون السلوك الجمعي في زيارة الأربعين سلوكا ممدوحاً لأنه يحيي ذكر هذه البيوت التي تهدي الناس الى الله.

٥- قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة:آية /٣٢] فإن نور النبي ﷺ وآل البيت هو من نور الله الذي لا يطفأ كما يتضح ذلك من تفسير الآية المباركة: « وكما هو واحد في نوريةِ ذاته و أفعاله و صفاته، كذلك هو واحد في نوره الرسولي و الرسالي، فإن الرُسِل و الرسالات سلسلة واحدة موصولة مع الزمن، متبلورة متوحدة في النور المحمدية و المحمديين من عترته المعصومين (عليهم السلام)، و كما قال في آية

(١) هاشم بن سليمان البحرانى، البرهان في تفسير القرآن، ٤/ ٧٦.

النور بيانا لظرف مثل النور:﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ. رِجالٌ﴾[النور آية / ٣٦] »[١].

ويرى الباحث إنَّه ومن خلال ذلك السلوك الجمعي قي زيارة الأربعين الى ضريح الإمام الحسين عليه السلام يجسد الشيعة ايمانهم بأنَّ في ذلك اتمام لنور الله تعالى الذي حاول الطُّغاة الذين جاءوا بعد استشهاده عليه السلام أن يمحوا ذكر الحسين (عليهم السلام)، ويمنعوا تلك الزيارة فما كان من الناس الا أن يزدادوا اصراراً واندفاعاً في الاقبال على اداء مراسيم زيارة الحسين عليه السلام كما يصف لنا التأريخ: « ولعل ما حدث في اربعينية الامام الحسين سنة ١٣٩٧ هجرية الموافق سنة ١٩٧٧ م يؤكد إشكال العلاقة بين الطقوس الحسينية من جهة والسلطة السياسية من جهة اخرى، إذ قامت السلطات المحلية بمنع المسيرة مشياً على الاقدام في ليلة الاربعين، خشية ان تتحول هذه المسيرة الى عادة سنوية يصعب احتواؤها، لكن الجماهير امتنعت عن الامتثال لهذا المنع معلنة خروجها على هذا القرار، وقد انطلقت مجموعة صغيرة من الشباب والفتيان من احد احياء النجف وهي تهتف "يا حسين.. يا حسين" وسرعان ما توسعت المجموعة بانضمام العشرات من الناس اليها، وتحولت الى مسيرة شعبية »[٢].

ومن خلال تلك الانتفاضة خلال زيارة الاربعين يتضح للباحث ألمع وأظهر صور السلوك الجمعي، حيثُ الدوافع والانفعالات والحشود الجماهيرية وردود الفعل الغاضبة، والتي يجمعها رأي عام واحد الا وهو اتمام نور الله في الثورة على الباطل والظلم ونصرة الخير المتمثل بنصرة الامام المعصوم عليه السلام والسير على

(١) صادقى طهرانى، محمد، الفرقان فى تفسير القرآن بالقرآن و السنه، ٣٠جلد، فرهنگ اسلامى – ايران – قم:، ١٤٠٦ هـ.ق، ١٣/ ٤٣.

(٢) رعد الخرسان، انتفاضة صفر الاسلامية عام ١٩٧٧،مطبعة امير المؤمنين، قم، ايران، ص /٦١.

منهجه القويم، وكل هذا قد لا ينطبق الا على اسباب وخصائص ومكونات السلوك الجمعي، وما تقدم في الواقعة التأريخية السالفة الذكر يُعد مثلاً من عشرات الأمثلة في العداء لإداء زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام، التي تسبب عند الجمهور تجمع الرأي العام للجمهور فيحدث الغليان والهياج منتجا سلوكاً جمعياً يتمثل بالثورة ضد الباطل.

٦- وفي ذات السياق وذات المعنى يأتي قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ ﴾ [الانفال:آية /٢٤] والتي ورد في تفسيرها « عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا- اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ﴾ يَقُولُ وَلَايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَإِنَّ اتِّبَاعَكُمْ إِيَّاهُ وَ وَلَايَتَهُ أَجْمَعُ لِأَمْرِكُمْ- وَ أَبْقَى لِلْعَدْلِ فِيكُمْ »[١].

ويرى الباحث أنَّه من خلال هذا التفسير ينطلق ايمان الشيعة واندفاعهم لنصرة الحسين عليه السلام عَبْرَ احياء شعيرة الدينية من خلال أداء طقوس زيارة الأربعين المتجسد بذلك السلوك الجمعي الذي يسببه الرأي العام المتمثل بإيمانهم بأنَّ اجتماع أمرهم على الحق والعدل وفي استجابتهم للرسول وآل بيته الاطهار (عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم)،اذ أنَّ هؤلاء هم الهداة والسُبل للوصول الى الغاية الحقيقية الا وهي الوصول الى الله تعالى، ولماذا الحسين عليه السلام؟ لانه صار رمزا للثورة على الظلم والطُّغيان الذي يتكرر في كل زمان ومكان، لينتج عن ذلك كله نيل العواقب الحسنة في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: الأثار الاجتماعية للسلوك الجمعي المتمثل بزيارة الأربعين:

(١) القمى، على بن ابراهيم، تفسير القمي، ١/ ٢٧١.

أن زيارة الاربعين هي ظاهرة اجتماعية دينية، لأن فيها يتحقق اجتماع الاشخاص لأداء الشعائر الدينية فيحدث التفاعل الاجتماعي، الذي يُنتج بناء العلاقات الاجتماعية ، وتبادل العادات والقيم الاجتماعية، والمعارف والعلوم الدينية، الأمر الذي يجعلها ذات تأثير كبير في واقع المجتمع الاسلامي، من خلال أمور عديدة:(١)

١- الزيارة الاربعينية تقوي عند حشود المشاركين فيها الانتماء الاجتماعي للهوية الدينية، وتُعزز الوعي والترابط الاجتماعي من خلال ممارسة تقوى الله في جميع سلوكياتهم التي تزيد أواصر التلاحم الاجتماعي فيما بينهم كما يوصيهم الله تعالى في الآية المباركة بقوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِير ﴾ [الحجرات:آية /١٣] ، التي ورد في تفسيرها: « ثم قال- ﷻ: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ بيَّن الله- تعالى- بما به تكون الفضيلة والكرامة، وهو التقوى، لا فيما يرون و يفتخرون بذلك، وهو النسبة إلى الآباء و القبائل، بل ذلك لما ذكر من التعارف، و هذا لأن التقوى فعله، و هو إتيان الطاعات و الاجتناب عن المعاصي، و ذلك مما يأتيه تعظيما لأمر الله- تعالى- و نهيه »(٢).

والذي يحدث ومن خلال المشاهدة الميدانية التي عاشها الباحث فإن المشاركين في زيارة الأربعين من (المشاية) وخدام المواكب الحسينية وجميع من يساهم في احياء الزيارة كان سلوكهم الجمعي التسابق والتنافس النبيل في تجسيد

(١) يُنظر : الشبوط : محمد عبد الجبار، مقال بعنوان : (الزيارة الأربعينية كظاهرة إجتماعية – دينية)، الناشر : جريدة الزمان، في ٨/ ٩ / ٢٠٢٣م.

(٢) الماتريدى، محمد بن محمد، تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدى)، الناشر : دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – لبنان – بيروت، ط/١، ١٤٢٦ هـ.ق، ٩ / ٣٣٧.

تقوى الله في جميع افعالهم وتقديم الغالي والنفيس من اجل تجسيد تلك التقوى، يدفعهم الى ذلك الشوق لأن يكونوا في ركب الإمام الحسين عليه السلام والهيجان الذي لا يستقر الا بشعورهم بلمسات رعاية أنفاس الإمام الحسين عليه السلام في قرارة نفوسهم، ويبقى تقليداً للأقران والاصدقاء عند من لا يفهم فلسفة الأربعين، وفي كلتا الحالتين فذلك هو السلوك الجمعي.

٢- حصول أروع وأجمل صور التكافل الاجتماعي، من خلال السلوك الجمعي اثناء زيارة الاربعين، اذ يصف أحد الكتّاب ذلك بقوله: « يُعنى به مبدأ التكافل، أن يتعاون الناس على المصاعب المختلفة، وأهمها ملء النواقص وتقليص مساحة الفقر، وتذليل آلام الحاجة، والأهم صنع الخاصية التي تنزع إلى سد نقص الآخر وليس التجاوز على حقه، هنا يكمن سر سعادة الناس بزيارة الأربعين»[١]، اذ في الاربعينية لا جوع ولا عطش، ولا ضغائن ولا أحقاد فيكون سلوك الناس أشبه بسلوك الملائكة فلا اعتداء في صفوفهم ولا سرقة، ولا خوف من بعضهم بعض، فيبذلون الأموال، ويفتحون بيوتهم للزائرين، بل يصل الحد بأكثرهم أن يُخلي بيته من أهله ويجعله تحت تصرف السائرين الى الحسين عليه السلام، فتراهم منسجمين بنوع من التعايش السلمي العجيب في وصفه، فكانوا مصداق لمن استجاب لقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة:آية /٢]، والذي ورد في تفسيره: « البرّ فعل ما أمرت به، و التقوى ترك ما زجرت عنه، و يقال البرّ إيثار حقه- سبحانه، و التقوى ترك حظّك، و يقال البرّ موافقة الشرع، و

(١) عبد الرزاق عبد الحسين، مقال بعنوان : (آثار التكافل الاجتماعي في زيارة الأربعين)، الناشر : شبكة النبأ المعلوماتية، في ٢٠ / ١٠ / ٢٠١٨م.

التقوى مخالفة النّفس »[1]، فيتجسد السلوك الجمعي الذي يدفعهم اليه تقوى الله ومخافة عقابه لمن لا يسلك سلوك الأئمة والانبياء والصالحين من عبادة، ويدفعهم كذلك الرغبة في نصرة الحق من خلال مناصرة أوليائه، وكذلك نيل الثواب والخير في الدنيا والآخرة.

٣- تُنمي عند الصغار الذين يعيشون جو الأربعين حب الخير والتعاون الاجتماعي وحب الانسانية من خلال ما يقوم به أهلهم من سلوك يرضي الله ويجسدون طاعته تعالى في كل أفعالهم واقوالهم، وعباداتهم، اذا كانوا من اصحاب المواكب، أو الناس الذين يمرون بهم (المشاية)، فكانوا أمة تدعوا للخير، وهم خير مصداق لقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عِمرَان:آية / ١٠٤]، والتي ورد في تفسيرها: « ليكن من جملتكم جماعة عالمون، عاملون، عارفون، أولو استقامة في الدين.... يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ فإن من لم يعرف الله لم يعرف الخير، إذ الخير المطلق هو الكمال المطلق الذي يمكن للإنسان بحسب النوع من معرفة الحق تعالى، و الوصول إليه، والإضافي ما يتوصل به إلى المطلق أو الكمال المخصوص بكلّ أحد على حسب اقتضاء استعداده الخاص، فالخير المدعوّ إليه، أما الحق تعالى، و أما طريق الوصول، و المعروف كل أمر واجب أو مندوب في الدين »[2]، وبذلك السلوك الجمعي المتجسد في فعل الخير من خلال الإستجابة لأمرِ الله تعالى ورغبةً في

---

(١)عبدالكريم بن هوازن، القشيرى، لطائف الاشارات : تفسير صوفى كامل للقرآن الكريم، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر – قاهره، ط/ ٣، ٢٠٠٠ م، ١ / ٣٩٨.

(٢) ابن‌عربى، محمد بن على، تفسير ابن عربى (تأويلات عبد الرزاق)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – لبنان – بيروت،، ١٤٢٢ هـ.ق، ١/ ١١٦.

طاعته، وتجنباً لمعصيته، يجني المجتمع ثمار التكافل الاجتماعي والتعايش السلمي وبناء المجتمع الانساني على اسس الخير والمحبة والصلاح.

٤- إنَّ أمة الاسلام هي أمة واحدة، على اختلاف اللغات والأمزجة والثقافات، والبيئات الاجتماعية التي جاءوا منها وافدين اعلاناً منهم لحبهم وولائهم لأهل البيت (عليهم السلام)، وهي أمة تدعو بالخير لجميع الناس، فيجسدون من خلال السلوك الجمعي في زيارة الاربعين قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء :آية /٩٢]، والذي جاء في تفسيره: « أي ملتكم ملة واحدة، و هو خطاب للناس كافة، أو للمعاصرين لسيدنا محمد ﷺ: أي إنما بعث الأنبياء المذكورون بما أمرتم به من الدين، لأن جميع الأنبياء متفقون في أصول العقائد»[١].

ويرى الباحث إنَّ ما تقدم من التفسير للآية المباركة قد تجلى من خلال السلوك الجمعي للخَدَمة وأهل المواكب من أهل العراق، عبر رفع جميع الحدود والقيود والفوارق الطبقية والاجتماعية، واستضافة جميع الزائرين ومن مختلف بقاع العالم الذين قدموا لزيارة الحسين عليه السلام يدفعهم عشقُ كبير لإمامهم وايمانهم بقضيته عليه السلام، واعتقادهم القوي بالمسؤولية الملقات على عاتقهم كونهم خَدَمةِ صاحب الدار، فالواجب عليهم خدمة ضيوفه عليهم السلام، الذين هم بالاصل ضيوف الله تعالى لأنَّ زيارة الأربعين شعيرة من شعائر الله تعالى وكما اتضح مسبقاً من تعريف الشعيرة (هي كل ما دل على الله أو أعلم وأشعر بوجوده تعالى) وزيارة الاربعين كلها دلائل وعلامات تدل على الله وترشد اليه، وتنبذ أعدائه.

٥- هي ثورة اجتماعية ضد الظلم وأئمته الماضين والمعاصرين في كل بقاع الأرض، لذلك تجد جميع الكفرة والطواغيت والظَلَمَة أينما كانوا يقفون ضد هذه الزيارة

---

(١) ابنجُزى، محمد بن احمد، التسهيل لعلوم التنزيل، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – لبنان – بيروت، ١، ١٤١٦ هـ.ق، ٢ /٢٩ .

وأدائها، وخير دليل ما كان يفعله نظام صدام الظالم تجاه هذه الشعيرة الدينية ومن يقومون بإحيائها كما ينقل لنا أحد الكُتّاب صورة من ذلك بقوله: «وتشير الأحداث ومجرياتها على مدى العقود التي حكم فيها النظام البعثي الصدامي إلى أن ثمة خطر متخفٍ وراء هذا الإصرار الكبير من قبل الشيعة في العراق على إحياء مناسبة زيارة الأربعين يهدد دوام السلطة، الأمر الذي دفع بصدام وأزلامه إلى تكثيف بطشهم واستخدام طرق جديدة للقتل وترهيب الزائرين في محاولة يائسة للحد من ظاهرة إحياء تلك الشعيرة، حيث ينقل أحدهم أن قوات النظام الصدامي أقدمت على دفن سيارة باص بمن فيها وهم أحياء على أحد الطرق المؤدية إلى كربلاء المقدسة»[١]، فقد كان كل ما في زيارة الاربعين من سلوك جمعي للجماهير السائرة نحو الحسين يُمثل (ثورة)عارمة تهدد وجود الطُّغاة ولا سيما نظام صدام كما يصف ذلك أحد الكُتّاب في مقالته:« قد أدرك صدام خطورة الشعائر الحسينية على عرشه، ففيها شعارات تهدد كيانه، ولو سمح للمواكب الحسينية بالظهور، فان الثورة قادمة لتزيله من الوجود، فهي تنظم الجماهير لأعمال جماعية، من قبيل المسيرات والمواكب، بل حتى القصائد الحسينية مشبعة بأبيات الشعر الرافضة للظلم، والداعية للخروج على الظالمين، لذا شن حربا كبيرة ضد النخبة الشيعية، واعتبر المشاركة في الشعائر الحسينية جريمة عظمى، عقوبتها تصل الى الإعدام أو السجن المؤبد »[٢].

٦- زيارة الأربعين تقوي روح التعاون والألفة، وتنمي الصبر والجلادة على تحملِ الصعاب عند الجماعات المؤمنة ولا سيما خَدَمَةِ المواكب.

---

(١) حسين الخشيمي، مقال بعنوان : (كيف تحول رجال الأمن من أداة لقمع زوار الأربعين إلى وسيلة لخدمتهم وحمايتهم؟)، الناشر : الموقع الرسمي للعتبة الحسينية المقدسة، في ٢٣/ ١١م ٢٠١٥م.

(٢) أسعد عبد الله عبد علي، مقال بعنوان : (الطاغية صدام ومحاربة الشعائر الحسينية)، في : ١٣ / ١٠ / ٢٠١٦م.

و يرى الباحث أنَّ دليل ذلك هو ما ظهر و انعكست منافعه في التصدي للعدوان الداعشي الأخير على بلادنا فما كان من زيارة الأربعين الا أن تعطينا قوة عقائدية جبارة تشكلت معظمها من اصحاب تلك المواكب الحسينية الذين لبوا نداء المرجعية الرشيدة في فتوى الجهاد الكفائي الذين لولا جهادهم وتضحيتهم وصبرهم وما يتمتعون به من عقيدة راسخة لما فشل المخطط الداعشي على العراق فكانوا خير مصداق لقوله تعالى: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب:آية /٢٣] التي تعددت تفاسيرها ومصاديقها في السلفِ والخلفِ فمن تفاسيرها:« يقول تعالى ذِكرُه مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بالله و رسوله رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ يقول: أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء و الضراء، و حين البأس فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ يقول: فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره الله و أوجبه له على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر، و بعض يوم أحد، و بعض في غير ذلك من المواطن وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ قضاءه و الفراغ منه، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده، و النصر من الله، و الظفر على عدوه، و النحب: النذر في كلام العرب، و للنحب أيضا في كلامهم وجوه غير ذلك، منها الموت » [١].

المطلب الثالث: : السلوك الجمعي واستجابة فتوى الجهاد الكفائي في منظور التفسير القرآني

عندما نعود الى الفصل الأول من البحث وقد اتضحت من خلاله ابعاد ومحددات ومُنتجات ومسببات السلوك الجمعي، نجدها تنطبق على حال الحشود الجماهيرية التي خرجت مستجيبة لفتوى المرجعية الدينية في النجف الأشرف في

(١) الطبرى، محمد بن جرير، جامع البيان فى تفسير القرآن (تفسير الطبرى)، ٢١/ ٩٢.

الجهاد الكفائي، اذ نجد أول الدوافع التي كونت ذلك التجمع الكبير من الجماهير هو الخوف والقلق على ثوابت الدين، وعلى الأعراض والدماء والحرص الشديد على الا تُدنس المقدسات الاسلامية من قبل الخطر القادم والمتمثل بالغزو الداعشي التكفيري، كذلك نجد رد الفعل المفاجيء ومن دون تردد على الفعل العدواني المفاجيء، كذلك نجد الاستجابة والتسليم المطلق من قبل هذه الجماهير لتوجيه القائد المتمثل بالمرجع الديني الأعلى السيد السيستاني، ايماناً منهم بحكمته وأنه امتداد للمبلغ والموجه الأول رسول الله ﷺ، فاستجابوا لفتواه مُسلِّمينَ تسليماً، ومن دون تفكير ولا تردد، اذ تراهم قد سلموه عقولهم ونفوسهم، وكل ذلك الذي سبق في الاسطر المتقدمة اذا ما وضع في اطارِ تلك الأبعاد والمحددات والمُنتجات والمسببات فلا يكون الا سلوكاً جمعياً دينياً ايجابياً، لذا يجد الباحث من هذا الموضوع مادة لأحد تطبيقات السلوك الجمعي الواقعي والمعاصر، ليدرسها دراسة في ضوء تفسير الآيات القرآنية المباركة.

أولاً: مفاهيم فتوى الجهاد الكفائي: ليتضح هذا يتوجب بيّان معانيه وحسب الترتيب:

١- الفتوى:

أ- **الفتوى في اللغة:** « يُقَالُ: أَفْتَى الْفَقِيهُ فِي الْمَسْأَلَةِ، إِذَا بَيَّنَ حُكْمَهَا. وَاسْتَفْتَيْتُ، إِذَا سَأَلْتَ عَنِ الْحُكْمِ، قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ [النساء:آية /١٧٦]،وَيُقَالُ مِنْهُ فَتْوَى وَفُتْيَا »[١].

ب-الفتوى في الاصطلاح: وفي اصطلاح الفقهاء من مدرسة الجمهور قالوا: « بيان حكم المسألة، الفتوى: الجواب عما يشكل من المسائل الشرعية، أو القانونية،..... الاخبار بالحم الشرعي على غير وجه الالزام »[٢]، في حين عرَّفها فقهاء الإمامية فقالوا: « هناك إطلاقان للفتوى: الأول: وهو الفتوى بالمعنى الأعم يراد

(١) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة، ٤/ ٤٤٧.

(٢) سعدي أبو جيب ، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، الناشر: دار الفكر. دمشق – سورية ط/٢، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م، ص/ ٢٨١.

به كلّ موقف شرعي تجاه القضايا المختلفة، الثاني: وهو الفتوى بالمعنى الأخص يراد به نوع معين مِن المواقف الشرعية »[١]، ويستنتج الباحث إنَّ الفتوى: هي نوع من المواقف الشرعية وليست المواقف الشرعية بعينها أي انها اخبار عن الحكم الشرعي تجاه حالة معينة وليست هي الحكم الشرعي.

٢- الجهاد:

أ - الجهاد في اللغة: قالوا فيه أنه: «وَالْجِهَادُ: الْمُبَالَغَةُ وَاسْتِفْرَاغُ الْوُسْعِ فِي الْحَرْبِ أَو اللِّسَانِ أَو مَا أَطاق مِنْ شَيْءٍ»[٢].

ب- الجهاد في الاصطلاح: للدين الاسلامي الحنيف فروعه التي يُعد الجهاد أحدها، وهو واجب فرضه الله تعالى على كل مكلف قادر على أدائه، وهو ضرورة من ضروريات الدين الاسلامي، وقد جاء في الشرع بمعاني كثيرة منها: «منها بذل الطاقة في الخير والشر، ومنها الدعوة السليمة إلى الله تعالى، والصبر على الأذى في سبيل ذلك، ومنها أيضاً جهاد النفس وهواها، والسعي في طلب المعيشة بالحلال، وعبادة الحج، وطلب العلم، والقتال في سبيل الله »[٣] والذي يخص بحثنا هو المعنى الأخير.

وقد أشار القرآن الكريم لذلك في قرابة (٤٠ آية) تحدثت عن الجهاد سواء بلفظة الجهاد، أو ما يعطي معنى الجهاد من المشتقات اللفظية ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: آية / ١٥].

---

(١) جمع من المؤلفين، مجلة فقه أهل البيت عليهم السلام (بالعربية)، ج ٤٦، ص/ ٥.

(٢) ابن منظور، لسان العرب ٣/ ١٣٥.

(٣)مجاهد منعثر منشد الخفاجي : بحث بعنوان : فتوى الجهاد الكفائي حرب من أجل السلم، الناشر : مهرجان (فتوى الجهاد الكفائي في ذاكرة العراق) في ١٢/ ٨/ ٢٠٢٣م، ص/ ١٤٣٨.

ويقسم الجهاد في الاسلام الى: الجهاد الدفاعي، والجهاد الابتدائي وما يخص بحثنا هو الثاني، ويتفرع الجهاد الابتدائي الى:الجهاد العيني ، والجهاد الكفائي (وهو موضوع بحثنا)[١].

٣- **الكفائي:**

أ- **الكفائي في اللغة:** وقال صاحب كتاب (العين): «كفي: كَفَى يَكْفِي كِفايةً، إذا قام بالأمر، واستكفيتُه أمراً فكفانيه. وكفاك هذا، أي: حسبك. ورأيت رجلاً كافِيَكَ من رجل، ورأيت رجلين كافِيَيْكَ من رجلينٍ، ورأيت رجالاً كافِيكَ من رجالٍ، أي: كَفاكَ بهم رجالا»[٢].

ب- **الكفائي في الاصطلاح:** والتعريف الاصطلاحي يأتي في ذات المعنى في التعريف اللغوي، أي بمعنى سقوط الأمر عن الباقين في حال قيام بعضهم به، اذ هو ليس فرض عين، بل أنه فرض كفاية كما يصف صاحب كتاب الشرح الكبير: «وهو فرض كفاية إذا قام به قوم سقط عن الباقين»[٣]، وفي ذات السياق قال الفيض الكاشاني: «فيها بيان أنّه فرض كفاية لا فرض عين فإنّه إذا قام به امّة سقط الفرض عن الآخرين»[٤]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝﴾ [آل عمران:١٠٤] والتي ورد في تفسيرها: «ولتكن» امر، وظاهر الأمر الإيجاب وفيها

---

(١) يُنظر : سليمان بن الاشعث السجستاني, (ت ٢٧٥ هـ), سنن ابي داود, تحقيق: سيد محمد اللحام, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, ط ١ , ١٤١٠ هـ, ١٩٩٠ م، ١١/ ١٩ – ٢٠ .

(٢) الفراهيدي : الخليل بن أحمد ، كتاب :(العين)، ٥/ ٤١٣ .

(٣) ابن قدامة : عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين (ت : ٦٨٢هـ)، الشرح الكبير على متن المقنع، الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع١٠/ ٣٦٤ .

(٤) الفيض كاشاني، محمد بن شاه مرتضى(ت: ١٠٩١ هـ)، المحجة البيضاء، الناشر: جماعة المدرسين بقم، مؤسسه النشر الاسلامي، ٤/ ٩٦.

بيان ان الفلاح منوط به،، إذ حصر وقال: أولئك هم المفلحون، وفيها بيان انه فرض كفاية لا فرض عين، وانه إذا قام به امة سقط الفرض عن الآخرين»[1].

فيتضح للباحث أنَّ الجهاد الكفائي واجب لا يسقط عن الجميع فهم يأثمون أمام الله تعالى في حال لم يقم به من يكفي لأدائه على الوجه الأمثل، وهو يسقط عن الجميع اذا قام به مجموعة من المكلفين بما يكفي لأدائه على الوجه الأصح والتام، ويصد ويمنع العدو ويقضي عليه، فيكون الاسلام والمسلمين وبلادهم في مأمن من شروره.

ثانياً: السلوك الجمعي في فتوى الجهاد الكفائي:

١- يجد الباحث في المستجيبين الى فتوى الجهاد الكفائي صورة من صور السلوك الجمعي الاسلامي الممدوح، اذ تندفع حشود من الجماهير بمجرد اعطاء المرجعية الدينية العليا الفتوى، لاسيما ان الدافع لهذه الجماهير هو توجيه القائد المتمثل بالمرجعية الدينية، وكذلك دافع أخر هو الخوف والقلق على مصير الدين والبلاد والعباد من الغزو الداعشي المنحرف، الأمر الذي صنع منهم ضداً نوعياً قبال الفكر الداعشي وقوة رد فعل ضد ذلك العدو الشرس، وهذه كلها حسب ما تقدم في البحث ليس الا مُنتجات ومُسببا يتشكل عبرها السلوك الجمعي، فبسبب الخوف والقلق اذ يبتني الرأي العام الموحد عند الجمهور، الأمر الذي ينتج عنه سلوكاً جمعياً يتمثل في التصدي للخطر الداعشي، اذ تجدهم يَقدِمون بجنون واندفاع شديد، ومن دون اي تفكير بالموت، في تصديهم للعدو والنيل منه، مسلّمين لأمر مرجعيتهم ايماناً منهم بحكمتها وحرصها على مصالحهم التي تجمعهم والتي يؤمنون ان طاعتها من طاعة الله ورسوله ﷺ فكانوا خير مصداق لقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: آية /٢٣]، والتي ورد في تفسيرها حين: « سُئِلَ عَلِيٌّ عليه السلام وَ هُوَ عَلَى

(١) الكيا الهراسي، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (ت: ٥٠٤هـ) أحكام القرآن، المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٢، ١٤٠٥ هـ، ٢/ ٣٠١.

مِنْبَرِ الْكُوفَةِ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ، هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِيَّ وَ فِي عَمِّي حَمْزَةَ، وَ فِي ابْنِ عَمِّي عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَأَمَّا عُبَيْدَةُ فَقَضى نَحْبَهُ شَهِيداً يَوْمَ بَدْرٍ، وَ أَمَّا حَمْزَةُ فَقَضى نَحْبَهُ شَهِيداً يَوْمَ أُحُدٍ، وَ أَمَّا أَنَا فَأَنْتَظِرُ أَشْقَاهَا يَخْضِبُ هَذِهِ مِنْ هَذَا- وَ أَشَارَ إِلَى لِحْيَتِهِ وَ رَأْسِهِ- عَهْدٌ عَهِدَهُ إِلَيَّ حَبِيبِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ »[1].

ويرى الباحث أنَّهُ ووفق قاعدة « العبرة في عموم اللفظ لا بخصوص السبب»[2] تكون الآيه شاملة الى جميع من استن بسنة مَنْ كانوا سبباً لنزول هذه الآية المباركة ونهِجَ نهجهم في الجهاد في سبيل الله والتضحية من أجل نصرة الله تعالى في دينه والذود عن جميع حرماته تعالى، كما وقد جاء في تفسير آخر للآية ذاتها: « قَضى نَحْبَهُ، و صار شهيدا في سبيل الله وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ لقاء الله و يستعد له، فالمؤمنون متماسكون كالبنيان المرصوص، بعضهم يمضي و يبقى بعضهم الآخر ليكمل مسيرته، دون ان يفكر أحدهم في نفسه و شهواته، و يقول لماذا انا الذي اقتل و ليس فلان؟ و لماذا انا الذي اقتل و يبقى فلان يتنعم بالنصر و المكاسب؟ كلا.. فالقضية قضية صراع مستمر كل واحد يؤدي دورا معينا فيه، و المجموع الكلي هو المهم عندهم جميعا، و هذا نابع من اعتقاد المؤمنين بأنهم باعوا أنفسهم لله، فهم لا يملكونها، ولا يحق لهم ان يفكروا في مصالحها، انما يتصرف فيها ربهم و قائدهم حسبما تقتضيه القيم الإلهية، فهم مُسلِّمون الأمر لله و لقيادتهم»[3].

وحسب ما تقدم من التفسير يجد الباحث أنَّه قد وقع سلوك السلف الصالح من المؤمنين الذين هم سبب نزول هذه الآية المباركة ومن تبعهم وسارعلى نهجهم الى يومنا وما بعده، مصداقاً حقيقياً للسلوك الجمعي الاسلامي الايجابي، كونهم

---

(١) الحسكانى: عبيدالله بن عبدالله، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الناشر : وزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي، مؤسسة الطبع و النشر – ايران – طهران، ١٤١١ هـ.ق، ٢/ ٦.

(٢)محسن الأمين (ت: ١٣٧١هـ)، تحقيق وتخريج : حسن الأمين، أعيان الشيعة، ١١/ ٩٢.

(٣)محمدتقى المدرسى، من هدى القرآن، ١٠ / ٣٠٠.

منطلقين من الرأي العلم الذي يجمعهم، الا وهو ايمانهم بالقيادة الدينية الشرعية التي توجّههم، فيسلمون لأوامرها من دون تردد ويجعلون عقولهم ورغباتهم وكل ارهاصاتهم النفسية ملكاً لفتوى تلك القيادة، الأمر الذي تجلى واضحاً في عصرنا الحاضر في استجابة الحشود المؤمنة لفتوى الجهاد الكفائي.

٢- نبذة تأريخيبة للسلوك الجمعي لفتوى الجهاد:

انَّ موضوع فتوى الجهاد الكفائي التي اصدرها المرجع الأعلى السيد السيستاني دام ظله له امتداده عند مراجع الدين السابقين وعلى مر التأريخ وحسب ما اقتضته الضرورة لإنقاذ البلاد والمقدسات والعباد مما يُحدق بها من الاخطار، ومن خلال تتبع الباحث الى مجمل ما صدر من الفتوى في هذا الصدد، من الفترة ما بين مطلع القرن التاسع عشر الى وقتنا المعاصر، فقد أجمل الباحث الآتي منها:

أ- فتوى الجهاد (ضد الاعتداءات الروسية على ايران): اذ بعد ارتكاب القوات الروسية المجازر بحق احرار ايران في شمال إيران أصدر السيد (محمد تقي الشيرازي)* فتواه سنة ١٣٢٩هـ، وبعد وفاته قدس سره، تابع ذلك الشيخ فتح الله النمازي الذي كان يُعرف بلقب(شيخ الشريعة)، وتبعاً لتلك الفتوى واستمراراً لها جاءت فتوى كاشف الغطاء ضد الهجوم الروسي[١]، فكان السلوك الجمعي للشيعة في ايران الاستجابة لتلك الفتوى وكذلك شيعة العراق مناصرين لهم من خلال مناصرة المراجع في النجف الأشرف، فقد استمرة المظاهرات والاحتجاجات الشعبية على الرغم من

(*) « الميرزا محمد تقي الشيرازي (١٢٥٦ – ١٣٣٨ هـ) الشهير بالميرزا الثاني أو الميرزا الصغير، من مراجع تقليد الشيعة، تزعّم ثورة العشرين في العراق وأصدر فتوى الجهاد ضد الاستعمار البريطاني،
ولد في إيران، ثم هاجر إلى العراق، وأقام في كربلاء، ثم شدّ الرحال مع أستاذه الميرزا حسن الشيرازي إلى سامراء،وبعد وفاة أستاذه استلم زعامة الحوزة العليمة في سامراء، كما وتم تقليده من قبل بعض الشيعة، ثم أصبح مرجعاً مطلقاً للطائفة الشيعية، وذلك بعد وفاة السيد محمد كاظم اليزدي» المصدر : الخفاجي : مجاهد منعثر منشد، بحث بعنوان : فتوى الجهاد الكفائي حرب من أجل السلم، الناشر : مهرجان (فتوى الجهاد الكفائي في ذاكرة العراق) في ١٢/ ٨/ ٢٠٢٣م، ص/ ١٤٥٥.

(١) يُنظر : السّيد النجفي القوجاني : سياحة في الشر، الناشر : دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع – ١٩٩٢م، ٤٦٨.

معارضة النظام الحاكم لسلوك الجماهير الثائر آنذاك، وكرَدِ فعل على تردي الأوضاع المعيشية والاجتماعية والسياسية، فأحدث الغضب الجماهيري وتفاعل الجماهير مع فتوى المراجع وتسليمهم لها سلوكا جمعياً ثائراً أدى بالنتيجة الى استجابة الشاه الحاكم الى النظام الدستوري الذي طالبت به الجماهير[١].

ب-فتوى الجهاد (ضد الاحتلال الإيطالي في ليبيا):

فبعد أن غزت القوات الإيطالية طرابلس وبنغازي أصدر جمعٌ من علماء الشيعة فتواهم المعروفة ضد الاحتلال الإيطالي، يحثون المسلمين على المواجهة والتصدي بقوة للإحتلال الإيطالي والتي من نصها: « يجب على عموم المسلمين من العرب والعجم أن يهيئوا أنفسهم إلى دفع الكفر عن الممالك الإسلامية، وأن لا يقصروا ولا يبخلوا في بذل أنفسهم وأموالهم في جلب الأسباب التي يكون بها إخراج عساكر إيطاليا عن طرابلس الغرب وإخراج عساكر روسيا والإنجليز من شمال وجنوب ايران و التي هي من أهم الفرائض الإسلامية حتى تبقى المملكتان العثمانية والإيرانية مصونتين محفوظتين بعون الله من هجوم الصليبيين»[٢]، متمثلين بقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة: آية / ٤١]، والتي ورد في تفسيرها: « عُني اخرجوا- أيها المؤمنون- للجهاد خفافا: شبابا، و ثقالا: شيوخا، أي نشاطا و غير نشاط، و قيل: أغنياء و فقراء، و كثيري العيال أو قليليهم، كما قيل ركبانا و مشاة، أو اخرجوا خفّ عليكم الجهاد أم شق و هبّوا إليه و خفّوا له و لا تتثاقلوا و تتقاعدوا و امضوا إليه على أي حال كنتم وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ابذلوا الأموال و ضحّوا بالنفوس فِي سَبِيلِ اللَّهِ لإعلاء كلمة

(١) يُنظر: جلال الدين مدني, التاريخ السياسي لإيران, نشر: استقلال, طهران, ايران, ط /١، ١ / ٥٦ .

(٢) عبدالله فياض, الثورة العراقية الكبرى, الناشر : دار الملاك للطباعة والنشر, بيروت , لبنان،ص/ ١١٧ – ١١٨ .

الحق»[١]، كل ذلك من أجل صناعة سلوك جمعي جماهيري رافض للظلم والاحتلال الغاشم ضد المسلمين ومقدساتهم وبلادهم.

ت- فتوى الجهاد (ضد الاحتلال البريطاني على العراق):

بعد نزول القوات البريطانية أرض البصرة، وشعور الناس بالخطر الذي يداهم أمنهم ومقدساتهم وأعراضهم وجميع مرافق الحياة، أرسل الناس ورؤساء القبائل برسالة بينوا فيها الخطر الذي وقع عليهم، ويطلبون في ذات الوقت حث الجماهير المسلمة وأمر العشائر العراقية بالتصدي والدفاع عن الدين وأهله كما ورد في بعض نصها: « ثغر البصرة الكفار محيطون به، الجميع تحت السلاح، نخشى على باقي بلاد الإسلام، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع»[٢]، الأمر الذي أدى الى استجابة علماء الدين اذ قاموا بعقد اجتماع فأصدروا في صدد ذلك فتوى بالجهاد ضد الاحتلال البريطاني، وفي ذات الصدد خطب السيد (كاظم اليزدي) ودعى الناس للجهاد، وأوجب من خلال فتواه: أنه على من يعجز بدنياً من الاغنياء عن القتال، أن يجهز بأمواله الفقير القوي[٣]، الأمر الذي يأخذ بالجماهير ان تسلك سلوكاً جمعياً بالهجوم على القوات المحتلة وتنتصر عليها، وكان سلوكهم هذا ليس الا رد فعل على ظلم المحتل وتدنيسه الأرض والاعراض، وذوبان وتسليم لفتوى المجتهد.

ث- فتوى (السيد الخوئي) خلال احداث الانتفاضة الشعبانية :اذ افتى بوجوب الدفاع عن بيضة الاسلام في عام ١٩٩١م.

ج- فتوى ضد احتلال فلسطين، عام ١٩٤٨م.

ح- وأخيراً فتوى (الجهاد الكفائي)، التي أصدرها السيد السيستاني، عام ٢٠١٤م وكان الدافع والمسبب لها الخوف والقلق على البلاد والعباد، المقدسات والاعراض،

---

(١) محمد السبزواري ، الجديد فى تفسير القرآن المجيد، الناشر : دار التعارف للمطبوعات – لبنان – بيروت، – ١٤٠٦ هـ.ق، ٣/ ٣٤٠.

(٢)علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، الناشر : دار الملاك، بيروت– لبنان، ط/٢، ٤ / ١٢٧.

(٣) يُنظر: حسن شبر ,تاريخ العراق السياسي المعاصر، الناشر: المكتبة دار النجف الأشرف ، العراق،٢ / ١٤٩.

الأمر الذي أخذ بالجماهير المؤمنة أن تنتفض للجهاد والانتصار على ذلك العدو، وهذه الفتوى هي موضوع بحثنا.

٣- الجهاد في القرآن الكريم:

تعددت الآيات القرآنية المباركة التي تذكر الجهاد وتحث علية والتي من خلالها، يستدل الفقيه المجتهد ليفتي بالجهاد الكفائي ضد أي خطر يهدد الثوابت الاسلامية، والِسلم المدني، ومن هذه الآيات المباركة:

أ-قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: آية / ٦٩]، والتي ورد في تفسيرها: « أي جاهدوا في حقّنا ما يجب جهاده من النّفس و الشيطان وحزبه لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا طرق السّير إلينا أو طرق الخير بزيادة اللّطف. و في الحديث: من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ أي بالنّصر و الإعانة،وعن الباقر عليه السلام: إن هذه الآية لآل محمد صلى الله عليه وآله و أشياعهم»[(١)].

ومن خلال هذا التفسير وما ورد فيه من رواية الامام الباقرعليه السلام يتضح للباحث دليل وجوب الدفاع وأن تسلك الجماهير المؤمنة بمقدساتها سلوك الجهاد الجماعي ضد أيَّ خطر أو تهديد، وأنَّ ذلك السلوك هو تشريعً من الله تعالى بكتابه العزيز، وأنَّ هذا السلوك الجمعي هو السلوك الذي يُريده الله تعالى ، وبه يستحق العباد اللطف الإلهي، والثواب العظيم، الأمر الذي يجعل من الآية المباركة موجهاً ومحفزاً للسلوك الناتج من فتوى الجهاد الكفائي.

ب-قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: آية / ١٦٩]، إنَّ سبب نزول هذه الآية المباركة هو إعلام المؤمنين بالأجر العظيم والمصير الكريم الذي ينتظر هؤلاء المستشهدين في سبيل الله ، أما الفائدة والمنفعة من فهم النص المبارك فهو: حث المؤمنين على السلوك الجمعي الممدوح، الناتج من الجهاد ضد الباطل، لنيل النصر للإسلام وإعلاء كلمة الله تعالى، وكل ذلك يؤكده التفسير الآتي: « تضمنت هذه الآيات الشريفة الكلام

---

(١) محمد السبزواري، الجديد فى تفسير القرآن المجيد، الناشر : دار التعارف للمطبوعات – لبنان – بيروت، ١٤٠٦ هـ.ق، ٥ / ٣٤٤ .

عن منزلة الشهداء، و عن بطولات المجاهدين في سبيل الله المخلصين أعمالهم ابتغاء مرضاة الله، روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، و تأكل من ثمارها، و تأوي إلى قناديل من ذهب معلّقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم و شربهم و حسن مقيلهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا، فقال الله تعالى:(أنا أبلغهم عنكم)، فنزلت هذه الآية، آية الشهداء هذه تحث المؤمنين على الجهاد و نصر الإسلام و إعلاء كلمة الله، و ترغب في الاستشهاد في سبيل الله، لأن للشهداء مكانة عالية عند ربهم، فهم أحياء عند ربهم حياة من نوع خاص، في عالم الغيب، يمددهم الله برزق من الجنة»[1].

ت-قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا﴾[النساء: آية /٩٥]، وقد ورد في التفسير أنَّ سبب نزولها ابن أمّ مكتوم، واعطاء ذي الضرر العذر من شموله بالجهاد ، وكما مبيَّن« لما نزلت هذه الآية: ﴿لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَ الْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جاء ابن أمّ مكتوم إلى النبيّ عليه السّلام فقال: يا رسول الله، أنا كما ترى، كان أعمى، فقال ﷺ: ادعوا لي زيدا و ليأتني باللوح أو الكتف، فأنزل الله: غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ، فأنزل الله عذره»[2]، و كذلك جاء في تفسيرها الآتي: « بين الله سبحانه فضل الجهاد و منزلة المجاهدين، و صرّف القول، و سلك العديد من الطرق؛ لبيان فضيلة هذه الفريضة، و قد بيَّن هنا فضل المجاهدين على القاعدين، و هو أمر معروف لأول

(١) وهبه الزحيلى، التفسير الوسيط (زحيلى)، ١٤٢٢ هـ.ق، ٢٦٢/١ .

(٢) الهوارى، هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، ٤جلد، دار البصائر، ط/ ١، ١٤٢٦ هـ.ق، ١/ ٣٧٣.

وهلة، و لكنه ساقه هنا؛ ليحفز به القاعدين، و يبعث الهمم فيهم إلى الرغبة فى الجهاد»[1].

اذ يجد الباحث في الآية المباركة ومن خلال تفسيرها الحث على الجهاد وبذل كل غالي ونفيس من أجل نصرة الدين، وكلً حسب طاقته وقدرته فيستجيب المسلون لأمر الله ويسلموا تسليماً، حتى يكون سلوكهم الجمعي هو نصرة الله والتصدي لأعدائه تعالى، والذي يدفعهم لذلك هو الرغبة في الثواب الجزيل الذي وعدهم به تعالى.

ث–قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: آية / ٣١]، وقد ورد في تفسيرها « البلاء و الابتلاء الامتحان و الاختبار، و الآية بيان علة كتابة القتال على المؤمنين، و هو الاختبار الإلهي ليمتاز به المجاهدون في سبيل الله الصابرون على مشاق التكاليف الإلهية »[2]، فيتضح للباحث من التفسير المتقدم إنَّ السلوك الجمعي من الجهاد في سبيل الله استجابةً وطاعةً لله ، ما هو الا اختبار الهي فلا يسلك ذلك السلوك الجمعي الا الذين صبروا على طاعة الله تعالى، ومن لم يصبر ويتحمل المشاق في جنب الله فلن يسلك ذلك السلوك الجمعي الممدوح الذي يقربه من الله تعالى.

ج–قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: آية / ١٥]، ويرى الباحث أنَّ السلوك الجمعي الممدوح والايجابي في الجهاد، أحد علامات تَميزه ومُقوّماته أنّه لا يكون صادراً الا من عقيدة ثابته صادقة لا شك فيها ولا ارتياب، ومن نفوس مطمئنة مؤمنة مسلِّمة غاية التسليم لله تعالى، اذ أمرها فلبت النداء وأن كان الثمن هو النفس التي هي أغلى شيء يمتلكه الانسان، وكما ورد في تفسير الآية المباركة: « أجل، إنّ أوّل علامة للإيمان هي عدم التردّد في مسير الإسلام، و

(١) شحاته، عبدالله محمود، تفسير القرآن الكريم (عبد الله شحاته)، الناشر : دار غريب – مصر – قاهره، ١٤٢١ هـ.ق، ٣ / ٩٠٤ .

(٢)محمدحسين، طباطبايى، الميزان في تفسير القرآن، ١٨/ ٢٤٣ .

العلامة الثانية الجهاد بالأموال، و العلامة الثالثة التي هي أهم من الجميع الجهاد بالنفس، و هكذا فإنّ الإسلام يستهدف في الإنسان أجلى العلائم، ثبات القدم و عدم الشك و التردّد من جهة، و الإيثار بالمال و النفس من جهة أخرى، فكيف لا يرسخ الإيمان في القلب و الإنسان لا يقصّر عن بذل المال و الروح في سبيل المحبوب!؟ و لذلك فإنّ الآية تختتم بالقول مؤكّدة: أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ، هذا هو المعيار الذي حدّده الإسلام لمعرفة المؤمنين الحق و تمييزهم عن الكاذبين المدّعين بالإسلام تظاهر»[1].

ج–قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ﴾ [الأنفال: آية / ٧٢]، فقد جاء في تفسيرها: « قسم الناس في الآيات أربعة أقسام: قسم آمنوا و هاجروا، و قسم آمنوا و نصروا، و قسم آمنوا و لم يهاجروا، و قسم كفروا و لم يؤمنوا، فبدأ بذكر المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم و أموالهم و جاءوا لنصرة الله و رسوله ﷺ و إقامة دينه، و بذلوا أموالهم و أنفسهم في ذلك، و ثنى بذكر الأنصار: و هم المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم، و واسوهم في أموالهم، و نصروا الله و رسوله بالقتال معهم، فهؤلاء قضى الله بأن بعضهم ولي بعض أي: كل منهم أحق بالآخر من كل أحد، حتى إن أحدهم ليرث الآخر»[2]، وللأهمية الكبيرة لسلوك الجهاد في النفس وفي المال التي يريد الله تعالى أن يبيّنها اذ يجعل لمن آوى ونصر وقدَّم ماله وكل ما يملك في سبيل الله ونُصرَة دينه مكانة الولي للآخر الذي آواه ونصره فهو أحق من كل أحد يصحبه هذا حتى تصل المرتبة أنه يرثه، فاستجاب المسلمون لأمر الله ورسوله وكان الدافع في سلوكهم الجمعي هو الاذعان والطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وطمعاً في نيل الثواب العظيم، وكان من نتائج ذلك السلوك الجمعي هو تعزيز اللحمة الإجتماعية، والتكافل الاجتماعي، الأمر

(١) ناصر مكارم شيرازى، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،١٦/ ٥٧٣ .

(٢) سعيد حوّى، الاساس فى التفسير، الناشر: دار السلام – مصر – القاهره،، ١٤٢٤ هـ.ق،٤ / ٢٢٠٣.

الذي يؤدي الى انتاج مجتمع قوى متماسك ومتعاون يقدم رضا الله تعالى أولاً حتى وإن تعارض مع المصالح الشخصية واطماع الدنيا الضيقة.

ويرى الباحث أنَّه من مصاديق ذلك في عصرنا الحاضر الجماهير في محافظات الجنوب والوسط الذينآووا اخوانهم النازحين من المناطق التي سيطر عليها داعش الارهابي، فقدموا لهم المساعدات وأسكنوهم في مناطقهم ورَعَوهم أفضل الرِعاية حتى استقر الأمن في ديارهم، فعادوا الى ديارهم بخير وسلام.

ح–قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: آية /١١١]، في هذه الآية المباركة بيعٌ وشراء، بين الله تعالى وبين عباده المؤمنين اذ يشتري تعالى سلوكهم الجمعي في الاستجابة له تعالى من خلال الجهاد وتقديم أغلى ما يملكون وهو التضحية بالنفس في سبيل الله تعالى، فيكون مصيرهم والجائز أو الثمن الذي يقدمه الله تعالى لهم ﴿ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ ﴾، كما يتضح ذلك من خلال تفسير الآية المباركة: « هنا المشتري هو اللَّه، والمشترى به هو الحياة الدنيا: ﴿أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ﴾ والمشترى هو الجنة: ﴿فَلْيُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ وَ مَنْ يُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[سورة النّساء: آية /٧٤] »[1]، وكذلك « فأنفُس المؤمنين وأموالهم في هذه التجارة المربِحة هي بمنزلة العُروض المبيعة، والأعواض المضمونة هي بمنزلة الأثمان المنقودة،

(١) أخرج عن محمد بن كعب القرظي وغيره قال قال عبد الله ابن رواحة لرسول الله صلى الله عليه و آله: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال: اشترط لربي أن نعبده ولا تشركوا به شيئاً واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا قال: الجنة، قال: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت هذه الآية، وفيه أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه و آله وهو في المسجد فكبر الناس في المسجد فأقبل رجل من الأنصاري ثانياً طرفي ردائِه على عاتقه فقال يا رسول الله أنزلت هذه الآية؟ قال: نعم فقال الأنصاري: بيع ربيح لا نقيل ولا نستقيل، المصدر : ابن جرير، الدر المنثور ٣: ٢٨٠ .

والصفقة رابحة خالصة غير فالسة ولاكالسة، لزيادة الأثمان على السِلَع، وإضعاف الأعواض على القِيَم»[1] وكل هذا الجزاء العظيم والوعد به من الله تعالى، ليس الا ترغيباً ودفعاً للجهاد حتى يستجيب المؤمنون لأمر المولى الواجب اطاعته تعالى، ومن هذا الترغيب والايمان بصدق الوعد، لأنَّه من الله تعالى ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: آية/ ١٢٢]، وأن الجنة وعدُ من الله لمن قُتل منهم في سبيل الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٣١﴾ [الرعد: آية /٣١] ، وان وثيقة البيع هذه مسجلة في كتبه تعالى الثلاث (التوراة والانجيل والقرآن)،كما في التفسير الآتي: « إذ كتب على نفسه هذه الرحمة الغالية المتعالية فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ، فإن في هذه الكتب الثلاثة تشجيعات وذكريات عن المقاتلين في سبيل اللَّه بما كتب اللَّه على نفسه ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾»[2].

الأمر الآخر إنَّ اطلاق اللفظ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ ﴾ يبيّن أنَّ تلك الصفقة من البيع هي عقد في رقبة كل مؤمن، لذا يتوجب أن يسلك المؤمنون ذلك السلوك الجمعي المتجلي بالجهاد في سبيل الله تعالى.

وإن الآيات القرآنية التي تشجع وتشير الى الجهاد كثيرة لما للجهاد من ثمرات في نشر الدين ونصرة الحق واعلاء كلمة الله تعالى.

٤- آيات مباشرة تأمر بوجوب الجهاد على المؤمنين :

أ- الدفاع عن (النفس المحترمة)، من خلال قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: آية/ ٣٩] والتي ورد في تفسيرها، ومن خلال تفسير القرآن للقرآن:« أذن لهم: أي أبيح لهم القتال، دفاعا عن النفس.....فهذا قتال مشروع، بل إنه واجب، إذ كان فيه تقليم لأظفر الطغيان و حصد لشوكة

(١) صادقى طهرانى، محمد، التفسير الموضوعى للقرآن الكريم (صادقى طهرانى)، ٢٠جلد، دفتر مولف – ايران – قم، ط/١، ١٥ / ١٣٧

(٢) صادقى طهرانى، محمد، التفسير الموضوعى للقرآن الكريم (صادقى طهرانى)، ٢٠جلد، دفتر مولف – ايران – قم، ط/١، ١٥/ ١٣٨.

الطغاة.... والله سبحانه و تعالى يقول: ﴿وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ﴾ [البقرة: آية / ١٧٩] و يقول: ﴿فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: آية / ١٩٤]....أما الاستسلام للبغى، و السكوت على الظلم، فهو تمكين للشرّ، و تدعيم لبنائه، وإطلاق ليده، يضرب بها كيف يشاء فى مواقع الحق، و مواطن الخير..إن البغي، و الظلم، و العدوان.. كلها وجوه منكرة من وجوه المنكر، و مطلوب من كل مؤمن بالله أن يدفع المنكر بكل ما ملكت يده، و وسع جهده....و قتال المؤمنين، و العدوان عليهم، بإراقة دمائهم و إزهاق أرواحهم، هو أنكر المنكر، و إنه لفرض على كل مؤمن أن يردّ هذا المنكر، و يخمد أنفاسه، و يقدم نفسه قربانا لله فى سبيل الدفاع عن دين الله، و عن ينابيع الرحمة و الخير المتدفقة منه، و فى قوله تعالى: «بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا» هو تعليل للإذن الذي أذن فيه للمؤمنين بالقتال..»[١].

اذ يتضح للباحث كيف يُفسر القرآن بعضه بعضاً، فيجعل رد الظلم والاعتداء واجب على والمؤمنين ، وأن ذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن الإعتداء على المؤمنين وسفك دمائهم من أنكر المنكر، وانَّ السكوت والرضوخ للظلم فيه اعلاء لشوكة الشر وإطلاق اليد له، ووفق ذلك استجاب المؤمنون بالله لنداء الله الذي يؤمنون بأنه العالم بعواقب الإمور، كما جاء في المعنى من ظاهر قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: آية / ٢١٦]، فسلَّم المستجيبون لفتوى الجهاد الكفائي لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فكان سلوكهم الجمعي منطلقاً من ذلك التسليم والايمان بالله ورسوله، والمرجع الديني الذي يعدونه امتداداً طبيعياً لرسول الله ﷺ، والله تعالى قد أوجب

(١)عبدالكريم الخطيب، التفسير القرآنى للقرآن، ٩/ ١٠٤٤.

على المؤمنين طاعة الله ورسوله وأولى الأمر من العلماء الربانيين كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: آية / ٥٩]، اذ ورد في تفسير الآية المباركة:« ان أولي الأمر هم الامتداد الطبيعي للرسول، و هم أهل بيته من بعده، و العلماء بالله، الأمناء على حلاله و حرامه، الأكفاء على القيام بأمره، الصابرون المتقون، و بالتالي هم أكثر الناس طاعة لله، و أقربهم الى نهج رسوله، و يتحقق اليوم في حملة رسالة الله في الأرض انى كانوا»(١).

ويرى الباحث إنَّ هذا الأمر الرباني بقوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ﴾ بفعل الأمر هذا، والامر ظاهرٌ في الوجوب وقد بيَّن التفسير ذلك، ووفق ذلك الوجوب لطاعة العلماء، كان قد تشكل رأياً عاماً بوجوب الاستجابة لفتوى الجهاد الكفائي، وأن يكون من ذلك الرأي العام سلوكاً جمعياً بالجهاد وحب الشهادة، وقد تبيَّن للباحث من خلال المشاهد الحية التي شاهدها، أن بعض المؤمنين جاء بملابس العمل ومن غير سلاح ملبياً بشوق ولهفة لذلك النداء، ووصل الأمر الى أن يُلبي الطاعنون في السن من الشَيَبة، وهم يرتجزون بالقصائد والاشعار الحماسية التي تزيد من عزيمة المجاهدين، فأحدث ذلك السلوك الجمعي الأثر الاجتماعي البالغ من خلال إعادة التوازن في سوح المواجهة والنصر على الأعداء واعادة السلم المجتمعي، والإستقرار والأمن والقوة للمجتمع العراقي.

ب- الدفاع عن (العقيدة) من خلال قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الأنفال: آية / ٣٩] وقد ورد في تفسير الآية المباركة: « هذا توجيه للمؤمنين إلى الروحية التي يجب أن تحكم أهدافهم في القتال، فهم يقاتلون على أساس منع القوة التي تمثلها قريش من الضغط على

(١)محمدتقى المدرسى، من هدى القرآن، ٢/ ١٠٨.

المسلمين بغرض فتنتهم عن دينهم، و إبعادهم عن خط التوحيد لله، فإن هذه القوة إذا انهارت، أنهار الشرك كله، مما يدفع الجوّ إلى التغيير الجذري، وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، لأن الناس سينفتحون على الإسلام عند ما تتحطم كل الحواجز المادية التي تمنعهم من الوصول إليه و الانفتاح عليه، و هذا هو الخط الذي ينبغي للمؤمنين أن يسيروا عليه في ساحة الصراع، ليكون من أهدافهم البعيدة أن يضعفوا كل القوى الكافرة المهيمنة على الفكر و العمل، بالوسائل الواقعية التي يملكونها، على أساس الظروف الموضوعية المحيطة بهم، في ما تختزن من أوضاع و ما تطلقه من تحديات و ما تتحرك به من خطط و مؤامرات، لأن إضعاف القوى المضادّة قد يكون إحدى الوسائل التي تتيح للدعوة الإسلامية أن تأخذ حريتها في الحركة، عند ما يأخذ الآخرون من أفراد الأمة حريتهم في التفكير و القراءة و الاستماع و الحوار، بعيدا عن الضغوط الفكرية و السياسية و العسكرية، فَإِنِ انْتَهَوْا و أسلموا الأمر لله و دخلوا في الإسلام، انتهوا عن العدوان و الفتنة؛ فَإِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ليجزيهم على ما عملوا بما يستحقون من جزاء»[1].

ووفق ذلك يرى الباحث أنَّ السلوك الجمعي في فتوى الجهاد الكفائي هو العمل في مختلف الوسائل الاعلامية والتعاملات الانسانية والاسلامية من أجل ابطال ارجوزة داعش المنحرف المشوه والتكفيري، وإيصال الصورة الصحيحة الجلية الناصعة للاسلام الحنيف من خلال السلوك الحسن والمعاملة الطيبة للأهالي في المحافظات العراقية التي دخلها داعش متمثلين بقوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت: آية / ٣٤] التي ورد في تفسيرها أنَّ هذا النص المبارك هو: « خطاب منه سبحانه إلى نبيّه ﷺ ادفع بحقك باطلهم و بحلمك

(١) فضل الله، محمد حسين، من وحى القرآن، ١٠/ ٣٨١.

جهلهم و بعفوك إساءتهم، فإنك إن فعلت ذلك فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَةٌ أي عداوة دينيّة كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ أي يصير العدوّ بسبب إحسانك إليه في مقابل إساءته كالصّديق المحبّ القريب»[1]، وعلى جميع المؤمنينَ التأسي بسلوك النبي ﷺ في الدفع بالتي هي أحسن، والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة كما يقول تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: آية / ١٢٥] التي ورد في تفسيرها :« ادع يا محمد الناس إلى دين الله بِالْحِكْمَةِ بالمقالة المحكمة و هو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ المواعظ و العبر النافعة و القول الرقيق، قال البيضاوي: و الأولى- أي الحكمة- لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق، و الثانية- أي الموعظة- لدعوة عوامهم وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ جادل معانديهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق و اللين و إيثار أيسر الوجوه و أقوم الأدلة و أشهر المقدمات، فإن ذلك أنفع في تسكين ثورتهم و تبيين شغبهم إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ.. أي إنما عليك البلاغ و الدعوة، و أما حصول الهداية و الضلال و المجازاة عليهما، فليس إليك، بل الله عالم بالضالين و المهتدين، و هو المجازي لهم»[2].

ويجد الباحث أنَّه كذلك تأسى المستجيبون لفتوى الجهاد الكفائي اذ كان سلوكهم الجمعي الإمتثال لأوامر الله التي جاءت في الآيتين المباركتين في الدفع بالتي هي أحسن بكل سلوكهم القولي والفعلي، والدعوة الى الله بما تقتضيه الحكمة والموعضة الحسنة من سلوك، حتى شاهدنا أن المجاهدين يجعلون من ظهورهم مرتفعاً تدوسه النساء بأقدامها كي تتمكن من الصعود الى العجلات الناقلة

(١)محمد السبزواری، ارشاد الاذهان الى تفسير القرآن، الناشر : دار التعارف للمطبوعات – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤١٩ هـ.ق، ٤٨٥.

(٢) وهبه الزحيلى، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج، ١٤/ ٢٦٧.

للعوائل حتى يخلصونهم من ساحة الحرب ومن سطوة داعش الارهابي، وكيف كان سلوك المجاهدين في توزيع الماء والغذاء وإيصاله الى الأسر والناس المحاصرين، وكيف كانوا يطمئنونهم بأنهم ليسوا أعدائهم بل جائوا لمساعدتهم وتخليصهم، ولدفع الحيف والظلم وسطوة الفكر الارهابي عنهم، فكانوا بذلك خير ناصر للعقيدة الاسلامية الغراء ورُسلاً لنشر عقيدة السلام والمحبة، وجلاءً للظلمةِ التي نشرها الإرهاب في كلِّ مكان،وإنَّ سلوكهم الجمعي هذا كان له الأثر الكبير في الحافظ على سلامة الفكر والعقيدة في صفوف ابناء المجتمع، وازالة الفكر التكفيري و التعصب الطائفي والعرقي، وزرع فكرة إنَّ العراقيينَ جميعاً أخوةٌ في هذا الوطن العزيز، الأمر الذي يرفع كل الفوارق الاجتماعية التي تسبب تفكك المجتمع، ونشر وغرس روح الخير والمحبة والتسامح والاخوة بين أفراد المجتمع العراقي.

ت- الدفاع عن(المستضعفينَ) من خلال قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرٗا﴾ [النساء: آية / ٧٥]، والتي ورد في تفسيرها: « عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: و ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله و المستضعفين (٥)؟!و كذلك روى عن الكسائي، و فيه دلالة: أن على المسلمين أن يستنقذوا أسراهم من أيدي الكفرة إذا أسروا بأي وجه ما قدروا عليه: بالأموال، و القتال، و غير ذلك، و ذلك فرض عليهم، و حق ألا يتركوهم في أيديهم »[١].

فقد عايش الباحث كيف كانت احدى صور السلوك الجمعي للمجاهدين تخليص المدن المحاصرة من قبلِ داعش، كما هو الحال في فك الحصار عن مدينة آمرلي، ومدينة طوز خورماتو، كذلك تخليص العوائل العراقية من جميع الطوائف والاديان المستضعفين والواقعين تحت سيطرة قوى الارهاب، وكذلك جميع مدن العراق التي كانت تعيش التفجيرات كل يوم في الاسواق والمدارس والشوارع وفي

(١) الماتريدى، محمد بن محمد، تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدى)، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط/ ١، ١٤٢٦ هـ.ق، - لبنان - بيروت، ٣/ ٢٥٦ .

دور العبادة، حتى تولد رد الفعل على كل ذلك من قبل المؤمنين مكوناً سلوكاً جمعياً، تجلى في استطاعة المجاهدون والملبون لفتوى الجهاد الكفائي مع قوات الجيش العراقي بكل تشكيلاته من دحر الارهاب وتجميد تحركاته، وأخذ زمام المبادرة منه حتى أصبح الارهابُ مطارداً تحت كل حجر ومدر، وكان لذلك السلوك الجمعي المبارك أثره في عودة الناس الى بيوتهم، والاستقرار الأمني في الاسواق والمدارس ودور العبادة، في مختلف ربوع الوطن، الامر الذي ينعكس ايجاباً على النمو الاجتماعي ونشر الرفاهية والعيش بأمان في مدن وقرى وقصبات المجتمع العراقي.

المطلب الرابع : الآثار الأخرويّة للسلوك الجمعي:

في البدء لابد من بيان معنى مفردة الأثر لأنها إحدى مفردات عنوان الاطروحة

أولاً: مفهوم الأثر

١-**الأثر في اللغة:** قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): «أثر: الهمزة، والثاء، والراء، له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي» [١].

ويقول صاحب لسان العرب ما هو قريب من ابن فارس: «هو ما بقي من الشيء، والتأثير: هو ابقاء الأثر في الشيء، ترك فيه أثراً»[٢].

٢- **الأثر اصطلاحاً:** ورد مصطلح (الأثَر) على لسان الفقهاء بمعنى: « المنقول، لكن لا مطلقاً بل مرادهم خصوص ما نُقل عن النبيّ ﷺوالأئمّة كما أنّهم استعملوا عنوان (الأثر)..... بمعنى بقيّة ما يبقى في المحلّ بعد إزالة عين النجاسة بالأثر»[٣].

(١) معجم مقاييس اللغة: ابو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥ هـ): مادة: أثر، الجزء/ الاول.

(٢) لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ)مادة :أثر الجزء/٤.

(٣) موسوعة الفقة الاسلامي طبق المذه بأهل البيت عليهم السلام : مؤسسة دارالمعارف الالسلامي، ٤٥٠/٣

فيتبيَّن للباحث من المعنيين اللغوي والاصطلاحي، إنَّ معنى الأثر هو ما يبقى مرتبط في محله حتى بعد زوال حينه ومكانه، وفي محل البحث ما بقي مع الانسان من اعماله في الدنيا يسايره الى الآخرة يوفيه اليه الله، أما جزاءً بالحسنى ودخول الجَّنة، أو حساباً عسيراً وعذاباً اليماً في النار.

ثانياً: الآثار الآخروية:

قد يسأل سائل هل للسلوك الجمعي اثار آخروية ؟ وما هي أثاره الدنيوية ؟ فالجواب: هو إنَّ الفصول القادمة (الفصل الثاني والثالث والرابع) تكفلت وبشكل تفصيلي ببيان الاثار الدنيوي والاجتماعية للسلوك الجمعي، وقد توجب بيان الاثار الاخروية في هذا المطلب من البحث سواء كانت الأيجابية منها أو السلبية من خلال ما ورد في الآيات القرآنية المباركة وما تبين من تفسيراتها، ولأن في ذكرها أثراً ايجابياً على المجتمع الدنيوي، من خلال أخذ الموعظة والعبرة التي تُكتسب من خلال الفهم والتفكر والتمعن الدقيق في آيات القرآن الكريم، وكما يأتي:

١- **الاثار الاخروية الايجابية للسلوك الجمعي في ضوء القرآن الكريم:** الذي وردنا في السلوك الجمعي من علماء الغرب الذين تبيّن مقدماً أنهم من أوجدوا مصطلح السلوك الجمعي أنّ السلوك الجمعي كله سلبي مذموم، ولكن تبيَّن فيما بعد وخصوصاً في التفسير الاسلامي للمصطلح أن هناك سلوكاً جمعياً اسلامياً ايجابياً تدخل ضمنه جميع العبادات الجماعية التي يُسَلّم المؤمنون فيها ومن دون نقاش لأوامر الله تعالى، وكما سيتضح ذلك جلياً في الفصل الرابع من البحث.

لقد تعدد الثواب الجزيل في الآخرة من الله تعالى للذين يسلكون السلوك الجمعي الايجابي من المؤمنين وقد تجلى ذلك السلوك في صورٍ مختلفة منها:

أ-الجهاد في سبيل الله استجابةً وتسليماً لأمر الله تعالى، كما في قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠] والمعنى أن من اسلموا لله وكان سلوكهم الجمعي هو طاعة الله والاستجابة له في الهجرة والجهاد في الاموال والانفس هم مميزون عند الله على من سواهم من المسلمين الذين لم يهاجروا ولم يجاهدوا درجة عالية في الآخرة، ومما

يدل على أن تلك الدرجة في الآخرة أنهم جاهدوا بأنفسهم بمعنى إنَّ شهادتهم كانت في سبيل الله تعالى، وكما ورد في تفسير الآية المباركة: « و هي في كلّ ذلك مستعارة لرفع المقدار، و عِنْدَ اللَّهِ إشارة إلى أنّ رفعة مقدارهم رفعة رضى من الله و تفضيل بالتشريف، لأنّ أصل (عند) أنّها ظرف للقرب، و جملة وَ أُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ معطوفة على أَعْظَمُ دَرَجَةً أي: أعظم و هم أصحاب الفوز»[1]، والجهاد في النفس والمال هو سلوك جمعي لأنه يقع من جماعة قد سلمت إرادتها لله تعالى من دون تردد ولا جدال ايمانا بربها وشوقاً للجنة وذلك الثواب العظيم الذي وعدهم الله به وتجسيداً لقوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾(الاحزاب: آية / ٣٦)، والتي ورد في تفسيرها: « فإذا قضى الله و رسوله أمرا، لم يكن لمؤمن أن ينازع في هذا الأمر، أو يتوقف في إمضائه، أو يبدّل في صفته.. و إلّا فهو ليس من الإيمان في شيء.. إنه حينئذ يكون عاصيا لله و لرسول الله، خارجا عن سلطانهما..»[2] فيكون سلوك المؤمنين طاعةً لله، أو طمعاً بالثواب، أو خوفاً من العقاب، وكل ذلك دوافع ومسببات للإثارة والهياج الذي هو من منتجات ومكونات السلوك الجمعي.

ب-ولا يقتصر التسليم والطاعة لله فقط في الجهاد بل في جميع العبادات التي شرّعها الله تعالى على العباد، وعند استجابتهم وأداء تلك العبادات ومن دون تردد أو تفكير بالاختيار فإنه تعالى سيجزيهم الثواب الجزيل في الآخرة، كما جاء في قوله تعالى:

---

(١) ابن عاشور، محمد طاهر، تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، ٣٠جلد، مؤسسة التاريخ العربي – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤٢٠ هـ.ق، ١٠/ ٥٢.

(٢)عبدالكريم الخطيب، التفسير القرآنى للقرآن، ١٦جلد، دار الفكر العربي – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤٢٤ هـ.ق، ١١ / ٧١٥

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء:آية / ١٢٤-١٢٥]، التي ورد في تفسيرها: « و من يعمل مثقال ذرة من الصالحات سواء كان ذكرا أو أنثى عربيا أو عجميًّا و قد جمع مع ذلك الإيمان الخالص بالله و رسوله فأولئك يدخلون الجنة التي وصف لهم بعض ما فيها في القرآن وصفا قريبا من المشاهد المحسوسة حتى تتصوره عقول البشر، و لا يظلم أحد نقيرا، و النقير مثل في القلة، و الله أرحم الراحمين لا يظلم أحدا من العالمين، و لا يزيد في عقاب المقصرين وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ و بعد أن بيّن- سبحانه- أن الجزاء منوط بالعمل لا بالأمانى و لا الغرور الكاذب أردف ذلك بذكر درجات الكمال فقال:لا أحد أحسن دينا من دين من أسلم وجهه لله و جعل قلبه خالصا له، و فوض أمره إليه لا يعرف رباّ سواه و بالطبع لا أحد يساويه، و قد عبر عن توجه القلب بإسلام الوجه لأن الوجه هو المرآة لما في القلب، و مع هذا الإيمان الكامل هو محسن للعمل، و الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1]، وهذا التسليم المطلق في السلوك، هو مصداق من مصاديق السلوك الجمعي الممدوح.

ت- التقيد والتمسك بحدود الله طاعةً وتسليماً لله وإيماناً به تعالى واستجابةً لرسوله من قبل جموع المؤمنين هو سلوك جمعي، ينالون عليه الثواب العظيم في الآخرة، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [النساء: آية م ١٣]، التي ورد في تفسيرها: « فقال لفريق أهل طاعته في ذلك: وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ في العمل بما أمره به و الانتهاء إلى ما حده له.....، و يجتنب ما نهاه عنه في ذلك و غيره؛

(١) حجازى، محمد محمود، التفسير الواضح، ٣جلد، دار الجيل - لبنان - بيروت، ط/ ١٠، ١٤١٣ هـ.ق، ١/ ٤٣٣ .

يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ، فقوله: يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ يعني: بساتين تجري من تحت غروسها و أشجارها الأنهار. خالِدِينَ فِيها يقول: باقين فيها أبدا، لا يموتون فيها، و لا يفنون، و لا يخرجون منها. ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يقول: و إدخال الله إياهم الجنان التي وصفها على ما وصف من ذلك الفوز العظيم يعني: الفلح العظيم»[١] فيا له من جزاءٍ وثوابٍ عظيم لمن قاده تسليمهُ وطاعتهُ لله فسلك سلوك الايمان بالله والاستجابة له تعالى، وكون ذلك واقع من جموع المؤمين وبنفس الدوافع والمثيرات، فإنَّ ذلك سلوك جمعيّ استحقوا به الأجر العظيم من الله تعالى.

٢- **الآثار الاخروية السلبية للسلوك الجمعي في ضوء القرآن الكريم:** وكما وصف علماء الغرب بكون السلوك الجمعي غالباً ما يقع سلباً، لذلك تعددت مصاديقه وبنفس الوقت توعد القرآن الكريم الذين يسلكون ذلك السلوك بالعقاب الأليم والعذاب والخزي ما بعد الموت ويوم القيامة، ومن تلك الصور التي تجسد السلوك الجمعي كثيرة نذكر منها صورة (الخوض مع الآخرين) من دون تفكير ولا تعقل، بينما الدافع لهم في كل ذلك كان التقليد للاباء، أو الاقران أو الجماعة المتسلطة، أو اتباعاً للهوى، وقد ورد ذكر ذلك الخوض في سبع سور من القرآن خمسة مكية، وهي (الأنعام ، والزخرف، والطور، والمعارج، والمدثر) واثنان منها مدنية هما (النساء، والتوبة)[٢]، وهذه نماذج للسلوك الجمعي السلبي في موضوعات مختلفة في القرار:

أ-فمن الناس من يخوض من خلال العمل والقول بعلم ، ومنهم دون تفكر ولا تدبر في الآخرة، و لا يستجيب لما أمر الله به ونهى عنه وما جاءت به الرُسُل والانبياء

---

(١) طبرى، محمد بن جرير، جامع البيان فى تفسير القرآن (تفسير الطبرى)، ٣٠جلد، دار المعرفة – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤١٢ هـ.ق، ٤ ١٩٦.

(٢) فهد عبد المنعم صقر، بحث بعنوان :(الخوض كما جاء في القرآن الكريم – دراسة موضوعة)، الناشر : مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، الآداب والعلوم الانسانية،م ٢٩ ١ ص ص -٥٨٠ (٢٠٢١) ص/ ٥٥٩ .

من ربهم كما عبر القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [المدثر: الآيات: ٤٢- ٤٥] كما ورد في تفسيرها: « قال قتادة: معناه كلما غوى غاوياً لدخول في الباطل غوينا معه أي كنا نلوث أنفسنا بالمرور في الباطل كتلويث الرجل بالخوض فلما كان هؤلاء يخرجون مع من يكذب بالحق مشيعين لهم في القول كانوا خائضين معهم»[١] وحسب ما تقدم من تعريف السلوك الجمعي فإنَّ اتباع المجموعة والتسليم لسلوكها وتوجهاتها من دون تفكير فردي منعزل عنها، والبناء على التقليد أو الخوف أو الاعراف التي وفقها يتشكل الرأي العام، كل ذلك هو سلوكٌ جمعي.

ب-أنَّ حبَّ الدنيا والمال والمنصب إذا تجاوز التاس وبالغ فيهما يدفعان كثير من الناس لأنَّ يسلكوا سلوكاً جمعياً يفقدهم رضا الله ويجلب لهم العقاب في الآخرة الذي له الأثر السيئ عليهم، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ **مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها وَباطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ **[هود: آية ١٥ - ١٦]** فهؤلاء كانت تقودهم الاطماع الدنيوية التي أعمت عقولهم وقلوبهم حتى صار يقودهم تفكير واحد يجمعهم عليه حب الدنيا وزينتها ومسايرة الموضة في المسكن والملبس والمأكل والمركب والتزوج بالنساء، والتي يسعون الى مسايرتها وتحقيقها بأيَّ كسبٍ وان اختلفت مصادره المحرمة، والمعلوم وكما سيأتي تفصيله أنَّ الموضة هي أحدى مكونات السلوك الجمعي كما هو الرأي العام، الأمر الذي كان له الاثر السيئ عليهم في الآخرة كما جاء في تفسير الآية المباركة: «أي هؤلاء الذين لا همّ لهم إلا

---

(١) الطوسى، محمد بن حسن، التبيان في تفسير القرآن، ١٠جلد، دار إحياء التراث العربي – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٠ / ١٨٦ .

الدنيا و زينتها، ليس لهم فى الآخرة إلا النار، لأن الجزاء فيها على الأعمال كالجزاء فى الدنيا، و هم لم يعملوا للآخرة شيئا، فإن العمل لها يكون بتزكية النفس بالإيمان و عمل الفضائل- و بالتقوى باجتناب المعاصي و الرذائل، و ما صنعوه فيها مما ظاهره البر و الإحسان كالصدقة و صلة الرحم و نحو ذلك لم يكن تزكية لأنفسهم تقرّبهم إلى ربهم، بل كان لأغراض نفسية من شهواتها كالرياء و السمعة و الاعتزاز بذوي القرابة على الأعداء و لو بالباطل، فلا أجر له فيها و قد انقطع أثره الدنيوي»[1] .

في كل ما تقدم كان يحملهم الخوض واللعب مع اللاعبين بمعني سلوك القطيع الذي هو نوع من أنواع السلوك الجمعي، وكما تصف ذلك الآية المباركة: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ [الزخرف: الآية / ٨٣] والتي جاء في تفسيرها: «فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا في ما يأخذون به من أسباب اللهو و العبث و الخوض في الباطل، مما يجعلهم غافلين عن مسألة المصير، و ما يمكن أن يلاقوه من نتائج سلبية تتصل بحياتهم المستقبلية في الآخرة، و لذلك فإنهم لا يواجهون الموقف بالاهتمام الذي يستحقه، بل باللّامبالاة و الذهنية الفارغة من كل فكر، اللاهية عن كل مصير، فدعهم لخوضهم و لعبهم، و لا تتعقّد من ذلك، و تابع دعوتك و رسالتك، بعد أن أقمت عليهم الحجة، ليستمروا في كل أوضاعهم حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ فيجدون هناك نتائج أعمالهم التي انحرفوا فيها عن الخط المستقيم الذي دعاهم اللّه إليه و دلّهم عليه»[2].

---

(١) مراغى، احمد مصطفى، تفسير المراغى، ٣٠جلد، دار الفكر – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٢ /١٦

(٢)محمد حسين فضل الله، من وحى القرآن، ٢٥جلد، دار الملاك – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤١٩ هـ.ق، ٢٠/ ٢٦٨ .

ت–اتباعهم الذين من قبلهم في السلوك واتباع المجموعة فخاضوا مع الخائضين، اي سلكوا السلوك الجمعي من دون تفكر ولا روية في اختيار الأمور، كما ورد في قوله تعالى:﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوالاً وَأَوْلاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خاضُوا أُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾ [التوبة: الآية / ٦٩] والتي ورد في تفسيرها: « إن هؤلاء المنافقين يمكن أن يستفيدوا و يحققوا بعض المكاسب و الامتيازات من أعمال النفاق، لكن ما يحصلون عليه مؤقت و محدود، فإنّنا إذا أمعنا النظر فسنرى أن هؤلاء لم يجنوا من سلوك هذا الطريق شيئا، لا في الدنيا و لا في الآخرة، كما يعكس التاريخ هذه الحقيقة، و يبيّن كيف أنّ المنافقين على مرّ الدهور و الأيّام قد توالت عليهم النكبات و أزرت بهم و حكمت عليهم بالفناء و الزوال، كما أن ممّا لا شك فيها أنّ هذه العاقبة الدنيوية تبيّن المصير الذي ينتظرهم في الآخرة..... إنَّ جملة ﴿كَالَّذِي خاضُوا ﴾في الواقع بمعنى: كالذي خاضوا فيه، و بعبارة أخرى، فإنّها تشبيه لفعل منافقي اليوم بفعل المنافقين السابقين، كما شبهت الجملة السابقة استفادة هؤلاء من النعم و المواهب الإلهية في طريق الشهوات كالسابقين منهم» [١]

و يرى الباحث ومما يخلص اليه البحث في هذا المطلب أنَّ للسلوك الجمعي آثاراً لا تقتصر على المجتمع البشري في الدنيا فقط بل إنَّ هناك آثاراً تتعلق وتبقى تتبع الذين سلكوا ذلك السلوك الجمعي بعد موتهم ويوم القيامة، فإن كان سلوكهم الجمعي حسب ما يرضي الله تعالى كان الأثر الذي تعلق به ايجابياً فينالهم الجزاء الحسن ويُدخلهم ربهم الى الجنَّة كما تبيَّن ذلك في الآيات القرآنية المباركة، أما إذا

(١) ناصر مكارم شيرازى ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام– ايران – قم، ط/ ١، ١٤٢١ هـ.ق، ٦ / ١١٦.

كان سلوكهم الجمعي سلبياً وقد تجلى بمعصية الله والعداء له تعالى والى رُسُله، والقيام بالسلوك القبيح والمنحط من خلال ارتكاب أنواع المعاصي، فإنَّ الأثر الآخروي الذي يتعلق به هو الحساب العسير من الله تعالى والمتجلي بدخول النار والذُّل في قرارة نفوسهم والفضيحة على رؤوس الاشهاد الأمر الذي يُشعر الكافرين والمنافقين بالخزي والعار في نفوسهم، كما تذكر الآيات القرآنية المباركة، كما في قوله تعالى : ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا**﴾ [الزمر: آية /٧١] ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا**﴾ [الزمر: آية /٧٣]فقد حذرنا الله تعالى منذ أول نزول القرآن الكريم على نبينا الكريم ﷺ وما سبقته من الكتب السماوية، ولكننا نجد مجاميع الناس وفي عصرنا الحاضر لازالت بل تتمادي يوماً بعد أخر في ارتكاب السلوك الجمعي السلبي والمذموم الذي لا شك ولا ريب سينالهم منه الآثار السيئة والوخيمة في الآخرة، فضلا عن الآثار الدنيوية، التي سيتناولها البحث في الفصول القادمة من الاطروحة ومن خلال التفسير القرآني لآيات القرآن الكريم.

خلاصة الفصل الرابع :

ومما خلص له البحث في هذا الفصل قد جمعه الباحث في مجموعهة من النقلط وكالتالي:

١- يتبع السلوك الجمعي الديني القائد الموجه، وقد يتمثل بالمرشد الديني، بخلاف أنواع السلوك الجمعي الأخرى التي قد تقع عفوية وبصورة.

٢- غالباً ما يقع السلوك الجمعي الديني ايجابياً وممدوحاً .

٣- يتجلى السلوك الجمعي الديني في أغلب العبادات والتكاليف الجماعية.

٤- كما هو في بقية أنواع السلوك الجمعي، يحصل السلوك الجمعي الديني في الأفراح والاحزان.

٥- إنَّ اتباع أوامر الله تعالى وما جاء به القرآن الكريم وفسره لنا النبيﷺ وأهل بيته (عليهم السلام) والذين ساروا على نهجهم من الصالحين والعلماء الربانيين،فأنَّ نتائج كل ذلك ممكن أن يحصل منه السلوك الجمعي الايجابي الممدوح والذي يقود الى صناعة مجتمع نموذجي وسليم.

٦- ليس كل شخص يمكن أن يكون مرشداً يصنع السلوك الجمعي الإيجابي.

٧- ذكر القرآن الكريم وجوب حج بيت الله على كل من استطاع اليه سبيلا، لاسيما أنَّ شعيرة الحج من أبرز مظاهر السلوك الجمعي الايجابي .

٨- لقد تبين من خلال تفسير الآيات القرآنية أنَّ السلوك الجمعي الديني يؤديه الناس وهم راغبون فيه متطوعون بلهفة من ذاتهم، من دون أن تقهرهم قوة الطغاة والمتسلطون على رقابهم.

٩- بعد ما بيَّنتْ التفاسير القرآنية معنى الشعيرة لغتةً وأصطلاحاً، تبيَّن أنه:

أ- أنَّ ظاهرة زيارة الأربعين شعيرة من شعائر الله وهي سلوكاً جمعياً،.

ب-لقد أمر الله تعالى في القرآن الكريم المؤمنين بأن يكونوا كالجسد الواحد عند الشدائد والمحن، وقد تجسد ذلك في السلوك الجمعي الحاصل خلال زيارة الأربعين.

ت-زيارة الأربعين هي من أهم شعائر الله التي أوصى الله تعالى بتعظيمها.

ت-انَّ زيارة الأربعين سلوك جمعي ايجابي لأنها من شعائر الله، كما تبيَّن من خلال التفسير القرآني.

ث-في السلوك الجمعي لزيارة الأربعين دروس تربوية واجتماعية تحافظ وتُنمي على روح الثورة ضد الباطل والشرك.

ج-إن السلوك الجمعي في زيارة الاربعين وسيلة من وسائل الدعاية والاعلام لنشر مباديء الدين الاسلامي الحقيقية.

ح–لقد وصف القرآن الكريم سلوك الظلمة والطغاة وعدائهم للحق والخير فكلما كان السلوك الجمعي سلبياً يدعو الى غير تعاليم الله تعالى، شجعه الطغاة والدعاة للباطل، وكلما كان السلوك الجمعي ايجابياً وبناءاً حاربه أولئك.

خ–أنَّ السلوك الجمعي في زيارة الأربعين من قبل خَدَمَةِ المواكب والزائرين يؤدي الى بناء الروابط والعلاقات الاجتماعية، ويُربي على الايثار والصبر والتحمل.

١١–أما في مجال فتوى الجهاد الكفائي فقد تبيّن التالي:

أ– تُعد فتوى الجهاد الكفائي سلوكاً جمعياً لأنها انصياع وتسليم واتباع للقائد.

ب– تُعد فتوى الجهاد الكفائي سلوكاً جمعياً لأنَّ من أهم دوافعه وأسبابه الخوف والقلق على الدماء الأعراض، والثوابت الدينية والمقدسات الاسلامية.

ت– من أهم أثار السلوك الجمعي لفتوى الجهاد الكفائي الاجتماعية، هو كشف حقائق وزيف الفكر التكفيري.

١٠– – إنَّ للسلوك الجمعي اثاراً أُخروية مثلما له آثاراً دنيوية، تتشكل تلك الآثار سلباً أو ايجاباً حسب حصول السلوك الجمعي في عالم الدنيا كما وصف ذلك القرآن الكريم في آيات عديدة.

وكل ذلك ليس الا مصداق واضح جلي من مصاديق السلوك الجمعي.

ملحق الاستبيان

ملحق الاستبيان

منهجية الاستبيان والنتائج

١- نموذج الاستبيان

٢- منهجية الاستبيان

٣- النتائج التفصيلية

٤- النتائج العامة

٥- خلاصة الاستبيان

(نموذج الاستبيان)

جمهورية العراق
وزارة التعليم العلي والبحث العلمي
جامعة كربلاء /كلية العلوم الإسلامية
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

جميع الاخوة والاخوات المتفضلين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد...

بين أيديكم استمارة الاستبيان المرفقة لها أهمية معتبرة اذ يسعى الباحث من خلالها استكمال متطلبات دراسته لنيَّل درجة الدكتوراه في علوم القرآن والتربية الاسلامية، ووفق ذلك، يطلب الباحث تفضل المبحوث الكريم من الاخوة والاخوات بالإجابة عن جميع ما موجود من الأسئلة المرفقة، بكل دقة وموضوعية حتى يتسنى للباحث فرصة تشخيص أبرز ما تعلق بدراسته من المؤشرات العلمية ، غاية الوصول الى أدق وأهم النتائج.

والهدف من الاستبيان هو تعزيز قوة الحجج والنتائج التي توصلت اليها الدراسة . ومن خلال وضع علامة (√) فوق النقاط أو داخل المربع الذي يناسب خصوصيتكم أو رأيكم.

مع وافر الامتنان والشكر والتقدير لتعاونكم.

المشرف	الباحث
أ. د: محمد حسين عبود الطائي	مهدي مناتي عبود

عيـــــــــــــــــــــــــنـــــات الاستبيـــــــــــــــــــان

الشهادة التي حصل عليها

١- غير متعلم.....

٢- ابتدائي ..... متوسطة

٣-اعدادية.....دبلوم

٤-بكالوريوس.....

٥-شهادات عليا.....

المحور الأول

القدرة على الذاتية واستقلال التفكير والسلوك

ت	العبارات	نعم بالتأكيد	نعم	احياناً	كلا
١	يمكنني مخالفة سلوك الجماعة، وعدم اتباع توجهاتهم ، و عدم الميل نحوهم .				
٢	أتأثر بالسلوكيات والافكار الجديدة .				
٣	اقتنع الا بما اقترن بالدليل من الآراء والافكار				
٤	أثق بكل الناس لاعتقادي أن أغلب الناس على صواب.				
٥	أعتقد أن الافكار والسلوكيات الصحيحة من السهل اقناع الآخرين بها.				
٦	أعتقد أن التفكير الشخص أفضل من تفكير الجماعة				
٧	لا أحب الانقياد من الاخرين.				
٨	أمتلك الرغبة في فرض آرائي الشخصية على الجماعة.				
٩	اتقبل أي فكرة وبسهولة.				
١٠	اذا اختلفت آرائي عن الجماعة، فإنني أتحرجُ عن مخالفتهم.				
١١	اشعر بأنني استطيع اتخاذ قراراتي بنفسي في جميع الأمور.				

اعتز برأيي واتمسك به ما دمت اعتقد الصواب فيه.

١٢

اتأثر بسلوك وآراء الجماعات الذين أرى انهم متأكدين من آرائهم
١٣ مهما كانت توجهاتهم.

عند الازمات والحوادث الطارئة أواجهها بالتخطيط الدقيق.

١٤

لا اتقبل وجهات نظر والآخرين البعيدة عن الحقيقة والعقل.

١٥

أومن بأبراج الحظ

١٦

أتأثر بالموضة وكل ما هو مبتكر وجديد.

١٧

١ اعتقد أنَّ المثليين هم ابرياء واتعاطف معهم.
١٨

اتقبل جميع الاعلام الالكتروني.

١٩

اعتقد بإطلاق الحرية، والتحرر، وأدعوا لها.

٢٠

المحور الثاني

الموقف من الانتماء الى سلوك الجماعة

ت	العبارات	نعم بالتأكيد	نعم	احياناً	لا	كلا
١	بزيادة عدد افراد الجماعة يزداد احتمال الوقوع في السلوك الخطأ وتبتعد النتائج عن المنطقية.					
٢	أكيد إنَّ الجماعة عندها الحلول لكل المشكلات، أفضل من الافراد.					
٣	في الانضمام الى الجماعة يكون الفرد أكثر اطمئناناً.					
٤	تؤثر الجماعة في سلوك الفرد الى الأفضل.					
٥	التفكير الجماعي يغير للأفضل في جميع مفاصل الحياة.					
٦	أعتقد بأنَّ العمل بسلوك الجماعة يحقق الوحدة بين الناس.					
٧	أُومن بأنَّ الجماعة ذات تأثير ضاغط وبشدة على تفكير وسلوك الأفراد.					
٨	مع الجماعة تصدر منا افكاراً وسلوكيات لا عقلانية.					
٩	أرى أنَّ الجماعة اكتسبت معظم معلوماتها من أفرادها .					

اعتقد وأشعر بأنَّ الجماعة مصدر قوة وطمأنينة لي.

١٠

أرى أنَّ كثرة الاحزاب في المجتمع الواحد، له أثارة في تأجيج

١١ الطائفية

في البلاد.

أميل الى مصاحبة من يتفقون معي في الانتماء والتوجه

١٢ والفكر.

أعتقد بأن الفكر الذي انتمي وأُؤمن أنا به،هو الوحيد الذي

١٣ يحرص

على البلد ويرغب في بنائه وتطويره.

أؤمن بأن الهدف من تشكيل الجماعات هو استغلال الافراد

١٤ واستعبادهم.

من دون الانتماء الى الجماعة أشعر بالفراغ الفكري.

١٥

أعتقد بأن قوة الجماعة وحريتها تكمن في فرض وسيادة

١٦ آرائها.

أؤمن كثيراً بالعادات العشائرية والتقاليد، لأن فيها الأمن

١٧ والاستقرار.

أرى لزوم تضحية الفرد من أجل انتمائه الفكري والعقائدي.

١٨

أشعر بالقدر على الاستيلاء على ما اريد عندما أكون مع

١٩ الجماعة.

أؤمن بأنَّ التمسك بالعادات والتقاليد العشائرية يُسبب التخلف

٢٠ الاجتماعي.

المحور الثالث

الموقف من وسائل الاعلام والتواصل الحديثة ودورها في تغيير الافكار والسلوك

ت	العبارات	نعم بالتأكيد	نعم	احياناً	كلا
١	وسائل التواصل الاجتماعي سبباً رئيساً في تشكيل أفكار موحدة.				
٢	مما زاد من الانحراف الفكري لدى الشباب هو النشر الخاطئ لتعاليم الدين الاسلامي.				
٣	تساعد الدّول الكبرى في دعم من يدعو الى الانحراف الفكري والسلوكي.				
٤	أعتقد بأنَّ الاعلام الحديث لا يحيط الاحاطة التامة في نقل الخبر، ويكتفي بالجانب الشكلي منه.				
٥	أُسلم التسليم التام الى مواقع التواصل الحديثة في اتخاذ قراراتي وسلوكياتي.				
٦	أعتقد أنَّ جميع افكاري وسلوكياتي الغير منضبطة هي بسبب تأثير مواقع التواصل الحديثة والاستمرار في متابعتها.				
٧	أرغب في تطبيق جميع ما اشاهده على منصات التواصل الحديثة.				
٨	أعتقد بأنَّ الغزو الثقافي والفكري الغربي والعولمة الحديثة سببا رئيساً في هدم القيم				

الانسانية والمبادئ الاسلامية خاصة.

٩ ضعف موقف المسلمين ودولهم تجاه قضاياهم يُعد من أهم اسباب

ضعف الاسلام حديثاً.

١٠ من اسباب انتشار الانحراف الفكري هو انتشار مواقع التواصل الاجتماعي.

١١ اعتقد بكثرة العداء للتشريع الإلهي وخصوصاً الاسلامي من خلال الحملات

الشرسة والقوية ضده وضد جميع رموزه.

١٢ تقيّد المبلغين والدعاة الى الاسلام، اسهم في انتشار السلوك المنحرف.

١٣ من اسباب انتشار السلوكيات المنحرفة غياب المبلغين والدعاة عن مواقع

التواصل الاجتماعي.

١٤ مصالح الدول الجائرة تساهم في نشر السلوكيات السلبية في المجتمع.

١٥ قصور في توفر الحملات المرشدة للشباب والتي تحصن افكارهم من الانحراف.

١٦ تخلف معظم البلدان الاسلامية في جميع المجالات السياسية والاقتصادية

والعلمية، سبباً رئيساً في انتشار السلوك المنحرف.

١٧ أعتقد بوجود قيادات ورموز فكرية تُنظِّر لتأصيل السلوك السلبي المنحرف،

وعبر وسائل التواصل الحديثة.

١٨ جميع أفكاري اعتمد في تحصيلها من خلال مواقع التواصل الحديثة.

١٩	انجذب واندمج مع منصات التواصل الاجتماعي من دون حذر أو تأكد من أغراضها وأهدافها.
٢٠	لدي القدرة على التمييز بين الهدام والبنّاء والصادق وغير الصادق من اخبار منصات لتواصل.
٢١	فساد المبلغين والدعاة ضعف مصداقيتهم، الأمر الذي جعل من الناس أن تعرض عنهم وسماعهم والقبول منهم.

منهجية الاستبيان:

إن الآلية التي استخدمها الباحث في طريقة الاستبيان هي منهجية الوصف التحليلي، بُغية الحصول على أدق وأسرع النتائج، فضلاً

عن بساطتها وسهولة فهمها، وهذه الطريقة من أشهر الطرق في عمل الاستبيان، والخروج بالنسبة المئوية لكل فئة من العينات الداخلة

في الاستبيان.

تم اشتراك (٧٠) عينة ضمن بقعة جغرافية وهي محافظة بغداد (بحدود الاقضية التابعة لها) اذ توزعت هذه العيّنة الى عشر استمارات لكل تحصيل دراسي، بخلاف البكالوريوس وحملة الشهادات العليا اذ توزعت على عشرين استمارة، لكلٍ منهما ، وتوزع تسلسل العينات على فئات فلكل فئة تحصيلها الدراسي، وقد شملت جميع المراحل الدراسية، وبالترتيب التنازلي، اذ بدأ الباحث من (الشهادات العليا) ثم (البكالوريوس) ثم (الدبلوم) ثُم (الإعدادية) وأخيراً (المتوسطة فالابتدائية)، وكانت الاعمار تتراوح بين (١٨) سنة فما فوق، باختلاف ميولهم وثقافاتهم، ومهنهم، ومن كلا الجنسين الذكور والإناث وكما سيتضح في الاستبيان.

حاول الباحث وضع الأسئلة بالصياغة المناسبة الى مختلف الاعمار والثقافات والمستويات، لجعلها شاملة للجميع وسهلة الاجابة، وشيقة للقارئ، حتى يتسنى له الوصول الى اكبر فائدة مرجوة، خدمة للدين والانسانية، والله ولي التوفيق.

النتائج التفصيلية

نتائج استبيان السلوك الجمعي وأثره في توجيه المجتمع

(الشهادات العليا)

المحور الأول

القدرة على الذاتية واستقلال التفكير والسلوك

العبارات	نعم بالتأكيد	نعم	احياناً	كلا	المجموع
يمكنني مخالفة سلوك الجماعة، وعدم اتباع توجهاتهم ، وعدم الميل نحوهم .	٥	٦	٩		٢٠
أتأثر بالسلوكيات والافكار الجديدة		٢	١٤	٤	٢٠
لا اقتنع الا بما اقترن بالدليل من الآراء والافكار	١٢	٥	١	٢	٢٠
أثق بكل الناس لاعتقادي أن أغلب الناس على صواب.			٤	١٦	٢٠
أعتقد أن الافكار والسلوكيات الصحيحة من السهل اقناع الآخرين بها.	٧	٥	٦	٢	٢٠
أعتقد أن التفكير الشخصي يوصلني الى الحقائق، أفضل من لو اتبعت تفكير الجماعة.	٥	٦	٧	٢	٢٠
لا أحب الانقياد من الاخرين.	٦	١٣	١		٢٠

أمتلك الرغبة في فرض آرائي الشخصية على الجماعة.	١	٥	١٢	٢	٢٠
اتقبل أي فكرة وبسهولة.			١٠	١٠	٢٠
اذا اختلفت آرائي عن الجماعة، فإنني أتحرجُ عن مخالفتهم.	٢	٢	٥	١١	٢٠
اشعر بأنني استطيع على اتخاذ قراراتي بنفسي في جميع الأمور.	٥	٩	٤	٢	٢٠
اعتز برأيي واتمسك به ما دمت اعتقد الصواب فيه.	٩	١١			٢٠
اتأثر بسلوك وآراء الجماعات الذين أرى انهم متأكدين من آرائهم مهما كانت توجهاتهم.	٣	٣	٤	١٠	٢٠
عند الازمات والحوادث الطارئة أواجهها بالتخطيط الدقيق.	٤	١٢	٤		٢٠

المحور الثاني

الموقف من الانتماء الى سلوك الجماعة (الشهادات العليا)

لا اتقبل وجهات نظر والآخرين البعيدة عن الحقيقة والعقل.	٧	٧		٦	٢٠
أومن بأبراج الحظ		٢	١	١٧	٢٠
أتأثر بالموضة وكل ما هو مبتكر وجديد.		٧	٤	٩	٢٠
اعتقد أنَّ المثليين هم ابرياء واتعاطف معهم.				٢٠	٢٠
اتقبل جميع الاعلام الالكتروني.		١	٤	١٥	٢٠
اعتقد بإطلاق الحرية، والتحرر، وأدعوا لها.		١	٧	١٢	٢٠
المجموع الكلي	٦٦	٩٧	٩٧		٤٠
				١٤	٠
				٠	
النسبة المئوية		٢٤ %	٢٤ %	٣٥ %	

٣٤%١٧

العبارات	نعم بالتأكيد	نعم	أحياناً	كلا	المجموع
بزيادة عدد افراد الجماعة يزداد احتمال الوقوع في السلوك الخطأ و تبتعد النتائج عن المنطقية.	٢	٥	١٢	١	٢٠
أكيد إنَّ الجماعة عندها الحلول لكل المشكلات، أفضل من الافراد.		٩	٧	٤	٢٠
في الانضمام الى الجماعة يكون الفرد أكثر اطمئناناً.	٣	٦	٨	٣	٢٠
تؤثر الجماعة في سلوك الفرد الى الأفضل.	٢	١	١٦	١	٢٠
التفكير الجماعي يغير للأفضل في جميع مفاصل الحياة.	١	٧	٨	٤	٢٠
أعتقد بأنَّ العمل بسلوك الجماعة يحقق الوحدة بين الناس.	٢	٥	١١	٢	٢٠
أُومن بأنَّ الجماعة ذات تأثير ضاغط وبشدة على تفكير وسلوك الأفراد.	٣	١٣	٤		٢٠
مع الجماعة تصدر منا افكاراً وسلوكيات لا عقلانية.		٦	١٢	٢	٢٠
أرى أنَّ الجماعة اكتسبت معظم معلوماتها من أفرادها.	٢	٩	٨	١	٢٠
اعتقد وأشعر بأنَّ الجماعة مصدر قوة وطمأنينة لي.		٧	١١	٢	٢٠
	٤	١٠	٣	٣	٢٠
أرى أنَّ كثرة الاحزاب في المجتمع الواحد، له أثارة في تأجيج	٣	٨	٨	١	٢٠
الطائفية في البلاد.	٣	٢	١٢	٣	٢٠
أميل الى مصاحبة من يتفقون معي في الانتماء والتوجه والفكر.		٢	١٤	٤	٢٠
أعتقد بأن الفكر الذي انتمي وأُؤمن أنا به،هو الوحيد الذي يحرص			٧	١٣	٢٠
على البلد ويرغب في بنائه وتطويره.	٢	٨	٩	١	٢٠
أؤمن بأن الهدف من تشكيل الجماعات هو استغلال الافراد واستعبادهم.	١	١	٥	١٣	٢٠

من دون الانتماء الى الجماعة أشعر بالفراغ الفكري.	٤	١٠	٤	٢	٢٠
أعتقد بأن قوة الجماعة وحريتها تكمن في فرض وسيادة آرائها.		٤	٨	٨	٢٠
المجموع الكلي	٣٢	١١٣	١٦٧	٦٨	٣٨٠
النسبة المئوية	%٨	%٣٠	%٤٤	%١٨	

المحور الثالث

الموقف من وسائل الاعلام والتواصل الحديثة ودورها في تغيير الافكار والسلوك (الشهادات العليا)

العبارات	نعم بالتأكيد	نعم	احياناً	كلا	المجموع
وسائل التواصل الاجتماعي سبباً رئيساً في تشكيل أفكار موحدة.	٥	٥	٤	٦	٢٠
مما زاد من الانحراف الفكري لدى الشباب هو النشر الخاطئ لتعاليم الدين الاسلامي.	١٦	٤			٢٠
تساعد الدّول الكبرى في دعم من يدعو الى الانحراف الفكري والسلوكي.	١٢	٥	٣		٢٠
أعتقد بأنَّ الاعلام الحديث لا يحيط الاحاطة التامة في نقل الخبر، ويكتفي بالجانب الشكلي منه.	٨	١٠	١	١	٢٠
أُسلم التسليم التام الى مواقع التواصل الحديثة في اتخاذ قراراتي وسلوكياتي.			١	١٩	٢٠
أعتقد أنَّ جميع افكاري وسلوكياتي غير المنضبطة هي بسبب تأثير مواقع التواصل الحديثة والاستمرار في متابعتها.	٦	١	٨	٥	٢٠
أرغب في تطبيق جميع ما اشاهده على منصات التواصل الحديثة.			٣	١٧	٢٠

أعتقد بأنَّ الغزو الثقافي والفكري والعولمة الحديثة سببا رئيساً في هدم القيم الانسانية والمبادئ الاسلامية خاصة.	١٢	٧	١		٢٠
ضعف موقف المسلمين ودولهم تجاه قضاياهم يُعد من أهم اسباب ضعف الاسلام حديثاً.	١٢	٨			٢٠
من اسباب انتشار الانحراف الفكري هو انتشار مواقع التواصل الاجتماعي.	١١	٧		٢	٢٠
اعتقد بكثرة العداء للتشريع الإلهي وخصوصاً الاسلامي من خلال الحملات الشرسة والقوية ضده وضد جميع رموزه.	٤	٧	٣	٦	٢٠
تقيّد المبلغين والدعاة الى الاسلام، اسهم في انتشار السلوك المنحرف.	٣	٧	٤	٦	٢٠
من اسباب انتشار السلوكيات المنحرفة غياب المبلغين والدعاة عن مواقع التواصل الاجتماعي.	٩	١١			٢٠
مصالح الدول الجائرة تساهم في نشر السلوكيات السلبية في المجتمع.	٨	١٠		٢	٢٠
قصور في توفر الحملات المرشدة للشباب والتي تحصن افكارهم من الانحراف .	٩	١١			٢٠
تخلف معظم البلدان الاسلامية في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية، سبباً رئيساً في انتشار السلوك المنحرف.	٩	١١			٢٠
أعتقد بوجود قيادات ورموز فكرية تُنظِّر لتأصيل السلوك السلبي المنحرف، وعبر وسائل التواصل الحديثة.	٦	١٠	٤		٢٠
جميع أفكاري اعتمد في تحصيلها من خلال مواقع التواصل الحديثة.		١	٥	١٤	٢٠
انجذب واندمج مع منصات التواصل الاجتماعي من دون حذر أو تأكد من أغراضها وأهدافها.		١	٢	١٧	٢٠
لدي القدرة على التمييز بين الهدام والبنّاءوالصادق وغير الصادق من اخبار منصات التواصل.	٩	٨	٣		٢٠
بسبب فساد المبلغين والدعاة ضعف مصداقيتهم، الأمر الذي جعل من الناس أن تعرض عنهم وسماعهم والقبول منهم.	٨	٣	٩		٢٠
المجموع الكلي	١٤٧	١٢٧	٥١	٩٥	٤٢٠
النسبة المئوية	%٣٥	%٣٠	%١٢	%٢٣	

نتائج استبيان السلوك الجمعي وأثره في توجيه المجتمع (البكالوريوس)

المحور الأول

القدرة على الذاتية واستقلال التفكير والسلوك

العبارات	نعم بالتأكيد	نعم	احياناً	كلا	المجموع
يمكنني مخالفة سلوك الجماعة، وعدم اتباع توجهاتهم ، والميل نحوهم.	١٠	٤	٤	٢	٢٠
أتأثر بالسلوكيات والافكار الجديدة .	٢	٤	٩	٥	٢٠
لا اقتنع الا بما اقترن بالدليل من الآراء والافكار.	١٣	٦		١	٢٠
أثق بكل الناس لاعتقادي أن أغلب الناس على صواب.		١	٢	١٧	٢٠
أعتقد أن الافكار والسلوكيات الصحيحة من السهل اقناع الآخرين بها.	٣	٧	١٠		٢٠
أعتقد أن التفكير الشخصي يوصلني الى الحقائق، أفضل من لو اتبعت تفكير الجماعة.	٤	٧	٦	٣	٢٠
لا أحب الانقياد من الاخرين.	٦	٨	٣	٣	٢٠
أمتلك الرغبة في فرض آرائي الشخصية على الجماعة.	١	٢	٧	١٠	٢٠
اتقبل أي فكرة وبسهولة.	١	٤	٤	١١	٢٠
اذا اختلفت آرائي عن الجماعة، فإنني أتحرجُ عن مخالفتهم.		٤	٨	٨	٢٠
اشعر بأنني استطيع على اتخاذ قراراتي بنفسي في جميع الأمور.	٣	٧	١٠		٢٠
اعتز برأيي واتمسك به ما دمت اعتقد الصواب فيه.	٨	٥	٥	٢	٢٠

اتأثر بسلوك وآراء الجماعات الذين أرى انهم متأكدين من آرائهم مهما كانت توجهاتهم.	٣	٦	٥	٦	٢٠
عند الازمات والحوادث الطارئة أواجهها بالتخطيط الدقيق.	٨	٦	١	٥	٢٠
لا اتقبل وجهات نظر والآخرين البعيدة عن الحقيقة والعقل.	٩	١١			٢٠
أومن بأبراج الحظ .		٦	٣	١١	٢٠
أتأثر بالموضة وكل ما هو مبتكر وجديد.		٦	٤	١٠	٢٠
اعتقد أنَّ المثليين هم ابرياء واتعاطف معهم.		٢	١	١٧	٢٠
اتقبل جميع الاعلام الالكتروني.	١	١	٢	١٦	٢٠
اعتقد بإطلاق الحرية، والتحرر، وأدعوا لها.	١		٧	١٢	٢٠
المجموع الكلي	٦٦	٩٧	٩٧	١٤٠	٤٠ ٠
النسبة المئوية	%١٦,٥	%٢٤,٢٥	٪٢٤,٢٥	%٣٥	

المحور الثاني

الموقف من الانتماء الى سلوك الجماعة(البكالوريوس)

العبارات	نعم بالتأكيد	نعم	أحياناً	كلا	المجموع
زيادة عدد افراد الجماعة يزداد احتمال الوقوع في السلوك الخطأ وتبتعد النتائج عن المنطقية.	٤	٤	٧	٥	٢٠
أكيد إنَّ الجماعة عندها الحلول لكل المشكلات، أفضل من الافراد.	٤	٨	٦	٢	٢٠
في الانضمام الى الجماعة يكون الفرد أكثر اطمئناناً.	٢	٦	١٠	٢	٢٠
تؤثر الجماعة في سلوك الفرد الى الأفضل.	٢	٥	١٢	١	٢٠
التفكير الجماعي يغير للأفضل في جميع مفاصل الحياة.	٢	٥	١٠	٣	٢٠
أعتقد بأنَّ العمل بسلوك الجماعة يحقق الوحدة بين الناس.	٣	٥	١٢		٢٠
أُومن بأنَّ الجماعة ذات تأثير ضاغط وبشدة على تفكير وسلوك الأفراد.	٣	٩	٥	٣	٢٠
مع الجماعة تصدر منا افكاراً وسلوكيات لا عقلانية.	٢	٥	٩	٤	٢٠
أرى أنَّ الجماعة اكتسبت معظم معلوماتها من أفرادها.	٢	١٠	٦	٢	٢٠
اعتقد وأشعر بأنَّ الجماعة مصدر قوة وطمأنينة لي.	٢	٢	١٣	٣	٢٠
أرى أنَّ كثرة الاحزاب في المجتمع الواحد، له أثارة في تأجيج الطائفية في البلاد.	١١	٤	٤	١	٢٠
أميل الى مصاحبة من يتفقون معي في الانتماء والتوجه والفكر.	٨	٥	٤	٣	٢٠
أعتقد بأن الفكر الذي انتمي وأُومن أنا به،هو الوحيد الذي يحرص على البلد ويرغب في بنائه وتطويره.	١	٨	١٠	١	٢٠
أؤمن بأن الهدف من تشكيل الجماعات هو استغلال الافراد واستعبادهم.	٢	١	٧	١٠	٢٠
من دون الانتماء الى الجماعة أشعر بالفراغ الفكري.		٤		١٦	٢٠
أعتقد بأن قوة الجماعة وحريتها تكمنفي فرض وسيادة آرائها.	١	١٤		٥	٢٠
أؤمن كثيراً بالعادات العشائرية والتقاليد، لأن فيها الأمن والاستقرار.	١	٢	١٣	٤	٢٠
أرى لزوم تضحية الفرد من أجل انتمائه الفكري والعقائدي.	١	١٥	١	٣	٢٠
أشعر بالقدر على الاستيلاء على ما اريد عندما أكون مع الجماعة.		٤	٥	١١	٢٠
المجموع الكلي	٥١	١١٦	١٣٤	٧٩	٣٨٠
النسبة المئوية	%١٣	%٣١	%٣٥		%٢١

المحور الثالث

الموقف من وسائل الاعلام والتواصل الحديثة ودورها في تغيير الافكار والسلوك

(البكالوريوس)					
العبارات	نعم بالتأكيد	نعم	احياناً	كلا	المجموع
وسائل التواصل الاجتماعي سبباً رئيساً في تشكيل أفكار موحدة.	٣	٣	٧	٧	٢٠
مما زاد من الانحراف الفكري لدى الشباب هو النشر الخاطئ لتعاليم الدين الاسلامي.	١١	٦	٢	١	٢٠
تساعد الدّول الكبرى في دعم من يدعو الى الانحراف الفكري والسلوكي.	١٣	٧			٢٠
أعتقد بأنَّ الاعلام الحديث لايحيط الاحاطة التامة في نقل الخبر،ويكتفي بالجانب الشكلي منه.	٨	١٢			٢٠
أُسلم التسليم التام الى مواقع التواصل الحديثة في اتخاذ قراراتي، وسلوكياتي.	٢	٢	١	١٥	٢٠
أعتقد أنَّ جميع افكاري وسلوكياتي غير المنضبطة هي بسبب تأثير مواقع التواصل الحديثة والاستمرار في متابعتها.		١	٤	١٥	٢٠
أرغب في تطبيق جميع ما اشاهده على منصات التواصل الحديثة.			٤	١٦	٢٠
أعتقد بأنَّ الغزو الثقافي والفكري الغربي والعولمة الحديثة سببا رئيساً في هدم القيم الانسانية والمبادئ الاسلامية خاصة.	١٥	٣	٢		٢٠
ضعف موقف المسلمين ودولهم تجاه قضاياهم يُعد من أهم اسباب ضعف الاسلام حديثاً.	٥	١٥			٢٠
من اسباب انتشار الانحراف الفكري هو انتشار مواقع التواصل الاجتماعي.	٩	١٠	١		٢٠
اعتقد بكثرة العداء للتشريع الإلهي وخصوصاً الاسلامي من خلال الحملات الشرسة والقوية ضده وضد جميع رموزه.	٥	١٣	٢		٢٠
تقيّد المبلغين والدعاة الى الاسلام،اسهم في انتشار السلوك المنحرف.	٧	٨	٢	٣	٢٠
من اسباب انتشار السلوكيات المنحرفة غياب المبلغين والدعاة عن مواقع التواصل لاجتماعي.	٤	١٢	١	٣	٢٠
مصالح الدول الجائرة تساهم في نشر السلوكيات السلبية في المجتمع.	٩	٨	٢	١	٢٠
قصور في توفر الحملات المرشدة للشباب والتي تحصن افكارهم من الانحراف.	١٠	٨	١	١	٢٠
تخلف معظم البلدان الاسلامية في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية، سبباً رئيساً في انتشار السلوك المنحرف.	١٠	٧	١	٢	٢٠

أعتقد بوجود قيادات ورموز فكرية تُنظِّر لتأصيل السلوك السلبي المنحرف، وعبر وسائل التواصل الحديثة.	٣	١٢	٥		٢٠
جميع أفكاري اعتمد في تحصيلها من خلال مواقع التواصل الحديثة.		٢	٥	١٣	٢٠
انجذب واندمج مع منصات التواصل الاجتماعي من دون حذر أو تأكد من أغراضها وأهدافها.			٣	١٧	٢٠
لدي القدرة على التمييز بين الهدام والبنّاء والصادق وغير الصادق من اخبار منصات التواصل.	٥	١٢		٣	٢٠
فساد المبلغين والدعاة ضعف مصداقيتهم، الأمر الذي جعل من الناس أن تعرض عنهم وسماعهم والقبول منهم.	٦	١٠	٣	١	٢٠
المجموع الكلي	١٢٥	١٥١	٤٦	٩٨	٤٢٠
النسبة المئوية	%٣٠	%٣٦	%١١	%٢٣	

نتائج استبيان السلوك الجمعي وأثره في توجيه المجتمع

(الدبلوم)

المحور الأول

القدرة على الذاتية واستقلال التفكير والسلوك

العبارات	نعم بالتأكيد	نعم	احياناً	كلا	المجموع
يمكنني مخالفة سلوك الجماعة، وعدم اتباع توجهاتهم ، والميل نحوهم	١	٦	٢	١	١٠
أتأثر بالسلوكيات والافكار الجديدة	١	١	٦	٢	١٠
لا اقتنع الا بما اقترن بالدليل من الآراء والافكار	٢	٨			١٠
أثق بكل الناس لاعتقادي أن أغلب الناس على صواب.			٣	٧	١٠
أعتقد أن الافكار والسلوكيات الصحيحة من السهل اقناع الآخرين بها.	١	١	٨		١٠
أعتقد أن التفكير الشخصي يوصلني الى الحقائق، أفضل من لو اتبعت تفكير الجماعة.	٢	١	٧		١٠
لا أحب الانقياد من الاخرين.	٧	٢	١		١٠
أمتلك الرغبة في فرض آرائي الشخصية على الجماعة.	٢	٢	٤	٢	١٠
اتقبل أي فكرة وبسهولة.		١	٣	٦	١٠
اذا اختلفت آرائي عن الجماعة، فإنني أتحرجُ عن مخالفتهم.			٦	٤	١٠
اشعر بأنني استطيع على اتخاذ قراراتي بنفسي في جميع الأمور.	١	٧	٢		١٠
اعتز برأيي واتمسك به ما دمت اعتقد الصواب فيه.	٢	٢	٦		١٠
اتأثر بسلوك وآراء الجماعات الذين أرى انهم متأكدين من آرائهم مهما كانت توجهاتهم.			٥	٥	١٠
عند الازمات والحوادث الطارئة اواجهها بالتخطيط الدقيق.	٢	٧	١		١٠
لا اتقبل وجهات نظر والآخرين البعيدة عن الحقيقة والعقل.	٤	٤	٢		١٠
أومن بأبراج الحظ		١	٤	٥	١٠
أتأثر بالموضة وكل ما هو مبتكر وجديد.	٢		٣	٥	١٠

اعتقد أنَّ المثليين هم ابرياء واتعاطف معهم.	١			٩	١٠
اتقبل جميع الاعلام الالكتروني.			٣	٧	١٠
اعتقد بإطلاق الحرية، والتحرر، وأدعوا لها.		١	٤	٥	١٠
المجموع الكلي	٢٨	٤٤	٧٠	٥٨	٢٠٠
النسبة المئوية	١٤%				
		٢٢	٣٥	٢٩	
		%	%	%	

المحور الثاني

الموقف من الانتماء الى سلوك الجماعة (الدبلوم)

العبارات	نعم بالتأكيد	نعم	أحياناً	كلا	المجموع
بزيادة عدد افراد الجماعة يزداد احتمال الوقوع في السلوك الخطأ وتبتعد النتائج عن المنطقية.		٢	٧	١	١٠
أكيد إنَّ الجماعة عندها الحلول لكل المشكلات، أفضل من الافراد.	٢		٧	١	١٠
في الانضمام الى الجماعة يكون الفرد أكثر اطمئناناً.	٣	٢	٥		١٠
تؤثر الجماعة في سلوك الفرد الى الأفضل.	٢	٢	٥	١	١٠
التفكير الجماعي يغير للأفضل في جميع مفاصل الحياة.	٢	٢	٤	٢	١٠
أعتقد بأنَّ العمل بسلوك الجماعة يحقق الوحدة بين الناس.	٢		٦	٢	١٠
أُومن بأنَّ الجماعة ذات تأثير ضاغط وبشدة على تفكير وسلوك الأفراد.	١	٣	٦		١٠
مع الجماعة تصدر منا افكاراً وسلوكيات لا عقلانية.	١	٣	٤	٢	١٠
أرى أنَّ الجماعة اكتسبت معظم معلوماتها من أفرادها.	٢	٦	٢		١٠
اعتقد وأشعر بأنَّ الجماعة مصدر قوة وطمأنينة لي.		٣	٧		١٠
أرى أنَّ كثرة الاحزاب في المجتمع الواحد، له أثارة في تأجيج الطائفية في البلاد.	٧	٢	١		١٠
أميل الى مصاحبة من يتفقون معي في الانتماء والتوجه والفكر.	٧	١		٢	١٠
أعتقد بأن الفكر الذي انتمي وأُؤمن أنا به،هو الوحيد الذي يحرص على البلد ويرغب في بنائه وتطويره.	٧	١	٢		١٠
أؤمن بأن الهدف من تشكيل الجماعات هو استغلال الافراد واستعبادهم.	١	١	٥	٣	١٠
من دون الانتماء الى الجماعة أشعر بالفراغ الفكري.			٦	٤	١٠

أعتقد بأن قوة الجماعة وحريتها تكمن في فرض وسيادة آرائها.	١		٤	٥	١٠
أؤمن كثيراً بالعادات العشائرية والتقاليد، لأن فيها الأمن والاستقرار.		١	٨	١	١٠
أرى لزوم تضحية الفرد من أجل انتمائه الفكري والعقائدي.		١	٧	٢	١٠
أشعر بالقدر على الاستيلاء على ما اريد عندما أكون مع الجماعة.		١	٧	٢	١٠
المجموع الكلي	٣٨	٣١	٩٣	٢٨	١٩٠
النسبة المئوية	%٢٠	%١٦	%٤٩	%١٥	

المحور الثالث

الموقف من وسائل الاعلام والتواصل الحديثة ودورها في تغيير الافكار والسلوك

(دبلوم)

العبارات	نعم بالتأكيد	نعم	احياناً	كلا	المجموع
وسائل التواصل الاجتماعي سبباً رئيساً في تشكيل أفكار موحدة.			٣	٧	١٠
مما زاد من الانحراف الفكري لدى الشباب هو النشر الخاطئ لتعاليم الدين الاسلامي.	٨	٢			١٠
تساعد الدّول الكبرى في دعم من يدعو الى الانحراف الفكري والسلوكي.	٨	٢			١٠
أعتقد بأنَّ الاعلام الحديث لا يحيط الاحاطة التامة في نقل الخبر، ويكتفي بالجانب الشكلي منه.	٨	٢			١٠
أُسلم التسليم التام الى مواقع التواصل الحديثة في اتخاذ قراراتي وسلوكياتي.	١	١		٨	١٠
أعتقد أنَّ جميع افكاري وسلوكياتي الغير منضبطة هي بسبب تأثير مواقع التواصل الحديثة والاستمرار في متابعتها.			٣	٧	١٠
أرغب في تطبيق جميع ما اشاهده على منصات التواصل الحديثة.			١	٩	١٠
أعتقد بأنَّ الغزو الثقافي والفكري الغربي والعولمة الحديثة سببا رئيساً في هدم القيم الانساني والمبادئ الاسلامية خاصة.	٨	٢			١٠
ضعف موقف المسلمين ودولهم تجاه قضاياهم يُعد من أهم اسباب ضعف الاسلام حديثاً.	٩	١			١٠
من اسباب انتشار الانحراف الفكري هو انتشار مواقع التواصل الاجتماعي.	٨	١	١		١٠
اعتقد بكثرة العداء للتشريع الإلهي وخصوصاً الاسلامي من خلال الحملات الشرسة والقوية ضده وضد جميع رموزه.	٨	١	١		١٠
تقيّد المبلغين والدعاة الى الاسلام، اسهم في انتشار السلوك المنحرف.	٣	٧			١٠
من اسباب انتشار السلوكيات المنحرفة غياب المبلغين والدعاة	٣	٥	٢		١٠

عن مواقع التواصل الاجتماعي.					
مصالح الدول الجائرة تساهم في نشر السلوكيات السلبية في المجتمع.	٤	٦			١٠
قصور في توفر الحملات المرشدة للشباب والتي تحصن افكارهم من الانحراف.	٤	٦			١٠
تخلف معظم البلدان الاسلامية في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية، سبباً رئيساً في انتشار السلوك المنحرف.	٥	٥			١٠
أعتقد بوجود قيادات ورموز فكرية تُنظِّر لتأصيل السلوك السلبي المنحرف، وعبر وسائل التواصل الحديثة.	٤	٥	١		١٠
جميع أفكاري اعتمد في تحصيلها من خلال مواقع التواصل الحديثة.			٢	٨	١٠
انجذب واندمج مع منصات التواصل الاجتماعي من دون حذر أو تأكد من أغراضها وأهدافها.				١٠	١٠
لدي القدرة على التمييز بين الهدام والبنّاء والصادق وغير الصادق من اخبار منصات التواصل.	٢	٢	٥	١	١٠
فساد المبلغين والدعاة ضعف مصداقيتهم، الأمر الذي جعل من الناس أن تعرض عنهم وسماعهم والقبول منهم.	٤	٦			١٠
المجموع الكلي	٨٧	٥٤	١٩	٥٠	٢١٠
النسبة المئوية	%٤١	٢٦ %	%٩	%٢٤	

نتائج استبيان السلوك الجمعي وأثره في توجيه المجتمع

(الاعداية)

المحور الأول

القدرة على الذاتية واستقلال التفكير والسلوك

العبارات	نعم بالتأكيد	نعم	احياناً	كلا	المجموع
يمكنني مخالفة سلوك الجماعة، وعدم اتباع توجهاتهم ، والميل نحوهم.	٢	٧	١		١٠
أتأثر بالسلوكيات والافكار الجديدة.	٢		٧	١	١٠
لا اقتنع الا بما اقترن بالدليل من الآراء والافكار.	٨	١	١		١٠
أثق بكل الناس لاعتقادي أن أغلب الناس على صواب.		٢	١	٧	١٠
أعتقد أن الافكار والسلوكيات الصحيحة من السهل اقناع الآخرين بها.	١	١	١	٧	١٠
أعتقد أن التفكير الشخصي يوصلني الى الحقائق، أفضل من لو اتبعت تفكير الجماعة.	٢		٧	١	١٠
لا أحب الانقياد من الاخرين.	٣	٧			١٠
أمتلك الرغبة في فرض آرائي الشخصية على الجماعة.	١	١	٦	٢	١٠
اتقبل أي فكرة وبسهولة.		١	١	٨	١٠
اذا اختلفت آرائي عن الجماعة، فإنني أتحرجُ عن مخالفتهم.	١		١	٨	١٠
اشعر بأنني استطيع على اتخاذ قراراتي بنفسي في جميع الأمور.	١	١	٧	١	١٠
اعتز برأيي واتمسك به ما دمت اعتقد الصواب فيه.	٢	٨			١٠
اتأثر بسلوك وآراء الجماعات الذين أرى انهم متأكدين من آرائهم مهما كانت توجهاتهم.		١	٧	٢	١٠
عند الازمات والحوادث الطارئة أواجهها بالتخطيط الدقيق.	٢	٨			١٠
لا اتقبل وجهات نظر والآخرين البعيدة عن	١	٧	٢		١٠

الحقيقة والعقل.					
أومن بأبراج الحظ		٢		٨	١٠
أتأثر بالموضة وكل ما هو مبتكر وجديد.		١	١	٨	١٠
اعتقد أنَّ المثليين هم ابرياء واتعاطف معهم.				١٠	١٠
اتقبل جميع الاعلام الالكتروني.			١	٩	١٠
اعتقد بإطلاق الحرية، والتحرر، وأدعوا لها.			٢	٨	١٠
المجموع الكلي	٢٦	٤٨	٤٦	٨٠	٢٠٠
النسبة المئوية	%١٣		%٢٤	%٢٣	%٤٠

المحور الثاني

الموقف من الانتماء الى سلوك الجماعة(اعدادية)

العبارات	نعم بالتأكيد	نعم	أحياناً	كلا	المجموع
بزيادة عدد افراد الجماعة يزداد احتمال الوقوع في السلوك الخطأ وتبتعد النتائج عن المنطقية.		٢	٧	١	١٠
أكيد إنَّ الجماعة عندها الحلول لكل المشكلات، أفضل من الافراد.			٣	٧	١٠
في الانضمام الى الجماعة يكون الفرد أكثر اطمئناناً.	١		٩		١٠
تؤثر الجماعة في سلوك الفرد الى الأفضل.			٩	١	١٠
التفكير الجماعي يغير للأفضل في جميع مفاصل الحياة.			٨	٢	١٠
أعتقد بأنَّ العمل بسلوك الجماعة يحقق الوحدة بين الناس.		٧	٣		١٠
أُومن بأنَّ الجماعة ذات تأثير ضاغط وبشدة على تفكير وسلوك الأفراد.		٧	٣		١٠
مع الجماعة تصدر منا افكاراً وسلوكيات لا عقلانية.			٢	٨	١٠
أرى أنَّ الجماعة اكتسبت معظم معلوماتها من أفرادها.		٩	١		١٠
اعتقد وأشعر بأنَّ الجماعة مصدر قوة وطمأنينة لي.		١	٩		١٠
أرى أنَّ كثرة الاحزاب في المجتمع الواحد، له أثارة في تأجيج الطائفية في البلاد.	١	٨	١		١٠

أميل الى مصاحبة من يتفقون معي في الانتماء والتوجه والفكر.			١	٩	١٠
أعتقد بأن الفكر الذي انتمي وأُؤمن أنا به،هو الوحيد الذي يحرص على البلد ويرغب في بنائه وتطويره.		١	٢	٧	١٠
أ اؤمن بأن الهدف من تشكيل الجماعات هو استغلال الافراد واستعبادهم.		١	١	٨	١٠
من دون الانتماء الى الجماعة أشعر بالفراغ الفكري.		١	١	٨	١٠
أعتقد بأن قوة الجماعة وحريتها تكمن في فرض وسيادة آرائها.		١	١	٨	١٠
أؤ من كثيراً بالعادات العشائرية والتقاليد، لأن فيها الأمن والاستقرار.	١	١	٧	١	١٠
أرى لزوم تضحية الفرد من أجل انتمائه الفكري والعقائدي.	٢	٧	١		١٠
اشعر بالقدر على الاستيلاء على ما اريد عندما أكون مع الجماعة.				١٠	١٠
المجموع الكلي	٥	٤٦	٦٩	٧٠	١٩٠
النسبة المئوية	%٣	%٢٤	%٣٦	%٣٧	

المحور الثالث

الموقف من وسائل الاعلام والتواصل الحديثة ودورها في تغيير الافكار والسلوك (اعدادية)

العبارات	ن نعم بالتأكيد	نعم	احياناً	كلا	المجموع
وسائل التواصل الاجتماعي سبباً رئيساً في تشكيل أفكار موحدة.	٣	٣		٤	١٠
مما زاد من الانحراف الفكري لدى الشباب هو النشر الخاطئ لتعاليم الدين الاسلامي.	٨	٢			١٠
تساعد الدّول الكبرى في دعم من يدعو الى الانحراف الفكري والسلوكي.	٤		٦		١٠
أعتقد بأنَّ الاعلام الحديث لا يحيط الاحاطة التامة في نقل الخبر، ويكتفي بالجانب الشكلي منه.	١	٧	١	١	١٠
أُسلم التسليم التام الى مواقع التواصل الحديثة في اتخاذ قراراتي وسلوكياتي.				١٠	١٠
أعتقد أنَّ جميع افكاري وسلوكياتي الغير منضبطة هي بسبب تأثير مواقع التواصل الحديثة والاستمرار في متابعتها.		٢	١	٧	١٠
أرغب في تطبيق جميع ما اشاهده على منصات التواصل الحديثة.			١	٩	١٠
أعتقد بأنَّ الغزو الثقافي والفكري الغربي والعولمة الحديثة سببا رئيساً في هدم القيم الانسانية والمبادئ الاسلامية خاصة.	٧	٣			١٠
ضعف موقف المسلمين ودولهم تجاه قضاياهم يُعد من أهم اسباب ضعف الاسلام حديثاً.	٨	٢			١٠
من اسباب انتشار الانحراف الفكري هو انتشار مواقع التواصل الاجتماعي.	٧	٢	١		١٠
اعتقد بكثرة العداء للتشريع الإلهي وخصوصاً الاسلامي من خلال الحملات الشرسة والقوية ضده وضد جميع رموزه.	٨	٢			١٠
تقيّد المبلغين والدعاة الى الاسلام، اسهم في انتشار السلوك المنحرف.		١	٧	٢	١٠
من اسباب انتشار السلوكيات المنحرفة غياب المبلغين والدعاة عن			٢	٨	١٠

مواقع التواصل الاجتماعي.					
مصالح الدول الجائرة تساهم في نشر السلوكيات السلبية في المجتمع.	٣	٣	٣	١	١٠
قصور في توفر الحملات المرشدة للشباب والتي تحصن افكارهم من الانحراف.	١	٣	٦		١٠
تخلف معظم البلدان الاسلامية في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية، سبباً رئيساً في انتشار السلوك المنحرف.	١	٤	٥		١٠
أعتقد بوجود قيادات ورموز فكرية تُنظِّر لتأصيل السلوك السلبي المنحرف، وعبر وسائل التواصل الحديثة.	٢	٧	١		١٠
جميع أفكاري اعتمد في تحصيلها من خلال مواقع التواصل الحديثة.		٢	٥	٣	١٠
انجذب واندمج مع منصات التواصل الاجتماعي من دون حذر أو تأكد من أغراضها وأهدافها.		١	٢	٧	١٠
لدي القدرة على التمييز بين الهدام والبنّاء والصادق وغير الصادق من اخبار منصات التواصل.	٧	٣			١٠
سبب فساد المبلغين والدعاة ضعف مصداقيتهم، الأمر الذي جعل من الناس أن تعرض عنهم وسماعهم والقبول منهم.	٤	٤	١	١	١٠
المجموع الكلي	٦٤	٥١	٤٢	٥٣	٢١٠
النسبة المئوية	%٣٠	%٢٥	%٢٠	%٢٥	

نتائج استبيان السلوك الجمعي وأثره في توجيه المجتمع

(المتوسطة والابتدائية)

المحور الأول

القدرة على الذاتية واستقلال التفكير والسلوك

العبارات	نعم بالتأكيد	نعم	احياناً	كلا	المجموع
يمكنني مخالفة سلوك الجماعة، وعدم اتباع توجهاتهم ، والميل نحوهم.			١٠		١٠
أتأثر بالسلوكيات والافكار الجديدة.		٨	٢		١٠
لا اقتنع الا بما اقترن بالدليل من الآراء والافكار	٤	٣	٣		١٠
أثق بكل الناس لاعتقادي أن أغلب الناس على صواب.	٨		٢		١٠
أعتقد أن الافكار والسلوكيات الصحيحة من السهل اقناع الآخرين بها.	١	٥	٤		١٠
أعتقد أن التفكير الشخصي يوصلني الى الحقائق، أفضل من لو اتبعت تفكير الجماعة.		٨	٢		١٠
لا أحب الانقياد من الاخرين.	٢	٢	٦		١٠
أمتلك الرغبة في فرض آرائي الشخصية على الجماعة.	٤	٢	٤		١٠
اتقبل أي فكرة وبسهولة.		٥	٥		١٠
اذا اختلفت آرائي عن الجماعة، فإنني أتحرجُ عن مخالفتهم.		٢	٤	٤	١٠
اشعر بأنني استطيع على اتخاذ قراراتي بنفسي في جميع الأمور.	١	٥	٤		١٠
اعتز برأيي واتمسك به ما دمت اعتقد الصواب فيه.	١	٥	٤		١٠
أتأثر بسلوك وآراء الجماعات الذين أرى انهم متأكدين من آرائهم مهما كانت توجهاتهم.	١	٤	٥		١٠
عند الازمات والحوادث الطارئة أواجهها بالتخطيط الدقيق.	٨	٢			١٠
لا اتقبل وجهات نظر والآخرين البعيدة عن الحقيقة والعقل.	١	٩			١٠
أومن بأبراج الحظ	١	٩			١٠

أتأثر بالموضة وكل ما هو مبتكر وجديد.		٩	١		١٠
اعتقد أنَّ المثليين هم ابرياء واتعاطف معهم.		٣		٧	١٠
اتقبل جميع الاعلام الالكتروني.	٣		٢	٥	١٠
اعتقد بإطلاق الحرية، والتحرر، وأدعوا لها.				١٠	١٠
المجموع الكلي	٣٥	٨١	٥٨	٢٦	٢٠٠
النسبة المئوية	%١٨	%٤٠	%٢٩		%١٣

المحور الثاني

الموقف من الانتماء الى سلوك الجماعة(المتوسطة والابتدائية)

العبارات	نعم بالتأكيد	نعم	أحياناً	كلا	المجموع
بزيادة عدد افراد الجماعة يزداد احتمال الوقوع في السلوك الخطأ وتبتعد النتائج عن المنطقية.	٥	٥			١٠
أكيد إنَّ الجماعة عندها الحلول لكل المشكلات، أفضل من الافراد.	٥			٥	١٠
في الانضمام الى الجماعة يكون الفرد أكثر اطمئناناً.	٣	٧			١٠
تؤثر الجماعة في سلوك الفرد الى الأفضل.			١٠		١٠
التفكير الجماعي يغير للأفضل في جميع مفاصل الحياة.		٢	٨		١٠
أعتقد بأنَّ العمل بسلوك الجماعة يحقق الوحدة بين الناس.		٥	٥		١٠
أُومن بأنَّ الجماعة ذات تأثير ضاغط وبشدة على تفكير وسلوك الأفراد.		٦		٤	١٠
مع الجماعة تصدر منا افكاراً وسلوكيات لا عقلانية.		٢	٤	٤	١٠
أرى أنَّ الجماعة اكتسبت معظم معلوماتها من أفرادها.		٥	٥		١٠
اعتقد وأشعر بأنَّ الجماعة مصدر قوة وطمأنينة لي.			٥	٥	١٠
أرى أنَّ كثرة الاحزاب في المجتمع الواحد، له أثارة في تأجيج الطائفية في البلاد.		٦	٤		١٠
أميل الى مصاحبة من يتفقون معي في الانتماء والتوجه والفكر.	١	٥	٤		١٠
أعتقد بأن الفكر الذي انتمي وأُومن أنا به،هو الوحيد الذي يحرص على البلد ويرغب في بنائه وتطويره.	١	٥	٤		١٠
أؤمن بأن الهدف من تشكيل الجماعات هو استغلال الافراد واستعبادهم.	٨	٢			١٠
من دون الانتماء الى الجماعة أشعر بالفراغ الفكري.		١٠			١٠
أعتقد بأن قوة الجماعة وحريتها تكمن في فرض وسيادة آرائها.	٢	٨			١٠
أؤمن كثيراً بالعادات العشائرية والتقاليد، لأن فيها الأمن والاستقرار.	٢	٨			١٠
أرى لزوم تضحية الفرد من أجل انتمائه الفكري والعقائدي.	٥			٥	١٠
أشعر بالقدر على الاستيلاء على ما اريد عندما أكون مع الجماعة.				١٠	١٠
المجموع الكلي	٣٢	٧٦	٤٩	٣٣	١٩٠
النسبة المئوية	%١٦	%٤٠	%٢٦	%١٧	

المحور الثالث

الموقف من وسائل الاعلام والتواصل الحديثة ودورها في تغيير الافكار والسلوك (المتوسطة والابتدائية)

العبارات	نعم بالتأكيد	نعم	احياناً	كلا	المجموع
وسائل التواصل الاجتماعي سبباً رئيساً في تشكيل أفكار موحدة.	٤	٦			١٠
مما زاد من الانحراف الفكري لدى الشباب هو النشر الخاطئ لتعاليم الدين الاسلامي.	٥			٥	١٠
تساعد الدّول الكبرى في دعم من يدعو الى الانحراف الفكري والسلوكي.	٢	٨			١٠
أعتقد بأنَّ الاعلام الحديث لا يحيط الاحاطة التامة في نقل الخبر، ويكتفي بالجانب الشكلي منه.		٢	٨		١٠
أُسلم التسليم التام الى مواقع التواصل الحديثة في اتخاذ قراراتي وسلوكياتي.		٢	٨		١٠
أعتقد أنَّ جميع افكاري وسلوكياتي الغير منضبطة هي بسبب تأثير مواقع التواصل الحديثة والاستمرار في متابعتها.	١	٥	٤		١٠
أرغب في تطبيق جميع ما اشاهده على منصات التواصل الحديثة.		٢	٤	٤	١٠
أعتقد بأنَّ الغزو الثقافي والفكري الغربي والعولمة الحديثة سببا رئيساً في هدم القيم الانسانية والمبادئ الاسلامية خاصة.	٥		٥		١٠
ضعف موقف المسلمين ودولهم تجاه قضاياهم يُعد من أهم اسباب ضعف الاسلام حديثاً.		٥	٥		١٠
من اسباب انتشار الانحراف الفكري هو انتشار مواقع التواصل الاجتماعي.	١٠				١٠
اعتقد بكثرة العداء للتشريع الإلهي وخصوصاً الاسلامي من خلال الحملات الشرسة والقوية ضده وضد جميع رموزه.		٢	٨		١٠
تقيّد المبلغين والدعاة الى الاسلام، اسهم في انتشار السلوك المنحرف.		٦	٤		١٠
من اسباب انتشار السلوكيات المنحرفة غياب المبلغين والدعاة عن مواقع التواصل الاجتماعي.	٢	٨			١٠
مصالح الدول الجائرة تساهم في نشر السلوكيات السلبية في المجتمع.		٦	٤		١٠

قصور في توفر الحملات المرشدة للشباب والتي تحصن افكارهم من الانحراف.	٥	٥			١٠
تخلف معظم البلدان الاسلامية في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية، سبباً رئيساً في انتشار السلوك المنحرف.	٨	٢			١٠
أعتقد بوجود قيادات ورموز فكرية تُنظِّر لتأصيل السلوك السلبي المنحرف، وعبر وسائل التواصل الحديثة.	٥	٥			١٠
جميع أفكاري اعتمد في تحصيلها من خلال مواقع التواصل الحديثة.		٩	١		١٠
انجذب واندمج مع منصات التواصل الاجتماعي من دون حذر أو تأكد من أغراضها وأهدافها.			٥	٥	١٠
لدي القدرة على التمييز بين الهدام والبنّاء والصادق وغير الصادق من اخبار منصات التواصل.		٥	٥		١٠
بسبب فساد المبلغين والدعاة ضعف مصداقيتهم، الأمر الذي جعل من الناس أن تعرض عنهم وسماعهم والقبول منهم.		٢	٨		١٠
المجموع الكلي	٤٧	٨٠	٦٩	١٤	٢١٠
النسبة المئوية	%٢٢	%٣٨	%٣٣	%٧	

المكان الذي ينتمي اليه الافراد المبحوثين

١- قضاء الصدر---٢٨

٢- قضاء الرصافة -- ٢٥

٣- قضاء المحمودية --٢

٤- قضاء الكاظمية --٥

٥- قضاء ابو غريب--٥

٦- قضاء المدائن --٥

الاعمار التي ينتمي لها الافراد المبحوثين

١- من ١٨ -- ٢٥.....١٢

٢- من ٢٦ --٣٠.....١٢

٣- من ٣١--٤٠....١٣

٤- من ٤٠ الى ٤٨....١٩

٥- ٤٨ فأكثر.....١٤

الجنس الذي ينتمي اليه الافراد الذي المبحوثين المبحوثين

١- الذكور.....٤٣

٢- الاناث....٢٧

الحالة الاجتماعية التي ينتمي اليها

١- متزوج.....٤٩

٢- أعزب.....١٧

٣-أرمل.....٤

المستوى العلمي لأفراد العينة المبحوثة

١- ابتدائية.....٥

٢- المتوسطة....٥

٣- اعدادية.....١٠

٤- دبلوم.....١٠

٥- بكالوريوس....٢٠

٦- شهادات عليا...٢٠

نوع عمل أفراد العينة المبحوثة

١- طالب.....٩

٢- أعمال حرة...٩

٣- موظف.....٤٩

٤- متقاعد.....٣

النتائج العامة

١- الشهادات العليا:

تم اختيار عينات من المجتمع حاصلة على الشهادات العليا، وكان عددهم (٢٠) استمارة، هذه الاستمارات توزعت على ثلاثة محاور:

المحور الأول:

الاجابة	بالتأكيد	نعم	احياناً	كلا	المجموع
المجموع الكلي	٦٦	٩٧	٩٧	١٤٠	٤٠٠
النسبة المئوية	%١٧	%٢٤	%٢٤	%٣٥	

المحور الثاني:

الاجابة	بالتأكيد	نعم	احياناً	كلا	المجموع
المجموع الكلي	٣٢	١١٣	١٦٧	٦٨	٣٨٠
النسبة المئوية	%٨	%٣٠	%٤٤	%١٨	

المحور الثالث:

الاجابة	بالتأكيد	نعم	احياناً	كلا	المجموع
المجموع الكلي	١٤٧	١٢٧	٥١	٩٥	٤٢٠

النسبة المئوية	٣٥%	٣٠%	١٢%	٢٣%	

من خلال نتائج الاستبيان عند عينة حملة الشهادات العليا ومن خلال المحور الاول الذي يؤكد على استقلالية الذات في تكوين السلوك، وأثر ذلك في تكوين السلوك الجمعي، فكانت نسبة الموافق بالتأكيد ١٧%، والموافق (النعم) ٢٤%، واحياناً ٢٤%، في حين كانت نسبة الرافضين لذلك (كلا) ٣٥%.

بينما تبين إنَّ نتائج في تكوين السلوك الجمعي للمحور الثاني، الذي يؤكد على الانتماء الى الجماعة عند عينة حملة الشهادات العليا كما يأتي:

اختار (نعم بالتأكيد) ما نسبتهم ١٨%، واختار (نعم) ما نسبتهم ٣٠%، في حين اختار ما نسبتهم ٤٤% منهم، و اختار ما نسبتهم ١٨% اختيار (كلا).

في حين اتضح ان نتائج استبيان تكوين السلوك الجمعي للمحور الثالث، والذي يؤكد على الموقف من وسائل الاعلام والتواصل الحديثة ودورها في تغيير الافكار والسلوك، فكانت الحصيلة كالتالي:

اختيار (نعم بالتأكيد) نسبته ٣٥% واختيار (نعم) نسبته ٣٠%، واختيار (احياناً) نسبته ١٢%، في حين اختيار (كلا) نسبته ٢٣%.

النتيجة:

فكانت النتيجة أن العينة من حملة الشهادات العليا يؤكدون على الحياد في اتباع الذاتية في السلوك من خلال نسب نعم بالتأكيد، ونعم، ونسبة (احياناً) البالغة (٢٤%).

أما نتيجة الانتماء الى الجماعة فإنَّ عينة حملة الشهادات العليا يتضح انهم ليس دائماً مع اتباع الجماعة في سلوكهم بدليل نسبة ٤٤% لاختيار احياناً ذلك لما يمتلكون من مستوى علمي يميزهم عن غيرهم ويجعلهم يميزون الامور.

أما وسائل الاعلام والتواصل الحديثة، فلها تأثيرها الواضح ودورها عند هذه الشريح، والتأثير في صناعة السلوك الجمعي.

٢- شهادة البكالوريوس:

تم اختيار عينات من المجتمع حاصلة على الشهادة البكالوريوس، وكان عددهم (٢٠) استمارة، هذه الاستمارات توزعت على ثلاثة محاور:

المحور الأول:

الاجابة	٦٦	٩٧	٩٧	١٤٠
النسبة المئوية	%١٦,٥	%٢٤,٢٥	%٢٤,٢٥	%٣٥

المحور الثاني:

الاجابة	٥١	١١٦	١٣٤	٧٩
النسبة المئوية	%١٣	%٣١	%٣٥	%٢١

المحور الثالث:

الاجابة	١٢٥	١٥١	٤٦	٩٨
النسبة المئوية	%٣٠	%٣٦	%١١	%٢٣

من خلال نتائج الاستبيان عند عينة شهادة(البكالوريوس)، ومن خلال المحور الاول الذي يؤكد على استقلالية الذات في تكوين السلوك، وأثر ذلك في تكوين السلوك الجمعي، فكانت نسبة الموافق بالتأكيد **١٦,٥%**، والموافق (النعم) **٢٤,٢٥%**، واحياناً **٢٤,٢٥%**، في حين كانت نسبة الرافضين لذلك (كلا) ٣٥%.

بينما تبين إنَّ نتائج في تكوين السلوك الجمعي للمحور الثاني، الذي يؤكد على الانتماء الى الجماعة عند عينة شهادة(البكالوريوس) كما يأتي:
اختار (نعم بالتأكيد) ما نسبتهم **١٣%**، واختار (نعم) ما نسبتهم ٣١%، في حين اختار ما نسبتهم ٣٥% منهم، و اختار ما نسبتهم **٢١%**اختيار (كلا).

في حين اتضح ان نتائج استبيان تكوين السلوك الجمعي للمحور الثالث، والذي يؤكد على الموقف من وسائل الاعلام والتواصل الحديثة ودورها في تغيير الافكار والسلوك، فكانت الحصيلة كالتالي:
اختيار (نعم بالتأكيد) نسبته ٣٠% واختيار (نعم) نسبته ٣٦%، واختيار (احياناً) نسبته ١١%، في حين اختيار (كلا) نسبته ٢٣%.

النتيجة:

لم تبتعد النسب في عند حملة الشهادة البكالوريوس عنها في حملة الشهادات العليا الا في ابتعادهم عن الذاتية والميل الى الجماعة فقد كانت عندهم أكثر من حملة الشهادات العليا من خلال رفضهم للذاتية التي تمثلت بنسبة ٢٤,٢٥%، وزيادة في نسبة الانتماء الى الجماعة التي تمثلت في نسبة(نعم) التي كانت ٣١% وأحياناً التي كانت نسبتها ٣٥%. أما في تأثير الاعلام ووسائل التواصل، فكان واضحا على هذه العينة وكما هو في حملة الشهادات العليا ومن خلال تقارب النسب بينهما.

فنخلص الى أنَّ حملة البكالوريوس يكون احتمال حصول السلوك الجمعي عندهم أكثر من حملة الشهادات العليا.

٣- حملة شهادة الدبلوم:

تم اختيار عينات من المجتمع حاصلة على شهادة الدبلوم، وكان عددهم (١٠) استمارة، هذه الاستمارات توزعت على ثلاثة محاور:

المحور الأول

الاجابات	**٢٨**	**٤٤**	**٧٠**	**٥٨**
النسبة المئوية	**%١٤**	**%٢٢**	**%٣٥**	**%٢٩**

المحور الثاني:

الاجابات	**٣٨**	**٣١**	**٩٣**	**٢٨**
النسبة المئوية	**%٢٠**	**%١٦**	**%٤٩**	**%١٥**

المحور الثالث:

المجموع الكلي	**٨٧**	**٥٤**	**١٩**	**٥٠**
النسبة المئوية	**%٤١**	**%٢٦**	**%٩**	**%٢٤**

من خلال نتائج الاستبيان عند عينة حملة شهادة الدبلوم

ومن خلال المحور الاول الذي يؤكد على استقلالية الذات في تكوين السلوك، وأثر ذلك في تكوين السلوك الجمعي، فكانت نسبة الموافق بالتأكيد ١٤%، والموافق (النعم) ٢٢%، واحياناً ٢٥%، في حين كانت نسبة الرافضين لذلك (كلا) ٢٩%.

بينما تبين إنَّ نتائج في تكوين السلوك الجمعي للمحور الثاني، الذي يؤكد على الانتماء الى الجماعة عند عينة حملة شهادة الدبلوم، كما يأتي:

اختار (نعم بالتأكيد) ما نسبتهم ٢٠%، واختار (نعم) ما نسبتهم ١٦%، في حين اختار ما نسبتهم ٤٩% منهم، و اختار ما نسبتهم ١٥% اختيار (كلا).

في حين اتضح ان نتائج استبيان تكوين السلوك الجمعي للمحور الثالث، والذي يؤكد على الموقف من وسائل الاعلام والتواصل الحديثة ودورها في تغيير الافكار والسلوك، فكانت الحصيلة كالتالي:

اختيار (نعم بالتأكيد) نسبته ٤١% واختيار (نعم) نسبته ٢٦%، واختيار (احياناً) نسبته ٩%، في حين اختيار (كلا) نسبته ٢٤%.

النتيجة:

من خلال النسب المتحققة في عينة حملة الدبلوم يتبين ان تحقق السلوك الجمعي عند هذه العينة متقاربة الى حملة شهادة البكالوريوس وأنهم أكثر عرضة لتحقق السلوك الجمعي من حملة الشهادات العليا.

٤- **حملة شهادة الاعدادية:**

تم اختيار عينات من المجتمع حاصلة على شهادة الاعدادية، وكان عددهم (١٠) استمارة، هذه الاستمارات توزعت على ثلاثة محاور:

المحور الأول:

المجموع الكلي	٢٦	٤٨	٤٦	٨٠
النسبة المئوية	%١٣	%٢٤	%٢٣	%٤٠

المحور الثاني:

المجموع الكلي	٥	٤٦	٦٩	٧٠
النسبة المئوية	%٣	%٢٤	%٣٦	%٣٧

المحور الثالث:

المجموع الكلي	٦٤	٥١	٤٢	٥٣
النسبة المئوية	%٣٠	%٢٥	%٢٠	%٢٥

من خلال نتائج الاستبيان عند عينة حملة الشهادة (الاعدادية) ومن خلال المحور الاول الذي يؤكد على استقلالية الذات في تكوين السلوك، وأثر ذلك في تكوين السلوك الجمعي،

فكانت نسبة الموافق بالتأكيد ١٣%، والموافق (النعم) ٢٤%، واحياناً ٢٣%، في حين كانت نسبة الرافضين لذلك (كلا) ٤٠%.

بينما تبين إنَّ نتائج في تكوين السلوك الجمعي للمحور الثاني، الذي يؤكد على الانتماء الى الجماعة عند عينة حملة الشهادة (الاعدادية) كما يأتي:

اختار (نعم بالتأكيد) ما نسبتهم ٣%، واختار (نعم) ما نسبتهم ٢٤%، في حين اختار ما نسبتهم ٣٦% منهم، و اختار ما نسبتهم ٣٧% اختيار (كلا).

في حين اتضح ان نتائج استبيان تكوين السلوك الجمعي للمحور الثالث، والذي يؤكد على الموقف من وسائل الاعلام والتواصل الحديثة ودورها في تغيير الافكار والسلوك، فكانت الحصيلة كالتالي:

اختيار (نعم بالتأكيد) نسبته ٣٠% واختيار (نعم) نسبته ٢٥%، واختيار (احياناً) نسبته ٢٠%، في حين اختيار (كلا) نسبته ٢٥%.

النتيجة:

أما حملة شهادة الاعدادية فإنهم يكونون أقرب ممن سبقهم من العينات في تحقق السلوك الجمعي وذلك من خلال الارتفاع في رفض نسب استقلالية الذات في تكوين السلوك التي كانت ٤٠% مع نسبة أحياناً التي كانت ٢٣%، وارتفاع نسبة

الموافقين للميل الى الجماعة من خلال رفض خلاف الجماعة في اختيار (كلا) الذي كانت نسبته ٣٧%، مع احياناً التي كانت نسبتها ٣٦ % في حين ان نسبة الرافضين للجماعة من خلال اختيار (نعم بالتأكيد) كانت ٣%، واختيار (نعم) التي كانت ٢٣%.

٥- حملة شهادة المتوسطة والابتدائية:

تم اختيار عينات من المجتمع حاصلة على شهادة المتوسطة والابتدائية، وكان عددهم (١٠) استمارة، هذه الاستمارات توزعت على ثلاثة محاور:

المحور الأول:

المجموع الكلي	**٣٥**	**٨١**	**٥٨**	**٢٦**
النسبة المئوية	**%١٨**	**%٤٠**	**%٢٩**	**%١٣**

المحور الثاني:

المجموع الكلي	**٣٢**	**٧٦**	**٤٩**	**٣٣**
النسبة المئوية	**%١٦**	**%٤٠**	**%٢٦**	**%١٧**

المحور الثالث:

المجموع الكلي	**٤٧**	**٨٠**	**٦٩**	**١٤**

النسبة المئوية	٢٢%	٣٨%	٣٣%	٧%

من خلال نتائج الاستبيان عند عينة حملة شهادتي (المتوسطة والابتدائية) ومن خلال المحور الاول الذي يؤكد على استقلالية الذات في تكوين السلوك، وأثر ذلك في تكوين السلوك الجمعي،

فكانت نسبة الموافق بالتأكيد **١٨%**، والموافق (النعم) ٤٠%، واحياناً ٢٩%، في حين كانت نسبة الرافضين لذلك (كلا) ١٣%.

بينما تبين إنَّ نتائج في تكوين السلوك الجمعي للمحور الثاني، الذي يؤكد على الانتماء الى الجماعة عند عينة حملة شهادتي (المتوسطة والابتدائية) كما يأتي:

اختار (نعم بالتأكيد) ما نسبتهم **١٦%**، واختار (نعم) ما نسبتهم ٤٠%، في حين اختار ما نسبتهم **٢٦%**منهم، و اختار ما نسبتهم ١٧% اختيار (كلا).

في حين اتضح ان نتائج استبيان تكوين السلوك الجمعي للمحور الثالث، والذي يؤكد على الموقف من وسائل الاعلام والتواصل الحديثة ودورها في تغيير الافكار والسلوك، فكانت الحصيلة كالتالي:

اختيار (نعم بالتأكيد) نسبته **٢٢%**واختيار (نعم) نسبته ٣٨%، واختيار (احياناً) نسبته **٣٣%**، في حين اختيار (كلا) نسبته ٧%.

النتيجة:

إنَّ حملة شهادة الابتدائية وكذلك المتوسطة يبتعدون عن الاستقلالية في اتباع السلوك والميل اتباع سلوك الجماعة مما يجعلهم أكثر العينات عرضةً الى تحقق السلوك الجمعي ويتضح ذلك من خلال اختيار(نعم) الرافض للاستقلال والمائل الى سلوك الجماعة الذي كانت نسبته (٤٠%) ونعم بالتأكيد الذي نسبته

(١٨%)، واختيار (أحياناً)الذي كانت نسبته (٢٩%)، كذلك كانت النسب في القرب من الجماعة، والتأثر في وسائل الاعلام والتواصل الاجتماعي، الأمر الذي يجعل منهم اكبر العينات المتقدمة في احتمالية تحقق السلوك الجمعي.

خلاصة الاستبيان

الخلاصة التي توصل اليها الباحث من الاستبيان فير هذه الدراسة هي:

١-الشهادات العليا: توصل الباحث الى أن حصول السلوك الجمعي عند هذه العيّنة أقل مما هو في العينات الاخرى يسبب زيادة نسبة الاستقلالي والذاتية في التفكير والسلوك.

٢-شهادة البكالوريوس: هو أدني بقليل من العينة المتقدمة، أي أنَّ فرصة حصول السلوك الجمعي أكثر بقليل من حملة الشهادات العليا للأسباب ذاتها.

٣-شهادة الدبلوم: فهي في فرصة تحقق السلوك الجمعي متقاربة مع حملة البكالوريوس.

٤-شهادة الاعدادية: فأن فرصة حصول السلوك الجمعي فيها كبيرة بسبب الاقتراب سلوك الجماعة، والتأثر بوسائل الاعلام والتواصل أكثر من العينتين السابقتين.

٥-شهادتي المتوسطة والابتدائية: هما الشريحتين الاكثر عرضة الى حصول السلوك الجمعي من جميع العينات السابقة، وذلك بسبب الابتعاد عن الذاتية والاستقلال ، والميل الى الجماعة في التفكير والسلوك، والتأثر الكبير بالإعلام ووسائل التواصل، الامر الذي يؤكد أن الجماهير كلما كانت أكثر تعلماً ورقياً في التعليم يكون سلوكهم أكثر حصانة وانهم وان يسلكوا سلوكاً جمعياً معيناً فإنه يكون من النوع الايجابي الممدوح، وفي خلاف ذلك العكس في تحقق السلوك الجمعي السلبي المذموم.

الخاتمـــــــة

أولاً: نتائج الدراسة.

ثانياً: التوصيات والحلول.

الخاتمـــــة

اختتم الباحث دراسته في هذه الاطروحة بمجموعة من النتائج، والتوصيات والحلول فكانت كما يأتي:

أولاً: نتائج الدراسة:

لقد تناول الباحث ضمن اختصاصة القرآني اصطلاح اجتماعي وعلى الرغم من ذلك فقد عمل على أن يجمع بين ذلك المصطلح والآيات القرآنية، وجعل كل الأمثلة التطبيقية له من القرآن الكريم، وربطها بالموضوع من خلال الدراسة التفسيرية، وقد تمخض من كل ما تقدم مجموعة من النتائج قام الباحث بجمعها وتدوينها وكما يأتي:

١- لقد اتضح ومن خلال الآيات القرآنية الكريمة وتفسيرها، والتي كانت مصاديق واضحة للدلالة على السلوك الجمعي، أنه قد يقع ايجابياً، وقد يقع سلبياً، من خلال الآثار التي يتركها في الفرد والمجتمع، وهذه الايجابية والسلبية قد حددتها الآيات القرآنية وتفسيراتها، والا فإن الذين يسلكون السلوك الجمعي الخاطيء، فأنهم أكيد يرونه ايجابياً، لما سولت لهم أنفسهم سوء عملهم.

٢-كما دلت وأرشدت الآيات القرآنية الكريمة، أنَّ السلوك الجمعي نتيجة للعقل الجمعي الذي يُعد مقدمة للسلوك الجمعي، الذي هو نتيجة للعادات والتقاليد، أو الدعاية والاعلام، أو الضغوط والازمات والحوادث الطارئة، أو انه نتيجة للإيحاء، كما توحي شياطين الانس والجن بعضهم الى بعض.

٣-إتضح لدى الباحث إنَّ من أهم مسبباته السلوك الجمعي الرأي العام والموضة، وللرأي العام مثيرات، ومنها الطُّغيان وكل مرادفاته المعنوية، ، لذا يستنتج الباحث من اللازم الحذر من السيء منه، وتوجه الى الايجابي منه، وهكذا الحال في الموضة.

٤-تبيَّن للباحث إنَّ من مثيرات السلوك الجمعي ما هو داخلية، مثل (التطرف، والسذاجة، والطغيان الداخلي، وانعدام المعايير الاخلاقية والاجتماعية.. وغيرها) ، التي تنبع من ذات الجمهور وفي شخصيته التي تشكل عليها، وما هو خارجي مسلط عليه من الخارج بسبب ضغط سلطان أو حزب جائر، أو دعاية وإعلام موجّه، وقد تبيَّنت كل تلك الوسائل ومصاديقها من خلال االآيات القرآنية وتفسيراتها ، واذا عُرفت الاسباب يصبح من السهل العمل على التوقي والحذر منها .

٥- إنَّ القرآن الكريم سلاح يكشف عن الرأي العام الذي يصنع السلوك الجمعي السلبي ، و يصنع الرأي العام المنتج السلوك الجمعي الايجابي.

٦- إتضحَ إنَّ السلوك الجمعي الديني هو نوع من السلوك الجمعي لكنه في أغلب صوره ايجابي بخلاف ما صور علماء الغرب السلوك الجمعي .

٧-تبيَّن أنَّ كثير من الشعائر الدينية التي أوصى الله تعالى بتعظيمها في القرآن الكريم يقع فيها السلوك الجمعي الديني ومثال ذلك شعيرة الحج وكل ما هو علامة تدلُ على الله مثل زيارة الاربعين وجميع المناسبات الدينية المفرحة والمحزنة، وما لذلك من تأثير ايجابي على الواقع الاجتماعي، لذا يلزم التمسك بها وتعظيمها.

٨-إنَّ شعيرة زيارة، الاربعين، والاندفاع في تلبية فتوى الجهاد الكفائي اللذان اكتسبا شرعيتهما من القرآن الكريم وما جاء في تفسير آياته الكريمة، هما سلوكاً جمعياً ، لأنهما من رحم الهيجان والخوف على الدين وثوابته والدماء والاعراض، ومن رَحمِ الحب لله ولكل ما دلَّ عليه تعالى ونَصَرَه .

٦- السلوك الجمعي للملبون لفتوى الجهاد الكفائي فيه كل ما جاء به القرآن الكريم من الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر، والذب عن الاسلام، واحترام المقدسات، والعطف على الصغير واحترام الكبير، ودفعِ الشر عن المسلمين، والتكافل الإجتماعي

المتمثل بإطعام الطعام على حبِ الله ، والإيواء للنازحين، والدعوة الى الله تعالى بالتي هي أحسن، ومن كل ذلك تجسد سلوكاً جمعياً مُسَلِّماً لله تعالى ولرسوله ولإولي الأمر المتجلي بالمرجعية الدينية العليا التي استجاب لندائها المؤمنون.

ثانياً: التوصيات والحلول

توصل الباحث من خلال دراسته هذا الموضوع الى مجموعة من التوصيات والحلول، ترتبت كالتالي:

١- الأخذ بعين والاعتبار(آثار السلوك الجمعي على الواقع الاجتماعي والتمسك بالمعالجات القرآنية التي تبيَّنت من خلال تفسير الآيات القرآنية المباركة) .

٢- اعداد مراكز أبحاث مختصة في(دراسة سلوك الأفراد والجماعات المكونة للمجتمع، وما يؤثر فيها من الأسباب الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والسياسية) .

٣- تقويم السلوك الجمعي للمجتمع وفق المنهج القرآني .

٤- تشريع القوانين، واستخدام التكنلوجيا الحديثة لتوجيه سلوك المجتمع وفق المنهج القرآني .

٥- صناعة الموضة وفق ما يواكب التغيرات والتطورات الحضارية الحديثة وضمن المنهج القرآني .

٦- الشعائر الله سبيل يهدي ويقود الى الله تعالى.

٧- رسم الخطوط العريضة لبناء المؤسسات التي تبني وتُخَرِّج المُبَلِّغين.

٨- تأسيس(الجمعيات الاسلامية والمؤسسات الرصينة ودورها في صناعة السلوك الجمعي الايجابي).

٩- اقتباس النور والإلهام من الشعائر الدينية وأولها شعيرة الحج وزيارة الاربعين.

١١- التثقيف الى (التوأمة بين الجمهور العراقي والخدمة الحسينية).

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المعاجم والقواميس والموسوعات

١. ابن فارس: أحمد بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين «ت ٣٩٥هـ»، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر -١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢. أحمد مختار عبد الحميد عمر «ت ١٤٢٤ هـ» بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة: الناشر: عالم الكتب، ط/ ١، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨م.

٣. البدوي: أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان – ساحة رياض الصلح، بيروت.

٤. جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وأخرون، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري، ط/١ -٢٠٠٠م

٥. الحسين بن محمَّد الدامغاني، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبدالعزيز سيد الأهل «بيروت: دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٨٥م.

٦. الرَّازي، محمَّد بن أبي بكر «ت ٧٢١هـ»، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، بيروت: مكتبة لبنان، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٧. رمزي منير البعلبكي: موسوعة المورد، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط/ ١، ١٩٩٢م.

٨. سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، الناشر: دار الفكر. دمشق – سورية، ط/٢، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.

٩. صالح مصلح أحمد، الشامل، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية: الناشر: دار عالم الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، ط/ ١ – ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م

١٠. عبد الوهاب الكيالي ومجموعة من الباحثين، موسوعة السياسة، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى للنشر والتوزيع – ببيروت – لبنان .
١١. علي الكوراني العاملي ، المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، الناشر : دار المعروف ، قم المقدسة ، ط/ ٧ ، : شهر رمضان ١٤٣٦ هـ ، ١/ ٧٩٨.
١٢. الحسن بن عبد الله العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، معجم الفروق اللغوية، الناشر : دار الآفاق الجديد.
١٣. فرج عبد القادر طه، وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، ط/ ١.
١٤. الفيروز آبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط/٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م
١٥. لبيب بيضون، الموضوع: أهل البيت، موسوعة كربلاء، الناشر: مؤسسة الأعلمي.
١٦. منير وهبة الخازن: معجم مصطلحات علم النفس، قدم له: كمال يوسف الحاج، الناشر: دار الجامعيين للنشر.
١٧. نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط/ ٢ –١٩٧٩م.

ثانياً: المصادر

١. ابن ابى جامع، على بن حسين، الوجيز في تفسير القرآن العزيز «عاملي»، ٣جلد، دار القرآن الكريم – ايران – قم، ط/ ١، ١٤١٣ هـ.ق.
٢. ابن باديس: عبد الحميد محمد الصنهاجي «ت ١٣٥٩هـ» تفسير ابن باديس ﴿في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير﴾، المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه

أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط/ ١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

٣. ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، الفتاوى الكبرى، الناشر: دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

٤. ابن جُزى، محمد بن احمد، التسهيل لعلوم التنزيل، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – لبنان – بيروت، ١، ١٤١٦ هـ.ق.

٥. ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة أبن خلدون «بيروت: دار القلم، ط٥، ١٩٨٤م».

٦. ابن عاشور، محمد طاهر، تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، ٣٠جلد، مؤسسة التاريخ العربي – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤٢٠ هـ.ق.

٧. ابن فارس، أبو الحسين أحمد، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان – بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م٢، /٥٨٣.

٨. ابن قدامة: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين (ت: ٦٨٢هـ)، الشرح الكبير على متن المقنع، الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

٩. ابن كثير القرشي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري الدمشقي «ت: ٧٧٤ هـ»، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/، ٢ ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

١٠. ابن كثير، «ت: ٧٧٤»، تفسير ابن كثير المجموعة: مصادر التفسير عند السنة تحقيق: تقديم: يوسف عبد الرحمن المرعشلي الطبعة: سنة الطبع: ١٤١٢ – ١٩٩٢ م: الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.

١١. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية «بيروت: مكتبة المعارف، د. ط. ت».

١٢. ابن كثير، اسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم «ابن كثير»، ٩جلد، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – لبنان – بيروت، ط/١، ١٤١٩ هـ.ق.

١٣. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي «المتوفى: ٧١١هـ» لسان العرب: الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

١٤. أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى «المتوفى: ١٥٠هـ»، تفسير مقاتل بن سليمان، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط/١ – ١٤٢٣ هـ.

١٥. أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني القِنَّوجي البخاري ا (ت: ١٣٠٧هـ)، تفسير فتحُ البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

١٦. أبو القاسم الموسوي الخوئي ، البيان في تفسير القرآن، الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ٣٠٥.

١٧. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ م.

١٨. أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي «ت: ٣٧٣هـ»، تفسير السمرقندي بحر العلوم، بدن طبعة ولا دار نشر.

١٩. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي «٦٥٤هـ . ٧٥٤ هـ»: تفسير البحر المحيط. «٨مج». بيروت: دار الفكر، ط/٢ ١٣٩٨هـ . ١٩٧٨م.

٢٠. أبو نعيم أحمد بن عبدالله «٤٣٠هـ»: حلية الأولياء «بيروت: دار الكتاب العربي، ط/٤، ١٤٠٥هـ».

٢١. ابوحيان، محمد بن يوسف، تفسير النهر الماد من البحر المحيط، ٢جلد، دار الجنان – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤٠٧ هـ.ق.

٢٢. احسان محمد الحسن، علم الاجتماع السياسي، ط/ ١، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٣.

٢٣. أحمد بن حنبل «١٦٤ - ٢٤١ هـ»، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ٣٨/ ٣١٨، محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي «المتوفى: ١٣٣٢هـ»، المحقق: محمد باسل عيون السود، لناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط/١ - ١٤١٨ هـ.

٢٤. احمد شاهين، الإعلام والرأي العام، ط /١، مؤسسة طيبة للمنشر، القاهرة- ٢٠١٠م.

٢٥. احمد عادل ذكيري، الإعلان الإعلامي، الإعلان التنافسي، الإعلان الأهلي او العام، الإعلان المحلي، الإعلان الصناعي او الفني، راشد: الإعلان، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١.

٢٦. الأزدي: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد «المتوفى: ٣٢١هـ»، جمهرة اللغة، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط/ ١، ١٩٨٧م.

٢٧. أسعد شريف الإمارة، مقدمة في السلوك الجمعي:، الناشر: دار صفاء للنشر والتوزيع - عمان، ط/ ١، ٢٠٢٠ م - ١٤٤١هـ.

٢٨. اسماعيل بن مصطفى الحقي ، تفسير روح البيان، دار الفكر - لبنان - بيروت، ط/ ١.

٢٩. إسماعيل مرزة، آ راء ونظريا رت في فكرة الرأي العام، ط/١، مطبعة دار الملاك، بغداد، ٢٠٠٥م.

٣٠. الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

٣١. آل غازي، عبدالقادر، بيان المعاني، ٦جلد، مطبعة الترقي - سوريه - دمشق، ط/ ١، ١٣٨٢ هـ.ق.

٣٢. الألوسي، أبو السعود، العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم «بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط. ت».

٣٣. الألوسي، محمود أبو الفضل، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٣٤. إمام،عبد الفتاح إمام، الطاغية، دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب –الكويت، ١٩٩٤.

٣٥. الأندلسي، أبي حيان ا «ت: ٧٤٥ »تفسير البحر المحيط المؤلف:، الناشر: دار الكتب العلمية ردمك، ط/١ سنة الطبع: ١٤٢٢ – ٢٠٠١م المطبعة: لبنان/ بيروت.

٣٦. باني بتي، ثناء الله ، التفسير المظهري، مكتبة رشديه – باكستان – كويته، ط/ ١، ١٤١٢ هـ.ق.

٣٧. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي «المتوفى: ٣٧٣هـ»، تفسير السمرقندي.

٣٨. بطرس البستاني: محيط المحيط، مادة «علم»، ص ٦٣٩. وانظر: ابن منظور: لسان العرب مادة «علم».

٣٩. بطرس الحلاق، الرأي العام وطرق قياسه، تدقيق: محمد حجازي،، الناشر: الجامعة الافتراضية السورية _ ٢٠٢٠م.

٤٠. البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي «المتوفى: ٥١٠هـ»، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: محيي السنة، أ، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي–بيروت ط/١، ١٤٢٠ هـ.

٤١. البغوي، الحسين بن مسعود «ت٥١٦هـ»، معالم التنزيل، تحقيق: خالد العك– مروان سوار، بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٤٢. البقاعى، ابراهيم بن عمر، نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، ٨جلد، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – لبنان – بيروت، ط/٣، ١٤٢٧ هـ.ق.

٤٣. البيضاوي، عبدالله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل «تفسير البيضاوي»، دار إحياء التراث العربي – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤١٨ هـ.ق

٤٤. التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية، الناشر: دار الكتاب الاسلام – قم، ط/ ٢، ٢٠١٣م – ١٤٣٤هـ.

٤٥. توفيق الرحمن الحريملي النجدي: في دروس القرآن: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك «ت: ١٣٧٦هـ»، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، الناشر: دار العاصمة، المملكة العربية السعودية – الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم – بريدة، ط/١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

٤٦. الثعالبي: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف «ت: ٨٧٥هـ»، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط/ ١ – ١٤١٨ هـ.

٤٧. الجرجاني: علي بن محمد بن الزين الشريف «ت ٨١٦هـ» التعريفات: علي، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط/١ ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

٤٨. جعفر السبحاني: صيانة الآثار الاسلامية، الناشر: المكتبة التخصصية للرد على الوهابية، من دون طبعة ولا سنة نشر.

٤٩. جلال الدين السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، ، الدر المنثور: (ت: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٥٠. جلال الدين محمد بن أحمد المحلي السيوطي «٧٩١هـ . ٨٦٤هـ» وجلال الدين عبد، الرحمن بن أبي بكر السيوطي «٨٤٩هـ . ٩١١هـ ». تفسير الجلالين، القاهرة:مكتبة الصفا. الطبعة الأولى سنة ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م.

٥١. جلال الدين مدني, التاريخ السياسي لإيران, نشر: استقلال, طهران, ايران, ط /١.

٥٢. جمال سلامة علي , الرأي العام: بين الكلمة والمعتقد، ط /١ دار النهضة العربية, القاهرة,٢٠١٠م.

٥٣. جورج طرابيشي: علم نفس الجماهير وتحليل الأنا، ترجمة وتقديم:، الناشر: دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان، ط/ ١ – ٢٠٠٦م.

٥٤. حاتم الكعبي، السلوك الجمعي، الناشر: ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطبعة الديوانية الحديثة، ١٩٧٣ .

٥٥. حامد زهران: علم النفس الاجتماعي، الناشر: عالم الكتاب – القاهرة – مصر، ط/ ٥ – ١٩٨٤.

٥٦. حامد عبد الله ربيع، استاذ كرسي النظرية السياسية، كلية الاقتصاد – جامعة القاهرة، مقدمة في العلوم السلوكية، حول عملية البناء الفكرية لأصول علم الحركة السلوكية، الناشر: دار الفكر العربي.

٥٧. حامد عبد الله ربيع، مقدمة في العلوم السلوكية (حول عملية البناء الفكري لأصول علم الحركة الاجتماعية، الناشر: دار الفكر العربي – دار نافع للطباعة.

٥٨. حسكانى: عبيدالله بن عبدالله، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الناشر: وزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي، مؤسسة الطبع و النشر – ايران – طهران، ١٤١١ هـ.ق.

٥٩. حسن السعد، سايكلوجية الاشاعة «رؤية قرآنية» اشارات موجهة في الحرب النفسية وأجندة المواجهة، الناشر دار دجلة – المملكة الاردنية الهاشمية، ط/١ – ٢٠١١م.

٦٠. حسن شبر ,تاريخ العراق السياسي المعاصر، الناشر: المكتبة دار النجف الأشرف، العراق.

٦١. الحكيم : جعفر السيد عبد الصاحب، الشعائر الدينية، نقد وتقديم (تقريرات لبحوث الاستاذ الشيخ محمد السند)، الناشر: دار الغدير / قم، ط/١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٦٢. حوّى، سعيد، الاساس فى التفسير، الناشر: دار السلام – مصر – القاهره،، ١٤٢٤ هـ.ق.

٦٣. الخازن، على بن محمد، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، ٤جلد، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤١٥ هـ.ق.

٦٤. خالد عبد الرحمن، العك، عوامل التطرف والغلو والارهاب وعلاجها في ضوء القرآن والسنة، الناشر: دار المكتبي، ط/ ١ –١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

٦٥. الخرسة، هدى رشيد، الشذوذ الجنسي عند المرأة، دار بيروت – لبنان، ط/ ١، ٢٠٠٩ م.

٦٦. الخطيب: عبد الكريم. التفسير القرآني للقرآن «١٦مج ». القاهرة: دار الفكر العربي، بدون طبعة سنة ١٩٦٩م.

٦٧. الخفاجي: مجاهد منعثر منشد، بحث بعنوان : فتوى الجهاد الكفائي حرب من أجل السلم، الناشر: مهرجان (فتوى الجهاد الكفائي في ذاكرة العراق) في ١٢/ ٨/ ٢٠٢٣م.

٦٨. خليل إبرا هيم رسول، سايكولوجيو الرأي العام وطرق قياسه، ط/١، ً مطبعة مديرية الأمن العامة، بغداد، ١٩٨١.

٦٩. خميس النقيب، مقالة بعنوان: الجانب الاجتماعي في الحج، ٧/٣ / ٢٠٢٢م.

٧٠. خواجة عبد العزيز، مدخل الى علم النفس الاجتماعي للعمل، الناشر: دار الغرب للنشر والتوزيع / وهران– الجزائر ٢٠٠٥م– ١٣٢٠هـ.

٧١. داليا محمد شوقي محمد صادق داود، الانحراف الفكري ووسائل الوقاية والعلاج في ضوء القرآن الكريم –دراسة موضوعية.

٧٢. دروزة محمد عزت، التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة الطبعة: ١٣٨٣ هـ.

٧٣. دسوقي، كمال، ذخيرة علوم النفس، وكالة الأهرام للتوزيع، ط/١، ١٩٩٠م.

٧٤. دياب، فوزية، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت،، ١٩٨٠م.

٧٥. الرازي:: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم،المحقق: أسعد محمد الطيب،الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط/٣ - ١٤١٩ هـ

٧٦. الرَّازي، فخر الدِّين، تفسير الفخر الرَّازي المشهر بالتَّفسير الكبير ومفاتيح الغيب «بيروت: دار الفكر، ط٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م».

٧٧. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف «المتوفى: ٥٠٢هـ»، المفردات في غريب القرآن: المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ، ص/ ٤٢١.

٧٨. رباح مجيد محمد الهيتي، اطروحة: «الآثار الاجتماعية لانهيار سلطة الدولة في العراق -دراسة ميدانية» كلية الآداب جامعة بغداد، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٧٩. رشاد شحاتة أبو زيد: مسئولية الإعلام الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٩٩ ط/ ١.

٨٠. الزمخشري «ت ٥٣٨هـ»، أبو القاسم جار الله، أساس البلاغة، تحقيق: محمَّد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٨١. الزمخشري، محمود بن عمر «ت ٥٣٨هـ»، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، تحقيق: عبدالرزاق المهدي «بيروت: دار إحياء التراث العربي -مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٨٢. زيدان، عبد الكريم: المستفاد من قصص القرآن. للدعوة والدعاة. دمشق وبيروت: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى سنة ١٤٢٧ هـ. ٢٠٠٦م.

٨٣. السعدى، عبدالرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١جلد، مكتبة النهضة العربية - لبنان - بيروت، ط/ ٢، ١٤٠٨ هـ.ق.

٨٤. السعيد حسن، حضارة الأزمة ماذا بعد الانهيار ؟، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط/١، ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ.

٨٥. سعيد حوّى «المتوفى ١٤٠٩ هـ»، الأساس في التفسير المؤلف: الناشر: دار السلام – القاهرة الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ.

٨٦. سليمان بن الاشعث السجستاني, (ت ٢٧٥ هـ), سنن ابي داود, تحقيق: سيد محمد اللحام, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, ط ١ , ١٤١٠ هـ, ١٩٩٠ م.

٨٧. السمرقندي، نصر بن محمد، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، ٣جلد، دار الفكر، لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤١٦ هـ.ق.

٨٨. سميسم، د.حميدة، نظرية الرأي العام، ط / ١ , دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٢م، ص / ٢١٠.

٨٩. سناء عيسى الداغستاني، علم نفس الاجتماع، نظريات ودراسات، الناشر: الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان – بيروت –٢٠١٧م.

٩٠. السّيد النجفي القوجاني: سياحة في الشر، الناشر: دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع –١٩٩٢م.

٩١. سيد قطب، في ظلال القرآن:، الناشر: دار الشروق، ط/ ٣٢– ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٩٢. السيواسي، احمد بن محمود، عيون التفاسير، ٤جلد، دار صادر – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤٢٧ هـ.ق.

٩٣. شحاته، عبدالله محمود، تفسير القرآن الكريم (عبد الله شحاته)، الناشر: دار غريب – مصر – قاهره، ١٤٢١ هـ.ق.

٩٤. شروق هشام، فوائد الحج الصحية و النفسية و الاجتماعية، في ٥/ ٩ / ٢٠١٦.

٩٥. الشعراوي، محمد متولي(ت: ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي المسمى خواطر حول القرآن الكريم «١١مج»، القاهرة: أخبار اليوم، بدون طبعة – ١٩٩٧م.

٩٦. الشنقيطي، محمد امين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ١٠جلد، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤٢٧ هـ.ق.
٩٧. صادقى طهرانى، محمد، التفسير الموضوعى للقرآن الكريم (صادقى طهرانى)، ٢٠جلد، دفتر مولف – ايران – قم، ط/١.
٩٨. صادقى طهرانى، محمد، الفرقان فى تفسير القرآن بالقرآن و السنه، ٣٠جلد، فرهنگ اسلامى – ايران – قم،: ١٤٠٦ هـ.ق.
٩٩. صالح الرقب: العولمة، الجامعة الإسلامية، فلسطين، ط/ ١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
١٠٠. صديق حسن خان، محمد صديق، فتح البيان فى مقاصد القرآن، ٧جلد، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤٢٠ هـ.ق.
١٠١. صقر، هشام، غلام الدعوة دروس في حديث الساحر والغلام والراهب «القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م».
١٠٢. صلاح نصر، الحرب النفسية معركة الكلمة المعتقد، الناشر: دار القاهرة للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٦٧م.
١٠٣. الطبراني، سليمان بن احمد، التفسير الكبير: تفسير القرآن العظيم «الطبراني»، ٦جلد، دار الكتاب الثقافي – اردن – اربد، ط/ ١، ٢٠٠٨ م.
١٠٤. الطبرسي (ت: ٥٤٨) تفسير مجمع البيان المؤلف: الشيخ المجموعة: مصادر التفسير عند الشيعة تحقيق: تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ط/١، سنة الطبع: ١٤١٥ – ١٩٩٥ م المطبعة: الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان.
١٠٥. الطبري، محمَّد بن جرير «ت ٣١٠هـ»، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت: دار الفكر، د. ط، ١٤٠٥هـ.
١٠٦. الطبري، محمد بن جرير، فى تفسير القرآن (تفسير الطبري)، ٣٠جلد، دار المعرفة – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤١٢ هـ.ق.

١٠٧. الطوسي (ت: ٤٦٠)، التبيان في تفسير القرآن ،: تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط/١، سنة الطبع: رمضان المبارك ١٤٠٩هـ.

١٠٨. عامر حسن فياض، الرأي العام وحقوق الإنسان، ط / ١، مطبعة صباح صادق، بغداد، ٢٠٠٣م.

١٠٩. عبد الحليم محي الدين: الاتصال بالجماهير والرأي العام، الناشر مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ١٩٩٣.

١١٠. عبد الراضي محمد عبد المحسن، ماذا يريد الغرب من القرآن، الناشر: مجلة البيان، مكتبة الملك فهد الوطنية – ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م، ط/١.

١١١. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: «ت ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م». معارج التفكر، ودقائق التدبر (١٥ مج). بيروت ودمشق: دار القلم. الطبعة الأولى سنة ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١١٢. عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني، الاخلاق الاسلامية وأسسها،، دار القلم– دمشق، ط/ ٥ – ١٤٢٠ هـ –١٩٩٩م.

١١٣. عبد الرحمن عمر اسبينداري، الطُّغيان السِّياسيّ وسُبُل تغييره من المنظور القرآني، ط/١ وأصله أطروحة دكتوراه قدمها المؤلف إلى قسم الدراسات القرآنية والحديثية بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا عام ٢٠٠٣م.

١١٤. عبد العزيز القوصي، علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية، كتاب الاسس العامة والدوافع وسيكولوجية الجماعات:، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ط/ ٤–١٩٥٤م.

١١٥. عبد العظيم ابراهيم محمد المعطي، افتراءات المستشرقين على الاسلام عرض..ونقد، الناشر: مكتبة وهبة – القهرة –مصر، ط/١ –١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١١٦. عبد الفتاح محمد أحمد خضير، عادات عربية في ضوء القرآن الكريم – دراسة موضوعية، الناشر: وقفية الأمير غازي للفكر القرآني.

١١٧. عبد اللطيف حمزة: الإعلام والدعاية، الناشر: مطبعة المعارف –بغداد – العراق – ١٩٦٨ م.

١١٨. عبد اللطيف عبد الحميد العاني، سوسيولوجيا الجماهير والقيادة – دراسة في السلوك الجمعي، الناشر: دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، العراق – بغداد، ط/١ ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م.

١١٩. عبد الله حَسّان محمود، ظواهر اجتماعية من منظور إسلامي، دار المحجّة البيضاء للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت – لبنان، ط/ ١، ٢٠١٠ م – ١٤٣١هـ.

١٢٠. عبد الله عبد الرحيم صالح عبد الرحيم صالح، عوامل الانحراف الجنسي ومنهج الاسلام في الوقاية منه، دار النفائس، عمّان، ط/ ١، ١٤١٣هـ.

١٢١. عبد الله فياض, الثورة العراقية الكبرى, الناشر: دار الملاك للطباعة والنشر, بيروت , لبنان .

١٢٢. عبد الواحد إمام مرسي: الشّذوذ الجنسي وجرائم القتل، القاهرة: عالم المفكر ودار المعارف والمكتبات الكبرى. بدون طبعة ولا سنة نشر.

١٢٣. عبدالرحمن السهلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل.

١٢٤. عبدالرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ضمن: الأعمال الكاملة للكواكبي، إعداد وتحقيق: محمَّد جمال طحان «بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيَّة، ط١، ١٩٩٥م.

١٢٥. عبدالناصر توفيق، العطار، **دستور للأمة من القرآن والسنة** «القاهرة: مؤسسة البستاني للطباعة، د. ط. ت».

١٢٦. عدنان أحمد الفسفوس: المرجع البسيط في أساليب تعديل السلوك، ط/ ١- ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

١٢٧. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر «ت ٨٥٢هـ»، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي ومحب الدِّين الخطيب «بيروت: دار المعرفة، د. ط، ١٣٧٩هـ».

١٢٨. العظيم آبادي، أبو الطيب محمَّد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود «بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط٢، ١٤١٥هـ»،

١٢٩. العلامة الحلي، الحسن بن يوسف «ت: ٧٢٦ هـ»، نهج الحقّ وكشف الصدق، الناشر: دار الكتاب اللبناني، ط / ١ -١٩٨٢م، بيروت - لبنان.
١٣٠. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، الناشر: دار الملاك، بيروت- لبنان، ط/٢.
١٣١. علي طوينة، بحث في: الاشاعة في ضوء القرآن الكريم، الناشر: مركز التراث العلمي، جامعة بغداد.
١٣٢. علي عجوة، الأسس العلمية للعلاقات العامة، القاهرة، ط/ ٢ ١٩٧٨م.
١٣٣. العياشي، محمد بن مسعود، التفسير «تفسير العياشي»، ٢جلد، مكتبة العلمية الاسلامية - ايران - طهران، ط/ ١، ١٣٨٠ هـ.ق.
١٣٤. العيني، بدر الدِّين محمَّد «ت ٨٥٥هـ»، عمدة القاري شرح صحيح البخاري «د. م: دار الفكر، د. ط. ت».
١٣٥. غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير:، ترجمة وتقديم: هاشم صالح، الناشر: دار الساقي، ط/ ١ ١٩٩١م.
١٣٦. فاشكيفيتش نيكولاي، الفرقان في ترجمة معاني القرآن، الناشر: مجلة شمس الإسلام «٢»، لندن، موسكو، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١٣٧. فاطمة بنت عبد الله، الموضة في التصور الاسلامي، الناشر: مكتبة السنة.
١٣٨. الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير «مفاتيح الغيب»، ٣٢جلد، دار إحياء التراث العربي - لبنان - بيروت، ط/ ٣، ١٤٢٠ هـ.ق.
١٣٩. الفراهيدي: بو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم ا البصري «ت ١٧٠هـ»، كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
١٤٠. فضل الله، محمد حسين، من وحى القرآن، ٢٥جلد، دار الملاك - لبنان - بيروت، ط/ ١، ١٤١٩ هـ.ق.
١٤١. الفيض الكاشاني، محمد بن شاه مرتضى(ت: ١٠٩١ هـ)، المحجة البيضاء، الناشر: جماعة المدرسين بقم، مؤسسه النشر الاسلامي.

١٤٢. القاسمى، جمال الدين، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، ٩جلد، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – لبنان – بيروت، ط/١، ١٤١٨ هـ.ق.
١٤٣. القرطبي (ت: ٦٧١)، تفسير القرطبي ا الجزء: ١٨ المجموعة: مصادر التفسير عند السنة تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، سنة الطبع: ١٤٠٥ – ١٩٨٥ م، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.
١٤٤. القرطبي، محمد بن احمد، الجامع لأحكام القرآن، ايران – طهران، ط/ ١، ١٣٦٤ هـ.
١٤٥. القشيرى، عبدالكريم بن هوازن، لطائف الاشارات: تفسير صوفى كامل للقرآن الكريم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر – قاهره، ط/ ٣، ٢٠٠٠ م.
١٤٦. القمي مشهدي، محمد بن محمد رضا، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، ١٤جلد، – ايران – طهران، ط/ ١، ١٣٦٨ هـ.ش.
١٤٧. القمي، على بن ابراهيم، تفسير القمي الناشر: دار الكتاب – ايران – قم، ط/٣، ١٣٦٣ هـ.ش.
١٤٨. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح السَّادس: ٩.
١٤٩. الكرمي، محمد، التفسير لكتاب الله المنير، ايران – قم، ط/ ١، ١٤٠٢ هـ.ق.
١٥٠. الكليني: أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي رحمه الله «ت: ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ» الفروع من الكافي مع تعليقات نافعة مأخوذة من عدة شروح صححه وقابله وعلق عليه علي أكبر الغفاري نام كتاب: الفروع من الكافي ج ٦ تأليف: ثقة الاسلام الكليني، ناشر: دار الكتب الاسلامية تيراز: ٢٠٠٠.
١٥١. الكيا الهراسي، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (ت: ٥٠٤هـ) أحكام القرآن، المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٢، ١٤٠٥ هـ.
١٥٢. الماتريدي، محمد بن محمد، تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤٢٦ هـ.ق.

١٥٣. مجموعة باحثين، المنجد الأبجدي، ط/٣، دار المشرق للطباعة، بيروت، ١٩٨٢م.
١٥٤. محسن الأمين: (ت: ١٣٧١هـ)، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، أعيان الشيعة.
١٥٥. محمد الجوهري، المدخل الى علم الاجتماع:، كلية الآداب- جامعة القاهرة، ط/١، ١٩٨٤م.
١٥٦. محمد السبزوارى، ارشاد الاذهان الى تفسير القرآن، الناشر: دار التعارف للمطبوعات – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤١٩ هـ.ق.
١٥٧. محمد السبزواري، الجديد في تفسير القرآن المجيد، ٧جلد، دار التعارف للمطبوعات – لبنان – بيروت، ط/ ١، ١٤٠٦ هـ.ق.
١٥٨. محمد المشهدي الميرزا «ت: ١١٢٥ »تفسير كنز الدقائق المؤلف: المجموعة: مصادر التفسير عند الشيعة تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط/ ١ – ١٤١٠.
١٥٩. محمد النهاوندي، نفحات الرحمن فى تفسير القرآن، ٦جلد، مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر – ايران – قم، ط/ ١، ١٣٨٦ هـ.ش.
١٦٠. محمد أمين المصري، المجتمع الاسلامي، الناشر: دار الأرقم – الكويت، ط/ ١- ١٤٠٠هـ -١٩٨٠ م.
١٦١. محمد باقر الحكيم (ت: ١٤٣٩ هـ): المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، الناشر: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم «قدس سره»، مطبعة العترة الطاهرة، النجف الأرف، ط/٢، ٢٠٠٦ م.
١٦٢. محمَّد باقر الصدر، السنن التاريخية في القرآن، ترتيب: محمَّد جعفر شمس الدِّين «سوريا: دار التعارف، د. ط، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
١٦٣. محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، الناشر: مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، ط/٢ / ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.
١٦٤. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح

البخاري،المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة «مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي » ط/١، ١٤٢٢هـ.

١٦٥. محمد تقى المدرسي، من هدى القرآن، ١٨جلد، دار محبي الحسين – ايران – طهران، ط/١، ١٤١٩ هـ.ق.

١٦٦. محمد جواد مَغنية ، التفسير الكاشف:، الناشر: دار الأنوار للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط/ ٤.

١٦٧. محمد جواد مغنيه، التفسير المبين، ١جلد، دار الكتاب الإسلامي – ايران – قم، ١٤٢٥ هـ.ق.

١٦٨. محمد جودت ناصر: الدعاية والإعلان والعلاقات العامة، الناشر: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع –١٩٩٨م.

١٦٩. محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القران كتاب علمي فني، فلسفي، أدبي تاريخي، روائي، اجتماعي، حديث يفسر القرآن بالقرآن، المجلد الثالث منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

١٧٠. محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ١٢جلد، الناشر: الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

١٧١. محمد رضا قمي مشهدي: تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الناشر:دار الغدير، قم، ١٤٢٣ق. = ١٣٨١.

١٧٢. محمد سيد الطنطاوي: ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط/١ ١٩٩٧.

١٧٣. محمد عبد العظيم الزرقاني مناهل العرفان في علوم القرآن الزرقاني ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م.

١٧٤. محمد عبد القادر حاتم: الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية، الناشر: مكتبة لبنان – ساحة رياض الصلح، بيروت – لبنان –١٩٧٣م.

١٧٥. محمد علي آذ ر شب، المجتمع والتأريخ: مرتضى مطهري «١٩٨٠م»، نقله الى العربية:، الناشر: تنوير للنشر والاعلام، ط/ ١، ٢٠١٩م –١٤٤١هـ، ص/ ١٥ .

١٧٦. محمد عميم الإحسان المجددي البركتي ، التعريفات الفقهية المؤلف: الناشر: دار الكتب العلمية «إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م» الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٧٧. محمد فريد محمود عزت، بحوث في الاعلام الاسلامي، الناشر: دار الشرق للنشر والتوزيع والطباعة، ط/ ١ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م -جدة - المملكة العربية السعودية.

١٧٨. محمد محروس الشناوي، الرقائق والآداب والأذكار، الكتاب: العملية الإرشادية، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط/١ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٧٩. محمد ياسر الخواجة، التطرف الديني ومظاهره الفكرية والسلوكية، الناشر: مؤسسة دراسات وأبحاث - الرباط - المملكة المغربية.

١٨٠. محمود أبو زيد: الشائعات والضبط الاجتماعي، القاهرة، ط/١ -١٩٨٠م.

١٨١. محمود عبد الرزاق جاسم، الجوانب السلوكية في قصة داود «عليه السلام» في القرآن الكريم دراسة في التفسير الاجتماعي، جامعة ديالى / كلية التربية الاساسية، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م.

١٨٢. مختار التهامي، الرأي العام والحرب النفسية، ط /١ دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧.

١٨٣. المراغي، احمد مصطفى، تفسير المراغي، ٣٠جلد، دار الفكر - لبنان - بيروت-لبنان.

١٨٤. مصطفى الخشاب، دراسة المجتمع:، الناشر: مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د. ط، ١٩٨٧م.

١٨٥. المؤيد بالله : يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب (ت: ٧٤٥هـ) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الناشر: المكتبة العنصرية - بيروت، ط/١، ١٤٢٣ هـ.

١٨٦. نادي محمود حسن، التطرف الفكري أسبابه ومظاهره، وسبل مواجهته دراسة من منظور الكتاب والسنة.

١٨٧. ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل:، ١٠ / ٢٤٤..
١٨٨. النحاس، أبو جعفر «ت ٣٣٨هـ»، معاني القرآن، ١/٢٧٠،
١٨٩. النسفي، أبو البركات «ت٧١٠هـ»، مدارك التنزيل وحقائق التَّأويل «د. م: د. ن. ط. ت.
١٩٠. هاشم الحسيني البحراني: البرهان في تفسير القرآن، الناشر: مؤسسة البعثة.
١٩١. الهروي: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت: ٤٠١ هـ) ،الغريب والمعاجم،الكتاب: الغريبين في القرآن والحديث تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط/ ١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.
١٩٢. الهروي: محمد بن أحمد بن الأزهري، أبو منصور «ت: ٣٧٠هـ»، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/١، ٢٠٠١م.
١٩٣. الهوارى، هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، ٤جلد، دار البصائر، ط/ ١، ١٤٢٦ هـ.ق.
١٩٤. الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي «المتوفى: ٤٦٨هـ»، الوسيط في تفسير القرآن المجيد تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/١، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.
١٩٥. الواحدي، علي بن أحمد «ت ٤٦٨هـ»، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق–بيروت: دار القلم–الدار الشامية، ط١، ١٤١٥هـ.
١٩٦. وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط/ ٢، ١٤١٨ هـ.

ثانياً: الرسائل والاطاريح

١. بيداء جميل عبد الله، رسالة ماجستير، بعنوان العقل الجمعي في منظور الفقه الاجتماعي –دراسة تحليلية، كلية الفقه جامعة الكوفة، اشراف أ. د. بلاسم عزيز شبيب الموسوي..

٢. عبد الحق علي إبراهيم بلال حمد إبراهيم أبو سن ، اطروحة بعنوان دور السلوك التنظيمي في أداء منظمات الأعمال، بيئة المنظمة الداخلية كمتغير معدل، دراسة على عينة من البنوك التجارية في ولاية الخرطوم، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الفلسفة في إدارة الأعمال، إعداد الدارس: إشراف البروفيسور:، ، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

٣. عبد الرحمن داود جميل عبد الله، منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق، إشراف د. حسين عبد الحميد النقيب، الرسالة قدمت استكمالاً للحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين ، في : ١٤٣١هـ .

٤. علي سلطاني، الدعاية من منظور الاعلام الاسلامي، رسالة لنيل درجة الدكتوراه تخصص ك دعوة اسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، قسم اصول الدين، دعوة اسلامية ٢٠١٠م –٢٠١١م.

٥. مجاهد ابو الهيل بدر الجابري، المشاية في مراسيم زيارة الأربعينية، دراسة ميدانية، رسالة مقدمة الى مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد لنيل درجة الماجستير في علم الاجتماع، للعام ٢٠١٢م.

٦. وليد فريد ذيب شحادة،، المعجم الجامع العين، رسالة ماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.

٧.

ثالثاً: المجلات والبحوث الدورية

١. جمع من المؤلفين، مجلة فقه أهل البيت عليهم السلام (بالعربية)، ج ٤٦، ص/ ٥.

٢. رغد سليم، بحث بعنوان: مفهوم التسامح الاسلامي وانعكاساته على واقعية التعايش السلمي، الناشر: مجلة بيت الحكمة، مجلة الدراسات الفلسفية العدد: ٣٦ – ٢٠١٥م.

٣. رواء طه، الرأي العام، بحث في كلية الاسراء الجامعة الاهلية قسم العالم السنة الثالثة.

٤. صباح عيدان حمود، بحث بعنوان: اسلوبية التوظيف النفسي للأوامر العبادية في القرآن الكريم، الناشر: كلية التربية – جامعة ميسان، مجلة أبحاث ميسان، المجلد السادس عشر، العدد الثاني والثلاثون، كانون الأول، السنة: ٢٠٢٠ م.

٥. علي تركي نافل القريشي، استاذ في كلية الآداب جامعة بغداد: السذاجة وعلاقتها بالذكاء الاجتماعي لدى طلبة الجامعة، الناشر: مجلة الأستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد «٥٩» العدد«٤» كانون الأول لسنة ٢٠٢٠ م – ١٤٤٢هـ.

٦. الميرزا هند عقيل، الجنسية المثلية «العوامل والاثار »، مجلة الدراسات في الخدمات الاجتماعية والعلوم الانسانية، ٢٠١٣م، العدد / ٤٣، ٢٤٤٢ .

٧. نورالدين عزار، مقال: التطرف بين الدّيني والفكري، الناشر: مجلة ذوات، قسم: الدين وقضايا المجتمع الراهنة، العدد/ ٢٥، في٤/ ٢٠٢٠.

٨. هيلين دورهام وكاتي أوايرن، مقالة بعنوان: حوار الاختلاف: منظورات الجندر في القانون الدولي الانساني، ترجمة: فوزية البهلولي، الناشر: المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، العدد الثاني –٢٠١٢٣م.

٩. وسام صالح عبد الحسين جاسم ن دراسة بعنوان: الرأي العام وأثره في السياسة العامة للدولة: دراسة تحليلية.، جامعة بابل/ كلية الآداب/ قسم علم الاجتماع،

الناشر: مـجلـة العلـوم الإنسانية /كلية التربية للعلوم الإنسانية / المجلد ٧٢/العدد الرابع كانون اول ٧ .

رابعاً: الابحاث المنشورة على شبكة الانترنتيت

١. ابراهيم خليل العلاف، : استاذ التاريخ الحديث في جامعة الموصل، مقال بعنوان: (الدكتور حاتم الكعبي والمدرسة العراقية في علم الاجتماع)، الناشر: دنيا الوطن في عام ٢٠١١.

٢. أحمد أبو رتيمة، مدونة: جدلية الفرد والجماعة في القرآن، في ٢٠١٧/٨/٩ ، الرابط : https://www.ajnet.me/blogs/ .

٣. أسعد عبد الله عبد علي، مقال بعنوان: (الطاغية صدام ومحاربة الشعائر الحسينية)، في: ١٣ / ١٠ / ٢٠١٦م.

٤. اسماعيل سراج الدين ابن خلدون انجاز فكري متجدد اعداد وتحرير: محمد الجوهري – معن يوسف، الناشر: مكتبة الاسكندرية – ٢٠٠٨م، ص/ ١٢-٢٠ وكيبيديا الموسوعة الحرة، في٢/ ١/ ٢٠٢٣م.

٥. باسم حسين الزيدي، منشور: التقدم الاجتماعي في أفكار الامام الشيرازي، الناشر: شبكة النبأ، في٧/١٠ / ٢٠٢١م.

٦. بحث بعنوان: جموع العقلاء التي لا واحد لها من لفظها في القرآن الكريم – دراسة دلالية،.

٧. بيداء جميل عبد الله، رسالة ماجستير بعنوان: العقل الجمعي في منظور الفقه الإجتماعي دراسة تحليلية.

٨. حسين الخشيمي، مقال بعنوان: (كيف تحول رجال الأمن من أداة لقمع زوار الأربعين إلى وسيلة لخدمتهم وحمايتهم؟)، الناشر: الموقع الرسمي للعتبة الحسينية المقدسة، في ٢٣/ ١١م ٢٠١٥م.

٩. خالد فارس، منشور القيادة الإدارية في القرآن الكريم، في٢٠ / ٢ / ٢٠١٥م.

١٠. خميس النقيب، مقالة بعنوان: الجانب الاجتماعي في الحج، ٧/٣ / ٢٠٢٢م.

١١. رانية المجني – نريمان عمار، سلوك المستهلك:، الناشر: الجامعة الافتراضية السورية –٢٠٢٠م.

١٢. الربابعة: فراس محمد سليمان، ضوابط السلوك الانساني في القرآن الكريم ودلالتها التربوية دراسة تقدم بها المملكة العربية السعودية قسم الدراسات السلامية – جامعة الجوف.

١٣. رندا العكاشة: منشور بعنوان: السلوك الجمعي في علم النفس الاجتماعي، ١٠ فبراير ٢٠٢١ الرابط : ٨arabi.com/%d٣https://e

١٤. زهير الاعرجي، منشور بعنوان: مصطلحات اجتماعية: السلوك الجمعي، اشكالية التعامل مع السلوك الجمعي، الناشر: شبكة النبأ المعلوماتية– الثلاثاء ١٠ تموز/٢٠٠٧ –٢٥/جماد الاخرى/ ١٤٢٨، الرابط : .htm٣٠٣/٦٤https://annabaa.org/nbanews/

١٥. السلوك الوظيفي ومهارات الاتصال، سلوكيات الفرد، اعداد ونشر: أكاديمية التعليم، موقع كوكب المنا، ط/١، تأريخ النشر: ٢٢/ ١١ / ٢٠٢١م.

١٦. شبكة النبأ، منشور: مصطلحات اجتماعية «السلوك الجمعي» متعلقات في سيكولوجية السلوك الجمعي، الناشر: شبكة النبأ المعلوماتية – الثلاثاء ١٠ / تموز / ٢٠٠٧ – ٢٥ / جماد الآخر / ١٤٢٨.

١٧. الشبكة العنكبوتية، انتصار العتوم، مقال في ٣٠/ ٣ / ٢٠٢٠م . الرابط : arabi.com https://e

١٨. شروق هشام، فوائد الحج الصحية و النفسية و الاجتماعية، في ٥/ ٩ / ٢٠١٦.

١٩. عامر عبد المنعم، مقال بعنوان (ظاهرة شيوع الجرائم والانهيار الأخلاقي) في ١٣/ ٩ / ٢٠٢٢م.

٢٠. عبد الرزاق عبد الحسين، مقال بعنوان: (آثار التكافل الاجتماعي في زيارة الأربعين)، الناشر: شبكة النبأ المعلوماتية، في ٢٠ / ١٠ / ٢٠١٨م.

٢١. عبد الكريم العامري، مقال بعنوان: أثر التقليد والإيحاء في السلوك الاجتماعي، الناشر: شبكة النبأ المعلوماتية، الاثنين / تشرين الثاني / ٢٠٠٩م.

٢٢. عبد الله المصمودي،منشور بعنوان: العقل الجمعي" عند إميل دوركايم، ٢٣ أكتوبر ٢٠١٨ حويزى، عبدعلى بن جمعه، تفسير نور الثقلين، ٥جلد، اسماعيليان – ايران – قم ١٤١٥ هـ.ق.

٢٣. عبد الله المصمودي،منشور بعنوان: العقل الجمعي" عند إميل دوركايم، ٢٣ أكتوبر ٢٠١٨.

٢٤. عن الشبكة العنكبوتية في دورة ألقاها المركز الخيري للتدريب والتطوير، و، وهذه الدراسة هي ملخص الدورة المقدمة في المركز الخيري للتدريب والتطوير يوم الأحد ١/٧ / ١٤٢٣هـ

٢٥. فهمي النجار: بحث بعنوان: الحرب النفسية في ضوء القرآن الكريم، ص/٤٢٥– ٤٢٦.

٢٦. قاسم حسين صالح ، بحث بعنوان: (ظاهرة النهب والسلب والفرهود في مدينة بغداد، ٢٠٠٣م).

٢٧. كاظم الحسن، مقالة بعنوان: نهاية سيرة الدم، الناشر: وكالة الانباء العراقية، في ٨/ ٤/ ٢٠٢١م.

٢٨. متعب مناف السامرائي، محاضرات في السلوك الجمعي، العام الدراسي ١٩٨٩–١٩٩٠م، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد (محاضرات).

٢٩. مجاهد منعثر منشد الخفاجي: بحث بعنوان : فتوى الجهاد الكفائي حرب من أجل السلم، الناشر: مهرجان (فتوى الجهاد الكفائي في ذاكرة العراق) في ١٢/ ٨/ ٢٠٢٣م.

٣٠. محمد البورقادي منشور بعنوان: السلوك الجمعي وشروط إحداث الثورة، الحوار المتمدن – العدد ٠ ٥٢١٥– ٧/٦/ ٢٠١٦م.

٣١. محمد عبد الجبار الشبوط ، مقال بعنوان: (الزيارة الأربعينية كظاهرة اجتماعية – دينية)، الناشر: جريدة الزمان، في ٨/ ٩ / ٢٠٢٣م.

٣٢. محمد ياسر الخواجة دراسة سوسيولوجية للمظاهر والعوامل: علاء زهير الرواشدة، الناشر: المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب المجلد ٣١، الرياض –٢٠١٥م– ١٤٣٦هـ.

٣٣. محمد ياسر الخواجة، التطرف الديني الرأي الآخر: صلاح الصاوي، تأريخ الانشاء –٢٠٠٨م.

٣٤. مقال منشور بعنوان: اسلوب المواجهة الإعلامية في القرآن، الناشر: الموسوعة الاسلامية في ٣١/ ١٠ م ١٠١٢.

٣٥. منشور بعنوان: (هنري تاجفيل ونظرية الهوية الاجتماعية) في: ٢٨م ٤م ٢٠١٨ منشور : هنري تاجفيل، الناشر : ويكيبيديا الموسوعة الحرة، في/ ١٥مارس ٢٠٢٣ ، الرابط : https://ar.wikipedia.org/wiki

٣٦. منشور بعنوان: التفكير الجماعي: يُمن حلاق، الناشر: عرب بوست، في ١٥ / ٦ / ٢٠٢١م.

٣٧. منشور موسوعة عارف، ١٠:٥٤، ٣ ديسمبر ٢٠٢٢.

٣٨. منشور: العاطفة في تراث الإمام الشهيد الصّدر «رض»، الناشر: مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، ٣١/ ١٢/ ٢٠٢١م.

٣٩. منشور: الفرق بين نظرية العدوى ونظرية التقارب: الناشر: بيوش باداف / فحص الحقيقة /في ٢٩ / ٣/ ٢٠٢٣.

٤٠. منشور: المجتمع الجامد والمجتمع المرن، الناشر: مكتبة الكوثر، في ١٠/ ١١/ ٢٠١٧.

٤١. منشور: سلوك القطيع، الناشر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا في ١٧/ ٣/ ٢٠٠٣ ، الرابط : https://ar.wikipedia.org/wik.

٤٢. منشور: سيكولوجية الحشود الهائجة أو النسيج الجمعي لفوضى، الناشر: صفحة: معلومات غريبة لا يصدقها العقل، تاريخ النشر: ١٨ / ١/ ٢٠١٥م .

٤٣. منشور: شعبة علم الاجتماع – صفحة الكلية والجامعة – السبت – ٢٠ /٤/ ٢٠١٩.

٤٤. منشور: مترجموا القرآن الكريم، النشر: ويكيبيديا، النموسوة يوم ٢٤ فبراير ٢٠٢٢.

٤٥. منشور: مصطلحات اجتماعية: السلوك الجمعي، اشكالية التعامل مع السلوك الجمعي: زهير الاعرجي، الناشر: شبكة النبأ المعلوماتية– الثلاثاء ١٠ تموز/٢٠٠٧ –٢٥/جماد الاخرى/ ١٤٢٨.

٤٦. منشور: هربرت سبنسر، الناشر: وكويبيديا الموسوعة الحرة، في / ١٥ / ٣/ ٢٠٢٣.

٤٧. موقع: العلوم الإنسانية والاجتماعية، صفحة، مجتمع، تهتم هذه الصفحة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢١/ ٨ / ٢٠١٧م.

٤٨. ناهدة عبد الكريم حافظ: ، سملزر ونظرية السلوك الجمعي، مجلة العلوم الاجتماعية، العددان ٣٤– ٣٥، ٢٠٠٤، بغداد.

٤٩. ويكيبيديا الموسوعة الحرة، في ٢٢/ ٩/ ٢٠٢٢م.

٥٠. هديل العتوم، مقال بعنوان: نظرية التقليد عند غابرييل تارد في علم الاجتماع، في ١٣ يناير ٢٠٢١

Abstract

The chapters and investigations of the thesis are summarized in the statement of the concept of collective behavior, and what is meant by it? And how is it formed? And the statement of the reasons that led to its formation, and the statement of the characteristics that are characterized and appear through the collective behavior that revolves around direct reactions to an event or situation or through the face of horror, anxiety and fear, or blind imitation or it docility and collective delivery, and the research studies the statement showed the reasons for the formation of behavior that showed public opinion and fashion, and what are the means of forming both fashion and public opinion, and their impact on society from During the face of horror, anxiety and fear, or blind imitation or it docility and collective submission, the research examines a statement that showed the reasons for the formation of behavior that was shown by public opinion and fashion, and what are the means of forming both fashion and public opinion, and its impact on society by directing the behavior of the collective, which is often a negative impact, and the statement of the confrontations of that behavior through the Qur'anic verses and their interpretation, which was contained in the mothers of Quranic interpretations, as well as the researcher shows That just as there is a negative collective behavior there is a positive collective behavior that indicates His methods of the Holy Qur'an, to give a lesson to reduce the causes of the formation of negative collective behavior, and to encourage and develop the causes of positive collective behavior, as well as that there is an Islamic collective behavior caused by obedience, submission and obedience to God Almighty in faith in His wisdom, manifested through the performance of all collective worship that Muslims responded to the orders of God through them, and who showed the images of that collective behavior in the rituals of Hajj to the Sacred House of God, and the revival of the ritual of visiting the forty of Hussein, as well as the case of a fatwa Efficient jihad, and in all that the researcher was sailing in his ship in the sea of Tafsir The Holy Qur'an, to find appropriate solutions to rid society of the influence of collective behavior blameworthy.

The Republic of Iraq

University of Karbala / College of Islamic Sciences

Department of Quranic Studies and lurisprudence / Sharia **and Islamic Sciences**

Collective behavior and its impact on guiding society

Interpretive study

A dissertation submitted to the Council of the College of Islamic Sciences / University of Karbala as part of the requirements for obtaining a doctorate degree in evil Yaa and Islamic sciences.

Written by a student

Mahdi Manati Abboud Al-Majidi

Supervisor

Prof. Dr

Muhammad Hussein Abboud Al-Tai

١٤٤٥ AH **٢٠٢٤ AD**